

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARIES



32101 003497631

Princeton University Library

This book is due on the latest date
stamped below. Please return or re-
new by this date.

JUN 15 2002

Shafiq

مذكراتي في القرن

مذكراتي بقلم

fi
nisf
al-qarn



الحاج أحمد شفيق باشا

رئيس الديوان الملكي ووكيل الجامعة الإسلامية
ومخرج مجلة العلوم الإسلامية وكيهاتقوونباريس

الجزء الثالث

عباس والحرب العظمى

١٩١٥ - ١٩٢٣

الحولية الرابعة : القضية المصرية والأحزاب . ثروت يخلف عدلى . زيارة جلالة الملك رسمياً لاييطاليا وفرنسا وانجلترا وبلجيكا . مفاوضة ثروت وتشمبرلن . وفاة سعد . افتتاح البرلمان . الامتيازات الاجنبية (٧٨٢ ص ٦٠ صور وثمنه ٥٠ قرشاً والباقي منها للبيع ٣٥ نسخة)

الحولية الخامسة : ملك الأفغان في مصر . أعمال البرلمان . ولى عهد إيطاليا في مصر . النحاس يخلف ثروت . حالة الائتلاف بين الأحزاب . مشروع اتفاق ثروت مع انجلترا . وفاة حسين رشدى . النزاع الحزبى . محمد محمد يخلف النحاس . تعطيل البرلمان . النحاس فى الأقاليم . مشروعات الرى الكبرى فى مصر والسودان . وفاه ثروت . النضال بين الوفد والوزارة . محاكمة النحاس . (١٥٢٦ ص ٢٤ صورة وثمنه ٥٠ قرشاً والباقي منها للبيع ٣٢ نسخة)

الحولية السادسة : الاتفاق على مياه النيل . زيارة جلالة الملك لألمانيا وفرنسا وسويسرا وانجلترا . مفاوضات محمد محمود وهندرسون . تفتيش بيت الأمة . عدلى يخلف محمد محمود . عودة الحياة النيابية . الانتخابات الرابعة . (١٦٠٠ ص ٢١ صورة وثمنه ٥٠ قرشاً والباقي منها للبيع ٩٢ نسخة)

الحولية السابعة : النحاس يخلف عدلى . افتتاح البرلمان وأعماله . مفاوضات النحاس وهندرسون . اسماعيل صدقى يخلف النحاس . تأجيل البرلمان . موقف الانجليز . تغيير الدستور وقانون الانتخابات . تأليف حزب الشعب . (١٦٠٠ ص ١٣ صورة وقد نفذت)

وتتضمن هذه المجموعة الخطب والمحادثات السياسية وتعليقات الصحف على اختلاف نزعاتها ؛ فهى دائرة معارف سياسية جامعة .

الجزء الأول من مذكراتى فى نصف قرن من سنة ١٨٧٣ إلى وفاة توفيق فى يناير سنة ١٨٩٢ (٥٢٧ صفحة و ٣٥٥ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

القسم الاول من الجزء الثانى من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٢ (٤٥٦ صفحة و ١٧٦ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

القسم الثانى من الجزء الثانى من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩١٤ (٤٤٩ صفحة و ٨٤ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

الجزء الثالث - (عباس والحرب العظمى من سنة ١٩١٥ إلى ١٩٢٣) (٣٨٤ صفحة و ٨٩ صورة وثمنه ثلاثون قرشاً)

وهذه الأسعار غير أجرة البريد

2274
8681
366
٧١٣

فهرس

القسم الثالث من مذكراتى فى نصف قرن

صفحة

٣

مقدمة بقلم الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد

سنة ١٩١٥

١٥

امبراطورا ألمانيا والنمسا والانقلاب

١٦

الموظفون بالمعية والاقتصاد (وساطة سفير أمريكا فى عودة بعض الموظفين لمصر)

١٧

السندات والتحف التى استحضرها الخديو من مصر

١٨

عيد الجلوس الخديوى

١٩

زيارتي لأعضاء العائلة الخديوية

٢١

الارادة الشاهانية وتحديد مهمة الحملة على مصر

(ارادة خديوية بتعيين البرنس ابراهيم حلى قائمقام مرافقاً للحملة - الارادة

الشاهانية - مقابلتي للصدر وشعوره نحو الخديو والسلطان حسين - مقابلتي لسفير

ألمانيا واقتراحى اصدار إرادة تحدد مهمة الحملة - مقابلتي للصدر ورده على اقتراحى

مقابلتي لسكرتير جمعية الاتحاد والترقى - مقابلتي الثانية لسفير ألمانيا - نفقات

القائمقام - معارضة الصدر فى تعيين القائمقام - المقابلة الاخيرة لسفير ألمانيا بشأن

الارادة - العودة إلى فينا - صدور الارادة)

٢٨

أخبار عن الحالة فى مصر

٣٠

نيات الأتراك نحو السلطان حسين

٣٠

بين الصدر والخديو

٣٣

فشل الحملة التركية على قناة الدويس

٣٧

مشروع إنشاء مستشفى يحمل اسم الخديو

مشروع خطير لفصل فرنسا عن إنجلترا في الحرب العظمى

(تعرف الخديو بموسيو كايو وموسيو بولو - الخديو يعمل لحفظ العرش له أو للبرنس عبد المنعم - تفكير بولو في مشروع صلح انفرادى بين فرنسا وألمانيا - الخديو يعمل لمقابلة الامبراطور - العودة إلى التفكير في المشروع - تكليف بمهمة خاصة بالمشروع - موافقة وزير الخارجية على المشروع - موافقة الامبراطور نهائيا على المشروع - تخوف الخديو من يوسف - سفرى إلى سويسرا - حضور الخديو ومقابلة بولوباشا - تفكير الخديو في ابعاد يوسف عن المشروع - مطامع يوسف باشا وصاحبة الخديو - الدفعة الأولى وكيف أنفقت - فشل المشروع)

سفرى إلى برلين ومهمتى بها

(المساعى لتسهيل زيارة الخديو للامبراطور - سلف للبرنسات - الخديو ومحمود مختار باشا سفير الدولة في برلين)

أحداث الحرب (خطط هندبورج - موقعة الدردنيل وسفر والدة إلى بروسة)

تنظيم مخبرات مع مصر وتبدير ثورة ضد الانجليز

(الاتحاد الاسلامى - إنشاء صحيفة عربية للدعاية - ألمانيا تنفق على تنظيم المخبرات والدعاية - استخدام أرباب الطرق - تحديد مهمة الجمعية السرية في مصر - نظام المخبرات مع الجمعية السرية بالاسكندرية - استعمال شفرة وحبر كيمائى - المندوبيون في الاسكندرية ونابولي وأتينا وطرابلس - توصيل الرسائل - البريد عن طريق أتينا - توصيل نقود ومفرقات - طرق للدعاية الوطنية في مصر - تحليف المندوبين - تقرير الدكتور سيد كامل - اسمايل لبيب يفكر في مشروع مستقل - تقرير البارون)

السلف والمرتبات التى تقرر للبرنسات والحاشية

الشريف فيصل ومهمته في الآستانة

(اتمام الشريف حسين بموالة الخديو ثم الانجليز - عواطف العرب نحو الخديو - ثقة أنور وطلعت بالشريف حسين - العمل مع فيصل وأونهايم للتوفيق بين الشريف والأتراك - المشروع النهاى واتهام مهمة فيصل - تقرير أونهايم - خشونة جمال باشا تسبب انضمام العرب للانجليز)

الانجليز يعرضون ولاية العهد على عبد المنعم

الخلاف بين الخديو ورجاله والوطنيين وسفره إلى السويس

(بحث موقف الخديو من جميع الوجوه - ألم الخديو من بعض القرارات - خلاف الخديو مع رجاله - سفر الخديو إلى السويس - رأى رجال الخديو في موقفه - تهديد تركيا للخديو بسحب الأوسمة وشكوى عباس للسلطان - شكوى عباس من قنصل تركيا في جنيف - بينى وبين الخديو - سوء ظن الخديو برجاله)

صفحة

٧٢

توجيه انذار لعباس

٧٧

شؤون مختلفة

(عرباشا في نظر الألمان - حفلة وداع لهندي كبير وخطبتي فيها - الاتحاد العربي)

سنة ١٩١٦

٨٣

المصريون يختلفون مع عباس بسبب محاولة إنشاء جريدة

(محاولة انشاء الجريدة - توسطي بين رجال الحزب الوطني والخديو)

٨٩

كيف عشت في السويسرة بعد انقطاع مرتبي من تركيا

٩٢

التحقيق مع احمد بك صادق وقضية الأوقاف ضد

٩٤

حياد الخديو

٩٦

مخبرات الخديو مع الانجليز ومناوراتهم ووساطة ملك البلجيكي

(سفير ألمانيا على علم بالمخبرات - عباس يتحدث عن مساعيه الخفية - وساطة

ملك البلجيكي لحفظ حقوقه المادية - شروط الانجليز - الأتراك يحاولون

استمالة عباس اليهم - العمل لتحسين العلاقات بين عباس وحلفائه - نص

المخبرات بين عباس وملك البلجيكي)

١٠٧ تسديد النقود الألمانية والحجز على مبلغ يوسف صديق (عباس ويوسف صديق)

١٠٩

بين عباس ورجاله والوطنيين

(بيني وبين سموه - الشيخ محمد عثمان والخديو - عباس ورجال الحزب الوطني -

مدام لوزانج تعرف نقطة ضعف عباس فتستغلها)

١١٤

العلاقات بين الخديو وحلفائه

(فتور العلاقات بين عباس والنمسا - سحابة تنقشع - عودة اهتمام الألمان به -

البريد الخديوي والصدر وسفير النمسا - وفاة امبراطور النمسا - المساعي

للتقريب بين الخديو وحلفائه - النمسا تعترف بخديوية عباس)

١٢٣

القبض على يكن باشا وضبط أوراق الخديو

(السويسرة تعترف بخديوية عباس - معرفة سارق الأوراق - تهديد

عباس ليكن - عباس يحصل على اعتراف منه - بحث في امتيازات رجال

الحاشية بسويسرا - استرداد بعض الأوراق المضبوطة)

(رأى الخديو في غورست وكنتشر - الخديو وملك اسبانيا - غرق كنتشر -
محادثة البرنس محمد على مع مكسويل عند اعلان الحرب - أوراق الخديو
في رودس)

سنة ١١٩٧

١٣٧ فشل المخبرات مع الانجليز ومحاولتي التوفيق بين الخديو والأتراك

(اتداني للتفاهم مع الأتراك - سعى الخديو لدى الانجليز ومناوراتهم -
مقابلي لفؤاد بك سليم - مقابلة شديد بك - مقابلة موسيو بارودي - مقابلة
الخديو - مقابلة البرنس محمد على وانتقاده شقيقه - مقابلي مع قنصل النمسا - مقابلي
مع بارودي مرة أخرى - من أذاع سر المحادثات - مناورات الخديو بين الأتراك
والانجليز - استقالة البرنس سعيد حلم من الصدارة - إرسال التهمة - جس النبض
لدى رجال تركيا - تحضير مذكرة للمخبرات - السفر الى برن - مذكرة جديدة)

١٤٧ الاحتفال ببلوغ عبد المنعم سن الرشد

١٥١ البرنس عبد المنعم وولاية العهد

١٥٤ سفرى الى الآستانة للتفاهم مع الأتراك

(الاستعداد للسفر - عقبات - حضور الصدر الى فينا ومقابله - استئناف
السفر - العقبات في حدود الدولة - عدم الثقة بالخديو في بلغاريا - الوصول
للآستانة - مقابلة الوالدة - حيلة - مقابلة البرنس ابراهيم حلمي - فكاهة -
عند أنور باشا - عند طلعت باشا - مقابلة ناظر العدلية - أذنان الصدر -
مقابلة أخرى لأنور باشا - الحصول على ورقة رسمية - خطاب طلعت للخديو -
السفر من الآستانة - عقبات - مفاجأة بمقابلة الخديو - العودة الى زروخ -
السعى لموافقة النمسا وألمانيا على المخبرات - تردد الخديو - مذكرة الى الصدر
يحملها عارف باشا - رد صريح من طلعت تعززه رسالة من أنور - شديد يزن
للخديو جانب الانكليز وهو يرجع جانب الأتراك - ترتيبات السفر - اختيار
بعض المصريين لمرافقة الخديو بالآستانة)

١٧٨ عودة الخديو للآستانة

(السفر - الوصول الى فينا - زيارة امبراطور النمسا - حادث مكدر - الوصول
الى الآستانة - مقابلة السلطان - الخديو يستخف بجلالته - زيارة الصدر للخديو
زيارة ولي العهد - الحفاوة بالخديو - أسف الامبراطور على الحادث المكدر
عباس وامبراطور ألمانيا بالآستانة - رأى الامبراطور في الانجليز والأتراك -
عباس يشكو من معاملة ناظر الخارجية الألمانية - مرتبات المصريين - اهداء
نياشين من الخديو)

صفحة

١٨٩

كيف تلقى الخديو خبر وفاة السلطان حسين وتولية السلطان فؤاد

١٨٩

بينى وبين عباس

١٩٥

بين الخديو وولى عهده

سنة ١٩١٨

١٦٩

احتفال هام بعيد الجلوس الخديو

(موقف جمال باشا من الاحتفال - إنابة الخديو لى فى حضور الحفلة - اعتذار البرنس ابراهيم حلى عن رياستها - كلمتى بالنيابة عن الخديو - انشاد السلام الخديو - لجنة الاحتفال فى دار الأناض العسكرية - حفلة لمواساة عائلات الشهداء فى القتال - تخوف الخديو من الفشل - تنحى البرنس ابراهيم حلى ونيابتي من الخديو)

٣٠٣

معلومات وأسرار عن الحالة فى طرابلس

(مندوب عثمانى فى طرابلس للإصلاح بين زعمائها - مشروع القيام بحركات حرية على حدود مصر الغربية - الخديو يقترح احتلال سيوه - ترقية الضباط المصريين بطرابلس)

٣٠٨

بين الخديو ورجال الحزب الوطنى

(عباس يقرب الشيخ جاويش - مؤتمر الحزب فى برلين - الشقاق بين زعماء الحزب الوطنى - غضب الخديو على الشيخ جاويش)

٢١٣

محكمة بولو واعدامه

(فزع الخديو - تشهير الفرنسيين ببولو - فى سويسرا - فى أمريكا - شهادة يوسف صديق تسبب إعدام بولو)

٢١٧

رحلة للسويسرة كلها متاعب وآلام

(أوامر بخصوص عبد المنعم - يريد الخديو وطبيب خاص له - الاستعداد للعودة إلى الآستانة - أمانة السويسريين - السفر - ضياع حقيبة بها حلى ونقود - انتظار عباس بالقطار فى بودابست - عودة إلى الحقبة الضائعة - الرجوع إلى بودابست - مهدنة البلغار - متاعب ومرض وآلام - العودة إلى السويسرة)

٢٢٢

شئون مختلفة

(أسرار الثورة العرابية - أخبار العائلة الخديوية - المصريون فى السويسرة - وفاة السلطان عبد الحميد - مذكراتى فى يد الخديو - رأى الصدرى فى حل المسألة المصرية)

سنة ١٩١٩

٣٢٦

بينى وبين البرنس محمد على (البرنس والحركة الوطنية - بين أفراد العائلة الخديوية)

٣٢٩

العلاقات بينى وبين عبد الله البشرى

٣٣٠

أوامر بخصوص الأستاذ وفاق المحامى

صحيفة

٢٣٢

مخابرات متنوعة مع عباس وحاشيته

(حالي الصحة - واجب الخديو وواجب الوطن - المفاوضة في بيع شركة الأديبية البلجيكية - المتأخرات من مرتبي في الأستانة - احتلال الخلفاء للأستانة)

٢٣٥

حفلة تأبين للرحوم محمد بك فريد (اطلب الكثير تمل القليل)

٢٣٦

أخبار عن مصر (شجاعة أسرة نقلا باشا)

سنة ١٩٢٠

٢٣٨

جهاد المصريين بالسويسرة واقتراح عقد المؤتمر

(اختياري رائدا للجمعية المصرية بلوزان . إشاعة قبول سعد للنظارة وترك القضية الوطنية . المخاطرة لعقد مؤتمر مصري في السويسرة - ظهور عقبات - البرنس محمد علي والمؤتمر - طلب مساعدة من عباس للمصريين - أخبار المصريين في باريس)

٢٤٤

عودتي إلى الأستانة (مع عباس - قبض مرتبائي المتأخرة)

٢٤٥

استقالي وأسبابها

(نقود البيروحي - مذكرة عن الموضوع - نصر الاستقالة - تسديد دين حمص)

٢٥١

تصفية الحاشية

(عبد الحميد شديد بك - رمزي طاهر باشا - الدكتور سيد كامل وعبد الله البشري - نور الدين)

٢٥٤

مسعى عباس لاستغلال الحركة الوطنية

٢٥٦

شئون مختلفة

(عباس وصاحبه - من أسرار الحرب العظمى - رأي ضابط انجليزي في الادارة المصرية المستقلة - الآن حصص الحق - اشتراك في جمعية خيرية عربية)

سنة ١٩٢١

٢٦٠

التحقيق في ضياع المجوهرات

٢٦٢

عودتي إلى مصر

(المساعي للعودة - مساعي مظلوم باشا وتسويق السراي - الترخيص بالعودة - السفر - الوصول إلى أرض الوطن - مقابلاتي وزياراتي بعد العودة - بين عابدين ودار الحامية - في الأزهر - ما لقيته من حفاوة رجالات مصر)

صحيفة

- ٢٦٨ المساعي لعودة عبد الحميد شديد وعلاقاته بعباس
- ٢٦٩ رأى في الاتفاق بين مصر وانجلترا
- ٢٧٢ برنامجي للاصلاحات الداخلية
- ٢٧٣ الخلاف بين سعد وعدلى ومساعي التوفيق
(خلاف بعد وفاق . عمل اسماعيل أباطة للتوفيق . مساعي البرنس عمرطوسن .
مساعي البرنس عزيز حسن . عريضة مع بعض الكبراء للسلطان . دعوة البرنس
عزيز حسن للاجتماع بمنزل البكرى . الخلاف بين سعد وزملائه . سفر الوفد
الرسمى . زيارة بعض النواب الانجليز لمصر . رحلة سعد باشا فى الصعيد . قطع
المفاوضات الرسمية . نفي سعد ورفاقه إلى سيشل)
- ٢٨٠ حوادث الاسكندرية والدفاع عن سمعة مصر
(صدى حوادث أزير . بيان بالدفاع عن سمعة مصر)
- ٢٨٨ شؤون مختلفة (نور الدين يشكو من معاملة عباس . نوادر عن شح عباس)

سنة ١٩٢٢

- ٢٩٠ الأحوال السياسية وتصريح ٢٨ فبراير
(الأغلبية والتصريح . موقف الصحف . الجاليات الاجنبية وسياسة التصريح .
الامراء والتصريح . بدء تنفيذ التصريح . رأى عباس فيه . وزارة ثروت باشا
والرأى العام . تأليف حزب الاحرار الدستوريين . استقالة ثروت باشا)
- ٢٩٥ الجرائم السياسية ضد الانجليز
- ٢٩٥ قانون وراثه العرش
- ٢٩٦ قانون تصفية أملاك عباس
- ٢٩٦ اشتغالى بالصحافة
(مقالات تثير اهتمام الدوائر العليا . السراى تخشى الدعاية لعباس . النهضة
النسوية . انقطاعى عن التحرير)
- ٢٩٧ مساعدة المنكوبين بالحريق فى الآستانه
- ٢٩٩ رحلتى فى سوريا وفلسطين
(إعجابى بالتعليم فى الجامعة الامريكية ببيروت . رحلتى فى بعض البلاد)
- ٣٠٣ مطلوباتى من عباس

سنة ١٩٢٣

صحيفة

٣٠٥

عمارة المسجد الأقصى

٣٠٨

الساح للوالدة بالعودة إلى مصر

٣٠٩

الحكم ضد في قضية الأوقاف

٣١٢

بين مؤلفاتي وعضوية البرلمان

٣١٣

شئون مختلفة

(تعرفي بالمستركراين الامريكى . مشروع اقتصادى . أسرار عن مسألة طابة .
الملك فؤاد لا يأذن لى بالمقابلة)

ملحقات

٣١٧

جمعية الرابطة الشرقية

(انصامى إليها - الاجتماع الاول - اعتقال عضو فى الجمعية والافراج عنه -
مهمتى ادى عظماء الاستانة - مقابلتى للخليفة وحدتى معه عن الرابطة - مقابلة
مثل انقره - مقابلة الحاكم العسكرى للاستانة - دعايتى لها فى الاستانة - رسالة
شكر إلى الخليفة - احياء ذكرى جمال الدين بالرابطة - تدخل الجمعية فى الحرب
الحجازية النجدية - افتتاح نادى الرابطة - عطف الرئيس ولسن - مساعدة الجمعية
لجرحى الريف بمراكش - تدخلها فى حوادث دمشق - مساعدتها للنكوبين فى
سوريا - بحث فى الازياء والتقاليد الشرقية - صلة الرابطة بالجمعيات فى الشرق -
إصدار مجلة الرابطة ومقالاتى بها - تمثيلى للرابطة فى افتتاح المسجد الأقصى - تدخل
الجمعية للاصلاح بين الاحزاب فى جاوة - تقدير الملك فيصل لمجلة الرابطة - معونة
الجمعية لعرب فلسطين المتهمين فى حوادثها - الرابطة تقدم لى تذكراً - استغاثتى من
لجنة المجلة - فتور الرابطة ثم انقطاعها عن العمل - بعض عظماء الزائرين للرابطة)

٣٣٣

مطلوباتى من عباس

(بيان واف بمطلوباتى - مقابلتى لوزير المالية ورد لجنة التصفية - رسالتى لمصطفى
أملاك الاعدا - ورد عليها - تدخل دار المتدوب السامى - العودة إلى لجنة التصفية
بالمالية - نهاية المطاف)

٣٣٨

صلوات عباس الشخصية (الكونتس توريك)

٣٤٣

تحليل شخصية عباس

(جاذبية عباس - فضلة على الحركة الوطنية - عمله على حفظ حقوقه الشرعية - مهارته
السياسية - عباس لا يكتفى السر ولا ينتصح - هل عباس دستورى؟ - مطامع عباس
المالية وملاذه الخاصة - نوادر عن بخل عباس - آداب عباس وأخلاقه - تردد عباس)

٣٥٠

كلمة ختامية

فهرس الأعلام

٢٥٦	أحمد شوقي بك	(١)	
- ٩٣ - ٩٢ - ٤٣ - ٢٨	أحمد بك صادق	- ١٥٤ - ١٢١ - ١٢٠ - ٩١	ابراهيم أدهم بك
- ٢١٣ - ٢٠٩ - ١٩٩ - ١٦٢ - ٩٤		- ١٩٠ - ١٨٩ - ١٧٩ - ١٧٥ - ١٧٠	
- ٢٥١ - ٢٤٩ - ٢٤٧ - ٢٤٦ - ٢١٥		- ٢٥٣ - ٢٥٢ - ١٩٦ - ١٩٣	
- ٢٦٣ - ٢٥٥ - ٢٥٤ - ٢٥٢		- ٢٤ - ٢٢ - ٢١ - ١٩	البرنس ابراهيم حلى
٣٢٦ - ٣٠٩		- ٣٧ - ٣١ - ٣٠ - ٢٧ - ٢٦ - ٢٥	
٢٢٢	أحمد عرابى باشا	- ١٤٩ - ١٤٨ - ١٠٥ - ٦١ - ٥٩ - ٤٩	
٣١٥ - ٢٦٧	أحمد عزت العابد باشا	- ١٦٩ - ١٦٨ - ١٦٧ - ١٦٥ - ١٥٨	
٢٨٤	أحمد فائق باشا	- ٢٤٢ - ٢٠٠ - ١٩٩ - ١٧٧ - ١٧١	
- ٢٠٦ - ٢٠٣ - ٢٠٠ - ١٩٨	أحمد فريد بك	- ٣١ - ٣٠ - ٢٩ - ٢١	ابراهيم بك راتب
- ٢٥٣ - ٢٤١ - ٢٣٥ - ٢٢٥ - ٢٠٧		- ٢٣٥ - ٢٢	
٢٠٧ - ٢٠٥ - ٢٠٤ - ٢٠٣	أحمد أفندى فريد	٢٧٨	ابراهيم سعيد باشا
- ١٨٩ -	السلطان أحمد فؤاد (جلالة الملك)	٢٥٨	ابراهيم نجيب باشا
- ٣٠٦ - ٢٩٨ - ٢٩٥ - ٢٨٧ - ٢٦٢		٣١٥	أبو الهدى الصيادى
٣١٥ - ٣١١ - ٣٠٨		٣٢٠	أحمد جودت بك
٢١٣ - ١٧٥ - ١٦٢ - ٧٨	الدكتور أحمد فؤاد	(صاحب جريدة أقدام التركية)	
- ٢٣٩ -	أحمد لطفى السيد بك (باشا)	٢٠٧ - ٢٠٥	السيد أحمد الشريف
٢٧٨ - ٢٧٥		٢٦٧	أحمد حافظ عوض بك
٣٠٤	أحمد بك لطفى المحامى	٢٨٤	أحمد حشمت باشا
- ٢٦٦ - ٢٦٢ - ٢٣٩	أحمد مظلوم باشا	- ٢٦٣ - ٩٤ - ٩٣	أحمد خيرى باشا
٢٨٤ - ٢٦٧		٣٠٩ - ٢٨٤	
- ١١٧ - ٩٢ - ٥٦ - ٥٥	أحمد نور الدين	٣٤٢ - ٣١٩ - ٣١٧ - ٣٠٦	أحمد زكى باشا

الدكتور أمستر ٤٧-١١٩-١٢٠-١٢١-	١١٨-١٢٠-١٢١-١٢٣-١٤٨-
١٢٢-١٥٤-١٥٥-١٥٦-١٦٤-	١٥٤-١٥٥-١٦٤-١٨٢-٢٠٠-
١٧٨-١٨٨	٢٢٤-٢٤٩-٢٥٤-٢٨٨
السيد أمير علي الهندي ٣٣١	الأستاذ أحمد وفيق ٢٣٠-٢٣١
أمين بك الرافي ٢٩-٢٧٣	موسيو أرفاي ١١٥-١٢٢-١٢٣-١٢٦
أمين يحيى باشا ٢٦٧-٢٨٤	اسماعيل فاضل باشا التركي ٢٢٢
الدكتور أنصاري الهندي ٣٣١	اسكندر فهمي باشا ٢٨٤
أنور باشا ٢٧-٥١-٥٥-٥٧-٥٨-	اسماعيل أباطة باشا ٢٦٧-٢٧٥-٢٨٤
٥٩-٦١-٦٢-٧٢-٩٥-١٢٣-	اسماعيل أفندي حسن ٢٠٣-٢٠٤
١٤٥-١٥٧-١٥٨-١٦٢-١٧٣-	اسماعيل بك ليبب ٥٢-٥٥-٥٦-٥٧-
١٧٦-١٧٩-١٨١-١٨٥-٢٠٠-	٥٨-٦٥-٧٢-٧٤-٧٥-٧٦-
٢٠٦-٢٠٨	٩٥-١٠٩-١١٢-١١٣-١١٤-
البارون أوبنهايم ٤٠-٤١-٤٢-٤٨-٥٠-	٢٢٦-٢٣٥-٢٤١-
٥١-٥٦-٥٧-٥٨-٦١-٦٣-٧٧-	النيل اسماعيل داود ٣١٧
٧٨-١٢٥-٢٠٦	اسماعيل زهدى بك ٢٩٣
(ب)	اسماعيل صبرى باشا ٢٨٤
موسيو پاول الألماني ٧٧-١٠٧-	أغاخان الهندي ٢٢
١٨٥-٢١٦	اللورد اكتور ١٣٨-١٧١-٢٦٨
موسيو بارتو الفرنسي ٣٩	السيد الادريسي ٢٠٥-٢٠٧
موسيو بارودى ٩٨-٩٩-١٠٠-	الير ملك البلجيك ٩٨-١٠٦
١٠٣-١١١-١٢٥-١٢٦-١٣٨	الير حمصى ٢٤٥-٢٤٦-٢٤٧-٢٥١
١٣٩-١٤٠-١٤١	الطيب السنوسى ٢٠٤
باغوص نوبار باشا ٧٤-٩٦	موسيو الكساندر الألماني ٤٧-٤٩-٥٠-
بروستر بك ٣٣٩-٣٤١-٣٤٢	٥١-٧٧-
موسيو بريان ٣٩	اللورد ألبنى ٢٢٨-٢٧٩-٢٩٠-٢٩٥-
١٦٥	٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-

١٣٤	جراهم باشا	٣٣١	بندت مونيلال نهرو الزعيم الهندي
٢٨١	جعفر نقر بك	١٢٣	بوريان ناظر خاوجية النمسا
١٦	جلال الدين باشا (صهر عباس)	٣٠٦ - ٣٠٥	القمص بولس غبريال
٥١ - ٢٧ - ٢٦ - ٢٥ - ٢٤ - ١٨		٤١ - ٣٩ - ٣٨	موسيو بولو (باشا)
١٢٠ - ٩٥ - ٨٩ - ٧٤ - ٦٧ - ٥٩		١٢٨ - ٧٥ - ٤٧ - ٤٦ - ٤٤ - ٤٣	
١٣١ - ١٢٦ - ١٢٤ - ١٢٢ - ١٢١		٢١٦ - ٢١٤ - ٢١٣ - ٢١٠	
١٧٢ - ١٧١ - ١٦٥ - ١٤٩ - ١٤٨		مستر بويل السكرتير الشرقى	
٢٢٢ - ٢٠٠		لمعتمد انجلترا	٢٧٧ - ٢٧٦
٢٦٧	جلال فهم بك (باشا)	بيروتتورف سفير ألمانيا في	
٢٢	جمال باشا (قائد الحملة على مصر)	واشنطنطون	٢١٦
٢١١ - ٢٠١ - ١٩٧ - ٦٥ - ٦١		(ت)	
٣٢١	جمال الدين الأفغانى	٣٣١	تاجور الفيلسوف الهندي
١٠٢	البرنس جميل طوسون	٣٤٨ - ٣٣٩ - ٢٨٩	كوتيس توريك
٢٧٨	جورج خياط بك	٢٩٧ - ٢٢٥	توفيق باشا الصدر
(ح)		٣٣١	توفيق دوس باشا
٢٧٤	الدكتور حافظ عفيفى (باشا)	١٧٥ - ٩١ - ٨٩	توفيق بك فهمى
٢٧٨ - ٢٧٥		٢٥٣ - ٢٥٢ - ١٨٢ - ١٧٩	
٣٣٣	الشيخ حافظ وهبه	(ث)	
٩٨ - ٩٧	حبيب بك لطف الله	٢١٣ - ١٧٨ - ٨٩	ثرىا بك الالبانى
٣١٣ - ٢٨٤ - ٢٦٧	حسن حسيب باشا	(ج)	
٣٣٣ - ٣٠٣	حسن صبرى بك (باشا)	موسيو جانيو مدير بعثة مصر	
٣٤٦	حسن عاصم باشا	٢٦٩ - ٢٦٨ - ٢٦٣	بحنيف
٢٩٣ - ٢٨٤ - ٢٨١	حسن عبدالرازق باشا	١٥٨ - ٢١	جاويد بك
٢٩٩	حسن نشأت بك (باشا)	٢٣٦	جبرائيل بك تقلا (باشا)
٣١٢	الشيخ حسونه النواوى	٢٠٤	جبريل بك شيخ العرب
١٨٠ - ٦٢ - ٦٠	الشرىف حسين (الملك)		

دومرتينو باشا ٢٤٧ و ٣٣٩ و ٣٤٠	حسين حلي باشا سفير الدولة في فينا ٣٢ -
٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣	١٠٣ - ١١٧ - ١٤٥ - ١٧٨
كونت دي تورن ١٢٦ و ١٤٠	حسين رشدی باشا ٧٧ - ١٣٦ - ٢٢٥ -
(ر)	٢٣٩ - ٢٤٣ - ٢٦٥ - ٢٨١
رأفت باشا التركي ٣٣٠	حسين بك زكي ٢٦٨
السيد رشيد رضا ٣٠٦ و ٣١٩	حسين بك شيرين ٨٣ - ١١٣ - ٢٣٩
رضا توفيق الفيلسوف التركي ٣١٤	٢٤١ - ٢٤٢
رفعت باشا سفير الدولة بباريس ١٩٩	السلطان حسين كامل ٢٢ - ٢٩ - ٧٣
رمزي طاهر باشا ١٧٥ و ١٧٩ و ١٨٢	١٨٩ - ٩٦ - ٩٩ - ١٦٥ - ١٨٩ - ٣١٠
١٩١ و ١٩٣ و ٢٢٤ و ٢٥٢ و ٢٥٣	حسين محرم باشا ٩٤ - ٢٦٣ - ٢٦٧
رمضان السواحلي ٢٠٥ و ٢٠٧	حكيم أجمال خان الزعيم الهندي ٣٢٤ - ٣٣١
موسيو روليه (سكرتير عباس) ٣٤٤	حمد الباسل باشا ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٨
٣٤٥ و ٣٤٦	حمد أبو سلطان ٩٣
(ز)	حمد الله باشا ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠٣
الجنرال زكي باشا (التركي) ٢١١	حمدي بك سيف النصر (باشا) ٢٦٧
(س)	البرنس حيدر فاضل ٢٠
اللورد سسل ١٣٤ و ١٣٥	(خ)
سعد زغلول باشا ٢٢٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩	خالد باشا الراماد ٢٠٢
٢٤٢ و ٢٥٤ و ٢٥٦ و ٢٦٦ و ٢٦٧	خليل بك ناظر الخارجية التركية ١٠٠
٢٧٣ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٧ و ٢٩٠	و ١٢٠ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٥٨
الامير سعود بن عبد العزيز ٣٣٣	و ١٦٠ و ١٦١
البرنس سعيد حلمي ٨٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١٤١	خليل بك مطران ٣٠٠
١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٥ و ١٥٨ و ١٥٩	(د)
١٦٠ و ١٦١ و ١٦٣ و ١٨٠ و ١٨٢	الغازي درويش باشا ٢٢٢
٢٠٢ و ٢٠٩ و ٢١٣ و ٣٤٨	موسيو دومرتينو (معمد إيطاليا) ١١٢
	٢٤٤ و ٣٤٥

طلعت باشا الصدر ٣٠ و ٥٩ و ٦٢ و ٦٤
و ٩٠ و ١٠٣ و ١٤٣ و ١٤٦ و ١٥٨
و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦٣ و ١٦٨ و ١٧٠
و ١٧٣ و ١٧٨ و ١٨٣ و ١٨٤ و ٢١٠
و ٢١٢ و ٢١٨
طورنيز باشا ٣٤٠ و ٣٤٣

(ع)

عارف باشا ١٦ و ٢٤ و ٢٦ و ٥٩ و ٩٢
و ١٠٥ و ١٦٥ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠
و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٥ و ١٨٠ و ١٨٢
و ١٨٤ و ١٨٨ و ١٩١ و ١٩٤ و ١٩٨
و ١٩٩ و ٢٠١ و ٢٢٢ و ٢٢٤ و ٢٢٥
و ٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٥٢ و ٢٥٤

البرنس عباس حليم ٥١ و ١٤١
السلطان عبد الحميد ٨٤ و ١٨٠ و ٣١٨

و ٢٢٢ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٣٤٧
السيد عبد الحميد البكري ٢٧٥ و ٢٧٦
و ٢٨٤ و ٣٠٥ و ٣٠٧ و ٣١٣ و ٣١٤
و ٣١٧ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٦

عبد الحميد الزهراوى ٧٩ و ٨٢
عبد الحميد بك شديد ٢٠ و ١٠٠ و ١٠٤
و ١٠٥ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٣٩ و ١٤٠
و ١٤٣ و ١٤٨ و ١٥٣ و ١٥٥ و ١٦٥
و ١٦٦ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١
و ١٧٣ و ١٧٦ و ١٧٨ و ١٨٩ و ٢١٤
و ٢١٨ و ٢٢٢ و ٢٢٨ و ٢٤١ و ٢٤٦
و ٢٥١ و ٢٥٣ و ٢٦٦ و ٢٦٨

سعيد ذو الفقار باشا ٢٦٥ و ٣٠٧
و ٣٠٨ و ٣١٦
الشيخ سليم البشرى ١٣٦
سليمان شفيق باشا ٣٠٦ و ٣١٤
الدكتور سيد كامل ٣١ و ٥٤ و ٥٥
و ٥٧ و ٥٨ و ٦٣ و ٦٥ و ٦٦ و ٧١
و ٧٨ و ٨٣ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٩ و ٩١
و ٩٢ و ٩٥ و ٩٦ و ١٠٤ و ١٠٥
و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ و ١١٣ و ١١٤
و ١١٧ و ١١٨ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٣
و ١٢٤ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩
و ١٣١ و ١٣٢ و ١٤٣ و ١٤٥ و ١٤٨ و ١٦٤
و ١٦٨ و ١٧٧ و ٢٢٦ و ٢٢٩ و ٢٣٢
و ٢٣٤ و ٢٤٤ و ٢٤٦ و ٢٤٩ و ٢٥٣
و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٨ و ٢٨٧ و ٣٠٣

(ش)

شهام (متولى أعمال الوكالة البريطانية بمصر) ٢٤
شكيب بك أرسلان ٢١٣
البرنيس شويكار هانم (الاميرة) ٢٥٤

(ص)

صفية هانم زغلول (أم المصريين) ٢٥٤ و ٢٥٥

(ض)

ضيا بك قنصل جنرال الدولية في جنيف ٦٩

(ط)

طالب بك البصرى ٧٩
طه الهاشمى باشا ٨٢
طلاماس بك ٩٣

عبد الله وهي باشا	عبد الخالق ثروت باشا
٢٦٧ و ٢٨١	٢٦٥ و ٢٦٦
٢٨٢ و ٢٨٤	٢٦٩ و ٢٧٩ و ٢٩٠ و ٢٩٣ و ٢٩٤
الأمير عبد المجيد (السلطان)	عبد الخالق مدكور باشا
١٨٠	٢٠٤ و ٢٧٨
١٩٩ و ٢٠٢	عبد الرحمن بك العابد
السيد عبد المحسن الكاظمي	٢٥٨
٣١٩	عبد الرحمن عزام (بك)
عبد الملك بك حمزة	٢٠٧
٢٤١	عبد الرحمن بك فهمي
البرنس عبد المنعم	٢٥٧ و ٢٥٨
٣٩ و ٦٥ و ٦٨	عبد الرحيم افندي نجل السلطان
١٠٠ و ١١٠ و ١٢١ و ١٤٧ و ١٤٩	عبد الحميد
١٥١ و ١٥٢ و ١٦٦ و ١٧٢ و ١٧٨	الشيخ عبد العزيز جاويز
١٩٥ و ٢١٧ و ٢٢٣ و ٢٤٥ و ٢٥٢	٥٣ و ٨٥
٣٣٤ و	١٥٧ و ١٦٢ و ٢٠٠ و ٢٠٨
عثمان مرتضى باشا	٢٠٩ و ٢١٢ و ٢٢٥ و ٣٤٨
٢٨٤	السيد عبد العزيز الثعالبي
عدلي يكن باشا	٧٩ و ٣٣٣
٢٦٩ و ٢٦٦ و ٢٦٥	عبد العزيز عزت باشا (صاحب المقام الرفيع)
٢٧٣ و ٢٧٥ و ٢٧٩ و ٢٩٣	٢٣٩ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٦١ و ٢٨٨
عدنان بك التركي	٣٤٦ و
٣٢٠	عبد العزيز بك فهمي (باشا)
البرنس عزيز حسن	٢٧٣ و ٢٣٩
٢١ و ٢٧٦	عبد الفتاح يحيى باشا
٢٧٧ و ٢٨٤	البرنس عبد القادر
عزيز على المصري باشا	١٧٨ و ١٧٢ و ١٤٩
٨٢	٢٣٢ و ٢٦٩
الشريف على (الملك)	عبد اللطيف المسكباني بك
٦٠	٥٤ و ٥٥ و ٢٧٥
على بك اسماعيل	عبد الله البشري (بك)
٢٠٣	١٦ و ١٨ و ٦٧
على الشمسي بك (باشا)	٦٨ و ٦٩ و ٧١ و ٩٥ و ٩٦ و ١٠٥
٤٢ و ٥٤ و ٥٥	١٠٩ و ١٢٠ و ١٢٦ و ١٢٩ و ١٣٠
٦٥ و ٦٧ و ٦٨ و ٧٢ و ٧٥ و ٧٦	١٣٧ و ١٤٨ و ١٧٨ و ٢٠٦ و ٢١٥
٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٩٥	٢١٧ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٩ و ٢٣٠
٩٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٢ و ١١٣	٢٣٥ و ٢٤٣ و ٢٤٧ و ٢٤٩
١١٥ و ١١٦ و ١١٧ و ٢١٤ و ٢٣٥	٢٥٣ و ٢٥٥
٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢١٣	

الامبراطور فرانسوا جوزيف ١٢٢	الاستاذ على الغيايقي ١٨ و ٩٥ و ٢٤١
٢٢٤ فريد باشا الصدر الأعظم	٢٠٤ على باشا حلبى
٢٠٠ و ١٩٧ فريد افندى صدق	٦٢ الشريف على حيدر
٣٣٣ الشيخ فوزان السابق	٢٧٣ على باشا شعراوى
١١٧ و ١١٦ فيزندونق الالماني	البرنس على بك فاضل ١٩ و ٢٠ و ١٩٩
٦٢ و ٦٠ الشريف فيصل (الملك)	اللواء على فهمى باشا (الفریق) ٢٦٧
٦٤ و ٣٢٩ و ٣٣٣	و ٢٨٤
(ك)	٣٣٦ و ٣٠٤ الشيخ على يوسف
٣٠٨ مستر كار سكرتير اللبى	٢١٠ و ٣١ عماد الدين بك
١٢٩ و ٧٥ و ٤٦ و ٤٥ كافاليني التلياني	٢٨٤ عمر بك شريف
٢١٤ و ٢١٦	الأمير عمر طوسون ١٩ و ٢٧٥
٤٩ الدكتور كاوتسكى (طبيب عباس)	و ٢٩٨ و ٣٠٦ و ٣٢٠ و ٣٢٢ و ٣٢٦
و ١٥٤ و ٢٢١ و ٣٤٠	عوض بك البحر اوى ٢٤١
٤٤ و ٣٩ و ٣٨ موسيو كابو	(غ)
١٣٤ و ١٣٢ اللورد كشتير	الامبراطور غليوم ٩٥ و ١٢٢
و ١٨٣ و ٢٦٩	غورست (معتمدا إنجلترا) ١٣٢ و ٢١١
٢٧٩ و ٢٢٩ اللورد كرزون	(ف)
٣٤٤ و ٣٤١ و ٢٤٩ لورد كرومر	الامير فاروق (جلالة الملك) ٢٩٥
مستر كراين (سفير امريكا فى الصين)	وؤاد بك سليم (سفير تركيا فى برن)
٣٢٣ و ٣١٤ و ٣١٣	٩٠ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٤
٣٩ كليانصو	و ١١١ و ١٢٢ و ١٢٧ و ١٣١ و ١٣٨
٢٣٣ و ٢٣٢ و ٢٣١ كونستان شوفليجر	و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢
(ل)	و ١٤٥ و ١٥٤ و ١٦٩ و ٢١٢
٣٣١ الامير لوهار الهندي	و ٢٥٦ و ٢٥٧
٢٩٦ موسيو ليون كاسترو	فتحي بك سفير الدولة بصوفيا ١٥٧

محمد شفيق باشا ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٣٠٣ و ٣١٣	(م)
محمد شكري باشا ٢٨٤	ما كيو سفير النمسا في روما ١١٩
محمد بك طاهر ١٤٨ و ١٤٩	مدام تقيلا باشا ٢٣٦ و ٢٦٥
الاستاذ الشيخ محمد عبده ٣٤٧	مدام لوزانج ٤٢ و ١٧ و ٨٤ و ١٠٤
الشيخ محمد عثمان ٢٩ و ٥٩ و ٧١	١٠٨ و ١١٣ و ١٧١ و ١٧٢ و ٢١٥
و ٩٥ و ١١٠ و ١١١ و ١٦٢	و ٢٥١ و ٢٥٦ و ٢٨٨ و ٣٣٨
محمد عزت باشا (زوج فائقة هاشم) ٢١ و ٣٢	الاستاذ محمد الدين حفي ناصف ٢٤٣
و ١٧٩ و ١٩٦ و ١٩٩	الدكتور محبوب ثابت ٣١٩
البرنس محمد علي ٧٨ و ٧٩	محيي الدين بك جلال ٣٧ و ٧١
و ١١٠ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٦ و ١٤٠	مدحت بك شكري (السكرتير العام
و ١٤٩ و ١٥٢ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٤٢	لجمعية الاتحاد والترقي) ٢٤ و ٨٠ و ١٧٩
و ٢٦٥ و ٢٧٥ و ٢٧٨ و ٢٨١ و ٢٨٤	مدحت يكن باشا ٢٢٦
و ٢٨٦ و ٣٠٦ و ٣٠٨ و ٣١٥	محمد أفلاطون باشا ٢٨٤
البرنس محمد علي حليم ٢٨٤	السيد محمد الغنيمي التفزازي ٣١٤
محمد علي علوبه بك (باشا) ٢٧٤ و ٣٣١	و ٣١٩ و ٣٢٢
محمد فتح الله بركات باشا ٣٧٨	محمد بك المويلحي ٢٧٦
محمد فريد بك ٢٥ و ٣٣ و ٤٧ و ٥٨	السيد محمد أمين الحسيني ٣٠١ و ٣٠٥
و ٦٥ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٥ و ٧٦ و ٨٣	الشيخ محمد بخيت ٢٧٥ و ٢٧٦
و ٨٤ و ٨٥ و ٨٧ و ٨٨ و ١١٢	و ٢٨٤ و ٣٠٥ و ٣١٧ و ٣١٩
و ١١٣ و ١١٤ و ١١٩ و ١٧٧ و ٢٠٦	محمد توفيق نسيم باشا ٢٩٤ و ٣٣٥
و ٢٠٩ و ٢١٢ و ٢٢٦ و ٢٣٥ و ٢٤٣	محمد توفيق افندي الضابط المدفعي ٣٦
و ٣٤٨ و ٣٤٩	محمد بك راسم ٢٣٩ و ٢٤١
الاستاذ محمد فهمي ٣٣ و ٤٢ و ٦٧	السلطان محمد رشاد ١٨٠
و ٦٩ و ٧٢ و ٧٦ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧	محمد زكي الابراشي (باشا) ٩٣ و ٣٠٩
و ٨٨ و ٨٩ و ١٠٩ و ١٧٧ و ٢٤٢	محمد سعيد باشا ٢٥٦ و ٢٦٧
محمد محب باشا ٧٧ و ١١٧ و ١٤١ و ١٤٥	و ٣٣٦ و ٣٤٥

الاستاذ منصور القاضى ۸۹ و ۸۸ و ۱۷۷	محمد محمود باشا ۲۷۳ و ۲۷۸
۲۴۱ و ۲۳۹ و ۲۳۸ و ۲۳۵ و ۲۲۵ و ۲۱۸	محمد يكن باشا ۴۵ و ۶۸ و ۷۱ و ۸۹
موسى قطاوى باشا ۲۸۲ و ۲۸۴ و ۲۸۷	و ۹۱ و ۹۵ و ۹۹ و ۱۰۰ و ۱۱۰
موسى كاظم باشا ۳۲۳	و ۱۱۱ و ۱۱۷ و ۱۱۸ و ۱۲۱ و ۱۲۳
ميرزا مهدى رفيع مشكى بك ۳۱۷	و ۱۲۵ و ۱۲۶ و ۱۲۷ و ۱۲۸ و ۱۳۰
۳۲۳ و ۳۲۲ و ۳۱۹	و ۱۳۱ و ۱۳۲ و ۱۴۸ و ۱۶۹ و ۱۷۴
(ن)	و ۱۸۵ و ۱۹۰ و ۱۹۳ و ۲۰۲ و ۲۱۴
	و ۲۵۳
الشرىف ناصر ۶۱	محمود خيرى بك (باشا) ۳۹ و ۲۸۴
نجيب بطرس باشا ۲۶۶	محمود شكرى باشا ۳۴۶
نجيب منصور شكور باشا ۲۶۷ و ۲۷۶	محمود مختار باشا ۴۹ و ۲۰۰
۲۷۷ و ۲۸۰ و ۲۸۲ و ۲۸۴ و ۲۸۷	الغازى مختار باشا ۳۱۵
۳۰۸ و ۳۱۱	السيد مصطفى الادريسي ۳۱۳ و ۳۱۴
الاستاذ نسيم صبيعه ۳۰۶	الاستاذ مصطفى عبدالرازق ۳۱۹ و ۳۲۲
نشأت باشا الالبانى ۸۹ و ۱۷۸ و ۱۸۱	مصطفى فهمى باشا ۳۴۵
نورى باشا ۲۰۳ و ۲۰۴ و ۲۰۷	مصطفى كامل باشا ۳۴۳
(ه)	مصطفى طال باشا (أناتورك) ۳۲۰
	مصطفى ماهر باشا ۲۱۰
هارفى باشا ۹۳	مظهر بك سباعى زاده ۹۰ و ۱۹۰
موسيو هكسيوس ۱۰۹ و ۲۳۴	۲۳۳ و ۲۴۵
هندبورج (الرئيس) ۵۱	ماكدونالد وكيل الأشغال ۱۳۵
هنرى نوس بك ۲۸۷	الاستاذ مكرم عبيد (باشا) ۳۳۱
بروفسور هيس ۳۴۸	جنرال مكسويل ۲۸ و ۱۳۴
(و)	ماكلريث المستشار القضائى ۱۳۵
واصف غالى باشا ۲۷۶ و ۲۸۰	سير مكاهون ۶۵
الامير وحيد الدين (السلطان) ۱۸۰	ملحمة باشا ۱۰۱ و ۱۲۱ و ۱۳۰
سيرونجت ۶۵ و ۱۳۴ و ۱۳۵	و ۱۴۰ و ۱۴۱ و ۱۵۲ و ۱۵۴
	اللورد ملتر ۲۷۳

٣٩ و ٣٣ و ١٨	يوسف صديق باشا	٧٣ و ٦٣ و ٢٣	البارون ونجنهم
٥١ و ٤٢ و ٤٦ و ٤٨ و ٥٠ و ٥١		٦٢ و ٦٠	وهيب باشا القائد التركي
٦٩ و ٦٨ و ٦٧ و ٦٦ و ٦٥ و ٥٩		٣٢٣ و ٢٢٦	الرئيس ويلسون
١٠٢ و ٨٨ و ٨٧ و ٨٣ و ٧٧ و ٧٥			(ى)
١١٧ و ١١٥ و ١١٤ و ١٠٩ و ١٠٨			
١٦٦ و ١٤٥ و ١٤١ و ١٣٨ و ١٣١		٤١	موسيو ياجو وزير خارجية المانيا
٣٤٦ و ٢٦٣ و ٢١٦ و ٢١٥ و ٢١٣		١١٦ و ١١٥	
٣٤٨		٢٨٤	يحيى ابراهيم باشا
١٩٨ و ١٨	يوسف ضيا باشا	٢٤١ و ٨٥ و ٨٤ و ٨٣	الدكتور يحيى الدردري
٢٨٠	يوسف قطاوى باشا	٣١٥ و ٢٢٢	يوسف رضا باشا
٢٩٣	البرنس يوسف كمال	٢٨٤ و ٢٨١ و ٢٦٧	يوسف سابا باشا
٣٢٦ و ٣١٧		٢٢٤ و ٢٠٧	يوسف شتوان بك

فهرس الصور

الموجودة بالجزء الثالث

صفحة	بيان الصور	صفحة	بيان الصور
١	أمر تعييني مديرا للأوقاف	٦٠	الشريف حسين
١٣	عباس والحرب العظمى	٦٠	الجنرال وهيب باشا
٢٠	عبد الرؤوف بك يسرى	٦٢	الشريف ناصر
٢١	محمد عزت باشا	٦٧	عبد الله البشرى افندى
٢٣	البارون ونجنهم	٧٦	محمد فريد بك
٢٤	مدحت شكرى بك	٧٦	على الشمسى بك
٢٩	امين بك الرافعى	٧٧	اسماعيل لبيب
٣٠	ابراهيم راتب بك	٧٧	الاستاذ محمد فهمى
٣٢	حسين حلمى باشا	٧٩	الاستاذ عبد العزيز الثعالبي
٣٤	خريطة سير الحملة التركية	٨٢	عزيز على المصرى باشا
٣٥	منظر فشل الأتراك على القناة	٩٠	فؤاد سليم بك
٣٦	محمد افندى توفيق الضابط المدفعى	٩١	ابراهيم ادهم بك
٣٧	جثث الأتراك والمصريين بعد	٩٧	حبيب بك لطف الله
	حادثة العريش فى سنة ١٩١٥	١٢٤	محمد يكن باشا
٣٨	بولو باشا	١٣٤	الجنرال سير جون مكسويل
	مسيو يوسف كايو	١٥٠	الاحتفال ببلوغ سمو البرنس محمد
٣٩	مسيو بارتو		عبد المنعم بن الرشيد
٤٠	مسيو كليمانصو	١٦١	خليل بك ناظر العدلية
٤٠	مسيو بريان	١٧٧	احمد فريد بك
٥٢	البارون مكس أوبنهايم	١٨١	الأمير وحيد الدين
٦٠	الشريف فيصل	١٨٥	امبراطور المانيا خارجا من سراى يلدز

صفحة	بيان الصور	صفحة	بيان الصور
١٩٧	فريد صدق افندى	٢٨١	يوسف أصلان قطاوى باشا
١٩٩	عبد المجيد افندى	٢٨٢	يوسف سابا باشا
٢٠٣	احمد افندى فريد	٢٨٥	يحيى ابراهيم باشا
٢٠٤	على اسماعيل بك	٢٨٥	حسن حسيب باشا
٢٠٤	محمد عبد الخالق مدكور باشا	٢٨٥	احمد فايق باشا
٢٠٨	الأستاذ عبد الرحمن عزام	٢٨٥	اسكندر فهمى باشا
٢٠٩	الشيخ عبد عزيز جاويز	٢٨٦	محمد افلاطون باشا
٢٣٠	الأستاذ احمد وفاق المحامى	٢٨٦	عثمان مرتضى باشا
٢٣٦	مدام تقلا باشا	٢٨٦	امين يحيى باشا
٢٤	حسين شيرين بك	٢٩٠	عبد الخالق ثروت باشا
٢٤٠	محمد بك راسم	٢٩١	اللورد اللنى
٢٤٠	عزيز عزت باشا	٢٩٤	محمد توفيق نسيم باشا
٢٤٣	الأستاذ مجد الدين حنفى ناصف	٣٠٠	منظر معبد بعلبك
٢٥٢	رمزى طاهر باشا	٣٠١	ظهور الشوير
٢٦٦	نجيب بطرس غالى باشا	٣٠٣	حسن صبرى باشا
٢٦٧	محمد شفيق باشا	٣٠٥	السيد محمد أمين الحسينى
٢٦٧	على فهمى باشا	٣٠٦	القمص بولس غبريال
٢٦٧	احمد عزت العابد باشا	٣٠٩	محمد زكى الابراشى باشا
٢٧٣	محمد محمود باشا	٣١٣	السيد مصطفى الأدريسى
٢٧٤	عبد العزيز فهمى بك	٣١٤	الدكتور رضا توفيق الفيلسوف التركى
٢٧٤	محمد على علوبة باشا	٣١٧	النيل اسماعيل داود
٢٧٤	حمد الباسل باشا	٣١٨	أعضاء جمعية الرابطة الشرقية
٢٧٤	الدكتور حافظ عفيفى	٣٣٠	مجلس ادارة الرابطة الشرقية سنة ١٩٢٩
٢٨١	نجيب شكور باشا	٣٣٢	السيد أمير على
		٣٣٣	السيد عمر بن أبى بكر

فهرس الخطا والصواب

خطأ	صواب	خطأ	صواب
٤	٣	والمعنيين	والمعنيين
٥	٢٧	بناء	أبناء
٣٢	٢٦	حسين حلى باشا	حسين حلى باشا
٥٢	٢٦	الصدر الاعظم	الصدر الاعظم
٦٣	٢٠	الااد	ونجهايم
٨٥	٢٧	ع اخبارلى	ع اخبارلى
١٠١	٣	المتحاذئين	المتحاذئين
١٠١	١٣	مذ	مذ
١٠١	٥	ملاكي	ملاكي
١١٢	١١	ذكر	ذكر
١٢٠	٢٠	أوجدوا	أوجدوا
١٢٥	٨	به	به
١٢٨	٢٤	قلبيها	قلبيها
١٣١	٧	الاعتراف	الاعتراف
١٤١	٢٤	قالباً	قالباً
١٤١	٢٥	بيل	بيل
١٤٢	٢٥	١٧ منه	١٧ منه
١٤٧	١٣	إذا	إذا
١٥٩	٢٧	ودأعته	ودأعته
١٥٩	٢٧	وامره	وامره
١٧١	٢	فد لها	فد لها
٢٠٥	١٢	السنوسين	السنوسين
٢٠٦	١	أوينهايم	أوينهايم
٢١٢	٢٥	حادثة	حادثة
٢٣٦	٢	لاكتفاء	لاكتفاء
٢٣٨	٦	عبد الله شديد	عبد الله شديد
٢٤٢	٢٥	بأمرها	بأمرها
٢٤٥	٢٦	سويسر	سويسر
٢٤٧	٢٤	لخص	لخص
٢٦٥	٩	ى	ى
٢٦٦	٢٧	نى	نى
٢٧٠	١٠	ن	ن
٢٧٠	١١	لواطة	لواطة
٢٧٨	٢٧	لمتفاوضين	لمتفاوضين
٣٢٢	٣	العمومية	العمومية
٣٢٣	٣	عجيب	عجيب
٣٣٣	٢٠	عبد الحميد الثعالبي	عبد الحميد الثعالبي
٣٤٢	٣٨٢	عبد العزيز الثعالبي	عبد العزيز الثعالبي
١٨٢	١٨٢	عبد الحميد الثعالبي	عبد الحميد الثعالبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وہ نستعین

اھـ

الى مصر

الوطن الذي فيه نشأت و اياه أحببت وله أخلصت ووفيت
 أقدم هذه المذكرات لاشهد أبناء الجيل الحاضر صفحة من أعمال الجيل
 الغابر في غير تزيف ولا التواء وما أخشى غير الله هو حسبي

احمد شفیق

صاحب السعادة احمد شفيق باشا
لما عرفتكم من الايام من لسان والوالد عرفت اني وبما لكم من الدانة باعمال ديوانه التي الذي
سبب لكم رئاسة افضله اذنا نصيكم في وطنه فانظر الدول المذكور بحسب شريعتهم قد رده ما به
خسته وبتعيينه خيرا عما به اعتبارا من اول التبر الخراج والامسول من وقتكم وانما في اعمالكم
صاحب شفيق باشا في كثره

أمر تعييني مديرا للأوقاف العمومية في ٢٦ مارس سنة ١٩١٠

بقلم الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد

كل عمل يتولاه الانسان له أناس مطبوعون عليه وأناس يصنعونه تكلفاً أو مجارة للعرف والعادة ، ومن ذلك ولا شك كتابة المذكرات الخاصة والتعليقات اليومية فالمطبوع على كتابة مذكراته يهتم بتسجيل كل ما يعرض له من الحوادث والخواطر كما يهتم الشاعر المطبوع بتسجيل معانيه وأحاسيسه في القصيد ، وكما يهتم المصور المطبوع بتسجيل مرئياته واختباراته النفسية في الصور والتماثيل ، وكما يهتم كل فنان بتسجيل ما يدور بنفسه ويعلق بحسه ، فالباعث هنا هو باعث الایحاء الفنى الذى لا اختيار للانسان فيه ، واخلاص المرء في هذا العمل كاخلاصه في الافضاء بأسراره وهمومه ووقائع أيامه ولياليه إلى الصديق العطوف الموثوق بأمانته وترحيبه بما يسمع من شواغل صديقه ، فانه ليستريح بعد هذه المكاشفة كمن التى عن صدره عبثاً ثقيلاً يرين عليه وأفرغ من ضميره قلقاً دخيلاً يعتلج فيه ، وقد يتخرج من السهو والتحريف كما يتخرج الشاهد التقي من الحنث في يمينه والاخلال بشرفه ، ويذكر ماله كما يذكر ما عليه كأن هناك رقيقاً حياً عالماً بما في السرائر يحاسبه على ما يذكره وما ينسأه . فالذاكرة الخاصة عند صاحبها هي ذلك الصديق الصدوق وهى ذلك الرقيب المطلع على الغيب ، ومن لم يكن مطبوعاً على تدوينها فن المستحيل عليه كل الاستحالة أن ينظر إليها هذه النظرة ويشعر بها ذلك الشعور ، وأن يستريح إلى مناجاتها كما يستريح الصديق إلى مناجاة الصديق . لأن المطبوعين وحدهم هم الذين يشغفون حباً بأعمالهم ويعطونها جزءاً من قلوبهم وضمائرهم وينفثون فيها قبساً من حياتهم ، فهم حريون بعد ذلك أن يعاملوها معاملة الأحياء مذ كانوا يشعرون بها شعورهم بالأحياء الذين يتعاطفون ويتكشفون ويتجاوب بينهم الاحساس

وعندى أن هذا هو التعليل الوحيد الصالح لتفسير جميع الملاحظات المستغربة

التي لا حظها النقاد على كبار المذكرات المشهورين في التاريخ ، وعلى رأسهم السياسي الانجليزي صمويل بيبز (Samuel Pepys) الذي نشأ في القرن السابع عشر ولا تزال مذكراته موضع البحث والاستقراء بين دارسي التاريخ والمعنيين بالطبيعة الانسانية

لقد كان هذا الرجل ناثبا وموظفا كبيرا في وزارة البحرية ورئيسا لمجمع العلوم ومغرمًا بالموسيقى والتمثيل ، وترك بعده مذكرات مستفيضة لاتزال كما قلنا موضع البحث بل موضع الحيرة عند بعض النقاد ، فلا هم قادرون على أن يحزموا بأنه كتبها لنفسه لأن الانسان لا يكتب كل هذه المجلدات وكل هذه الحوادث ليطلع عليها وحده ، ولا هم قادرون على الجزم بأنه كتبها للأجيال المقبلة لأنه كشف فيها أسراراً عن سيرته وسيرة اقربائه كان معروفاً أنه يخفيها أشد الاخفاء ويود لو يتعقبها بالمحو والنسيان

مثال ذلك أنه حكى يوماً عن زميل قديم له من زملاء الدراسة تغدى معه وتذاكرا أيام التلذذة فقال له الصديق : إنك كنت يا صمويل يوماً من أنصار كرمويل وخصوم الملك ! .. قال صمويل في مذكرته . « فارتعبت لأنني خشيت أن يكون زميلي ذا كراما قتلته له يوم قتل الملك ، . . . ومن حق القاريء أن يفهم بعد هذا أن الرجل الذي ارتعب لخوفه من ذكريات زميله سيحرص أشد الحرص على كتمان ما قال ، ولكن القاريء لا يلبث أن يقرأ بين قوسين اعترافا بما قاله صمويل يومذاك ، وهو أنه لو ألقى عظة عن قتل الملك لجعل عنوانها إن « ذكرى الاشرار لا بد أن تعطب وتبلى ! »

ومثال آخر : انه اشترى كتابا من الكتب الشائعة فتعمد أن يختاره من الطبعة الرخيصة لأنه عول على احراقه بعد الاطلاع عليه اذن يحق للقاريء أن يفهم انه لن يذكر هذا الكتاب ولن يشير اليه في حديث ولا كتابة ، ولكن الواقع انه أثبت في وقائع ذلك اليوم انه اشترى الكتاب وانه كتاب خبيث وانه اشتراه من الطبعة الرخيصة لانه لا يحب أن يرى في مكتبته

ومثال ثالث : ان مسألة من المسائل البيتية كدبرته فأنتلف جميع أوراقها وأسانيدها ثم عاد إلى مذكراته فدون فيها جميع تلك الأوراق والاسانيد بأقصى ما استطاع في اسهاب وتفصيل

كيف يتسنى لنا تعليل ذلك إلا بأن الرجل كان منقاداً لايحاء الطبع الذى لا اختيار له فيه ؟؟ اننا نستطيع أن نعرف علة صناعة الصانع الذى ليس بالمطبوع ولا الموهوب ، فان المنفعة التى ينالها أو السمعة التى يحظى بها كافية لتفسير أعماله ومصنوعاته ، ولكن لا المنفعة ولا السمعة كافية لتفسير أعمال المصور الذى ينقاد فى تصويره بدافع من سايقته ووجدانه ، فانه قد يخسر المال والسمعة جميعاً بل قد يجازف بحياته وعافيته ومستقبله ليثبت على لوحة التصوير ما ثبت منه فى صفحة الحس وطيات الضمير

وكذلك الرجل المطبوع على تدوين مذكراته لا يدونها لتزينه ولا لتشيئته ، وليس من همه أن يدرها لنفسه أو يعرضها لغيره ، وانما هو كاتب لها لأنه يستريح إلى كتابتها كما يستريح المرء إلى المكاشفة والثقة بمن يكاشفه ولو حاق به الضرر من جراء ذلك فى كثير من الاحوال

هذه سليقة نافعة تفيد الثقافة الانسانية كما تفيدها كل ملكة مطبوعة وخليقة حية ، تفيدها فى درس النفس البشرية ، وفى تحقيق الحوادث التاريخية ، وفى تمحيص عادات الأمم وآداب المجتمعات ، ولعلنا لا نخطئ إذا قلنا إن تاريخ بنى الانسان فى جملة لا يحتاج إلى المزيد من أصحاب الملكات الفنية والقرايح الشعرية لأنهم يظهرون بمقدار الحاجة اليهم فى كل فترة من الزمن وكل شعب من الشعوب ، ولكن الملكة التى يحتاج فيها تاريخ بنى الانسان إلى المزيد هى ملكة اليوميات والمذكرات ، لأنها لا تزال منذ القدم أندر من القدر المطلوب ، ولا سيما بين رجال المناصب الذين اضطلعوا بالأعمال السياسية واتصلوا بدخائل الامور

ويدلنا على مبلغ هذه الندرة ان تاريخنا المصرى الحديث لم يشتمل على أكثر من مؤرخين اثنين فقط يرجع اليهما الباحث فى هذه الناحية ، وهما الشيخ عبدالرحمن الجبرتي وصاحب السعاة الحاج احمد شفيق باشا صاحب هذه المذكرات ، وانما نذكر الجبرتي فى هذا الصدد من باب التساهل والمقارنة . لأنه رحمه الله لم يكن أولاً ، ومن شغلوا المناصب التى تتيح لهم الوقوف على ما وراء الاخبار الشائعة ، ولأنه من الجهة الأخرى كان مصر وفا إلى نوع آخر من الكتابة غير نوع اليوميات الخاصة والمذكرات الشخصية ، والفرق بين النوعين أن الجبرتي كان يدون أخبار بناء عصره التى يصح أن تقع تحت عنوان الاخبار التاريخية من الوجهة العمومية

وان تحدث فيها عن أشخاصهم وعلاقاتهم الخصوصية ، أما النوع الآخر وهو نوع اليوميات والمذكرات فهو أشبه باعترافات الانسان عما يعمله وما يراه وما يتصل به مباشرة من الحوادث والأبناء ، وهناموضع الحاجة إلى الملكة الخاصة والاستعداد المطبوع ، لأن مشاهدة الحوادث وتدوينها قلما تحتاج إلى تلك الملكة أو ذلك الاستعداد . أما الاعتراف بكل ما يصنعه الانسان واثباته على القرطاس بينه وبين نفسه فذلك هو الباعث النفسى الذى يندر بين المؤرخين

ومن ثم يكون الحاج احمد شفيق باشا هو المؤرخ الوحيد في التاريخ المصرى المطبوع على تدوين اليوميات ومكاشفة القرطاس بما يجرى له وينطوى في ضميره : يكتبها في عهد الحداثة كما يكتبها في عهد النضج والاكتمال ، ويكتبها وهو آمن في بلده كما يكتبها وهو مغرب في الديار الأجنبية ، ويكتبها في أيام السلم والطمأنينة كما يكتبها في أيام الحرب والفرع وهو محاط بالجواسيس وقناص الأخبار وأصحاب الدسائس والمشائعات ، ويعنى بالمحافظة عليها أشد من عنايته بالمحافظة على حقائب الجواهر والمصوغات ، ويعلم أن سمو الأمير الذى يعمل معه قد عرف سر هذه اليوميات وتوجس منها والتزم الصمت والحذر من أجلها فلا يثنيه ذلك عن المضى فيها والمثابرة عليها ، ولم يكن يشغله عنها كما قال في مقدمة الجزء الأول « عمل ولا هو . وما كانت مشاغلي الخاصة لتحول بينى وبينها ، بعد أن غدت جزءا لا يتجزأ من برنامج حياتى . فكنت أدونها أثناء الدراسة بين كد الدرس والمذاكرة ولا أفر عن تقيدها أثناء أسفارى خارج مصر سواء للهام أو للرياضة . ذلك ان تدوينها كان في ذاته سلوى لى ، لأنه يتصل بعامل خفى في نفسى ، هو الشغف بتسطيرها ثم استجناء مسرة استعراضها وما آتسه في ذلك من لذة معنوية »

هذا الشغف أو هذه اللذة المعنوية هى الخصلة التى يمتاز بها المؤرخ المطبوع على تدوين يومياته ومذكراته ، وهى التى نغنيها حين نقول إنها ملكة فنية كملكة الشاعر الذى يسجل احساسه واختباره في قصيده ، أو المصور الذى يسجل احساسه واختباره في لوحاته وتماثيله .

لقد كان صمويل بيبز الملقب بامام اليوميين وأستاذ كتاب المذكرات Master Diarist يدون أسرارهم ونوادره بالخط المختزل فلا يقرؤه إلا من عرف مفتاح اختزاله . أما صاحب هذه المذكرات فانه يكتبها بالعربية الصريحة السهلة ولا يبالي أن يستثنى

منها سرا من الأسرار ولاخطرة من الخطرات ، وإنما يحذف منها عند الطبع ما تقضى بحذفه الضرورات الاجتماعية والسياسية وما يشير بحذفه الأصحاب والأصدقاء . وهو — علم الله في سريرة نفسه — آسف جد الأسف على كل بتر واستثناء من هذه المذكرات التي لم يبالغ حين قال إنها « غدت جزءا لا يتجزأ من برنامج حياته » ،

عند ما قرأت هذه المذكرات عرفت منها ما كنت أود أن أعرفه ، ووجدت فيها كذلك ما لم أكن أنتظره ولم يقع في حسابي ، لأنه بعيد — على ما يظهر لأول وهلة — من نطاق المذكرات في زمانه ومكانه وأشخاص المشتركين فيه .

فصورة عباس الثاني — مثلا — واضحة في خلال هذه الصفحات وضوحا لا يشوبه أقل لبس أو تمويه : واضحة من وراء المراسم والمظاهر ودواعي الحيلة والتجمل ، واضحة في علاقاته بشعبه وحكومته ، وعلاقاته بأبنائه وأخوته وآله ، وعلاقاته بأصحابه وأتباعه وأعوانه وموظفيه ، وعلاقاته بمن يرجوهم ويخشاهم من ذوى الجاه والسلطان ، وعلاقاته بزوجه وصواجه وأصحاب سره وهواه ، ولا نطن أن كتاباً من الكتب يعرض لنا صورة نفسية لعباس الثاني أوضح ولا أوفى من صورته في هذا الكتاب .

كذلك الرجال الذين عاشهم وعاشروه واتصل بهم واتصلوا به ولو لحظات معدودات . فإن الحديث المروى في هذه الصفحات بين عباس و غليوم يعرفنا بالشئ الكثير من دخائل غليوم ومطامعه الاستعمارية وأساليبه في مخاطبة الناس واستمالتهم إلى ما ينويه ويفكر فيه

وعلى هذا المنوال نعرف كثيراً عن الصدر الأعظم سعيد حليم وعن طلعت وأنور وجمال ، وعن فريد وجاويش ولبيب ، وعن سائر الرجال المصريين وغير المصريين الذين عرض ذكرهم هنا في حادث من الحوادث أو مناسبة من المناسبات وعلى هذا المنوال أيضاً نعرف ما أحاط بالحملة التركية على مصر من أسباب الفشل والتعطيل ، تارة من جراء الدسائس الشخصية ، وتارة أخرى من جراء المآرب السياسية ، وتارة غير هذه وتلك من جراء التضارب والتناقض بين مطامع الترك ومطامع الألمان في هذه البلاد ، وتنجلي لنا أثناء ذلك إدارة الحكم التركي وكيف تدور وتسكن ، وتقديرات الحكومة الألمانية وكيف تحظى وتصيب بين

آراء الساسة وخطط العسكريين ، وغير ذلك من ملابسات الحرب التي لها مساس بمصر من جانب . وبدول أوروبا الوسطى من جانب آخر ، وبانجلترا والحلفاء من جانب ثالث غير يسير

وكذلك نطلع أثناء هذا كله على مغامرات الجاسوسية وأساليب الوقوف على المساعي الخفية ، وما كان يتوخاه الانجليز من تقديم المسائل أو تأخيرها لتعليق الاطاع بهم حيناً بالتسويق في تقرير ولاية العهد ، وحيناً بالإشارة من بعيد أو قريب إلى مصادرة أموال المغترين وأملأكمهم وقطع علاقاتهم بذويهم ووكلائهم ، وحيناً بفتح باب العودة لمن يشاء واستدراج من يسهل استدراجه إلى الخدمة والموالة ، وندرك الشيء الكثير من أسرار السياسة الانجليزية التي ظاهرها الرحمة والانصاف واحترام الحقوق والأموال ، وباطنها الكياسة والأناة والانتفاع بالفرص وتأجيل الأمور إلى أوقاتها لاستغلالها أتم استغلال

كل هذا مما يخطر على بال القارىء أن يلم ببعض مناسباته وملابساته في سياق هذه المذكرات ، لأنها مذكرات رجل لازم الخديو ابان الحرب العظمى في الاستانة وسويسرة ، وساح معه في النمسا والمانيا وقام له بالمهام التي يقوم بها المعين الأمين المؤتمن على ما يسمع من المقاصد والأسرار . ولكن الشيء الذي قلنا يخطر على بال القارىء وهو يتصفح هذه المذكرات انه سيعلم منها نبأ عن قضية مدام « كايو » التي كانت لها ضجة عالمية في حينها ثم كانت لها نتائج خطيرة في قلب الوزارات الفرنسية ، ففي استعراض حوادث سنة ١٩١٥ يقول صاحب المذكرات « تعرف الخديو بيباريس في صيف سنة ١٩١٤ برجل فرنسي يسمى بولو بواسطة يوسف صديق باشا وهو ينتمى إلى موسيو كايو الوزير الفرنسي السابق الذي عرفه الخديو كذلك عندما كان في باريس . وحدث أن أحد محررى جريدة الفيجارو ويدعى كالميت (شقيق الآنسة تالبوتيه معلتي الفرنسية في أثناء دراستي وقد عرفني به) نشر مقالات يتهم فيها مسيو كايو بالاختلاس وخيانة وطنه لسعيه في خدمة المانيا . فما كان من زوجته إلا أن ذهبت لهذا المحرر وأطلقت عليه رصاصة من مسدسها أردته قتيلا ، فقدمت للحاكمة الجنائية . وقد طلب موسيو كايو من الخديو أن يبذل نفوذه لدى رئيس محكمة الجنايات لانقاذ قريبته ، وعرف سموه به في مأدبة خاصة ، فسعى بجميع الوسائل لديه ، ومن ذلك أن وعده بالانعام عليه ببنشان كان

يطمح اليه ، وكانت النتيجة براءة مدام كايو ، وأصبح كايو من هذا الوقت يود أن يقدم خدمة لسموه رداً لجميله ...

وان الإنسان ليدكر الآن ما كانت تنشره الصحف عن أسباب هذه الجناية وما حام حولها من الشبهات الغرامية ، ثم ينظر فيما رواه صاحب المذكرات فيتبادر الى ذهنه قول القائل « وبأتيك بالآخبار من لم تزود » ، ويتدبر كيف تستفيض الأشاعات وتختلف التعليقات ، وتحتاج الحقائق الى المضاهاة بين أقرب المصادر وأبعدها على السواء

ويتفق أن تبدأ اليرمية من اليوميات وأنت لا تتوقع ان تقرأ في هذا السياق شيئاً الا أن تكون محادثة عرضية في زيارة عرضية مما تقضى به المجاملات ويقطع به السكوت ، فاذا أنت على غير انتظار أمام خبر من الآخبار التي تتعلق بها مصائر الأمم ، وتريك كيف يتحول مجرى التاريخ . ففي الرابع عشر من يناير سنة ١٩١٨ يقول صاحب المذكرات : « حضر اسماعيل باشا فاضل من رجال الحرية القدماء وكان مرافقاً للسلطان عبد الحميد . وبعد أن زار الخديو جلس عندي » ثم يقول على أثر ذلك وهو الخبر الذي جاء عرضاً في الطريق : « وذكرنا شؤون مصر والاحتلال فقال لي إنه لم يبعث أطراف المسألة المصرية ، وروى لي أنه عند ما ثار عرابي على توفيق باشا كانت الدولة عازمة على ارسال حملة لاختماد الثورة وصدرت الأوامر باستعداد عساكرها التي كانت في كريت للسفر إلى مصر ، وأمرت فرقة من الإستانة بالذهاب الى كريت لتخلفها . الا أن يوسف رضا باشا رئيس لجنة اسكان المهاجرين رفع تقريراً الى السلطان يحذره من اخلاء العاصمة من العساكر لئلا يخلعه الشعب كما خلع السلطان عبد العزيز . تخاف على نفسه واستعاض عن الحملة العسكرية بارسال درويش باشا سعيًا للوفاق بين العرايين وتوفيق باشا »

ولا يسع الإنسان وهو يعبر هذا النبا الصغير الذي جاء في عرض الحديث الا أن يسائل نفسه : ترى الى أي مصير كانت القضية المصرية منتهية لو حضر الجيش العثماني وتولى اخماد الثورة العرابية ؟ والا أن يعجب للحوادث الكبرى كيف تتوقف في بعض الأحيان على كلمة يوعز بها رجل غير مسئول عنها ، وقد يكون فيما أوعز به موعزا اليه

وفي المذكرات كثير من أمثال هذه الأحاديث العرضية التي يطالعها القارى على غير انتظار ، وكثيرا ما تفاجئنا بطرائفها اذا هي لم تفاجئنا بموضوعاتها ، فالتعريف بالخدوي مثلا موضوع منتظر من بداية المذكرات ، ولكن النوادر التي تعرفنا به هي الشيء الطريف الذي لا يدور في الحسبان ، وقد يسعى طلاب الدراسات النفسية الى العثور على نوادر من هذا القبيل لاحصاء النقائص الأخلاقية فلا يظفرون بها الا بعد عناء .

كان صاحب المذكرات والمرحوم الدكتور السيد كامل بك يتحدثان في الثالث عشر من شهر ابريل سنة ١٩١٦ فأبدى الدكتور تألمه بما فاه به الخديو في جلسة ماضية عن رجال الحزب الوطني ثم قال : « ان صاحبته هي التي تزين له ذلك . وقد عرفت مواضع الضعف فيه . واستشهد بما رآه ذات يوم من الخديو وقد جلس يفرز الرسائل الواردة ويفصل منها الجزء الأبيض الخالي من الكتابة فيحفظ به ، فما كان منها الا ان أخذت رسالة سها عنها وصنعت بها كذلك . وهي الآن تستغل حرصه فتقول له : ما الذي نفعلك به المصريون فتفتق عليهم ؟ وتحسن له ابعاد رجاله واحدا واحدا اقتصادا للنفقات »

اننى أعرف الدكتور سيد كامل رحمه الله رجلا حريصا جدا في أحاديثه ، يشفق أن تغفل منه كلمة تحسب عليه أو تتم عن افشائه الأسرار . فما إخاله أنضى بهذه « الطرفة » الخلقية إلا وقد غلبته طرافتها فلم يقو على كتمانها ، وهي والحق يقال جديرة باخراج المرء عن حواجز المراسم والعادات ، وأى شيء أظرف من منظر امرأة تكلف رجلا عشرات الألوف من الجنيهات في أشد الأزمات وهي تستصيه بعد ذلك « بتوفير » قصاصة من الورق لا تساوى المائة منها بضعة قروش ؟ وأى شيء أعجب من الطبيعة التي تشغل رجلا « بتوفير » القصاصات وقد أضاع عرشاً وأضاع معه القصور والأموال ؟

هذه النوادر الشخصية هي مزية اليوميات الخاصة التي من أجلها كانت عظيمة القيمة للتاريخ والدراسات النفسية ، لانها تعرفنا بإبطال الحوادث التاريخية أضعاف ما تعرفنا بهم المظاهر الاجتماعية والأعمال العامة والكتابات العلنية ، فقد يتجملون بهذه المظاهر أمام الناس وهم في الحقيقة عاطلون من جمالها ، وقد تنسب اليهم الأعمال العامة وهم لا يساهمون فيها ، وقد تراعى في الكتابات العلنية مصالحة موقوتة أو

بجاملات مفروضة . أما النوادر المرتجلة التي تبدر من صاحبها عفو البديهة فهي هي الصورة الصحيحة بلا مبالغة ولا تجميل

* * *

ومن الأمور الحقيقة بالتنويه في هذا المقام ذلك الحديث الذي جرى بين صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي والقائد مكسويل في بداية الحرب العظمى فقد اقترح الأمير إعلان استقلال مصر وقال للقائد : « أرى أن الفرصة سانحة للانجليز لإعلان استقلال مصر ، وبهذه الوسيلة يمكنكم أن تجهزوا جيشاً من المصريين للدفاع عن استقلال بلادهم وتتفقا معنا على أن تتركوا مصر بعد مدة تحدّدونها . فان صنعت ذلك تكسبوا ثقة المصريين وغيرهم في البلاد العربية »

نعم . هذا هو الرأي الصواب ، ولو أصرت عليه الوزارة الرشدية وأخذ به الانجليز لاتقينا كثيراً من المحظورات ، ولكن « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » ... فان مطالبة المصريين باستقلال بلادهم وثورتهم التي ثاروها في سبيل هذه المطالبة هي في ذاتها غنيمة من الغنائم الأدبية التي تستفيد منها الشعوب وتجعل للاستقلال شأناً غير شأن العطاء الموهوب .

* * *

وعلى الجملة نرجو أن تقوم هذه المذكرات بحصتها المشكورة القيمة في تاريخ هذه البلاد ، فقد جاءت في أوانها لاتمام العلم بتاريخنا القريب قبل أن تترامى به الأيام وتحول الحوائل دون المراجعة والتحصيل ، وجاءت في أوانها من الجهة الأخرى لأن العصر الحديث في أوروبا يوشك أن يكون عصر المذكرات والمشاهدات الشخصية وإن لم يكن لها بعد نصيب من الشيوع في بلادنا ، وقد تعود القوم هناك أن يضاهوا بينها ويقابلوا بين رواياتها ويلتمسوا فيها من مصادر الحقيقة ما لا يتاح في غير هذا النوع من التأليف ، وربما كانوا مدينين بمعظم ما يعرفون عن رجالهم وأقطابهم لما يدونه عنهم كبار الصحفيين والسائحين في أمثال هذه المذكرات ، ولعل مذكرات شفيق باشا أن تكون فاتحة لاتشجع هذا النوع من التأليف في العالم العربي فيكون له فضل في التقدم والتشجيع إلى جانب فضل التأريخ والتدوين .



عباس والحرب العظمى

امبراطور النمسا وألمانيا والاتحاد - الموقوفون بالمعية والاقتصاد -
السندات والتحف التي استخضرها الخديو من مصر - عبد الجبار الخديوي بالاستانة
زبارتي لاعضاء العائلة الخديوية وما سمعته منهم - الارادة الشاهانية ومحمد مرهم
الحمد على مصر - اخبار عن الخالد في مصر - نبات الانراك نحو السلطان حسين -
طعن المصدر في الخديو - فشل الحملة التركية على قناة السويس - مشردع خطير
لفصل فرنسا عن إنجلترا في الحرب العظمى - سفرى الى برلين ومرمى بها -
اهدائات الحرب - تنظيم مخبرات مع مصر وتدير ثورة ضد الانجليز - الاعانات
والمرتبات التي تقدرت للبرسات والخاصة - الشريف فيصل ومرمى في الاستانة
للمرتبة بين العرب والانراك - الخلاف بين الخديو ورجاله وخروجهم منه النمسا
الى السويسرة - توجيه انذار لعباس - مؤدوه مختلف

امبراطور النمسا^(١) وألمانيا^(٢) والاتحاد : أرسل الخديو في صباح يوم
أول يناير سنة ١٩١٥ برقتين للتهنئة برأس السنة لأمبراطورى ألمانيا والنمسا متعنياً
لها الظافر على أعدائهما . وكذلك أرسل برقية تهنئة للملك ايطاليا
وفي يوم ٢ منه توجه لمقابلة امبراطور النمسا في قصر شنبرون ، فلما مثل بين
يديه حيا سموه تحية لطيفة ، وأظهر له أسفه لتصرف الانجليز معه ، فأجاب سموه :
« إننى في مدى ثلاثة وعشرين عاما حكمتها في مصر ، كنت أعمل بنصائح جلالتم ،
التي تلقيتها عند مبارحتي مدرسة الترزيانوم لتولى الخديوية المصرية سنة ١٩٠٢ .
فقد قلتم لى جلالتم إننى سأجد صعوبات في الحكم . كما وجدتتم جلالتم في النمسا »

(١) سورج ٢ ق ١ ص ٢

(٢) سورج ٢ ق ١ ص ٢٦٩

وإنه يجب على الصبر والجلد في تذليل الصعاب . وبالفعل صادفتني صعوبات شديدة في معاملة الانجليز للمصريين واشتد على ؛ فكنت أدافع عن صوالح بلادى ، على قدر إيماني ؛ ولهذا كانوا يعدوننى غير مخلص لهم . ولما نشبت الحرب ، حاولوا إقناعى بالسفر الى إيطاليا ، لانها أقرب لمصر من الاستانة ؛ ! ولو أنى أطعهم ما عزلونى . ولكن التربية التى تلقيتها فى التريزيانوم تحت رعاية جلالتهكم ، والتى هى مؤسسة على الصدق فى القول والعمل وحفظ الكرامة ، وعزة النفس ، هى التى منعتنى أن أقبل نصائح الانجليز ؛ وأرجو أن تكون نتيجة الحرب ، نصراً لجيوش جلالتهكم وحلفائكم فينتصر الحق على الباطل .

وكان الامبراطور يصغى لحديث الخديو مسروراً . فلما انتهى رد عليه قائلاً :
« إن شاء الله نفوز بالنصر ولو أن أعداءنا أشداء » .

وقد وردت فى اليوم نفسه برقية من جلالته بالشكر للخديو مع تمنيه أن يفوز الحق على الباطل . وكذلك وردت برقية أخرى بالشكر فقط من امبراطور ألمانيا والعنوان فى البرقيتين « عباس حلى الثانى خديو مصر »

وحتى يوم ٣ يناير لم يرد رد ملك إيطاليا وسافرت أنا الى الاستانة

الموظفون بالمعية والاقتصاد : رأى الخديو بمناسبة الحالة الجديدة ، التى لا يعرف مداها أن يجرى اقتصاداً فى النفقات ، فأمرنى بالسفر للاستانة ومعى أوامر للمستخدمين الملكيين والعسكريين و « الخدمة السائرة » فى جبوقلى والضلمان لتنفيذها بواسطة عبد الله افندى البشرى ، وهى تلخص فى أن كل من أراد منهم الرجوع لمصر يرحل إليها ، وأن يعود ألماس أغا لمصر فيرسل الخادومات اليونانيات والتركيات اللواتى فى قصر القبة إلى رودس (١) بلدهن ، وأن أكلف جلال الدين باشا قبو كتخدائى الخديو وصهره أن يقتصد فى نفقات داخل الحريم ، أما موظفو القبو كتخدائية فانه إذا ورد للبك العثمانى أمر من مصر بقطع مرتباتهم فمن يرد الرجوع لمصر منهم يرحل إليها . وأن أخبر عارف باشا رئيس الديوان التركى بأن وظيفته أصبحت ملغاة نتيجة للانقلاب الذى حصل فى مصر حتى تعبر الجنود العثمانية القنال وأن أصرف له خمسين جنياً

وفى يوم ٣ يناير سافرت لتنفيذ هذه الأوامر فوصلت الاستانة يوم ٦ منه

(١) ولكن ألماس أغا لم يستطع السفر لهذه المهمة

ولما قابلت ألماس أغا وأبلغته الأمر الخاص به تردد في الذهاب ، وأخيراً أظهر القبول إذا لم يكن هناك مانع من الحكومة المصرية ، فقلت له : إننا سنسأل عن ذلك بواسطة سفير أمريكا

وساطة سفير أمريكا في عودة بعض الموظفين لمصر : وفي يوم ١٠ يناير قابلت السفير ، وحادثته في الوساطة لرجوع بعض الموظفين المصريين الملاحقين بالخدियो لمصر . فوعد ببذل السعي اللازم

وفي يوم ١٤ منه جمعت في جبوقلي الضباط والملكيين وسألتهم عما إذا كانوا قد تشاوروا بينهم فيما يلزم عمله لصالحهم ؟ وطلبت منهم إبداء رأيهم دون أن يحول في خاطرهم أن الغرض هو التخلص منهم ، أو استئصال وجودهم ، وأن كل من لا يود الرجوع لمصر يبقى على الحرب والسعة وسراى الخديو هى منزلهم ، وسموه يخصص لكل منهم شيئاً من النقود لفقاته الخاصة

وبعد الأخذ والرد اقترحت عليهم أخذ رأى سفير أمريكا في ذلك ، فاتفقوا على أن يكلفونى القيام بهذه المهمة ، وأن اسلم له بياناً بأسماء الموجودين منهم هنا وفى الضلحان . فاذا رخص لهم من مصر في الرجوع ، ومنعت الحكومة العثمانية سفرهم فانهم يراجعون السفير فى ذلك ، ليخطر دهر وبذلك يحفظون حقوقهم

وفي يوم ١٥ منه قابلته وسلمته بيان الأسماء ، فوعد بالتحاطب فى شأنها وفى يوم ١٧ منه أخبرنى بنجاحه فى «مخابرة» دهر والترخيص لمن يريد السفر منهم فى العودة . وبعد أن سافر ثلاثة منهم وردت أوامر أخرى ببقائهم فى الاستانة الى نهاية الحرب

وقد كان لهذه المساعى أثر طيب بالنسبة لهؤلاء الموظفين ، فحفظت لهم حقوقهم مدة الحرب ، وسلمت لهم مرتباتهم فيها بعد رجوعهم ، وحسبت لهم فى المعاش ، وحفظوا الى هذا الجليل

السنوات والنصف التى استحضرتها من مصر : كلفنى الخديو وأنا مسافر للاستانة يوم ٣ يناير أن أرسل له مفاتيح الصناديق التى أحضرها معى لفينا من الاستانة وفيها أسهم البنك العقارى واسهم البيان فون وشركة الازبكية المصرية البلجيكية (وكان سموه استحضرها من مصر بعد سفره) . والغرض من أخذها فى فينا هو إيداعها البنك السويسرى فى برن

وقد كان مطلوباً كذلك إصلاح تركيبات « الشبوكات » وهى من السكرمان (السكرباء) المرصع ، لأن بعض الفصوص محلولة فكلفت عند وصولى للاستانة عبد السلام ظافر افدى معاون القبوكتخدائية أن يخبر جلال الدين باشا ليرسل المفاتيح ؛ وأن يقوم هو بأصلاح التركيبات المشار إليها وإرسالها

عبر الخيول المطروى: فى يوم ٨ يناير كان عيد الجلوس الخديوى فاجتمع ضباط المحروسة ومستخدموها والياوران وعارف باشا وجلال الدين باشا ومستخدمو القبوكتخدائية ويوسف ضيا باشا (١) (رئيس الياوران سابقا) فقيدنا أسماءهم ، وأرسلناها لدولة الوالدة مع تمنياتنا بأن نهى سمو الخديوى فى السنة الآتية بسرأى عابدين ؛ فردت دولتها بالشكر

ثم أرسلت ليوسف صديق باشا (٢) فى فندق امبريال بفينا ، البرقية التالية :
« إن المصريين الكثيرين من الضباط والملكيين احتفلوا هنا بهذا اليوم ، وبالاصالة عن نفسى والنيابة عنهم أقدم إخلاصنا للعبات الخديوية »

وفى يوم ١٢ منه تلقيت من الشيخ على الغاياتى (٣) خطاباً من جنيف بتاريخ ٨ جاء فيه :
« يذكرنى هذا اليوم بعادتى فى كل عام من تقديم عبارات التهنئة والإخلاص إلى مولانا العباس ؛ ولكنى أذكر بملء الأسف ما قضت به الأقدار فى هذا العام مما لم يكن فى الحسبان ، من التغيير الكبير فى شكل الحكومة الحاضر ، الذى سسير ولا محالة من طريقه إلى الاستقلال التام فى يوم من الأيام .

إلا أننى كنت أود أن يكون سموه على رأس هذه الحكومة سلطانا عظيماً على وادى النيل ، يحدد لنا فى عهده أيام السلاطين العظام ، ويعمل بما عهد فيه من الذكاء والغيرة على تقدمه واستقلاله .

ولا ريب أن السلطة المحتلة ، وعظمة السلطان الكامل ، وجميع ذوى الشأن فى مصر ، كانوا يودون ما كنت أوده لسموه حفظه الله ، حتى لا يحدث تغيير ولا تبديل فى شخص ولى الأمر الأعظم ؛ ولكن قضت السياسة بما قضت ؛ وكان لوجود سموه

(١) صورج ٢ ق ١ ص ٢١

(٢) صورج ٢ ق ١ ص ١٩١

(٣) صورج ٢ ق ٢ ص ٢٣١

بالاستانة في تلك الظروف تأثير كبير في الحالة الحاضرة ، لأسباب لا تخفى . وعلى كل حال فالحمد لله على ما بقي من السلطة العليا في بيت محمد على ، مصلح مصر الكبير ؛ فان في ذلك تعزية كبرى ، وأملا عظيما سيتحقق بارتقاء عظمة السلطان حسين الأول على العرش العلوى ، وبقاء الامر في يد هذا البيت الكريم . ومولانا العباس أعرف بذلك ، وأولى بتقديره والعزاء به ؛ فان حق الاسرة من حيث هي ، قد روعى وزيد فيه ، ومصلحة البلاد لم تنل سوءا قط ، والامل في المستقبل قد ترعرع وأزهر ؛ وما كان يرجى من الامير قد أصبح يرجى من السلطان . ولا بقاء في الحقيقة للأشخاص ، وإنما البقاء للأعمال ؛ فليسموه خير تعزية قلبية .

« ولا غرو إن هنأته مع ذلك بانتهاء الامر على هذه الصورة المرضية . وعلى أية حال فاني أكرر تهنئي لذاته المحبوبة بماضيه المجيد ، وبما سلف من جميل أعياده ومشهود أيامه ؛ وأسأل الله أن يهبه الصحة والطاينة ويوفقه للرضاء بالمقادير »

زيارتي لأعضاء العائلة الخديوية : في يوم ٨ يناير زرت منزل البرنس على بك فاضل . وتركت له بطاقة أبلغه فيها تحيات الخديو ، ثم مررت بأسرة البرنس عمر طوسن وأرسلت سلام الخديو لها ، وسألت عنه وعن أخباره ، فردت شاكرة وقالت : إن « أخباره طيبة » . وقد أبلغتها أن الخديو كان قد فكر في إرسال مندوب لمرسيليا للأطمئنان عليه ، ولكن خشى أن يناله مكروه بسبب ذلك ، لأن الخديو معتبر عدواً لفرنسا الآن .

ثم قابلت البرنيس فاطمة اسماعيل وفائقة هانم أفندي ، وأبلغتهما تحيات سموه فتلقنا السلام بالشكر والدعوات الصالحة ، وقالت البرنيس فاطمة إنها مرتاحة لوجود الخديو في أوروبا ، وأنه سيبقى فيها حتى يتم الصلح .

وبعد ذلك توجهت إلى البرنس ابراهيم باشا حلى ، وأبلغته سلام الخديو ، وتحذيره له من الكلام بشئ من خطط سموه أمام حاشية الصدر ، لأن رجالها جواسيس الانجليز ، والكتاب الأبيض الانجليزى شاهد بذلك .

وفي ١١ منه كنت على موعد معه ، فقابلته في ميركون وفي هذه المقابلة أظهر لى استياءه مما سمعه من عقيل بك يسرى ، من أن الخديو قال له : إنه في هذه الاوقات الحرجة ، لم يجد بين « البرنسات » من هو أخلص وأصدق له من على بك فاضل فتألم البرنس ابراهيم حلى من هذا التصريح ، لانه يعتقد بحق ، أنه هو الذى أظهر

الاخلاص والصدقة الحقيقية لسموه . ثم قال البرنس : إن عقيل بك أبلغه كذلك أن الخديو لا يفكر إلا في ملذاته ؛ وأنه حصل على أربعة آلاف جنيه بواسطة عبد الحميد بك شديد في روما . فلما أنهت وقلت له : إننى أعرف من عقيل بك بحقيقة احساسات الخديو ، وأنه لو لم تكن لسموه ثقة تامة بدولته ما عزم على تعيينه قائمقام له في الحملة على مصر . وفى ١٦ منه قابلته منفردا ، وأفهمته أن عقيل يسرى حضر عندى أمس ، وأكده لى أنه قال : إن البرنس على بك فاضل ، أصدق البرنسات من عائلة مصطفى فاضل لأن الكلام كان دائراً حول البرنسين حيدر وكامل فاضل ، وأنه لم يتكلم بشيء عن الخديو كما يدعون عليه ، فقال دولته : إننى سمعت هذا الكلام من عبد الرؤوف بك يسرى



عبد الرؤوف بك يسرى

وفى يوم ١١ فبراير توجهت الى بيك فقابلت والدة نحو ساعة ، أخبرتها فى خلالها بتأكيده سفير ألمانيا مسألة عودة الخديو لعرشه ، وبقرص صدور ارادة شاهانية تحفظ امتيازات مصر ، ففرت بذلك ثم قالت : « وبما أن الصدر يتوقع حصول أمور من أفندينا تغضب المصريين فعلينا أن نتلافى ذلك ؛ وأن يترك الأمور التى تمس بسمعته ، ويلتفت للبلد » ، فقلت لها : « ياسيدتى أنا أقسم لك أنه إذا لم يفعل كما تأمرين ، فأنى أترك خدمته » فتأوهت وقالت : « فليراع شيخوختى وليس تقم فى

أحواله حتى أستريح وأموت راضية » ، ثم قلت لها : « إن لى رأيا ، وهو أن يطلب الخديو من الحكومتين الألمانية والنمساوية بعض الأخصائيين لاستخدامهم مستشارين فى النظارات ، وينتخب نظارا مقتدرين ومخلصين ، وفى مدة الاحتلال التركى يترك هؤلاء الرجال التصرف ، ولا يتدخل سموه فى شيء ، حتى لا يقال عنه إنه عمل كذا وكذا ، لأن الوقت الحرج هو وقت وجود الجيش التركى فى مصر » . فوافقت على رأيى ، ثم دعت للخديو بالتوفيق ، ولفتنى حمل تحياتها له وتقبيل وجنتيه .

وفي يوم ١٥ منه كنت قد عدت لفينا وقابلت الخديو ، فأبلغته تحيات الوالدة والبرنسياسات ، والبرنس ابراهيم حلى

وقد لاحظ سموه أن الوالدة تركت نفسها بدون نقود كافية ، وكان يمكنها أن ترسل احدى «القفلات» لمصر لتخبر الوكيل بأن يبعث لها ورق بنكنوت مصرياً إلى أوروبا ، أو بواسطة بنك دي روما ، ليحول المبلغ إلى فرنكات ، ويصرف للوالدة في الاستانة ورق بنك نوت تركيا . فقلت لسموه : وهل هي تلم بهذه الامور ؟ قال : كان على وكيلها أن يتدبر الامر . ثم قال بهكم : ها هي ذى الحكومة المصرية تصرف لها وللسيدة خانم افندى (زوجته) مرتباتهما ! فسألت سموه ، من أين علم بهذا ، فأجبنى ، من ابراهيم بك راتب ، الذى طرده الانجليز فحضر للاستانة ، وقال . إن السلطان حسيناً زاد مرتب البرنس عزيز حسن إلى مائتى جنيه شهرياً بدلا من مائة . ثم أظهر استياءه من أعضاء العائلة بمصر وهم البرنسان حيدر وكامل فاضل والبرنسياسان فاطمة فاضل وزهرة حلیم ، فانهم يحمدون ويشكرون على هذا التغيير ! الذى حصل بمصر ، والاخيرة تقول : «لم يصنع لنا الخديو عباس شيئاً نحمده عليه» ، ثم أخبرنى الخديو أنه كتب الى البرنس ابراهيم حلى رسالة لطيفة انطيطيب خاطره ، مما سمعه من عقيل يسرى

الارادة الشاهانية ومحمد مرصه المملى على مصر : فى يوم ٨ يناير قابلت البرنس



محمد عزت باشا

ابراهيم حلى ، فسألنى عما إذا كان الخديو يقبل العودة للاستانة ومنها يذهب لمرافقة الجيش العثمانى بصفته سردارا ، لأن الأتراك فهموا الآن ضرورة ذلك بعد الانقلاب الذى حصل فى مصر ، وتبذل الآن مساع من محمد عزت باشا زوج فائقة هانم بواسطة جاويد بك لذلك . فقلت : ما أظن الخديو يرضى بأن يرأس الحملة ، والاحسن ترك هذه المساعى ، لتصنع الحكومة العثمانية ماتراه صوابا ، خصوصا وقد فهمت أن الصدر غير راض بذلك ، وأن الاصوب تعيين قائمقام خديوى لمرافقة الحملة خوفا من أن تطلب الحكومة العثمانية من الخديو

تعيين جمال باشا القائد العام قائمقام لسموه . فطلب منى البرنس أن أقبله بعد غد ليتكلم معى مرة أخرى ، بعد أن يروى الفكر فيما دار بيننا من الكلام

ارادة خديوية بتعيين البرنس ابراهيم حلى قائمقام مرافقا للحملة : وفى يوم ١٠

منه قابلته ، وأطلعته على صورة الارادة الخديوية بتعيينه قائمقام خديوياً ليرافق الحملة نائباً عن سموه . فوافق عليها . ثم قال لى : إنه فكر فيما قلته له فى المقابلة الاولى وأنه يجب التعجيل بصدر هذه الارادة ، وأما ما يحتمل من انتقام الانجليز منه فى أملاكه بمصر فهو أمر لا يهمه . ثم قال : « ولو أننى كنت أشرت عليك بسفر سمو الخديو مع الحملة ، إلا أننى الآن بعد ما عرفت من الحوادث الماضية ، وبعد ما سمعت من ثلاثة أشخاص أن فى النية القضاء على حياته ، لا أرضى له بأن يلقى بنفسه فى التهلكة . »

الارادة الشاهانية : ثم تحدثت مع دولته فى ضرورة استصدار ارادة شاهانية بتحديد

مهمة الحملة على مصر ، بأن ينص على أنها مرسلّة لارجاع الخديو لعرشه ، ولارجاع مصر إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال ، مع احترام الفرمانات . فقال : إن الأتراك لا يعملون عملاً بطيبة خاطر ، ومن اللازم أن يتكلم الخديو مع الألمان ليجهروهم على إصدار هذه الارادة . ثم ضرب مثلاً لذلك : إجبار الألمان لهم على التصريح للخديو بالسفر من الآستانة إلى فينا وقد سبق ذكر ذلك

مقابلتى للصدر وشعوره نحو الخديو والسلطان حسين : وفى اليوم نفسه قابلت

الصدر فلم أجد منه غطرسته وخشوته المعتادة مع رجال المعية الخديوية ، وتحدث معى ساعة كاملة ، وقد ابلغته تحيات الخديو وتهنئته بانتصار العساكر الشاهانية فى القوقاس فتشكر وقال : « إن الحكومة التركية مهتمة بالحملة على مصر وكادت المعدات اللازمة لاجتياز القتال تتم ، وعمّا قريب سيعود الخديو لبلاده معززاً مكرماً ، وسألنى عن صحة سموه ، فأخبرته بتفاصيل حالته الصحية ، ثم قلت له : « ان الحفاوة التى يلاقها سموه فى فينا تنسيه أكداره ، ولا سيما بعد الانقلاب » فقال الصدر : « نعم إن النساء يبين أهل ذوق ! » ثم سألنى عن رأيى فى قبول البرنس حسين كامل للسلطنة ، فأجبت بأنه لا بأس من ذلك للمحافظة على الأريكة الخديوية فى عائلة محمد على ، وربما هددوه فى حالة عدم قبوله بضم مصر لانجلترا ، أو تولية غريب عن العائلة ، كما سمعت أن « أغاخان الهندى » كان مرشحاً لهذا المنصب . قال : « لا . هذا

خطأ، ولا يمكن اجراء هذا العمل من جانب إنجلترا، والروسيا نفسها حتى الآن لم توافق على الحماية. ثم قال: « الحقيقة هي أن الأمير مدين، وقبل هذا المنصب لسداد ديونه فقط »

وفي النهاية سألتني عما إذا كان الخديو ينوى الحضور للاستانة، فأجبت بأن لا أعرف، فعقب على هذا بقوله: « سيعود إن شاء الله » ثم ودعته وانصرفت. مقابلتي لسفير ألمانيا واقتراحى باصدار إرادة تحدد مهمة الحملة: وفي يوم ١٥

منه قابلت سفير ألمانيا، ومكثت عنده ثلاثة أرباع الساعة، أبلغته في أثناءها تحية الجناب العالى، وأخبرته بكل معلوماً عن الحالة السياسية، وبارتياح الخديو لوجوده في فينا، وصلاته بسفيرى ألمانيا والدولة وناظر خارجية النمسا، ومادار في الحديث بينه وبين امبراطور النمسا؛ ثم تفاهمت معه بصفة شخصية في ضرورة إصدار إرادة شاهانية، يصرح فيها بأن الحملة السائرة الى مصر، إنما تذهب لارجاع السلطة الخديوية دون المساس بالامتيازات التي نالتها مصر من قبل؛ وما ينتجه هذا التصريح من الطمأنينة، ومن انجاح الحملة في مهمتها ومساعدة المصريين لها فوافقني السفير قائلاً: « نعم إن هذا ضرورى وأعضاء الحزب الوطنى بخيف ياحون في ذلك؛ وقد تحدثت مع الصدر في هذا الموضوع، ونحن متفقون عليه » ثم طلب منى مقابلة الصدر والالحاح عليه في ذلك. فقلت له: « لا أعفنى من هذه المهمة لأن الأتراك لا يحبون



البارون ونجنهم
سفير ألمانيا

التدخل في شؤون حكومتهم؛ وربما قالوا « ما لهذا الذى يريد أن يعطينا درساً؟! » قال السفير: « إذا كان الأمر كذلك فقل للصدر إننى كلفتك ذلك ». فقبلت. ثم أفهمته أن الانجليز يخذعون المصريين ويقولون لهم. هانحن أولاء قد جعلنا مصر سلطنة، وسنعطيك الحرية والدستور، أما الأتراك، إذادخلوا مصر، فانهم يهبونها ويسلبونها ويهتكون أعراضها، فإذا صدرت الارادة برجوع الحالة الى ما كانت عليه قبل سنة ١٨١٢ ورجوع

خديوهم المحبوب لبلاد، فانهم لا يعبأون بخداع الانجليز. وبعد هذا سألتني السفير عما إذا كان الشعب المصرى يثور على الانجليز، فأجبت به بأن ذلك محتمل إذا نجح

الأتراك في عبور القنال ، لأنه في هذا الحالة يضمن الثائرون النتيجة ، ويأمنون الانتقام منهم . أما الآن فلا يجرءون على ذلك وفي النهاية سألتني عن أيام مكثي في الأستانة ؛ فأخبرته أن المنتظر أن أظل هنا حتى يلحق البرنس ابراهيم حلي بالحملة نائباً عن الخديو ؛ فاستصوب ذلك بحماس قائلاً « برافو » ! ثم استأذنت وانصرفت .

مقابلتي للصدر ورده على اقتراحي : في يوم ١٦ منه ذهبت ومعى جلال الدين باشا وعارف باشا لمنزل الصدر في استامبول ؛ فوجدنا عنده البرنس ابراهيم حلي فقدمت للصدر نسخة من جريدة الأهرام فيها صور المخاطبات التي دارت بين شتهام متولى أعمال الوكالة البريطانية في مصر ، وحسين رشدي باشا رئيس النظار بخصوص الانقلاب الأخير ، مع ترجمتها بقلم عارف باشا ، فأخذها شاكرًا .

ثم قلت له : « إن سفير المانيا تحادث معى في ضرورة صدور ارادة شاهانية تحدد مهمة الحملة على مصر ، وطلب منى أن أذكر فخامتكم بذلك » . وما كدت أنتهى من هذه الجملة حتى قال بجمدة : « مالى أراكم تستعجلون هذا الطلب يا مصريون ؟ فمن منذ شهرين وأنتم تلحون علينا ! » قلت : « إن هذا في صالح الحملة حتى يطمئن الأهالى في مصر » فقال « بل في صالحكم أنتم ! » ثم قال : « هذه الارادة ستصدر في حينها » فتحدثت عارف باشا وجلال الدين باشا في وجوب إصدارها . فقلت : « مادام نخامتكم قد وعد بأنها ستصدر في الوقت المناسب فتحسن نكتفى بهذا الوعد » وذلك لاسجل عليه ما قال ، وخرجنا .

مقابلتي لسكرتير جمعية الاتحاد والترقى :



مدحت شكرى بك

بعد خروجنا توجهت انا وعارف باشا إلى نادى جمعية الاتحاد والترقى ، وقابلنا مدحت شكرى بك السكرتير العام ، فأبلغته سلام الخديو وتهنئته بانتصار الدولة ، وشرحت له حالة إيطاليا والنمسا ، والحفاوة التي لقيها الخديو فيهما بعد سفره فشكرنى على هذه المعلومات . ثم تطرق الحديث إلى الحملة التركية على مصر فخادثته في ضرورة إصدار

ارادة شاهانية تحدد مهمة الحملة حتى يطمئن أهالى مصر ، ويزول خوف ايطاليا كذلك ، فقال : « نعم هذا ضرورى ويجب إجراؤه »

مقابلتي الثانية لسفير ألمانيا : وفي يوم ٢٥ منه قابلت سفير ألمانيا فأخبرته بأننى أبلغت الصدر تكليفه لى فيما يختص بأمر الحملة ، فوجدت منه امتعاضاً ؛ وكنت أتوقع ذلك كما أخبرته ، أعنى السفير . فضحك وقال : « اما أجابك بأن الأرادة ستصدر لاحالة فى وقتها المناسب » قلت : « والآن أنسب وقت ، لأن الجيش على حدود القتال » . وعرضت عليه صورة مشروع للارادة الشاهانية ، حضرته بناء على طلبه فى المقابلة السابقة وهو :

أولاً : « نظرا لكون انجلترا منعت الجناح الخديوى من الرجوع لمصر بدون حق ، فمهمة الجيش إرجاع سموه لعرشه . وثانياً : مهمة الجيش أيضا اخراج الانجليز من مصر واعادتها إلى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ . وثالثاً : تعلن الحكومة العثمانية أنها لاتبغى من زحف جيشها ضم مصر لولاياتها ، ولا احتلال البلاد ، بل احترام الفرمانات التى خولتها استقلالها الداخلى » وبعد الاطلاع عليها أعادها لى قائلاً : « أبقها لوقتها ، وأننى سأقابل الصدر وأطلب منه الاسراع فى إصدار الأرادة » . وأخيراً أخبرته أن الأمر الخديوى بتعيين البرنس ابرهيم باشا حلى لمراقبة الحملة ، قد أرسلت صورته للجناح العالى لتوقيعه .

ثم حادثنى عن حالة الجيش العثمانى فى القوقاس ، وأنها غير حسنة ؛ والجنود كانوا غير منتظمين حتى ذهب اليهم مدد منظم أخيراً ، ثم عرج على حملة مصر فقال : « إنها بعكس ذلك » .

نفقات القائمقام : وفى أول فبراير وصلت إلى أوامر من فينا بالبريد من بينها حجز ألف جنيه من المبلغ الموجود بالخزانة لنفقات سفر البرنس ابرهيم حلى ، وأنه أرسلت لجلال الدين باشا صورتان موقع عليهما من الأرادة الخديوية ؛ إحداها للبرنس بانتدابه ، والأخرى للصدارة لاختبارها بهذا الانتداب

وقد ظن جلال الدين أنه مأمور بتوصيلهما ، مع أن الأوامر الواردة لى تقول بابقائهما عندى حتى يقرر سفر دولته من لدن الحكومة العثمانية ، خوفاً من امتناعها فى آخر وقت ، فلا يكون من المستحسن عدم تنفيذ أوامر الخديوى ؛ خصوصاً وأنا سمعنا من فريد بك ، أن رئيس مجلس النواب لا يرى ضرورة لهذا الانتداب

ولما قابلت جلال الدين باشا أخبرني أنه سلم صورة للبرنس ابرهيم حليى ؛ ولما سمع بالأوامر الواردة لى ، تقرر أن نذهب ومعنا عارف باشا لمقابلة دولته ، وإخباره بالأوامر ، وبالفعل قابلناه فرد لنا الصورة التى تسلمها .

معارضة الصدر في تعيين القائم مقام : ثم تقرر أن يذهب دولته للصدر لجلس نضيه فيقول له : « إن الجناح الخديوى لما علم بقرب وصول الجيش للقتال سيرسل الارادة بتعيينى مندوباً من قبله ، فبل يرى الصدر مانعا من ذلك ؟ » ويرى كيف يكون رده ! وفى اليوم التالى تقابلنا ، فأخبرنا أن الصدر لا يرى مانعا ، ولكنه يلاحظ أن هذا العمل قد فات أوانه ، لأنه كان يجب قبل حدوث الانقلاب حينما كان للخديو قائم مقام في مصر ، فكان يجوز له عزله وإقامة الأمير مقامه . أما الآن فانه يوجد في مصر سلطان مناظر له ، فالواجب أن يسير بنفسه مع الحملة ، فأجابه البرنس : « بأن الخديو كان قد عزم على مرافقة الحملة وأرسل رجاله ومعداته ، ولكن الحكومة التركية أرجعتهم ثانية . فقال الصدر : « نعم حصل هذا لأن الوقت لم يكن قد حان . أما في هذه المرة فيسقط الخديو للسفر في الوقت المناسب . » ولما سأله دولته عما إذا كان سيشار إلى ذلك في ارادة تصدر من السلطان ؟ قال : « نحن لا نقبل شروطا مطلقا ، ونحن لا نرجو الخديو ، و فقط عندما يحين الوقت نكلف سفيرنا في فينا بأن يطلب منه الحضور للاستانة للحاق بالحملة ، فان قبل كان بها ، وإلا فيعرف صالحه ونعرف صالحنا ! . أما إذا كان يعتقد بأنه يركب وابورا من تريسته ويذهب لمصر كما حصل عند تعيينه فهذا لا يكون . ! . ثم سأل البرنس عما إذا كان في النية ترك المصريين المرافقين للحملة الآن ، والذين هم أعداء للخديو ، أم ارجاعهم ؟ فرد الصدر بأن هذه مسائل ثانوية تافهة ، لا يلزم ادخالها في الشؤون الهامة . وانقطع الحديث بينهما بعد ذلك لدخول أحد رجال جمعية الاتحاد الميالين للخديو وهو عبد الحق بك الكاتب المشهور

ولما أخبرنا البرنس بهذا الحديث فكّرنا في الأمر ، ثم قررنا أولا : أن جلال الدين باشا يكلف مالك بك المعين من قبل الجناح العالى للاتصال بجمعية الاتحاد — وهو من أعضاء مجلس إدارتها — أن يستعلم عما قرره الجمعية في صدد سفر الخديو فإذا عرفنا أن ما قرره مثل ما قاله الصدر سافرت إلى فينا لعرض الأمر على سموه ثانياً : نكتفي بما قدمته من البيانات بشأن الارادة . ثالثاً : السعى لدى المانيا والنمسا

لتأييد ما نطلبه، ومن التوسط في إرجاع المصريين المرافقين للحملة الذين هم ضد الخديو وقد بعثت للخديو بالتفاصيل

وفي يوم ٧ فبراير قابلنا مالك بك، فعلينا منه أن الجمعية لم تقرر شيئاً بخصوص سفر الخديو، فأخذت في الاستعداد للعودة إلى فينا، وللتفكير في طريق آخر

المقابلة الأخيرة لسفير ألمانيا بشأن الإرادة : وقبل السفر قابلت سفير ألمانيا، وسألته عن الإرادة الشاهانية، فقال : «إنها ستصدر مختصرة، وموجهة إلى المصريين يقول فيها السلطان : إنه أرسل الحملة لتخليصهم من يد الانجليز وإرجاع الحالة إلى ما كانت عليه مصر قبل الاحتلال»

فسألته عما إذا كان سيشار فيها إلى رجوع الخديو لأريكته فقال : « لا . لأن هذا قرره مع الصدر» ثم قال : « وقد قلت له إنني باعتباري سفيراً لألمانيا اتفقت مع سموه ومع أنور باشا على ذلك ؛ فلا محيص عن تنفيذ هذا الاتفاق، لأنه لم يكن هزلاً ولا لعباً . فقال الصدر : « إنما أخشى ألا يسير سيرة طيبة حينما يجد نفسه بدون مراقبة، فيسعى إلى المصريين فيطلبون » .

قال السفير « وأنا قلت له ذلك، لأنني أعرف أن الصدر يدعى وجود اتفاق بيني وبين الخديو، فأردت بكلامي هذا أن أطمئنه من جهة، ومن جهة أخرى أن أعرف تصميمنا على إرجاع الخديو لمنصبه، وأنا متحقق من ذكائه واقتداره وهمة، ثم سألته عن رأيه فيما إذا طلبت الحكومة العثمانية سمو الخديو لمصاحبة الحملة فهل يقبل، مع العلم بوجود بعض خصومه من المصريين معها؟ فأجاب : « أما كلام الصدر للبرنس ابراهيم حلمى ونهديداته، فلا معنى لها، ولا يعول عليها، ولا بد أنه طامع في الخديوية » قلت : « هذا أمر معلوم إنما أسأل : هل الخديو يقبل مصاحبة الحملة ؟ » فقال : « قل له من طرفي : إنه يوجد من يحافظ عليه ويحب له الخير » قلت : « إن الأحسن إذا طلب من سموه السفر مع الحملة أن تبذل مساع في ألمانيا، للتأثير على الحكومة هنا، بإرجاع أعداء سموه » فقال السفير : « ما على الخديو إلا أن يقبض عليهم ويشنقهم في مصر » ! فقلت : « إن سموه لا يحب خلق مشاكل بينه وبين القائد العام بمجرد دخوله عاصمة بلاده . » وأخيراً كرر على أن أقول لسموه : « إنه يوجد من يحافظ عليه » وأن أقدم له احترام السفير

العودة إلى فينا : وقد سافرت في صباح يوم ١٢ فبراير ومعى جلال الدين باشا

ووصلنا إلى فينا يوم ١٥ منه وقابلنا سموه ، واقتصر الحديث على إبلاغه التحيات التي كلفت إبلاغها له ممن قابلتهم بالآستانة

وفي اليوم التالي حضر جنابه إلى غرفتي ، فقصصت عليه بالتفصيل كل ما أحمله من الأخبار ؛ وهو منته أشد الانتباه ؛ وقد سرلما عرف أن الإرادة ستضمن النص على أرجاع مصر لحالتها قبل سنة ١٨٨٢ ، وان لم يأت ذكر لسموه فيها

صدور الإرادة : وأخيراً صدرت الإرادة الشاهانية ، ونصت فقط على تحديد مهمة الحملة بأرجاع حالة مصر لما كانت عليه قبل الاحتلال ، والاحتفاظ بالامتيازات التي خولتها لها الفرمانات

أخبار عن الحالة في مصر : في يوم ١٧ من يناير توجهت لزيارة قاضي مصر التركي ، الذي عزل من منصبه ، وحضر للآستانة ، فعلمت منه أن الأهالي في مصر مستاءون من هذا الانقلاب ، حتى إنه عندما يدعو الخطيب في يوم الجمعة للسلطان الجديد لا يؤمنون على الدعاء ؛ وأنه صدر الأمر إلى الخطباء بأسقاط اسم الخليفة من الخطبة ، والاكتفاء بالدعاء « لخليفة المسلمين » دون ذكر اسمه ، كما كان المتبع ، وأن أول جمعة صلاها السلطان كانت في مسجد السيدة زينب ، مع أنه كان ينوي الصلاة في مسجد سيدنا الحسين ؛ وفي اللحظة الأخيرة بلغه وجود مؤامرة ضده ، فحول قصده ، وبقي رجال البوليس في طريق سيدنا الحسين لآيهاهم الناس أنه سيمر من هذا الطريق ؛ وأن رجال الحزب الوطني الذين كانوا ضد الخديو ، قد أصبحوا في صفه ، حينما تأكدوا أنه مضطهد من الانجليز ؛ وأن طلبة المدارس لبسوا أربطة رقبة سوداء إعلاناً للحداد ؛ وأن الشيخ هارون من هيئة كبار العلماء أفتى بتحويل نظارة الأوقاف الخديوية إلى السلطان الجديد ؛ وأن الانجليز آذوا أحمد بك صادق لآتهامه بتبديد أموال الأوقاف

وفي يوم ٢٠ منه كنت في بيك فقابلت الدكتور مصطفى حسني مورو ، الذي حضر من مصر بمساعدة قنصل أمريكا بها ، فعلمت منه أن السنوسيين استبدلوا بأسرى الطليان أسلحة ، واستعدوا للزحف على مصر ، ولهذا وضع الانجليز على الحدود من السلوم إلى بني سويف جنوداً انجليزية ؛ ثم توجه الجنرال مكسويل للفيوم ، وقابل مشايخ العرب ، وطلب منهم أن يحلفوا يمين الطاعة فلم يقبلوا أن



امين بك الرفاعي

يؤدوها إلا للحكومة المصرية ، فاستاء الجنرال منهم وأمر المدير بحبسهم ، ولكنه أفهمه أن لكل شيخ من هؤلاء أتباعا بين المائة والمائتين ينتظرون عودتهم ، فإذا علموا بحبسهم حدث ما لا تحمد عقباه ، فاضطر أن يأمر باخلاء سيولهم . ولكن السلطان حسين في يوم تنويجه تلقى وفد مشايخ العربان بشدة ، وقال لهم : « انهم صاروا مصريين لأن لهم عقارات وأطيانا ووظائف بالحكومة ، فهو من الآن لا يعرف عربا وفلاحين ، لأن الكل سواء في نظر القانون ، فساءم ذلك . وأن الانجليز انتخبوا البرنس حسينا حتى يستعينوا بسلطته على

استخدام الجيش المصرى للدفاع عن مصر ، ولكن لم يقع ذلك ؛ وأن الأهالى يستغربون قبول نظار الخديو للانقلاب والعمل مع السلطان حسين ؛ وأن عظمته طلب الأستاذ أمين الرفاعي ، وكلفه أن يصدر جريدة الشعب ، فاعتذر بأنه لا يمكنه ذلك إلا إذا صدر أمر بمجلس إدارة الحزب ؛ وأن السرايات الخديوية لم تفتش لأن الانجليز علموا أن الخديو أخذ جميع المستندات والأوراق المهمة ، ولم تصادر أملاك سموه لأنها مرهونة ؛ وأن المصريين يعتقدون أن الاتراك يصلون للقناة فى آخر يناير وأن الخديو اتفق معهم على استقلال مصر استقلالا تاما ، وأنه سافر إلى فيينا للعمل على ما فيه صالح مصر مع الحكومة النمساوية والامانية

وفى يوم ١٥ فبراير علمت من الشيخ محمد عثمان أن ابراهيم بك راتب الذى حضر من مصر قابل سمو الخديو وأخبره أن الامة المصرية بأجمعها تنتظر رجوعه بفارغ الصبر ، وأنها معه قلباً وقالبا ، وقال له بلهجة مؤثرة : « أنت قاعد هنا ليه يا أفندينا ؟ أمتك كلها تنتظر حضورك . حرام عليك نفوتها وهى متعلقة بك ... » فبعد أن كان سموه في حالة يأس ، رجعت له قوته وأمله

وفى يوم ٢٥ منه قابلت الدكتور حسين همت وكان فى الأوقاف الخديوية

والدكتور نصر فريد من الحزب الوطنى
وعلمت منهما :

١ — أنه حدث حريق فى غرفة
الاستقبال الكبرى فى عابدين ، أحدثه
أحد الفرشين القدماء بقصد احراق السراى
كلها ومنع السلطان حسين من التمتع بها .
وأنه ألصقت إعلانات تهديدية للسلطان
بداخل سراى عابدين .

نبات الزراك نحو السلطان حسين :
فى يوم ٥ فبراير علمت من البرنس ابراهيم
حلى أن الصدر قال فى معرض الكلام
عن مصر : « إذا لا سمح الله لم ندخل مصر
فاننا نطلب فى مؤتمر الصلح إرجاعها إلى

ابراهيم راتب بك

ما كانت عليه بما فى ذلك عزل الأمير حسين ؛ وإذا دخلنا فاننا سنشقه أمام ضولمه
بغفجة . أما طلعت بك ناظر الداخلية فىرى أن هذا المكان ليس به مارة كثيرين
ويستحسن شقه على الجسر » !

بين الصدر والخديو : فى يوم ٥ فبراير قابلت البرنس ابراهيم حلى فعلمت منه
أنه دار كلام بين محمد عزت باشا والصدر ، الذى أكد عودة الخديو لعرشه ،
ولكنه قال : « إنما أخشى أنه بمجرد أن يصل إلى قصره فى القبة يبتدىء فى أعماله
السابقة غير المرضية ، فىأسى الأهالى على عهد الاحتلال الانجليزى » فأجابه عزت
باشا : هذا لا يمكن لأن الخديو ذكى ويفهم أن العهد الحالى ليس كالعهد الماضى .
قال الصدر . « أنا أشك فى ذكائه ، وأتوقع حصول مخالفات تجربنا إلى نتائج سيئة »
وفى يوم ٢ ابريل قابلت البرنس فى ميركون فأخبرنى أن الصدر مستاء جدا ،
لأن ابراهيم بك راتب قال له : « إن الجناح الخديوى يتهمه بأن الانجليز رشوه بمبلغ
١٤٢ ألف جنيه حتى تمتنع الدولة عن دخول الحرب ، وأن الانجليز مخطئون فى تعيين
السلطان حسين على مصر ، ولو عينوا الصدر لأمكنه إثارة اليمين ضد الدولة » . وأن
دولته أجاب على كلام الصدر بأن هذا لا يمكن أن يقع من الخديو ، فرد بأن قائل



هذا الكلام من المتسمين لسموه وله علاقات بحاشيته . ثم إن الصدر أرسل لسفير الدولة في فينا يطلب منه أن يسأل الخديو عما ينسبه إليه ابراهيم راتب ؛ فجاء الرد بنفيه وعلمت أن تقرير السفير كان في صالح الخديو .

قال البرنس : والصدر يخلق الفرص للعلن في الخديو ، وكان يوما في النادى الشرقى مع سفير ألمانيا وعزت باشا ، فدار الحديث عن المصريين فقال : « إنهم كخدويهم لا يساوون شيئا ، وهو كثيرا ما يتحدث ويصيح قائلا : « نعم هو الخديو الشرعى ، على رأسنا ! ، وأنه يعود إلى عرشه على رأسنا ! ولكن تصرفاته سيئة » وفى يوم ٩ منه كنت مع الدكتور نصر فريد وادكتور سيد كامل ، وبينما نحن نتحدث حضر ابراهيم بك راتب ، ودار الحديث حول مصر والمخلصين لقضيتها والدسائس بين الخديو والصدر ، فوجهت الكلام لراتب بك فيما بلغ الصدر من حديث الخديو نقلا عنه ، كما أبلغنى البرنس ابراهيم حلى ، فقال مستغربا : « هل البرنس ابراهيم قال ذلك ؟ » قلت : « نعم . وربما كانت دسيسة ضدك حتى يبعذك عن الخديو » فلم يوافق على هذا الكلام ، واكتفى بالسكوت ، إلا أن عدم تصريحه بالنفى أرابنى من ناحيته . فقلت : « يسوؤنى أن أجد دسائس تقوم بين عظيمين يديران دفة مملكتين اسلاميتين مهمتين ، لأجل تفريقهما ، مع أننا فى وقت محتاج فيه إلى الوفاق ؛ ولعنت الدسائس الذين ليس من ورائهم إلا الخسارة » . ثم قلت : « يوجد بين محبى الطرفين من يمكنه أن يزيل هذا الشقاق ، فلماذا لا نسعى للوفاق ؟ إننى أعمل لهذا » . فقال راتب بك : « أما أنت يا باشا فانه معلوم أنك تحب الوفاق » . قلت : « وأنا أعرف واحدا محبا للجانبين ، ومخالصا لهما ، ويستطيع التوسط في هذا الموضوع ، وهو عماد الدين بك . فليفعل » قال راتب : « إن من طبيعة الصدر ، أنه إذا رسخ في ذهنه شئ عن انسان فلا يمكن تحويله عنه ، يعنى أن الصدر على ثقة أن الخديو ضده ، ولا يمكن تغيير اعتقاده

وفي هذا اليوم قابلت سفير ألمانيا وساقنا الحديث إلى الكلام عن الصدر وما يشيعه من اتهام الخديو له ، فأبلغته نفى راتب بك للخبر ؛ فأخبرنى أن رجال الدولة والسلطان وزوجة الصدر نفسه ينتقدون خطته

وفى يوم ١٣ منه أخبرت البرنس بحديثى مع راتب بك فاستغرب ، وقال : « هل الصدر إذن كذب في ادعائه ؟ » قلت : « لا أظن . ولكن ربما لم يبلغه »

بلغه من راتب رأساً ، بل بواسطة جعلت من الحبة قبة ، فقال : إن « هذا الشاب لما حضر للاستئانة قال : « علينا ونحن في مصر أن الخديو متفق مع الخلافة ، ومتحد مع رجال الدولة ، ولكنني أسفت لما علبت عند حضوري بأنه في شقاق مع الصدر الذي يقول عن سموه كذا وكذا » . ثم أخبرته بما قاله لي سفير ألمانيا عن الصدر فقال : « انه خرج عن حد الاعتدال ، حتى أنه أصبح يصيح بأعلى صوته أمام المأمورين في الصدارة قائلاً : « هل تقبلون أن يدعى الخديو على أنني ارتشيت من الانجليز ١٤ » .

وفي يوم ١٨ تناولت الغذاء مع محمد عزت باشا ، فأبلغته نفي ابراهيم بك راتب لما قيل من أنه هو الذي أبلغ الصدر كلام الخديو عنه ، فرد وكذا بأنه قال هذا الكلام شخصياً للصدر مرتين .

وفي يوم ٨ مايو كنت مع حسين حلمي باشا سفير الدولة في فينا ؛ وجاء ذكر الشقاق بين الخديو والصدر ، فأظهرت له أسفي لهذا الشقاق في وقت يجب فيه الوثام ، وأثيت على السفير لانه أرسل للصدر بنفي التهمة عن الخديو في أسلوب لطيف ، فقال : « أنا كتبت مرتين ، قلت : « ان الصدر الآن خفف وطأة



حسين حلمي باشا الصدر الاعظم

الكلام ضد الخديو ؛ ومن الواجب على بصفة كوني مصرياً وعثمانياً أن أجتهد على قدر الامكان في انتهاز الفرصة المناسبة للتأليف بينهما . والآن توجد فرصة مناسبة وهي أن الدولة قدمت مساعدات لبعض الموظفين وأرباب المعاشات بحاشية الخديو ؛ فيصح أن يكتب الخديو رسالة شكر للصدر ، أو أن يرجو دولة السفير إبلاغ شكره ، فنتحسن العلاقات . فاستحسن كتابة رسالة خطية لأنها تكون أوقع . ثم قال :

« ان بعض الحاشية يتفوه أحيانا بكلام ليس من الحكمة التفوه به ، فيحسب أنه

صادر من الخديو نفسه ، وأنه ذكر لحاشيته هذه الانتقادات فرددتها . وأنا لم أسمع من الخديو شخصياً أى انتقاد ؛ ولا يمكن أن يقدم رجل ذكى مثله على اتهام الصدر بالرشوة ، وإلا كان مجنوناً .

وفي يوم ٢٣ مايو كنت أحضر جلسة من جلسات اللجنة التى كانت قد شكلت للنظر فى كل ما بهم الخديو وهى مؤلفة منى ومن فريد بك ويوسف صديق باشا و « دى » بك والاستاذ فهمى والاستاذ سيد كامل ، فعرضت فكرة التقريب بين الخديو والصدارة بكتابة رسالة الشكر التى سبق الحديث عنها مع السفير ؛ ثم حضر الخديو الجلسة ففاتحه فريد بك بالحديث فى هذا الشأن ، وذكره أن هذا العمل يحسن العلاقات بينهما فأمنت على كلامه قائلاً : « إن أفندينا يريد انتهاز الفرص من وقت لآخر للخبرة بصفة كونه خديوياً مع الباب العالى ، وهذه هى فرصة مناسبة » وقال فهمى : « إن إظهار المودة - ولو ظاهرياً - ربما يمنع عنا ضرر حقه - أى الصدر - على المصريين » وأظهر « دى بك » أن من الضروري كتابة هذه الرسالة . فقال الخديو : « إنكم تعملون معى كما كان النظار يعملون . فأنهم كانوا يقولون لى : يا أفندينا نحن نساير الانجليز ونرضيهم لنمنع عنا ضررهم . وبعد أن أوافقهم ونعطيهم ما يريدون ، يرجعون إلى قائلين : إنهم لم يمكنهم أن يستفيدوا من الانجليز شيئاً » فقال الاستاذ فهمى : « إن النظار ربما كانت لهم أغراض . أما نحن فأنتنا لا نريد إلا خدمة البلاد »

وفي النهاية وعد الخديو على مفض بكتابة هذه الرسالة .
وفي اليوم التالى أمر سموه ثريا بك الألبانى من المقربين له بعد الحاح منى أن يحرر رسالة الشكر ، وقد وقع عليها سموه شبه مكره .
وسافرت للاستانة يوم ٢٥ ومعى هذه الرسالة . وكان فريد بك قد سافر إليها كذلك ؛ وتواعدنا على زيارة الصدر ، فزرناه يوم ٣٠ مايو ، وأبلغته تحيات الخديو وعقدت له الرسالة التى أحملها ، فأخذها شاكرًا ، وكنت أحس أنه مسرور ، وأنتى أفلحت فى مهمتى

فصل المحرر التركية على قناة السويس : جاء ذكر هذه الحملة فى مذكرات سنة ١٩١٤ ، والخطوات التى خطتها إلى نهاية هذه السنة . والآن نعود إليها لتفصيل ما تم بشأنها فى سنة ١٩١٥

فى يوم ٨ فبراير قابلت سفير ألمانيا فى الاستانة فعلمت منه أن الجيش العثمانى

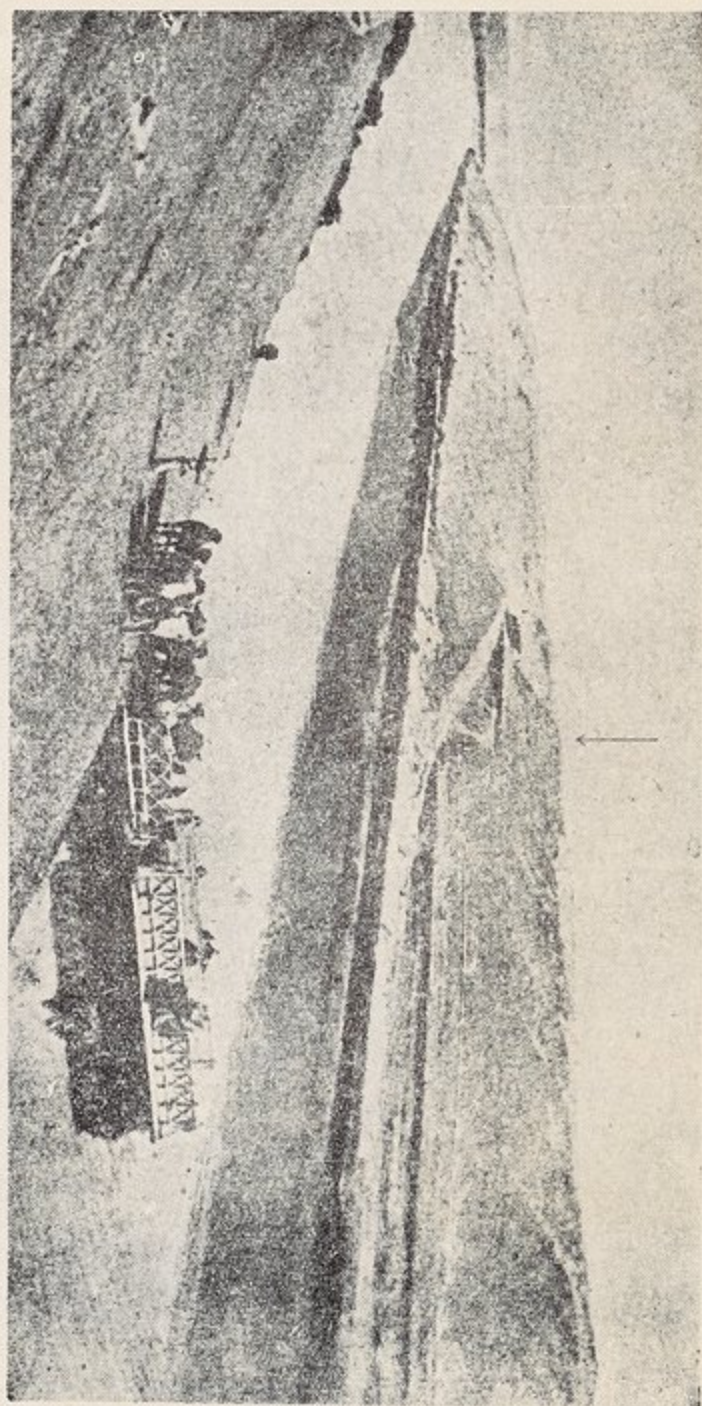
وعده عشرون ألف جندي ، تقدم إلى القناة على خمسة أقسام ، إلى أحدها جسراً
نقالا في نقطة بالقرب من الاسماعيلية ثم رجع إلى سيناء تاركا خلفه ثلاثمائة عسكري



خريطة سير الحملة التركية (١)

لابد أن يكون الانجليز قد أخذوهم أسرى . وأن سبب الرجوع عدم كفاية القوة

(١) عن اللطائف المصورة



منظر فسل الأتراك على القناة

العثمانية الهاجمة ، ولكنها تمكنت من أخذ موقع مرتفع على بعد سبعة أميال من القناة . وهذه التجربة تدل على أنه في الامكان العبور في المستقبل ؛ كما أن « أركان حرب » الحملة وقد عرف حالة الدفاع الانجليزى سيدبر أمره على حسب المعلومات التى حصلها ؛ وسنرسل مدافع من عيار ٢١ سنتيمترا . وأقول لك بصفة سرية : إذا احتاج الأمر سنرسل جنودا ألمانى ، لأننا صممنا على محاربة الانجليز إلى النهاية ولو تم الصلح مع فرنسا وروسيا . لهذا سنهتم باتمام السكة الحديدية من برلين إلى القاهرة بين بوزانتى وقره قولاق لتسهيل النقل ، « ثم قال : « إن ألمانيا تعلق أهمية كبرى على هذه الحملة ولا بد من كسر الانجليز هناك » قلت : « إنه ينتظر إذا هزموا أن يثور الشعب ضدهم فى مصر والسودان كذلك ، وأن الشيخ الطيب من أقارب قاضى الخرطوم أكد لى هذا العزم » فسر السفير لهذا الخبر .

وفى يوم ٢٥ منه علمت من الدكتورين نصر فريد وحسين همت من أخبار الحملة ما يأتى :



المرحوم الصاقول اغامى الطوبى
محمد افندى توفيق

١ — ان الضابط المصرى المدفعى محمد توفيق افندى الذى كان بيطارية الاسماعية طلب اعفاه من أداء واجباه ، فقبل ضابط مصرى أن يحل محله ، ولما وقع القتال على القتال رفض الجنود المصريون استعمال المدافع ضد الأتراك ، فأخذ الضابط نفسه يستعمل المتراليوز ، ولكن أصابته قنبلة أمانته فى الحال ، ولم يقبل ضابط آخر أن يحل محله

٢ — يشاع أن الجرحى من الانجليز فى واقعة القناة نحو مائتة والآهالى يقولون إن هذه مناوشة كشفية ، وأنها نجحت ، وأنه عند ما تجمع قوى الأتراك لا يقوى الانجليز على دفعها ، ويهزأون بدعوى الانجليز أن الرمال كانت سببا فى تقهقرهم فى جهة الاسماعية



٣- زار السلطان
حسين جرحى الأتراك
بمستشفى قصر العيني ،
فسأل ضابطاً طرأ بسى
الأصل عن عدد جيش
الأتراك ، فرد عليه
قائلاً : « وما مقدار
قوة الانجليز ؟ فهل
يمكنك أن تجيئني ؟ »

جثث الأتراك والمصريين بعد حادثة العريش في سنة ١٩١٥

فقال : « لا » فقال : « وأنا كذلك لأستطيع إجابتك ! » فسأله السلطان : هل أنت
مستريح للطعام بالمستشفى ؟ فأجابه : « ماجئنا لنا كل وليتقى مت في الموقعة » !
٤ - بعد موقعة القناة ابتدأ الأهالي يتخلون عن السلطان ، ويجهرون بالعداء
للانجليز والتجمع في المقاهى على الرغم من وجود الجواسيس ، وأحس الانجليز
خطورة مركزهم أمام الأهالي ، والبوليس المصرى يتظاهر بتنفيذ الأوامر ولكنه
في الحقيقة لا يعمل بها

مشروع إنشاء مستشفى يحمل اسم الخديو : في أثناء وجودى بالاستانة حضر
الدكتور مورو اليها وفكر في إنشاء مستشفى باسم « مستشفى الهلال الأحمر الخديوى »
لمعالجة الجرحى الأتراك والمصريين من المصابين في الحملة على مصر وغيرها
وقد عقد اجتماع لبحث هذه الفكرة من بعض « البرنسات » المصريين والأعيان
المقيمين بالاستانة ، وكنت حاضرا هذا الاجتماع تحت رئاسة البرنس ابراهيم حلمى
فاقترحت أن يتبرع جميع المصريين الذين يتناولون إعانات شهرية من خزانة الدولة
بما يعادل ١٠ ٪ من مرتباتهم

وقد اعترض الدكتور صالح صبحى بك على المشروع بأن موارده المالية
لا تسمح بتنظيمه والقيام ببقائه ، واقترح أن تحول التبرعات للهلال الأحمر التركى ،
وأورد محي الدين بك جلال اعتراضاً آخر على اسم المستشفى ، مشيراً إلى الخلاف
القائم بين الاتحاديين والخديو ، وعدم استحسانهم لأن يحمل المستشفى اسم سموه
فأجبت على الاعتراض الأول بأن المستشفى سيكون في إحدى سرايات جوولى
حيث تتوفر الأسرة والنور الكهربائى والمياه الصالحة ، وهذا يوفر كثيراً من المبالغ

وردت على الاعتراض الثانى بأن الاتحاديين لا يزالون معترفين بخديوية عباس ، ولذلك لن يعترضوا على تسمية المستشفى باسمه .
وأخيراً انتهى المشروع إلى الفشل

مؤرّع ضطير لفصل فرنسا عن إنجلترا فى الحرب العظمى :
تعرف الخديو بموسيو كايو وموسيو بولو : تعرف الخديو بباريس فى صيف



الموسيو يوسف كايو



بولو باشا

سنة ١٩١٤ برجل فرنسى يسمى « بولو » بواسطة يوسف صديق باشا وهو ينتمى إلى موسيو « كيو » الوزير السابق ، الذى عرفه الخديو كذلك عند ما كان فى باريس وحدث أن أحد محررى جريدة الفيجارو ويدعى « كلبت » (شقيق الأناثة تالبوتيه معلتى الفرنسية فى أثناء دراستى وقد عرفتنى به) نشر مقالا يتهم فيه موسيو « كيو » بالاختلاس وبخيانة وطنه لسعيه فى خدمة ألمانيا . فإكان من زوجته إلا أن ذهبت لهذا المحرر وأطلقت عليه رصاصة من مسدسها أردته قتيلًا ، فقدمت للمحاكمة الجنائية . وقد طلب مسيو « كيو » من الخديو أن يبذل نفوذه لدى رئيس محكمة الجنايات لانقاذ قرينته ، وعرف سموه به فى مأدبة خاصة . فسعى بجميع الوسائل لديه ، ومن ذلك أن وعده بالانعام عليه نيشان كان يطمح إليه . وكانت النتيجة براءة مدام

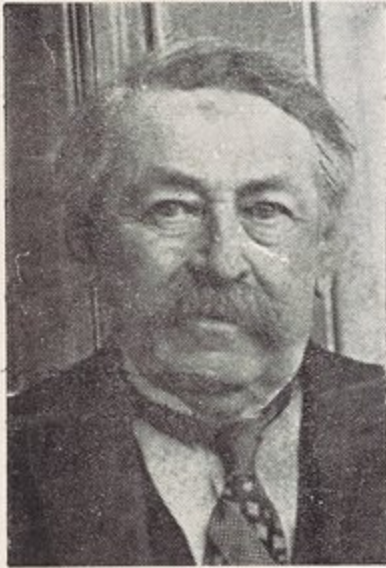
« كيو » ، وأصبح زوجها من هذا الوقت يود أن يقدم خدمة لسموه رداً لجميله .
 الخديو يعمل لحفظ العرش له أو للبرنس عبد المنعم : ولما نشبت الحرب رأى
 الخديو أن يستعين بموسيو « بولو » الذى أشار « كيو » على سموه باستخدامه ، للسعى
 فى لندن لدى « ربرتسون » أحد أصحاب النفوذ فى إنجلترا للحصول على وعد من
 الحكومة الانجليزية بأنها تعيد الخديو لعرشه أو على الأقل تعامله معاملة حسنة
 بتعيين نجله البرنس محمد عبد المنعم بعد السلطان حسين
 وقد قام « بولو » بهذا المسعى ، ولكنه أخفق فيه وقابله « ربرتسون » بخشونة ،
 وقال له : كيف تتحدث فى هذه الظروف فى شأن كهذا ؟ وأمره بالرجوع من حيث
 أتى ، وإلا نه الحكومة الانجليزية للقبض عليه .
 تفكير بولو فى مشروع صلح انفرادى بين فرنسا وألمانيا : وفى ٢١ ديسمبر
 سنة ١٩١٤ كان « محمود خيرى بك » من الحاشية الخديوية بباريس ، فكلفه « بولو »
 أن يرسل برقية إلى « يوسف صديق » ليقابله فى جنيف
 وفى ٢٩ منه تقابلا وقتل عنه يوسف باشا ما يأتى : —
 إن حالة الجيش الفرنسى ليست على ما يرام ، ولكن يمكنه المدافعة مدة طويلة ،
 والألمان لا يرغبون فى محو فرنسا ، ولا يقصدون إلا القضاء على نفوذ الانجليز .



موسيو بارتو

ولذلك فكر بولو فى مشروع خطير
 يقضى بتحسين العلاقات بين فرنسا وألمانيا
 للوصول إلى الصلح بينهما . وذلك باستمالة
 بعض أصحاب الصحف المهمة فى فرنسا
 وبعض كبار الفرنسيين مثل « بارتو »
 و« كليمانصو » و« بريان » ومساعدة موسيو
 « كيو » بنفذه على أن يسير العمل سرىا .
 ولهذا فكر فى انشاء بنك كاثوليكي يكون
 شقيق البابا « الكونت دى لا كيزى » مديرا
 له ، وهذا البنك يقوم بهذا العمل بأمواله
 التى ستدفع من ألمانيا . ولو علم أنه فعل
 ذلك فلا حرج لأن من وظيفة البابا أن
 يعمل لصالح الإنسانية الذى يقضى بوقف

الحروب . وطلب من « يوسف صديق » ألا ييوح الخديو بمر الم شروع لأى إنسان
وألا يتحدث فيه إلا مع امبراطور ألمانيا نفسه ، لأن الفرنسيين لوعدوا الآن شيئاً
عنه لقتكوا به ، أما اذا تم فانهم يرفعونه فوق رؤوسهم .



موسيو بريان



الموسيو كليانصو

الخديو يعمل لمقابلة الامبراطور : وقد وافق الخديو على هذا الم شروع الخطير
وبدأ يعمل لمقابلة الامبراطور وعرضه عليه : ولكن رجال تركيا كانوا يعا كسونه
ويعرقلون هذه المقابلة ، خوفاً من اتصاله رأساً بالامبراطور .

ولما تبس من المقابلة ، أرسل إلى برلين لاستحضار « البارون أوبنهايم » المستشرق
الألماني ، وكان بقمصية ألمانيا فى مصر ، وأسر اليه الم شروع كما أسره للسفير الألماني
فى فينا ، ولكن الموضوع أهمل ، ولم يهتم به أحد فى المبدأ : ولم ترسل وزارة الخارجية
ردها على السفير .

العودة إلى التفكير فى الم شروع : وكان الخديو قد تعرف فى فينا برجل ألماني
كبير اسمه « سمرى » فدعا سموه لمأدبة تضم سفير ألمانيا فى رومه سابقاً وكان الخديو
يعرفه ، فانتهاز هذه الفرصة وحادثه فى الم شروع فأظهر اهتماماً كبيراً به ، وخاطب
وزارة الخارجية الألمانية ، فورد له الرد بأن ألمانيا تقبل مبدئياً هذا الم شروع .

عندئذ أرسل الخديو « يوسف باشا صديق » لمقابلة « بولو » في رومة حيث كان يهدد لانتخاب شقيق البابا مديراً للبنك الكاثوليكي وإخباره بهذا الرد ، ثم مقابلة البارون « أوبنهايم » في برلين وتعريفه بنتيجة المسعى .

تكلفني بمهمة خاصة بالمشروع : وبعد سفره تقرر أن أسافر إلى برلين لمقابلاته عند عودته من رومه إلى برلين ، وإفهامه أن يخبر « أوبنهايم » بعدم نجاحه في مهمته عن مشروع البنك في إيطاليا ، وأن يقابل ناظر الخارجية ويعرض عليه تفاصيل الموضوع دون أن أرافقه أنا في هذه المقابلة .

وقال لي سموه : « إن يوسف صديق سيسلك رسالة لي » فقلت : وهل لا يكفي طريق البريد العادي لحل هذه الرسالة ، فأجابني بأنها ليست مما يرسل بالبريد ، وأنه سيخبرني بالمسألة بعد ذلك (ولم أكن حتى الآن عرفت حقيقة المشروع) . وقد سافرت فوصلت برلين يوم ١٧ فبراير وبقيت أربعة أيام انتظر يوسف باشا .

وفي يوم ٢١ حضر وأخبرني أنه فشل في مهمته بأيطاليا ، لأنه لما قابل بولو لأبلاغه رد نظارة الخارجية وجد المسألة فشلت ، نظراً لسوء التفاهم بين البابا وألمانيا بمساعي فرنسا من جراء مسألة « الكردينال مرسينه » البلجيكي ... فأمر البابا شقيقه الذي كان قد اختير لإدارة البنك بالانسحاب ؛ ولكن ألمانيا اجتهدت بعد هذا في تسوية المسألة ولم يتم شيء بعد ذلك .

ثم ذهبنا لمقابلة « أوبنهايم » فأخبره « يوسف باشا » بفشله في مهمته ، ولم يذكر اسم « بولو » بل قال : إن الوساطة هو أحد المعارف ، فقال البارون : « أليس هو الرجل المسمى بولو الذي قال لي عنه الخديو ؟ فأجابه نعم ! ، ولكنه دهش لأن الخديو كان كلفه ألا يعرف البارون باسمه !

موافقة وزير الخارجية على المشروع : وفي يوم ٢٣ منه تقابل « يوسف باشا » لأول مرة مع موسيو « ياجو » وزير الخارجية وشرح له مشروع فصل فرنسا عن حلفائها ، وعمل صلح انفرادي مع ألمانيا فاهتم الوزير بهذا المشروع وحدد للبasha يوم ٢٥ منه للكلام فيه ؛ ولما رجع من الزيارة علمت منه هذا المشروع الذي كان الخديو كتمه عني ، وأن « ياجو » قبله ، وصرح باستعداد ألمانيا لأن تنفق عليه من عشرة مليون إلى خمسة عشر مليون مارك على أقساط شهرية في مدة سنة ، وأن يكون الدفع

باسم الخديو على أحد المصارف بسويسرا وهو الذى يتصرف حسبما يراه ، بحيث لا يعلم أحد أن هذه المبالغ آتية من ألمانيا أو النمسا وقد فهم يوسف باشا ، أن ألمانيا كانت قد وجدت إيطاليا يقوم بعمل كهذا ولكنه لم ينجح .

وقد أعد يوسف باشا الخطاب بما تم فى المشروع ، وسلمه لى ، فسافرت به ولما عرف الخديو بحضورى جاء إلى غرفتى فأخبرته بما لدى ، وسلمته الرسالة وبعد قراءتها ظهر عليه السرور وعندها أخبرنى بالمشروع وقد أعلمته أن يوسف باشا أفهم أوبنهايم أن المشروع قد فشل ورجوت سموه أن يكتب الأمر عن صاحبته الفرنسية « مدام لوزانج » - التى تعيش معه فى الفندق - وإذا كانت قد علمت فيخبرها بعدم نجاحه

وبعد التدبر قال سموه : « أنا لا أريد أن أكون مسئولاً وحدى ؛ وربما يلعب يوسف أو بولو بقصد الانتفاع ، فلا بد أن أطلب وجود واحد موثوق به عند نظارة الخارجية ، ليكون العمل والاتفاق باسئرا كه معى . »

موافقة الامبراطور نهائيا على المشروع : وفى يوم ٢٧ فبراير عاد يوسف باشا وعرض على الخديو نتيجة مهمته ، ثم أخبرنا أنه قابل ناظر الخارجية مرة أخرى وفهم منه أنه قابل الامبراطور فوافق على المشروع بتفاصيله السابقة مضافا إليها أن الدفع يكون بواسطة أحد المصارف فى زويرخ وأن النمسا قد تشترى فى النفقات.

تخوف الخديو من يوسف : وبعد خروج يوسف باشا خلا لى الخديو وأعاد على ذكر مخاوفه من يوسف باشا ، قائلا : « إننى أخشى من تلاعب يوسف ، وأنا أعرفه ولا بد أن أقوم بهذا العمل بنفسى ، وأفهم بولو ألا ينخدع باقواله ، وأن يقطع كل صلة به ، ولكن كيف نمنعه من مقابلته قبل أن التقي به وأحذره ؟ » فأجبت : « بأتى على استعداد لمساعدة سموه فى منعه بطريقة غير محسوسة ، وما عليه - عند سفره إلى سويسرا للاجتماع ببولو - إلا أن يرسل لى برقية بالحضور إليها فوافقنى على ذلك . »

سفرى إلى سويسرا : وبعد هذه الحادثة بيوم واحد سافرت إلى روما ومنها إلى سويسرا تمهيدا للاجتماع ببولو ، فقصدت أولا إلى جنيف ، وقابلت فيها على الشمسى بك والاستاذ فهمى .

وفي يوم ٨ مارس قمت من جنيف قاصدا زويرخ بناء على أمر الخديو للاستعلام عن المسائل الآتية : —

أولا : هل يمكن للمقيم في زويرخ التوجه إلى مدينة رورشاخ والعودة منها في نفس اليوم

ثانيا : المدة والمسافة بين الذهاب والاياب

ثالثا : أحسن الفنادق في رورشاخ

رابعا : المواصلات بين رورشاخ وبريجنز (في النمسا) - براونجرا - والاستفهام عن مسافة الطريق بالعربة والسكك الحديدية والبحر وعدد القطارات

وقد قمت بهذه الاستعلامات ، والغرض منها مقابلة بولو بعيدا عن يوسف صديق ، وسافرت من زويرخ إلى رورشاخ . وفي صباح يوم ٩ وردت إلى برقية بالرجوع إلى فينا حيث كان الخديو لا يزال بها ، وعلى أثر ذلك جاءني ضابط « ليتجرى » عنى وعن سبب حضورى نظرا لهذه البرقية ، وقد أعطيته كل المعلومات ؛ ولم أخبره بوظيفتى ولا رتبتي ؛ ثم سافرت من رورشاخ إلى « بريجنز » ومنها إلى « انسبروك » ووصلت إلى فينا صباح يوم ١١ مارس ، فعرضت على الخديو معلوماًتى .

وقد تقرر أن أعود إلى جنيف ، فرجعت في المساء مع اننى كنت متعبا ، ووصلت صباح يوم ١٢ منه . وهناك وجدت برقية إلى الدكتور همت أحد أطباء السراى واحمد بك صادق الذى رافقنى الى جنيف أن نساfer جميعا إلى زويرخ ؛ وننتظر فى فندق سافوى . وقد سبقانى ، وبقيت بعدهما لبعض مهام عائلية حيث كانت تقيم عائلتى ، ثم لحقت بهما يوم ١٣ وهناك سلمنى أحمد بك صادق برقية من يوسف باشا في « سان جال » فى سويسرا بأن أرسل صادق بك والدكتور همت ونفر الدين أغا الحارس الخاص للخديو إلى رورشاخ غدا حيث يحضر سموه ، وقد سافروا فى اليوم التالى ثم لحقت بهم .

حضور الخديو ومقابلة بولو باشا : حضر الخديو يوم ١٥ منه وفى اليوم التالى خلاى وتداولنا فيما يجب عمله لمنع يوسف باشا من الاجتماع ببولو : فهل نذهب جميعا إلى زويرخ أو نرسل لبولو بالحضور إلى سان جال ونقابله هناك ؟ وفى يوم ١٧ مارس أرسل الخديو يوسف باشا لمقابلة ناظر خارجية ألمانيا للتفاهم معه على طريقة العمل وصرف المال - فلم يعد هناك داع لمقابلة بولو بعيدا

عن زويرخ - فسافرنا من رورشاخ إليها ونزلنا في فندق سافوى وهناك حضر موسيو بولو ، وكان الخديو أمرني بانتظاره في الفندق - وأنا لا أعرفه - ولكن رأيت يسأل قلم الاستعلامات فعرفته ، وأرسلت من يخبر الخديو بقدمه ، فنزل في الحال ؛ ولما رآه بولو عانقه بحرارة - على الطريقة الشرقية - فجأ في نفسى أن هذا الرجل مخادع ، وأنه يتظاهر بهذا الأخلاص تظاهرا فقط لغرض في نفسه .

فأخذ الخديو بيده وذهبا إلى الجناح الذى يقيم به مع صاحبه وظل ، بعد ذلك يخلو به ليل نهار ، ولا يخرج إلا قليلا في المساء .

وفى أثناء ذلك أطلعنى الخديو على رسالة من كيو يحملها بولو ، وفيها أنه يرسله لسموه ليكون تحت تصرفه ، وأن يعهد إليه بمباشرة مصالحه في مصر (١) - وكلفت أن أرد على هذه الرسالة فكتبت ردا مختصرا بالشكر له على اهتمامه بشؤون الخديو ومصلحه دون الإشارة بشئ إلى بولو ومشروعه ، خشية أن يقع هذا الخطاب في أيد أخرى ، ولكن لم يرق في نظره هذا الاختصار وعدم التصريح بمهمة بولو فلاحظت له . أن هناك خطرا في التصريح إذا ضبط الخطاب ؛ ومع هذا فقد حررت الرد بطريقة لا يستمسك فيها بشئ . فأخذ منى « المسودة » دون أن يكلفنى « تبويضها » فعلت أنه لم يقتنع بالرد وكتبه هو وصاحبه بطريقة لا أعلمها .

تفكير الخديو في ابعاد يوسف عن المشروع : وفى يوم ١٨ صرح لى بأن بولو يتضايق كسموه من يوسف صديق باشا ، وأنه كاد يهيم بالتخلي عن العمل لولا الخديو ، وأن من رأيه ابعاده نهائيا . فلاحظت أن هذا العمل خطر وربما كان سببا في أن يفشى يوسف الأسرار ويحدث مالا تحمد عقباه ، وأن الأفضل اتخاذ طريق غير محسوسة لابعاده . وقد كنت اتحدث مع الخديو بالعربية لحضور صاحبه معنا ، ولكن ظهر أنها فهمت لأنها قالت « شوية شوية » تعنى التمهل في الأمر ، وهذا ما كنت أخشى منه أكثر من خشيتى يوسف .

وفى يوم ١٩ سافر بولو باشا وعدنا نحن جميعا إلى فينا فوصلنا إليها صباح يوم ٢٠ .

وقد عاد يوسف يوم ٢١ من برلين وأخبرنا بما يأتى :
أورو : كان وزير الخارجية فى مقابلة سابقة معه قد طلب أن يشمل المشروع

(١) وقد انعم عليه الخديو برتبة الباشوية

تشكيل قلم مخبرة في سويسرا لنشر أخبار ألمانيا، والدعاية لها، ومحاولة إدخال ذلك إلى فرنسا وإنجلترا؛ ولكن بولو لم يوافق على هذا وقال : إن الأمر لو عرف لأعدم باعتباره جاسوساً ، وبسبب اشتراكه في المشروع ؛ وقد وافق الوزير على هذه الملاحظة أخيراً .

ثانياً : وكان الوزير قد عرض فكرة شراء أسهم في الفيجارو والطان فلم يوافق بولو أيضاً قائلاً : إنه لأهمية لها ويخشى أن يتعرض لانتقاد ألمانيا من جراء ذلك فيما بعد ؛ وقد ترك له الوزير الحرية في العمل

ثالثاً : يرى بولو ضرورة إنشاء جريدة سياستها « راديكال سوسيال (١) Radical Social » في باريس بتولى كتابتها محررون ينتخبهم هو ويعطيهم مرتبات ويختارون من أعضاء مجلس النواب الفرنسي أو مجلس الشيوخ .

رابعاً : إن خطة بولو ليست شراء الصحف ، بل شراء أصحابها ليكتبوا فيها مقالات بقصد بذر الشقاق بين فرنسا وإنجلترا ، ثم التكلم بعد ذلك في الصلح بغاية الاحتراس .

خامساً : طلب بولو أن يكون أول قسط مليونين ونصف مليون مارك ، والثاني كذلك ، وأما بقية الأقساط فتدفع مليوناً في كل شهر فوافق الوزير .

مطامع يوسف باشا وصاحبة الخديو : وفي اليوم التالي تقابل معي يوسف باشا فتحدثنا في الموضوع ، وجاء ذكر رجل اسمه « كافاليني » الإيطالي الذي كان يرافق بولو وقد علم منه بالمشروع وله رأى يقضي بشراء بعض الصحف الإيطالية ، وهو من معارف محمد يكن باشا فقلت : « لا بد أن مسيو كافاليني سيأخذ من بولو نصيباً من المال في مقابلة قيامه بالعمل في إيطاليا » قال : « هذا لما لاشك فيه وطبعاً بولو ، سيأخذ لنفسه مبلغاً ، ولا أدري لماذا نحن أيضاً لا نتفع ؟ فأني أنا الذي تحدثت مع وزير الخارجية ، وأنهيت المسألة ! فإذا أخذنا نحن أيضاً ثلاثة آلاف جنيه فهي قطرة من بحر ، وأنا كنت عازماً على أن أحادثك في هذا الموضوع لمقاتحة الخديو فيه . » ووعدني بأنه إن حصل على ما يطلب فإنه يهدي إلى جزءاً منه فلم أجبه بشيء .

(١) أحرار يشتغلون بالمسائل الاجتماعية وأخصها مسألة العمال

ولما كنت أعلم أن الخديوعازم على إعطائه مبلغ مائة ألف فرنك — ولابد أن هذا كان بالاتفاق مع بولو — فأنى وجدت من تحصيل الحاصل محادثة الخديو . وكانت صاحبه قبل هذا قد قالت لى : « إن يوسف باشا لابد أن يطلب مبلغاً كبيراً ، وحرصتى على طلب مبلغ فأجبته : « بأننى لم أقدم على مثل هذا الأمر من قبل ولم أطلب من الخديو شيئاً لى أو لأحد أقاربى ، فقالت « أقصد من يوسف » فامتعت أيضاً فقالت « إذن أنت أبله » فضحكت وقلت « فليكن ذلك وهو خير عندى من الطلب » .

وفى صباح ٢٣ مارس جاءنى يوسف باشا وقال لى : « سأطلعك على سر تعدنى بعدم إفشائه » فوعده بذلك . فقال : « إن صاحبة الخديو أخذت تلعب ، وسيفشل المشروع لأنها تطلب هى أيضاً سمسة مائة ألف جنيه وإلا أفشت السر : وما أظن أفندينا يرضى على نفسه أن يطلب من بولو مبلغاً لها لأنه عار عليه » قلت : « وأنا أيضاً أستبعد صدور طلب كهذا منه »

الدفعة الأولى وكيف انفقت : وقد أخبرنى كذلك يوسف باشا أن سفير ألمانيا طلب أن يقايله الخديو اليوم لتسلم الصك الأول بالدفعة الأولى ، ثم قال وسأطلب منه غداً صرف المبلغ لى ، وقد سافر الخديو إلى زوربخ للقبض ، وفيها قابله بولو لآخذه منه

وحصل يوسف باشا على مائة ألف فرنك ، ذكر لى أنه سدد منها أربعين ألفاً للخاصة وأهدى إلى منها عشرة آلاف ؛ وكان يحول بخاطرى أن الخديو هو الذى أو عز ليوسف بذلك ، لأننى منذ الحرب لم أتسلم منه مرتبى بينما كان يوسف يتسلمه آخر كل شهر

فشل المشروع : وقد علمت يوم ٩ مايو من يوسف صديق أن الدفعة الأولى استولى عليها بولو ، ولم يتفق منها إلا مائة ألف الفرنك التى سلمها له ، وأما الباقي فأعطى منه جزءاً « لكافاليني » واشترى ضيعة له بنصف مليون فى باريس ، واحتفظ بمابقى بعد ذلك !

وأما الدفعة الثانية فأعطى منها مائة وخمسين ألف فرنك لرجل فرنسى فى مقابلة كتابة بضع مقالات فى جرائد فرنسية من جرائد الاريايف ، ومبلغ نصف مليون وضع أمانة فى مصرف لشراء أسهم من جديدة الفيجارو ، وذهبت الاطاع بالباقي

وكان لهذا العمل أثره السيء في صلة الخديو بالألمان، وتشويه سمعته في نظرهم ،
وتصديق ما كان يشيعه عنه الإنجليز من المساوىء . وكان له أثره السيء كذلك في
صلة الخديو برجاله المصريين في السويس ، فقد كنا نرى أن الواجب رد بقية
النقود إلى ألمانيا خوفا من تشويه سمعة الخديو لدى الألمان . ولكن سموه كان يتألم
منا عندما نفاتحه في هذا الموضوع حتى إنه في مرة من المرات قال لنا في حدة :
« ياناس من قال عني اننى لص حتى أبدد نقود ألمانيا ؟ »

وفي يوم ١٢ نوفمبر تقابلت مع الشمسى بك وعلمت منه أن الخديو أرسل
تقريراً إلى برلين قال فيه بصدد هذه النقود : إنه موجود عنده مليون فرنك تقريباً
ولكن توجد بعض مبالغ لم يسو حسابها بعد وهو منتظر تسويتها

وبلغنى منه كذلك نقلاً عن الدكتور امستر الذى كان مدير مخازن الصحة بمصر
وأصل في مدة الحرب بالخديو أن الألمان لأول مرة قالوا للخديو : « قبل التفكير
في مقابلة الامبراطور يجب رد جميع المبالغ التى أخذتها من ألمانيا ! »

وفي يوم ١٩ منه قابلت سموه في فندق ناسيونال (وكان قد انتقل للسويسرة
كما سيأتى في فصل خاص) ثم حضر فريد بك قادماً من برلين فقال : « إنه قابل
وكيل الخارجية الألمانية ففاتحه في أمر النقود ، قائلاً : « إنها هى الحائل بين الخديو
وما يرجوه من مقابلة الامبراطور » ، وأن فريد كان يعتقد أن عباساً قد أعد الحساب
وأرسله ولكن وكيل الخارجية نفي له ذلك . فقال الخديو : « لقد أرسلت مسيو
امستر وسوى المسألة مع وزير الخارجية ! »

سفرى الى برلين ومهمتى بها : سافرت يوم ١٨ فبراير من فينا الى برلين لقضاء
عدة مهام منها ما يختص بمشروع بولو لفصل فرنسا عن إنجلترا في الحرب العظمى
وقد ذكرته تحت العنوان الخاص به ، ومنها أمور أخرى أذكرها هنا

المساعى لتسهيل زيارة الخديو للامبراطور : في يوم ١٨ فبراير قابلت موسيو
الكساندر المالى المعروف ؛ وكنت قد تعرفت به في مصر حين أنشأ البنك الالمانى
الشرقى قبل الحرب ، وهو عضو في عدة بنوك وله علاقة طيبة بالخديو ، وأبلغته تحيات
سموه فقبلها بالشكر وقال لى « إن سموه اكتسب في برلين سمعة طيبة ؛ وأنا مستعد
لقضاء ما يلزم سموه من الخدمات » ، ثم سألتى عما إذا كان في نيته الحضور إلى برلين؟
فأجبت به بأن ذلك ربما يحدث حيناً يتقرر أمر مقابلته للامبراطور ، لأنه لا يمكنه

أن يصاحب الحملة قبل أن يشكر جلالته عنايته بمصر والمساعدة الكبيرة التي تبذلها ألمانيا لخروج الانجليز منها

فسألني عما إذا كنت قد حضرت برلين لهذا السبب فأجبت : لا . ولكن يوسف باشا صديق مكثف أن يقابل وزير الخارجية الألمانية في مهمة ؛ وأن يتكلم معه في هذا الغرض . فطلب مقابلته قبل أن يذهب للوزير ، ليخبره بأهمية الاشخاص الذين يتحدث اليهم ، لأن « زيمرمان » وكيل الخارجية ذو نفوذ قد يفوق نفوذ الوزير

وقد كنت مكلفا من قبل الخديو أن ابلغ يوسف صديق باشا أن يتفاهم مع البارون أوبنهايم في تسهيل هذه المقابلة قبل أن يسافر سموه لمصر ، لأن سبب تأخيرها أن سفير ألمانيا لم يجد ضرورة لها بسبب اضطراب أفكار الاتراك نحو سموه ، أما الآن وقد خلعه الانجليز فالفكار قد هدأت ، وتأكد رجال الدولة أنه معهم

وفي يوم ٢٣ فبراير كان يوسف ذاهبا لمقابلة وزير الخارجية فيما يختص بمشروع بولو السابق الذكر ، فاتفقت معه على أن يحادثه كذلك في تسهيل زيارة الخديو للإمبراطور ، ويقنعه بضرورة ذلك لأسباب منها

أرى : أنه لا يحسن أن يعرف المصريون أن خديويهم جاء إلى أوروبا ولم يلتق بامبراطور ألمانيا مع أن سموه متجدد مع جلالته ؛ والاتراك يؤولون عدم المقابلة تأويلا يضر بالحملة ؛ والانجليز كذلك يروجون اشاعات في صالحهم

ثانيا : أنه لا يليق أن امبراطور ألمانيا لا يقابله مع أن حليفه امبراطور النمسا قد قابله دائما : أن اهتمام جلالته بمسائل مصر يستوجب أن يشكره سموه على هذه العناية ومن جهة أخرى أن الأسباب التي كانت تمنع هذه المقابلة قد زالت بزوال الوحشة التي كانت بين سموه وبين رجال الدولة

وقد تحدث يوسف باشا مع الوزير في ذلك فاقنع ، واتفق معه على أنه عند ما يدعى سموه للعودة الى الآستانة لمصاحبة الحملة يطالب من سفير الدولة أن يخبر الصدارة بأنه سيرجع بعد مقابلة امبراطور ألمانيا . وعندئذ لا تستطيع الصدارة أن تمنع في ذلك .

أما عن شخص الخديو فان الوزير قال ليوسف : إنه وإن كان لم يتعهد تحريرا

لسموه برجوعه إلى عرشه ، إلا أنه يصرح بأن ألمانيا تعاضده حتى النهاية للوصول إلى هذا الغرض .

ثم زار وكيل الوزارة فردد له ما يشبه كلام الوزير فيما يختص بالخدو وبعد عودته الى فينا روى لنا أنه في مقابلته الأخيرة مع محمود مختار باشا ، تحدثا في زيارة الخديو للإمبراطور ، فلم يجد منه مانعة ، بل وافق عليها ، وطلب معرفة وقتها ، لاعداد ما يلزم

سلف للبرنسات: وفي مقابلة أخرى مع الكساندر تكلمت معه فيما إذا كان يمكننا عقد سلفة للبرنس ابراهيم حلمي ، وللبرنسين فاطمة اسماعيل وحرم البرنس عمر طوسون ولدولة الوالدة فقال : إنه سيتكلم مع أعضاء مجلس ادارة بنك الدتش أوربان في ذلك ، ويعطيني جواباً ، ولكن هذه السلفة لم تتم ، واستعيض عنها بسلف من الحكومة التركية كما سيأتى .

الخدو ومحمود مختار باشا سفير الدولة في برلين :

كان من الأوامر التي تلقيتها من الخديو أن أبلغ يوسف صديق بالأا يقابل عند حضوره من روما الى برلين محمود مختار باشا^(١) سفير الدولة بها ، وذلك بسبب موقفه العدائى من سموه ؛ وإذا سأله أحد عن ذلك فيجيب : بأن المصريين يودون من صميم أفئدتهم مقابلة سفراء الدولة في أى مكان متى علموا أنهم يحترمون الخديو ، وإلا فيطرحونهم جانباً

ولما قابلت موسو الكساندر يوم ١٨ فبراير سألتى عما إذا كنت قد زرت سفير الدولة ، فأجبتة بالنفى لأن وقتى لا يساعدننى على ذلك. فسألتى عن علاقته بالخدو فقلت : « على ما سمعت أنها ليست كما يرام ، من وقت إحالة نظر وقف اسماعيل باشا على سموه^(٢) » فقال : « إننى آسف لوجود شقاق في هذا الأوان » ثم عرض على أن أقابله ، فقلت : « أنا رجل أفندينا ، وما دام الباشا يشعر بهذه الاحساسات نحو سموه ، فلا يمكننى أن أقابله ، وهو لا يرحب برؤيتى ، فإن أظهر هو الرغبة في مقابلتى ليكلفنى ابلاغ تحياته واحتراماته للخدو فأننى لا أتأخر » فقال الكساندر : « فهمت ما تعنى ، فدعنى أعمل ما أراه بدون مسئولية عليك »

(١) صور ج ٢ ق ٢ ص ٦

(٢) كان مختار باشا متزوجا بالاميرة نعمت هانم بنت اسماعيل

وفي يوم ٢١ حضر يوسف فأخبرته بالأوامر ومن بينها عدم مقابلته للسفير ، فلم يوافق على هذا الأمر الأخير ، وبعد المناقشة اتفقنا على أن نسترد بالبارون أوبنهايم ، وموسيو الكساندر في ذلك .

وفي يوم ٢٢ منه قابلنا الكساندر وعرضنا عليه الفكرة ، فقال إنه يسعى في إصلاح ذات البين ، وإنه سيقابل السفير ويدعوه للعشاء غداً .

ثم شرح له يوسف أسباب النفرة بينه وبين الخديو بطريقة طيبة ، وذكر أن العلاقات الشخصية بينه هو (يوسف) وبين السفير علاقات مودة واحترام . وفي يوم ٢٣ منه قابلنا موسيو الكساندر فعلمنا منه أنه قابل السفير ، فقال له : إنه يرحب بيوسف باشا . ولكن الكساندر حذره من الاندفاع في الكلام معه عن الخديو ، وأن يكتفي بالأحاديث الشخصية ؛ ففهمت أن إحساس مختار باشا نحو سموه لم يتغير .

وقد توجه يوسف لمقابلة السفير فاستقبله بلطف ، ثم ذكر يوسف له أن هذه أول زيارة رسمية يقوم بها ، لأنه يقدره ويعجب بفضائله ، ويعتقد أن إحساسه نحوه كذلك ، فرد عليه مؤكداً له صدق شعوره .

ثم دار الكلام عن الخديو ، فقال السفير : « إنني لأأسى حسن معاملته لى شخصياً . فقال يوسف : « إذا سلمنا جدلاً بأنه حدث من الخديو في مدة حكمه الطويلة بعض مساس بالمصالح الخاصة ، فإن الطريق السياسى الذى سلكه في هذه الظروف الحرجة يكفر عن ماضيه » فقال السفير : « نعم يعترف الجميع بذلك حتى أعداؤه ، ولهذا السبب لا تأخر عن معاضدته » ، فاكتمى يوسف بذلك ووعد مختاراً بزيارة أخرى يتبادل معه فيها حديثاً طويلاً .

وفي يوم ٢٥ فبراير وصلت إلى فيينا عائداً من برلين ، وعرضت على الخديو ما حصل في مسألة محمود مختار فقال : « إنكم لم تفلحوا فيها ، وكان يجب أن يكون موقفكم موقف دفاع ، حتى تروا ما يعمل ، ولا يكون موقف تذلل كما حدث » فأجبت إن قصدنا هو منعه عن الخوض في حق سموكم ، وقد وصلنا إلى هذا النتيجة . وفي يوم ٢٧ منه عاد يوسف باشا ، وأخبرنا أنه قابله مرتين بعد سفرى لقي فيهما منه حفاوة كبيرة ، وكلفه إبلاغ تحياته للخديو .

أحداث الحرب :

خطط هندبورج : في يوم ٢٢ فبراير قابلت موسيو الكساندر مع يوسف صديق ، تحدثنا عن خطط هندبورج الحربية ، وهي أنه في مدى شهر ونصف أو شهرين ، يكون قد أتم برنامج ضد روسيا ، وأجبرها على عقد الصلح ، لأن الجيش كله زاحف إلى الأمام : وفي عزمه أن يقطع المدد الذي يحضر من بطرسبورج بالحركات التي قرر اتخاذها مع النمساويين ، وبها يتمكن من كسر الروس فيدخل فرسوفيا أما الحرب مع فرنسا فتستمر في حالة دفاع من جهة الألمانين ، حتى تنتهي الحرب مع الروس ؛ وبعدها يحول جزء من الجيش إلى فرنسا ويبدأ الهجوم وهو يؤمل أن يصل إلى نتيجة حاسمة في زمن قليل ، فيعقد الصلح مع الفرنسيين وبعد ذلك تستمر الحرب بين ألمانيا وإنجلترا حتى تسحقها

موقعة الدردنيل وسفر الوالدة إلى بروسة : عند ما حدثت موقعة الدردنيل . استولى الفرع على سكان الاستانة فسافرت الوالدة منها إلى بروسة . فكلفني الخديو عند سفرى للاستانة أن أقابل دولتها ، وأبلغها أسفه لأن المفسدين أشاروا عليها بالسفر ، فأصبح الأتراك يدعون أننا نحن المصريين بعملنا هذا ، ندخل الخوف على سكان الاستانة

وفي يوم ٣١ مارس علبت من جلال الدين باشا أن البرنس عباس حليم هو الذى اقترح على الوالدة السفر إلى بروسة ، وصور لها الحالة بصورة مزعجة ، فأجرت باخرة ونزلت بها ، ولما كانت الريح جنوبية شديدة فقد عادت إلى الاستانة بعد ساعة ، وأخذت القطار من محطة حيدر باشا إلى مدينة داخل الأناضول ، ومنها سافرت بالعربات إلى بروسة ، فوصلت في أكثر من يومين

وفي يوم ١١ ابريل زرت الوالدة مع جلال الدين باشا ، فأبلغتها احترامات الخديو ، وقلقه عليها لوجودها في بروسة مع انتشار الجي بها ؛ وأنه يأسف لسفرها الذى بشر أقاويل الأتراك فقالت : « إن الزنابير فى الاستانة كادت تجننى ، وقد كنت خائفة ، أما أنتم فكنتم بعيدين عن الخطر » ثم سافرت على أن تعود دولتها للاستانة قريباً

وفي يوم ١٦ منه زرت أنور باشا فسألته عما إذا كان هناك خوف على الدردنيل فبنى ذلك قطعياً . ثم قلت له : « إن مولاي لم يستحسن سفر الوالدة لبروسة ،

وكانت أوامره لجلال الدين باشا ألا تترك الاستانة إلا إذا سافر منها السلطان ، فقال : « وهذه هي زوجتي « سلطان افندى » لم تترح اسلامبول ، فأخبرته أنني أفقعتها بالعودة قريباً

تنظيم مخبرات مع مصر وتدريب ثورة ضد الانجليز : في يوم ٤ مارس أطلعتني



البارون مكس اوبنهايم الملحق بسفارة
المانيا بالاستانة في مدة الحرب

الخديو على رسالة وبرقية من البارون مكس أوبنهايم بأنه سيصل الى فينا بعد غد فيقيم بها يوماً واحداً ، ثم يسافر الى الاستانة . وقال لي الخديو : « إن الأصوب أن تسافر معه ، وتحصل على ما لديه من المعلومات بصدد مهمته هناك وأن تحضه على السفر الى الشام لاستطلاع الاحوال بها »

وفي يوم ٢٦ منه حضر البارون وأخبرني أنه سيقم بالاستانة عشرة أيام وبعدها سيتوجه الى دمشق ، وقيم فيها لنشر الدعاية الاسلامية ، وتوزيع منشورات في مصر ، وأخذ أخبارها . وقد سأل عن اسماعيل بك ليب ، فأخبرته أنه يقيم في

دمشق ، فقال : انني أريد أن أجمع حولي الرجال المخلصين للجناب الخديوي ، فشكرته ثم أخبرني بما عاناه في اختيار رجال للحصول على أخبار مصر وصحفها ، فقلت له : « إن الخديو كان اختار رسمي افندى الضابط لأمر كهذا ، ولكنه حتى الآن لم يأت بفائدة »

وفي يوم ٢٧ منه سافرنا للاستانة ، ومعنا سكرتيره الالماني موسى كندلر وهو يعرف العربية لأنه مكث مع البارون عدة سنوات في مصر ، وعلى العناني افندى سكرتيره العربي ، وهو مصري تخرج في دار العلوم ، وأرسلته الجامعة المصرية الى برلين لاتمام دروسه .

الاتحاد الاسلامي : ولما خلوت بالبارون قال لي : « إن مهمتي تنحصر في نقطة واحدة ، هي جمع كلمة البلاد الاسلامية حول الخليفة ، على أن تكون كل بماسكة

مستقلة استقلالاً داخلياً ، ولكنها ترتبط بهذا المركز ، وأن هذا الوقت هو أنسب الأوقات للقيام بالحركة ، لأن الدول في وقت السلم تقاوم هذه الفكرة ، أما الآن فلا يمكنها عرقلة المساعي ،

إنشاء صحيفة عربية للدعاية : ولتنفيذ هذا المشروع فكر في تشكيل هيئة برئاسة شيخ الاسلام بالاستانة للدعاية وإنشاء صحيفة عربية لأذاعة هذه الفكرة في الممالك الاسلامية كلها ، على أن تطبع هذه الصحيفة في دمشق .

وسألني عما إذا كنت موافقاً على أن يشتري جريدة المقتبس ويوسع نطاقها ، فقلت : « إن اسمها لا يؤدي إلى الغرض الذي ترمى إليه ، والواجب إنشاء صحيفة باسم جديد مثل « الاتحاد الاسلامي » فوافقني على ذلك

ألمانيا تنفق على تنظيم المخابرات والدعاية : وقال : « إنني أحمل الأموال التي تلزم لذلك ،

ثم طلب مني أن أساعده في تحرير بيان باسماء المصريين بالاستانة والشام وأوروبا لانتخاب الأكفاء منهم في التحرير أو الدعاية ، وأن أبين له ميولهم السياسية وشرواتهم .. الخ

وأخبرني أنه يريد أن يجعل للصحيفة مخبرين في أهم المدن التركية والعربية ، وأن ينظم هيئات للدعاية في الهند والعجم والافغان ، فنهته إلى أن هذا العمل ليس يسيراً ثم كاشفني بأنه ينوي إسناد رئاسة تحرير الصحيفة إلى الشيخ جاويز ، ولكنني تمكنت من إقناعه بالعدول عن ذلك ، لأن الشيخ لم يعد موالياً للخديو بل يعمل ضده ، وهو في الوقت نفسه — كما علمت — غير محبوب من المصريين ولا السوريين ولا الأتراك ، حتى أن جمال باشا أبعدته عن مرافقة الحملة

ثم طلب مني أن أساعده كذلك في انتخاب مندوبين في روما ونابلي وأتينا لجمع المعلومات عن أحوال مصر ، وتشكيل قلبين للمخابرة أحدهما في نابولي والثاني في بيروت ، واستخدام بعضهم في الاتصال بالخلصين للخديو بمصر لاشعال الثورة وقت لزومها ؛ وأنه يعتقد أن بين أصحاب الطرق من يقدر على ذلك . ولهذا طلب مني ما يأتي :

استخدام ارباب الطرق :

١ — كتابة تقرير عن مشايخ الطرق في مصر وأمثالهم في الشام والاستانة والحجاز

٢ — البحث في مصر عن اشخاص أمناء يمكن أن ترسل اليهم الخطابات والنشرات ونسخ الصحيفة المزمع انشاؤها

وفي ١٢ ابريل زرت البارون ، ومعى الدكتور سيد كامل فقدمته له ، وكان قد حرر كشافاً بأسماء المصريين في الاستانة والشام وأوربا وملاحظاتنا عليه ، وتركته للاستمرار في العمل مع البارون ؛ وبعد ذلك اتفقنا على عمل برنامج يأخذ كل منا صورة منه . وقد أعددتاه فعلا في هذا اليوم مقسما إلى عدة فصول ، تتلخص فيما يأتي تحديد مهمة الجمعية السرية في مصر : تتلخص مهمة الجمعية في الحصول على أخبار صحيحة عن مصر ، والقيام بثورة عامة فيها تستمر حتى انتصار الحملة التركية ، وابلاغنا أولا بأول عن أخبار هذه الثورة ، وإمدادها بالوسائل التي لا تستطيعها في مصر .
نظام المخابرات مع الجمعية السرية بالاسكندرية :

١ — تكون « المخابرات » بين الوطنيين في مصر والخارج بواسطة أحد المصريين المقيمين بالاسكندرية ، حيث يكون للجمعية مركز سرى
٢ — يتصل مركز فينا بمركز الاسكندرية ، وعليه ارسال التعليمات اللازمة ، وكذلك يجب البحث عن مندوبين لارسالهم إلى طرابلس وأتينا و نابولي .
٣ — يؤلف مركز بسفارة المانيا في الاستانة يتصل به مركز فينا ويبلغه المعلومات التي ارسلت للاسكندرية ؛ وعلى السفارة الألمانية تزويد السلطات التركية والألمانية بالمعلومات

استعمال شفرة وحبر كياوى :

٤ — يكوى لدى المراكز الثلاثة بالاسكندرية والاستانة وفينا شفرة « صفر » بحبر خاص للمخابرات ، والمركز الأخير هو الذى يعدها باللغة العربية ؛ والأفضل وضع الشفرة بين أسطر المصحف ؛ ولا يعرف الوسطاء في نقل الرسائل شيئا عنها المندوبون في الاسكندرية و نابولي و اتينا و طرابلس : وقد فكرنا في أن يكون عبداللطيف المكباتى بك في مركز الاسكندرية ، لأنه مخلص وله أساليب مرنة يتخلص بها من المراقبة ، وعند رفضه يختار احمد حلى افندى

واختارنا أن يكون على الشمسى بك معتمدا في نابولي إذا قبل صديقه المكباتى أن يكون معتمدا في الاسكندرية : وفي حالة قبول الشمسى يقيم في نابولي ، ويقابل جميع المسافرين الآتين من مصر لمعرفة أفكارهم عن حالة البلاد .

فاذا رفض المكباتى والشمسى ، يختار اسماعيل لبيب بك فى نابولى ، وهو صديق
لأحمد حلمى افندى

ووقع اختيارنا على ابراهيم صادق افندى ، وكان ضابط مدفعية فى البحرية
العثمانية ليكون معتمداً فى أتينا ؛ وعلى محمد سلام افندى الضابط بالمحروسة على
الحدود الطرابلسية ، ليتسلم ما يرسل من أتينا ، ويسلمه لمعتمد الاسكندرية ؛ وعلى احمد
أبو على افندى الضابط بالجيش العثمانى ليكون مراسلا للجهات الصحراوية

وأن يترك سفر المراسلين إلى طرابلس لتقدير اسماعيل بك لبيب الذى يتصل
بأنور باشا ليأخذ منه خطابات توصية لشيخ السنوسيين ونورى بك شقيق أنور باشا
توصيل الرسائل : اتفقنا على أن يقوم احمد نور الدين افندى « بالمخابرة » مع
المكباتى لاستطلاع رأيه فى القبول أو الرفض ؛ وذلك بأن يكتب لزوجته فى مصر
ثلاث رسائل يقول لها فى كل منها : أن تزور المكباتى بك ، وتنبه إلى أنه سيأتى له
خطاب من أحد أصدقائه ، وانه لكى يقرأه يجب استعمال طريقة معينة (الشفرة)
وهذه الرسائل ترسل من جهات مختلفة مع بعض البحارة المسافرين لمصر ،
وعند وصولهم يلقونها فى صندوق البريد

وبعد أيام يكتب على الشمسى بك بين أسطر المصحف رسالة عادية بالخبر
الكياوى ، والشفرة التى ستستعمل لحل الرسائل ويرسله لأحد الطلبة فى مصر مع كتب
أخرى ؛ ثم تذهب زوجة احمد نور الدين للطالب ، وتتسلم المصحف منه ، وتسلمه للمكباتى
وبعد ذلك يرسل الشمسى رسالة للمكباتى مباشرة بطلب رأيه ، فيحلها بواسطة
الشفرة المرسلة فى المصحف

فاذا لم تنجح الشفرة فى المصحف ، تعاد فى رواية فرنسية تسلم لبحار ايطالى له المام
باللغة الفرنسية ، فيوصلها إلى مصر

وكذلك فكرنا فى طريقة أخرى لتوصيل الرسائل ، بأن توضع الرسالة بين نعل
حذاء ، أو طبقى ثوب يلبسه رجل نأتمنه ليسافر إلى مصر عن طريق ايطاليا بأى
سبب معقول ، ويسلمها للمكباتى . أو بواسطة سيدة ايطالية أو أمريكية تسافر لمصر
بهذه المهمة ، وعلى مركز فينا أن يفاضل بين هذه الطرق الثلاث

أما تبادل الرسائل ، فالمرسل منها لمصر يستحسن استخدام مصرى لأخذه من
نابولى ؛ فاذا لم يمكن يستخدم بحار طليانى . والمرسل من مصر للخارج يكتب فى
بطريق البريد العادى . أما الرسائل المهمة فترسل مع رسول خاص

البريد عن طريق أتيننا : كل التفصيلات السابقة تختص بارسال المخابرات عن طريق نابولى ؛ ويمكن فى المستقبل تنظيم المراسلات عن طريق أتيننا إلى الاسكندرية وعلى مندوب أتيننا أن يبحث فى الوسائل العملية لتنفيذ هذا المشروع باستخدام أهالى كريت من المسلمين لهذه الغاية ؛ ويسافرون بصفتهم أرواما مسيحيين

توصيل نقود ومفرقات : إذا أمكن عمل هذه الأشياء فى طرابلس فعلى مندوبنا هناك أن يتسلها ويوصلها إلى أقرب نقطة فى الحدود المصرية ، ويسلها لمن يعينهم مندوب الاسكندرية

وإذا لم يمكن صنعها فى طرابلس ، فعلى مندوبنا فى أتيننا أن يحصل عليها ويرسلها فى المراكب الشراعية المستعملة لاستخراج الاسفنج ، ويعهد بها إلى أشخاص موثوق بهم من أهالى طرابلس أو من مسلمى كريت لا يصلح هذه الأشياء إلى طرابلس . أما خطأ أتيننا ونابولى إلى الاسكندرية فلا يجوز استعمالها لخطورتها ، أما إرسال النقود إلى مصر فركز فيها يتدبره

طرق الدعاية الوطنية فى مصر : تقوم الدعاية على الأمور التى تنفر المصريين وتستثيرهم من عدوان الانجليز عليهم وعلى دولة الاسلام ، وعلى الاسباب فى شرح سياستهم الخربة للبلاد ، وايقاظ الحمية الاسلامية فى النفوس ؛ ولكن من الخطر إرسال منشورات كهذه بواسطة جمعيتنا السرية فى مصر ، فلو كشفنا رجالها وانكشفوا يقبض عليهم جميعا ، ويعدموا بمقتضى الأوامر العسكرية ، فيحسن أن تلقى الطيارات مرتين فى الشهر أو ثلاثا

وبعد الاتفاق على أسس المشروع المتقدمة طلب البارون وضع ميزانية له فوضعها الدكتور سيد كامل ، وأطلعنى عليها ؛ وهى تبلغ نحو ٢٥٠٠ جنيه نصفها لمعاونة المندوبين فى البلاد مدة اقامتهم وهى ثمانية شهور ، والنصف احتياطى للنفقات اللازمة تحليف المندوبين . وبعد ذلك اجتمعت فى جلسة مع البارون والدكتور سيد كامل واسماعيل بك لبيب الذى حضر من الشام ، فطلب البارون تخفيضها بخفضها إلى مبلغ ١٧٧٨ جنيها

ثم عقدنا جلسة أخرى حضرها نور الدين افندى وسالم افندى مندوبا طرابلس وابراهيم صادق افندى ، مندوب أتيننا ؛ وتوليت تحليفهم اليمين بالصدق فى الخدمة والأمانة فى العمل مع كتمان السر ، ووافق البارون على سفر نور الدين افندى فى الحال .

بينما موسيو كندلى سكرتيره لم يكن ميالا لاستخدامه ، بسبب ظهور حركة منه لم تعجبه ، وذلك أنه أطلعه على صورة زوجته بلا داع ، فاستدل من ذلك على خفته ، وعدم لياقته لمهمة عظيمة كهذه .

وبعد ذلك عدت إلى فينا وتركت الدكتور سيد كامل مع البارون لاتمام العمل
تقرير الدكتور سيد كامل : وفى يوم ١٥ مايو أرسل الدكتور تقريره عن
المشروع ، متضمنا الخطوات التى تلت ذلك ويتاخص فيما يأتى :
أن البارون حادث أنور باشا فى المشروع فوافق عليه بالاجمال

وفى يوم ١٠ مايو اجتمع البارون والدكتور ، واسماعيل بك لبيب ، واقترح الأول
إدخال تعديلات على المشروع تقضى بعدم استخدام البحارة فى توصيل المراسلات
إلا فى أحوال نادرة ؛ وأن تعطى التعليمات لمدوبينا فى أثينا و نابولى ليكونا مترقبين
حركة الذهاب والاياب من مصر إليها بالبوأخر لآخذ معلومات عن حالتها ؛ وأن
سفر مندوب طرابلس يجب أن يتأخر حتى وصول خطاب القبول من مندوب
الاسكندرية

وفى هذه الجلسة تناول البارون الميزانية بالتعديل فرأى أن يحذف منها ألف
جنيه مقرر « احتياطاً » لفقات المندوبين ، وأربعائة جنيه كان مقرراً لإرسالها
لمندوب الاسكندرية ، بسبب صعوبة الأرسال ، ووجود من يدفعها فى مصر من
المخلصين للخلافة ، وحذف مبالغ أخرى ، وصلت بعدها الميزانية إلى ٨٧٨ ألفاً فقط
ثم حادث البارون سفير ألمانيا فى المشروع حتى ينال موافقته ، ولكن السفير
قال : إنه غير محقق النتيجة ، فلا يستأيع تحمل مسؤولية نفقاته أمام الحكومة الألمانية
قبل عرضه عليها

وعندئذ عرض الدكتور سيد كامل على البارون أن يرفع المشروع إلى الخديو
ليصرف بما يراه ، فأجابه قائلاً : « إننى مافكرت قط فى أن أنخل عن الاشتراك
مع سمو الخديو فى عمل نافع لمصر ، وإنما نحن الألمان نحب دائماً أن نشترك مع
سموه فى العمل ، كما نشترك مع أنور باشا فى الشؤون العثمانية » وكلفه أن ينسخ صورة
من المشروع ليرفعها هو للخديو عن طريق السفارة الألمانية .

وفى يوم ١٢ مايو تقابل البارون وسفير ألمانيا ، وفهم منه أنه يوافق إجمالاً على

السلف والمرتبات التي تفررت للبرنسات والحاشية : عند حضوري للاستانة يوم ٣١ مارس علمت ، أنه بذلت مساع لدى الداخلية والحربية ، انتهت بتقرير ستمائة جنيه شهرياً للبرنسيس فاطمة اسماعيل ، واربعائة للبرنس ابراهيم حلي ، ونصف مرتب لموظفي القبول كخدائية ولعارف باشا

فسألت : ولماذا لم يعمم الصرف لجميع الموجودين بمعية الخديو ؟ فكان الجواب إن الصرف قد قرر لمن كان في الاستانة ، فقلت : « إن الأصوب أن يطرح هذا السؤال على المنوط بتسوية المسألة بالنسبة ليوسف باشا ، وكاوتسكي بك والشيخ محمد عثمان وأنا ، فاذا أمكن تعميم الصرف كان ذلك تخفيفاً عن الخديو ؛ وإذا لم يمكن يبلغ الأمر لسموه حتى لا يقول : « إن الذين في الاستانة فكروا في أشخاصهم ونسوا الآخرين »

وفي يوم ١٣ ابريل زرت عارف باشا ، فأخبرني أنه خاطب طلعت بك في ترتيب مرتبات لبقية الحاشية ، فطلب أن يكتب جلال باشا للصدارة مذكرة بهذا الطلب ؛ ولكن عارف خشى أن يرفضها الصدر ، فرجا طلعت أن تكتب المذكرة له هو ، فقبل ، لأن مبدأ الصرف سبق تقريره من الصدارة ، فقدم له المذكرة ، ووعد باحالتها على الحربية

وفي يوم ١٦ منه قابلت أنور باشا وأبلغته ما قاله طلعت بك لعارف ، ورجوته في الموافقة على الصرف حينما تحول المذكرة إليه ؛ ولما كنت على وشك العودة إلى فينا فأرجو أن يتيسر الصرف قبل سفرى . فطلب مني أن أحضر غداً ومعى بيان بالأسماء وبمقدار المرتبات وهو يأمر بصرفها ، وعند ارسال الأوراق من الداخلية تشفع باذن الصرف . وقد تم ذلك وتسلمت مرتبتي قبل سفرى .

وقد أظهر أنور باشا استعدادة لصرف ما يلزم للخديو شخصياً أو لنفقات

سراى جبوقلى

وفي يوم ٢٣ مايو (وكنت قد سافرت الى فينا ثم عدت الى الاستانة) قابلت أنور باشا في منزله ، وأبلغته تحيات الخديو ، وشكره على المساعدات المالية التي قررتها الدولة للمصريين ، أما فيما يختص بالصرف لسموه فانه سيراجعه إذا لزم ذلك . فقال : « لا يحتاج الجنازب العالى للمراجعة بل عليه أن يأمر بما يريد »

المشروع ، وأن تكون سفارة ألمانيا في الأستانة مركزاً من المراكز ، إلا أنه يرى ضرورة تقسيمة إلى قسمين : السياسى ويبقى على ما هو عليه ، والحربى الخاص بالقنابل والمفرقات فيترك لأنور باشا . وعلى ذلك نقصت الميزانية إلى ٣٢٨ جنياً والسبب فى تقسيم المشروع هكذا أن أنور باشا غير مستريح لتدخل الألمان فى شؤون الدولة العسكرية .

اسماعيل ليبب يفكر فى مشروع مستقل : ولما رأى اسماعيل بك ليبب هذه التقلبات التى لحقت بالمشروع ، عزم على الانفصال عن البارون ، وتنفيذ مشروع مستقل ؛ وذلك بأن اتفق ستة من الشبان المصريين فى كلية الطب والمدرسة الحربية الإعدادية بالأستانة ؛ وبث فيهم الروح الفدائية للقيام بأعمال وطنية فى مصر ، واتفق مع أنور باشا على تعليم أربعة منهم صنع المواد المفرقة ، وعلى أن يذهب الخامس للسويسرة الألمانية والثانى يذهب لمصر ، ويتلقى مراسلات من زميله ، وإذا أمكن دخول هذا الشاب إلى مصر أمكن التأكد من دخول الأربعة للقيام بأعمال تهديدية بالقنابل والمفرقات .

تقرير البارون : وفى يوم ٢٣ مايو وصل إلينا فى فينا تقرير من البارون أوبنهايم ، فاجتمعت اللجنة المؤلفة للنظر فى كل ما يهم الخديو لبحثه ، وبعد تلاوته تناقشنا فيما إذا كان الخديو هو الذى يتولى الاتفاق على المشروع الأسمى ، أم يترك الاتفاق حسب التعديل الأخير للبارون ، فاقترحت أن نتركه إليه ، ونقول له : « إذا كان العمل والاتفاق عليه سيضر بمشروع جريدته ضرراً مالياً ، فالخديو يقوم بدفع المبلغ كما هو فى الميزانية الأخيرة » إلا أن الخديو رأى أن نقبل المشروع المختزل ، وأن يكون تنفيذه بواسطة الألمان مع استخدام رجالنا ، حتى إذا فشل لاتقع التبعة علينا ، وأشار بسحب الدكتور سيد كامل من خدمة البارون ، فقلت : « إن الأحسن إبقاؤه ، لئلا يقال إننا نفرضنا أيدينا من الألمان » فوافق محمد بك فريد على ذلك ، وقال : « إن وجود الدكتور يفيدنا لأنه رجلنا ويمنع أى ضرر عنا ويخبرنا بكل ما يصنع البارون » .

فقال الخديو : « أنا حينما كنت أحضر مجلس النظار وأعارض فى مسألة ، وهم يخالفوننى فيها كنت أقول لهم : « الأغلبية فى جانبكم فأنا لاجيلة لى إلا ضم صوتى إليكم ، وأنا الآن أقول لكم ذلك » .



الشريف فيصل

فيصل ، فعلمت منه أن العلاقات كانت بين والده والوالى السابق وهيب باشا سيئة ،

الشريف فيصل ومهمته فى الاستانة

فى يوم ١٣ ابريل قابلت عارف باشا فأخبرنى أن الشريف فيصل بك (١) حضر إلى الاستانة من مكة ، يحمل من والده الشريف حسين شكوى من نادى الاتحاديين هناك ، لأنه ضبط جملة خطابات أرسلها النادى إلى المركز هنا يطلب فيها عزل الشريف حسين وتعيين الشريف على المقيم بمصر ، وذلك لأن الأخير استمال اليه أعضاء هذا النادى ومن بين هذه الخطابات خطاب بلوى بالشتائم للصدر . والشريف يهدد بالاستقالة إذا لم يبعد هؤلاء المفسدون وفى يوم ٢٣ منه زارنى الشريف



الجنرال وهيب باشا



الشريف حسين

(١) المرحوم الملك فيصل

وكان في معاملته له شديدا ، وربما كان متبعاً لأوامر الاتحاديين في ذلك ، وأنه كانت هناك دسائس ضد والده من الشريف علي بمصر والشريف حيدر بالاستانة اتهام الشريف حسين بموالاة الخديو ثم الانجليز : وأن والده وفق للحصول على بعض مراسلات بين زادي الاتحاديين بمكة ومركزهم بالاستانة ، ورأى فيها أنهم كانوا يهتمونه من قبل بالتشجيع للخديو ، والآن يهتمونه بموالاة الانجليز ؛ وأنه لما وصل إلى الشام أطلع جمال باشا على هذه الأوراق المضبوطة ، فطيب خاطره ؛ وحادثه في مساعدة العرب للدولة بالرجال عند تحرك الحملة على مصر ، وقد أظهر الشريف فيصل شعورا طيبا نحو الخديو .

عواطف العرب نحو الخديو : ثم قال : « ونحن العرب لو لم نعلم أن الدولة سترجع سموه إلى أريكته ما قبلنا مساعدتها ، ومما يؤسف له أن بعض المصريين يدسون الدسائس ضد خديويهم ، وقد رافقني الدكتور احمد فؤاد من الشام إلى الاستانة ، وعلمت منه أنه ضد سموه ، ولكنه إذا لم يعتدل فانتا لا نبقى له أثراً ، ثقة أنور وطلعت بالشريف حسين : ثم ذكر لي أنه لما حضر إلى الاستانة وأطلع أنور باشا وطاعت بك على الرسائل المضبوطة أظهر له أسفهما وثقتهما بوالده . فقال لهما : إن كانت ثقة الحكومة العثمانية به لا تزال فعليها أن تقدم الترضية . وقد أكد لهما أن والده مستعد للتخلي عن الأمارة إن لم تكن الثقة به متوافرة ؛ أما إذا توافرت هذه الثقة فانه يرسل الرجال ، وعلى الدولة مساعدته بالذخيرة والسلاح والمال ... ولم يحدد لي مقدار من يستطيع والده تجديدهم للحرب ، ولكنني فهمت أنهم نحو عشرة آلاف . وقال لي عن عرب الشام : « إنهم طيبون ، ومتى شاهدو عرب الحجاز تشدد الحماسة في قلوبهم »

العمل مع فيصل وأوبنهايم للتوفيق بين الشريف والأتراك : وقد اشتغلت بعد ذلك مع البارون أوبنهايم والشريف فيصل مدة أسبوع في عمل اتفاق نهائي بين والده والحكومة العثمانية ، وكنا تارة نجتمع في فندق بيرابلاس ، وتارة عند الشريف فيصل في منزله بأعلى بيوكدره وفي بعض الأحيان كنا نقضي السهرة عند البرنس ابراهيم حلمي ولا نرجع إلا بعد منتصف الليل ؛ وكان الشريف ناصر أخو الشريف حسين يحضر بعض الاجتماعات . وفي هذه الجلسات شرح لنا الشريف فيصل كل ما يختص بالحالة الحاضرة بين والده والأتراك وهي تتلخص فيما يأتي :



الشريف ناصر

١ - إن الحجاز يعتمد في مؤونته على المحصولات الخارجية التي ترد إليه بواسطة السفن الانجليزية ، لأن البلاد العربية تنتج محصولا قليلا وهي في حاجة إليه موضعياً ، فلا تكفي محصولاتها لتموين الحجاز ؛ علاوة على أن الخط الحديدي الحجازي ينتهي بمكة وهو خط فردي غير مزدوج ، فلا يستطيع القيام بسد حاجات التموين من الداخل ، فاذا انقطعت الواردات من الخارج ، حصلت مجاعة تجر إلى ثورة العرب ، وهذا هو الذي يضطر الشريف إلى التعامل مع السفن الانجليزية .

٢ - كانت العلاقات بين الوالي التركي وهيب باشا والشريف حسين يتخللها الجفاء وسوء الظن ؛ فكانت الحملات التي يجزها الشريف في بلاد العرب والعسير ليخمد بها حركات ضد السلطنة العثمانية ، تقابل بالريبة والحذر .

٣ - فيصل يلفت النظر للدسائس التي يقوم بها الامير جعفر الاخ الاصغر للأمر على حيدر المشترك في نادي الاتحاد والترقي بالحجاز ؛ والذي يطمع في عودة الامارة إلى أسرته .

٤ - بين الشريف فيصل دقة موقف والده في أثناء الحج بين الاجناس المختلفة والمذاهب المتعددة . يقابل ذلك أن الشريف ومن حوله يتمتعون بدخل عظيم من الحجاج ، وإذا وقع الحجاز تحت الحكم الانجليزي ، فان نفوذه يهبط كثيرا . فهو من هذه الوجهة مرتبط بالخلافة لارتباط جميع المسلمين بها ضد العدو المشترك ، فيجب أن يثق به الاتراك ويعدوا عن أذهانهم فكرة عزله ، وبذلك لا يدفعون به إلى اليأس حتى يستطيع أن يتظاهر أمام الانجليز بجياده التام فيضمن تموين الحجاز ويمنع عنه المجاعة والثورة . وبهذا يحفظ كيان الوحدة العربية

وقد انتهت هذه المداولات بيننا وبينه ، ثم بيني وبين أنور باشا وطلعت باشا

بالانفاق على ترضية شريف مكة وتأمينه على مركزه . وسلم السلطان لفصيل سيفاً هدية لوالده ، وكتاباً من طلعت باشا يؤكد فيه ثقته به .

وبعد ذلك سافرت من الاستانة إلى جنيف لأمور عائلية ثم إلى فينا . وقد وصل إلى تقرير من الدكتور كامل جاء فيه عن هذا الموضوع ما ملخصه :

أنه بعد سفرى اجتمع الشريف فيصل بالبارون في بيرا بالاس ، وحضر الدكتور الاجتماع ودار الكلام في تنظيم دعاية يقوم بها الشريف حسين في البلاد الاسلامية لأثارة شعورها وحيتها نحو الدولة ، فأبدى الشريف فيصل أن هذا المشروع يشمل ارسال المندوبين إلى البلاد الاسلامية ، التي ليست في حوزة الدولة وهذا العمل سهل . ولكن إذا أريد أن يتناول اشعال ثورات في السودان المصرى والهند الشمالية والصومال الانجليزى فان وجه المسألة يتغير ، وتجب ملاحظة ما يلزم من النفقات لذلك العمل الكبير . ثم أظهر أن والده قادر على اشعال ثورات في هذه الجهات . ولكنه هو لا يستطيع الآن أن يبين الطريق التي يسلكها لهذه الغاية ، كما أنه يقول هذا الكلام بصفة شخصية ، ولا بد من تصريح والده بالقبول

ثم عاد فعدل عن كلامه مكتفياً بارسال مندوبين للدعاية وإذاعة الأخبار ولكن البارون تشبث بما عرضه فيصل ، وألح عليه في بيان ما يلزم من النفقات . فأجابه بأن المبلغ يتراوح بين ثلاثين وأربعين ألف جنيه .

ثم قال الشريف : « إن أنور باشا دفع اليه خمسة آلاف جنيه لتجهيز قوة منظمة تلحق بالحملة الزاحفة على مصر ؛ وهو يخشى أن يمزج أنور بين هذا العمل الحربى ، والمشروع الذى يعرضه الآن ، والواجب التفرقة بينهما ،

وبعد ذلك ذهب البارون لسفير ألمانيا البارون ونجهايم ، وأطلعه على ما عرضه فيصل ، فأظهر ارتياحه لذلك ، وكلفه بمقابلة أنور باشا ، لأخذ رأيه ، وصرح له بأن الدولة إذا لم تدفع المطلوب فان ألمانيا مستعدة لدفعه

وفى يوم ٨ مايو تقابل الدكتور مع الشريف على انفراد فسأله باعتباره أحد رجال الخديو المخلصين ، عن رأيه في الخطة التي يتبعها مع رجال الدولة هو ووالده . فنصح له بالألا يحدد مبلغاً معيناً خشية عدم كفايته ، وأن يترك ذلك لوالده ؛ وأنه يحسن عدم التعهد باحداث الثورات في هذه البلاد من الآن ، حتى إذا لم يفلح المسعى اكتفى بالدعاية السلمية ؛ فوافق على نصائحه ؛ ثم طلب منه أن يبلغ البارون أنه يطلب لوالده

سداعلة تامة في كل ما يتعلق بالشؤون الحكومية في الحجاز تسهلاً لهذا العمل ؛ وأنه في حالة عدم النجاح والتشكك في والده ، فهو يفضل الاكتفاء بالدعاية .
وقد أبلغ البارون هذين الطالبين ، فرفض الحديث في الطلب الأول لأنه يعد تدخلا من الألمان في شؤون الدولة ، ووعد بالكلام مع أنور باشا في الطلب الثاني .
وقد تحادث البارون مع أنور ، فوافق على المشروع مبدئياً دون الدخول في التفاصيل .

المشروع النهائي وانتهاء مهمة فيصل : وفي يوم ٩ مايو قابل الشريف أنور باشا فسله رسالة الترضية ، وفي طيها ورقة بالتركية تشمل فقط المشروع المراد تنفيذه وهي مختصرة تتلخص فيما يلي :

- ١ - تسيير أحد أجنال الشريف مع قوة منظمة للالتحاق بالحملة على مصر
 - ٢ - إذاعة إعلان الجهاد في البلاد الإسلامية الأجنبية
 - ٣ - إرسال مندوبين لهذه البلاد وتوزيع الرسائل والمنشورات
 - ٤ - السعي للفتك بمن يراد قتلهم من الأعداء
 - ٥ - توصيل الأخبار التي تنمى الى الشريف من الخارج إلى تركيا
 - ٦ - الاتفاق مع الوالي على النفقات اللازمة لهذه الأعمال
- وفي يوم ١٠ مايو سافر الشريف من الاستانة
تقرير أوبنهايم : وقد كتب البارون أوبنهايم تقريراً عن هذه المسألة سرد فيه كثيراً من الحقائق التي تقدم ذكرها وما جاء فيه :
- « لقد كادت مهمة فيصل تنتهي بالفشل ، فرأيت من الواجب تلافي الحالة محافظة على التفاف البلاد العربية حول الخلافة ، وكان من الظروف الطيبة وجود أحمد شفيق باشا معي في هذا الوقت بالاستانة ؛ وقد كنت أعرفه من أيام وجودي بمصر ملحقاً عسكرياً للقنصلية الألمانية ؛ وهو يعرف فيصلاً من أيام حج عباس »
« وشفيق باشا هو الذي دبر اجتماعاتنا في بيرا بالاس بعد ما أخذ فيصل إذا من طلعت في أن يتفاهم معي »
« وقد وجدت أقواله التي أدلى بها مطابقة لمعلوماتي الخاصة التي جمعتها من تحرياتي »
« وفي مبدأ الأمر كنت متشككا في فيصل ثم وثقت به ، وتمكنت من إنهاء المسألة بمساعدة شفيق باشا الذي كان في مركز يسمح له بأقناع الحكومة التركية بحسن نية فيصل ، وفسح المجال له ليتصرف »

« ومن الغريب أن التقارير التي قدمها سير مكماهون وسير ونجت ، عن الميدان الشرقى ، دلت على أنهما كانا يبذلان جهداً عنيفاً لفصل الشريف حسين من الأتراك ولكن لم يحصل شيء من ذلك في خريف سنة ١٩١٥ لأن فيصلاً عاد من الأستانة مطمئناً .

« وكانت النتيجة أن حاصر الانجليز شواطئ الحجاز . ولو انضم الشريف اليهم في هذا الوقت الذى كان الاسطول يهدد الدردنيل لكانت ضربة قاضية على الأتراك ولكن فيصلاً ظهر فى الخريف بفريق من البدو إلى جانب الجيش الرابع الذى يقوده جمال باشا : ولو أنه لم يكن لهذا العدد القليل أهمية عسكرية ، ولكن كانت له دلالة معنوية كبيرة

« واختار فيصل بناء على طلب جمال باشا أن يقيم فى دمشق كأنه كان رهينة فى يده ، خشونة جمال باشا تسبب انضمام العرب للانجليز : وفى أثناء حديث بينهما طلب فيصل أن يراعى جمال باشا عواطف العرب فى الشام لأن اعدام بعض الوطنيين والمعاملة الشديدة التى عوملوا بها أثارت استياءهم فأجابه بحدة : « بأن ماعمله كان ضروريا ولو أن والده الشريف حسين حدث منه ما حدث من الوطنيين فى الشام لللقى جزاءه مثلهم »

فاستاء فيصل لهذا الجواب الخشن وأضمره فى نفسه ، وقرر أن يغادر الشام إلى الحجاز خفية .

وقد فعل وانتهت المسألة بانضمام شريف مكة للانجليز

الانجليز يعرضونه ولاية العهد على عبد المنعم : علقت فى يوم ٧ مايو من (ى . بك) أن الانجليز أوفدوا الى البرنس عبد المنعم ، شقيق قنصل الانجليز فى جنيف ، فعرض عليه قبول ولاية عهد السلطنة المصرية فأجابه الامير بالفرنسية :

“Pour qui vous me prenez, je ne suis pas un fils qui trahit son père „

وترجمتها « من تحسبنى ؟ لست الولد الذى يخون والده » وبذلك انتهت المسألة

الطوائف بين الحزبين ورماله والوطنيين وسفره الى السويس : فى يوم ١٢ يونيو اجتمعت مع يوسف باشا ومحمد فريد والشمسى والدكتور سيد كامل ولييب بك ، وقد

مذكرات ج ٣ ٥

عاد إلى فينا بأمر عباس ، فلاحظ يوسف باشا أننا نسير بلا نظام في عملنا ، وأنه وضع أسئلة للبحث فيها وتقرير خطة معينة للعمل بعد الجواب عليها

بحث موقف الخديو من جميع الوجوه : وفي يوم ١٣ اجتمعنا للبحث في الأسباب التي حملت المصريين الوطنيين عند إعلان الحرب الحاضرة على انضمامهم لتركيا وحلفائها ، وقررنا أن السبب ، هو الأمل في تخليص مصر من الاحتلال الإنجليزي ، والقيام بالواجب نحو الدولة العلية .

وكان السؤال الثاني : هل كان المصريون الوطنيون يؤملون إعادة استقلال مصر الداخلي حسب فرمانات وكان الجواب بالإيجاب وبحسبنا في السؤال الثالث : وهو ما الضمانات التي أخذت للوصول إلى تحرير مصر من الانجليز مع حفظ امتيازاتها ، والجواب هو ما أعلن في الإرادة الشاهانية ويحسن الاستزادة من هذه الضمانات

وفي يوم ١٤ منه بحثنا في الأسباب التي أدت إلى خروج الخديو من الاستانة فاستعرضنا هذه الوقائع واحدة فواحدة ، وبعد عدة جلسات كانت الآراء النهائية : أن ما حدث يدل على تحول في السياسة التركية نحو مصر والخديو . ورأى ثان - وهو رأى - أن هذا لا يدل على تحول بل ما حصل كان مجاملة للصدر الذي يحدد شخصياً على الخديو . ورأى ثالث باحتمال الرأيين السابقين . وعلى العموم فقد قررنا أن يتقرب الخديو من رجال تركيا وأن يعود إلى الاستانة لمناسبة شهر رمضان حسب دعوة السلطان ويقيم عدة مآدب يدعو إليها رجال تركيا

وفي يوم ١٦ اجتمعنا في جلستين واقترح يوسف باشا أن يتبع الخديو خطة تهديدية للحصول على ضمانات لمصر ولشخصه ، وذلك بأن يهدد بتنزله عن عرشه وإعلان ذلك لرجال تركيا وألمانيا والنمسا ، وهم يخشون تصريحاً كهذا يعرف عمل الحملة ، واسكتنا لم نوافق عليه ، واعتبرناه سلاحاً ضدنا للصدر يقنع به الألمان بعداء الخديو ، فسحب الباشا ولم يقيد في المحضر

وبعد ذلك عملنا تقريراً وافياً بواسطة الدكتور سيد كامل ، وعرضناه على الخديو يوم ١٨ منه فوافق عليه ، ماعدا نقطة التقرب من الاتراك فإنه تلقاها واجماً ؛ وعندما سمع قرارنا بعودته إلى الاستانة في رمضان ، جاهر باستيائه من هذا القرار ألم الخديو من بعض القرارات : وفي اليوم التالي بينما كنت داخل عند الخديو -

وقد عرفت أنه متوعك - سمعته يقول بعد التأوه « لما كنت في مصر كان الناس يقولون : إنني سبب الاصطدام مع الانجليز وسبب الارتباك التي تقع ، والآن هاهم أولاء يقولون : اني سبب الشقاق مع الانترك فأنا في حيرة » . وقد هممت أن أصرح الخديو في هذه النقطة برأى لولا أنني وجدته متوعكا ، فأشفقت عليه ، وصمت



عبد الله البشري افندي

خلاف الخديو مع رجاله : وفي يوم

٢٦ تقابلت مع « مدام روشبرن » صديقة فريد ، فأخبرتني بأن الخديو صار حبا باستيائه من قرارنا الذي يشير برجوعه إلى الأستانة لمناسبة شهر رمضان ، وقال : « إنه لن يعمل بهذا القرار ، وكذلك سمعت من عبد الله البشري افندي وكان قد وصل إلى فينا يوم ٢٩ منه أن الخديو متألم من قراراتنا ويقول عنا « هم يريدون انتحاري » !

سفر الخديو إلى سويسرة : في يونيو

وردت لي برقية من عائلتي بخيف لأسافر إليها ، فقلت ليوسف باشا : « إنني سأطلب

أجازة بضعة أيام فقال : « ولكني أنا أيضاً طلبت أجازة ، ورخص لي فيها ، فأجبت به بأنه يجب ألا نترك الخديو وحده . وكانت صاحبتة واقفة فقالت : « الخديو لا يريد أن يرى أحدا منكم ، فامتنعت لهذا الكلام وأجبتها بأنها غير صادقة فيما تقول ، وطلبت منها أن تتركنا نؤدى واجبا نحو أميرنا ، ثم أدرت لها ظهرى وخرجت غاضبا . وقد سافرت بأجازة بضعة أيام ؛ ولكن جاءتني برقية من جلال الدين باشا بأن أبقى لحين صدور أوامر أخرى ؛ ففعلت حيثئذ أر الخديو لا يرغب في وجودى كما صرحت صاحبتة

رأى رجال الخديو في موقفه : وقد اجتمعت هناك بالاستاذ فهمي وأطلعته

على قراراتنا فوافق عليها .

وفي يوم ١٢ يوليو قابلني على بك الشمسي ، وأخبرني أنه كان في « لوسرن » منذ

أربعة أيام ، وأن الجناب الخديوى حضر إليها ، وعلم منه ما يأتى :
أن سفير تركيا فى فىنا تكلم مع سموه فى السفر الى الاستانة لتمضية شهر رمضان
وقال له : إنه بلغه من فريد بك أن جميع المصريين على هذا رأى ، وأنه سيخاطب
وزير خارجية المانيا فى ذلك ، فظن سموه أن رأى سيتفق على ارساله الى الاستانة
رغب أم لم يرغب ، وخاف من ذلك . فقال للسفير : إنه الآن يغير الهواء وسيمر
على كارلسباد ، ومر عليها فعلا بالسيارة وحجز له غرفا فيها ثم رجع الى فىنا دون
أن يدخل الفندق ، وتنقل من مكان الى آخر فيها ، حتى جاء ميعاد القطار المسافر
من فىنا الى « انسبروك » فركبه هو وصاحبه وخادمتها ، ويوسف صديق وعبدالله
البشرى ، وجاءوا الى لوسرن بجواز ألبانى حرره له ثريا بك معتمد ألبانيا فى فىنا
بصفة سموه ألبانيا (يعنى أنهم هربوا)

وقد علمت أن هذا هو سبب غضب الخديو على وإرسال البرقية الى بالبقاء
فى جنيف

وأخبرنى الشمسى أيضا أن سموه يقول : « سيقول رجال الحزب الوطنى ومن
معهم (يعنى شفيق) إنتى خائن : وهم لا يعلمون شيئا من دخائل السياسة التى
أعرفها ، وأعرف ما ترمى إليه أعمال الأتراك ،

وفى يوم ١٣ منه اجتمعت معه وتفاهمنا فيما يجب علينا نحن المصريين بازاء
خروج الخديو بهذه الصفة ، ووجود اشاعة بأن سموه ينوى الاتفاق مع الانجليز
على أن يتنازل عن الخديوية نظير اعطائه مخصصات سنوية قدرها ٢٠ أو ٢٥
ألف جنيه ، وتولية ابنه بعد السلطان حسين . وقد قلت للشمسى بك : « انتى لن
اتقهقر أمام سموه عند مقابلتى له ، وسأسأله عن حقيقة نيته ، وإذا كان يريد التنازل
فانتا تتخذ الخطوة مع الأتراك والألمان لتولية البرنس عبد المنعم ، وهم يفضلون ذلك على
رجوع الخديو الى الاستانة » ثم استقر رأينا على طلب فريد للتفاهم معه فى الأمر

وفى يوم ١٥ منه اجتمعنا به وكان رأينا جميعا أن عمل الخديو يؤخرنا
خطوات ، بعد أن كنا تقدمنا خطوة بالرسالة التى بعث بها الى الصدر كما أسلفنا

ثم حضر عندنا يوسف صديق ، فأخبرنا أن الخديو فى الأيام الأخيرة كان يخفى
عنه أسراره ، ويتحدث فقط مع محمد باشا يكن ، وأنه برىء من الاشتراك فى
تدبير أمر الخروج من النمسا ، وصرح لنا بعزمه على ترك خدمته .

وفي يوم ٢٨ يوليو زارني عبدالله البشري ، وعلبت منه أنه حضر لمقابلة يوسف صديق وابلاغه رسالة قال عنها : « إنها ثقيلة » فقلت : « إن الأحسن إذا شاء الخديو أن يتخلص من أحد رجاله أن يكون ذلك بالحسنى ، بدلا من الانفصال بضجة » فقال عبد الله أفندي : « الظاهر أن أفندينا رامى طوبتها » وقال لي : « هلا تذهب لمقابلة الخديو ؟ » ففهمت أن عباسا هو المواعز بذلك ، فقلت : « إني لا أذهب ما دام عندي أمر من جلال الدين بألا أحضر إلا بطلب »

تهديد تركيا للخديو بسحب الأوسمة وشكوى عباس للسلطان : وفي يوم ٢٠ أغسطس

علمت أن ضيا بك قنصل جنرال الدولة في جنيف قابل الخديو — ولم أعلم في هذا اليوم ما دار بينهما — ولكن في يوم ١٣ سبتمبر لقيت الأستاذ فهمي فأخبرني أنه قابل الخديو فأظهر له تألمه من رجاله وأنهم خانوه ، فأبلغوا اسراراً قررت بينهم وبينه إلى سفير الدولة بفينا ، وهي الخاصة برجوعه إلى الاستانة في شهر رمضان . ثم قال له « والآن يحضر قنصل جنرال الدولة في جنيف ، ويهددني بأنني إذا لم أرجع فان الدولة تسترد مني الرتب والنياشين . وفي أي شيء تنفعني هذه الرتب ؟ وهل كان يصح أن يذهب شفيق وفريد ويخبرا سفير الدولة في فينا بسر من أسرارنا ؟ »

ثم خاطب الأستاذ فهمي قائلا : « والظاهر أنك وافقتهم على فكرهم ولا أعلم ماذا قالوا لك حتى اقتصعت » فرد : بأنه موافق نعم على فكرة الرجوع إلى الاستانة في رمضان ؛ فقال الخديو « وما هي الجريمة التي ارتكبتها في مجيئي إلى سويسرا ؟ وهل يخطر على بال أحد أنه بمجرد خروجه من النمسا اعتبر قد عزمت على الاتفاق مع الانجليز كما يشيعون ؟ ! »

وبعد خروج قنصل الدولة حرر الخديو الشكوى الآتية :

شكوى عباس من قنصل تركيا في جنيف : مولاي يا صاحب الجلالة . أتشرف

بأن أعرض على مسامع جلالكم أن أسبابا شخصية أوجبت على منذ زمن وجيز أن أذهب إلى السويسرة

وبناء على الأوامر التي صدرت من الباب العالي إلى قنصل جنرال الدولة العلية والتي استغرقت لها ، عرفني بأن وجودي في السويسرة غير مرغوب فيه ؛ وفي بلاغ آخر أمرني بالرجوع إلى الاستانة في الحال ، وطلب مني الاجابة اما بالقبول أو الرفض

بدون شرط ولا قيد . وفى ١٨ أغسطس أخطرت الباب العالى رداً على ذلك بأنه لم يدر بخلدى الامتناع عن الرجوع إلى الاستانة، وما كان حضورى إلى السويس إلا لأسباب اضطرارية واننى اكرر الاعراب عن اخلاصى لجلالتكم ، وولائى منذ تبوأ عرش مصر سنة ١٨٩٢ للدولة العلية صاحبة السيادة، وأن الحوادث الأخيرة لتدلكم على محبتي لجلالتكم واخلاصى لدولتكم، مما يفرضه على شعورى الدينى، ويوحى به إلى ضميرى

وقد مضت أربعة أيام بعد ارسال الرد المشار اليه ، وإذا بالقنصل يرى من واجبه أن يخاطرنى بالرجوع بواسطة محكمة احدى المقاطعات السويسرية فحضر عندى موظف من قبل البوليس المدنى فى يوم ٢٤ أغسطس ، لى يسلمنى شخصيا هذا الاخطار ، ومعه وصل طلب منى التوقيع عليه بما يفيد الاستلام، فلم يسعنى إلا أن أرفض رفضا صريحا ، لاجئنا إلى بابكم العالى محتجا على أعمال هذا القنصل وانى لأسائل نفسى — وما كنت انتظر هذه المعاملة من بعض رجال الحكومة السنية — أى شيء اقترفته حتى استوجب هذه الشدة وهذه الغلظة ؟ إلا أن هناك أراجيف وأكاذيب اشيعت فى الاستانة فوجدت آذانا صاغية وقلوبا واعية ، وهذه الأراجيف وهذه الأكاذيب من بعض ذوى النيات الخبيثة ، والنفوس الدنيئة ، يريدون بها ارضاء حزب يدعى خيانتى للدولة، وأنتى منفصل عن الغاية المنشودة ، واننى كنت متصلا ببعض الدول المعادية لها، وما أكذب هذا الافتراء وهذه الأقاويل ؟ لقد حضرت إلى السويس أكثر من مرة ، دون أن يستوجب حضورى سوء ظن الباب العالى ولو صح هذا الادعاء لكان الأولى به وقت وصول الجيوش الروسية إلى حدود أراضي المجر، والحملة على الدردنيل فى بادى أمرها . مع أنتى اليوم أرى أن الجنود الشاهانية تذود ببسالة عن حمى الدولة ، بينما جيوش المالك المتففة معها تنتصر فى الشرق انتصارات عظيمة متوالية؛ وأن الوقت لم يحن لانفصالى عن الغاية المقدسة المشتركة التى هى محور الرجاء وقبلة النظر ، واننى منذ صارت انجلترا وروسيا بدأ واحدة لم أر نجاة للدولة العلية إلا فى تقريبها من ألمانيا ؛ وتلك هى نظرتى التى لا يزال الزمن يؤكد لها . وأختم شكواى لجلالتكم بأننى أأمل غير الذى حصل وأرجو زوال الوسواس القائمة من شهور عدة بينى وبين الدولة العلية ، رغما عن

بذل مجهودى فى استئصالها ، والسبب فى كل هذا هو سوء ظن الحكومة العثمانية بما لا استحقه ، حتى استبعدت كل الاستبعاد منذ أكثر من عشرة شهور من مهمتى الحقيقية ، التى كان فى إمكانى أن أقوم بها لبلوغ الغاية العامة لبلادى وللدولة صاحبة السيادة ، وفى هذا الوقت العصيب أبدى لجلالتكم أننى أود أن أظل دائماً مخلصاً لجلالتكم صبوراً على تحمل الصعاب . وانى فى انتظار النتيجة النهائية التى أرجو أن تحصل ، فى عظمة ورفاهية دولة جلالتم

ببنى وبين الخديو : وفى يوم ٢٤ منه وردت لى رسالة من عبد الله البشرى يقول فيها : « ان الخديو أمره أن يكتب فى طلبى مع السرعة فى الحضور ، فسافرت إلى لوسرن . وفى صباح ٢٥ منه لقيت الدكتور سيد كامل ، ثم عبد الله البشرى ، وتوجهنا لمقابلة الخديو ، وكان فى الرياضة ، ولما دخل سأل : « كيف أنت يا شفيق ؟ » فأجبت : « بخير » وهممت بتقبيل يده فسحبها منى دلالة على أن فى نفسه شيئاً ، ثم جمعت مع كل المصريين الذين كانوا فى لوسرن ، وكان يقصد أن يعاتبنى بمسمع منهم حتى لا أستطيع الرد عليه بصراحة ، وهم : محمد باشا يكن ، والشيخ محمد عثمان ، وعبد الله البشرى ، والدكتور سيد كامل ، وغيرهم . ثم سألتى عن مقابلتى لسفير الدولة ، فنفيت ما نمى اليه من أننى أبلغت السفير شيئاً ، ودلت على كذب هذا الخبر بأن فريد لم يكن معى مطلقاً كما يقولون . وكذلك بعد سفرى الى الاستانة لم أتحدث إلا مع التحفظ ، فلما سئلت عما إذا كنتم سموكم ستزورون الاستانة فى رمضان أجبت : بآنى لا أعلم — وقد يقع ذلك إن شاء الله — وتلك هى رغبتنا جميعاً (وكررت هذه الجملة)

ثم خاطبت سموه بحدة قائلاً : « يا أفندينا كل الذين يعملون معك لا يعرفون نيائك وخطاك السياسية ، وكل منهم يخمن تخميناً فيما يريد ؛ وأنا أيضاً لم أفهم سياستك ولا أعرف الوجهة التى تقودنا إليها : وأنا بصراحة حتى المعهودة لا أستطيع أن أكنم عنكم ما أعتقد صواباً ، ولست كقولاء الذين حولك فهم لا يجسرون على مصارحتك بآرائهم ، ولقد تحالفنا مع الاتراك ، والآن إذا تركناهم فالى من نذهب بعد عدائنا للانجليز ؟ » فقال : « أما سياستى فهى الانتظار هنا حتى نعرف نتيجة الحالة »

وبعد ذلك قال سموه : « وهناك مسألة أخرى غير مسألة السفير التركى ، وذلك أنك لم تدافع عنى عندما هاجمنى محي الدين بك جلال بخصوص فكرة المستشفى بالاستانة ، فرددت عليه بأننى لم أقصر فى الدفاع عن سموه ، وتأدية الواجب الذى يحتمه على ضميرى

ثم تركته على أن أعود في الساعة الثالثة والنصف بناء على طلبه . وبعد خروجنا قال الدكتور سيد كامل : «لنجهت في ارجاع الخديو إلى فينا » . ولما اجتمعنا به حسب طلبه كانت المناقشة هادئة ، وحاولت اقناعه بخطر الإقامة في سويسرة إذ يفسر الاتراك ذلك بأنه عداء لهم ، ويدخلون هذا في روع الألمان ويزينون لهم ترك الخديو ، والحملة في طريقها إلى مصر ؛ ووافق الدكتور على ما قلت . فرد سموه بأنه لا يأتمن الاتراك ؛ ويعتقد أنهم لن يرجعوه إلى أريكته ، وكذلك هو لا يثق بالألمان لأنهم يحابون تركيا؛ وقد كذبوا عليه كثيرا في وعدهم له بمقابلة الامبراطور . فقلت : « يامولاي أن الألمان لا يريدون اغضاب الاتراك وإنه نظراً لسوء التفاهم بيننا وبين رجال الدولة تحاشوا مقابلة سموكم للامبراطور ؛ فاذا حسنا العلاقات مع تركيا تحسنت أيضا مع ألمانيا »

ثم خرجت والخديو غير مقتنع إلا برأيه بالبقاء في سويسرا
سوء ظن الخديو برجاله : وقد ظلت الحالة تتحرج بين الخديو والرجال الذين يعملون معه ، ويزداد سوء ظنه بهم يوما بعد يوم ، ويزيد ذلك في بعدهم وتفرقهم من حوله . ومن ذلك أنه في يوم ١٠ ديسمبر وكنت بحضرته قال عن فريد : «إنه كان مخلصا ووطنيا ولكن لما اختلط في أوروبا بالطلبة فقد مزايا الرجولة ، وأصبح يعتقد أن خلاص مصر اما يكون بانشاء جريدة يكتب فيها كلام ، في حين أن الكلام يذهب في الهواء والواجب هو الجهاد والتضحية ! »

وكان هذا بمناسبة عرض فريد لفكرة انشاء جريدة في سويسرة تدافع عن حقوق مصر ورفض الخديو ذلك في الوقت الذي اشترى فيه لصاحبه بعض الجواهر وأعطاهها مبالغ كثيرة من النقود الألمانية

ترويه انذار لعباس : وانظراً لهذه الاحوال دعوت كلا من محمد فريد بك وعلى الشمسي بك واسماعيل ليب بك والاستاذ محمد فهمي إلى منزلي ، وتذاكرنا في هذه الحالة ثم قررنا كتابة الانذار التالي لعباس :

« مولانا الخديو المعظم

« قامت الحرب الأوروبية من نحو عام ، وكان سموكم موجودا بالاستانة العلية ولما أردتم العودة الى مصر مقر الأريكة الخديوية منعكم الانكليز من ذلك ، عندها فكرتم في الاتفاق مع تركيا ، وقد تم ذلك بينكم وبين سعادة ناظر الحربية أنور باشا

وحضور ممثل دولة ألمانيا الفخيمة البارون وانجهايم ، وقد رأى الوطنيون أيضاً ضرورة اتفاق جميع طبقات الأمة المصرية على اختلاف احزابها ، والتفافها حول سموكم لاتهاز هذه الفرصة السانحة لتخليص مصر ، لذلك اجتمعنا بالاستانة وقررنا السير معاً للوصول إلى هذه الغاية الشريفة ، فلما شعر الانكليز بأن سموكم يعمل بالاتفاق مع رجال تركيا والوطنيين المصريين طلب سفيرها بالاستانة منكم السفر إلى إيطاليا للإقامة بها ، حتى تضع الحرب أوزارها ، فرفضتم الانصياع لأوامر الدولة المحتلة وفضلتم تحمل كل ما ينجم عن ذلك من النتائج السياسية وغيرها ، وقد وقع هذا العمل موقع الاستحسان لدى المصريين والعالم الاسلامي أجمع ، وفي أول شهر نوفمبر خاضت الدولة العلية غبار هذه الحرب الضروس ، وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٤ سافرت إلى ويانة حسماً للنزاع القائم بين جنابكم العالي ودولة الصدر الأعظم لأسباب أغلبها عائلية قديمة ، وفي ١٨ منه أعلنت انكسار الحماية على مصر ، وقررت عزل سموكم وتعيين حسين كامل سلطاناً عليها .

وقد اجتمع الوطنيون في مدينة لوسرن من أعمال سويسرة تحت رئاسة جنابكم العالي ، فقرر مبدئياً تعيين لجنة مركزية تعمل بالاشتراك معكم في جميع الأعمال السياسية ، وفي اجتماع آخر في ويانة تأيد هذا القرار ، ولكن نلاحظ مع الأسف إهمال تنفيذه . وفي شهر يونيه سنة ١٩١٥ اجتمع ممثلو الوطنيون بأوروبا مع بعض رجال حاشيتكم لبحث الحالة السياسية ، وتقرير الخطوة الواجب اتباعها لتحقيق آمالنا الوطنية ، وبعد عدة جلسات تقرر بالاجماع ضرورة عودة سموكم إلى دار الخلافة حتى تكونوا بجانب جلالة الخليفة المعظم في شهر رمضان إلى الأقل ليزول سوء التفاهم وتحسن علاقتكم الشخصية مع بعض رجال الحكومة العثمانية ، فرفضتم أولاً ، وبعد إلحاح شديد أفهمتمونا بأنكم ستروون في هذا الأمر . بعد ذلك سافر كل منا إلى وجهته ، وسافرت سموكم إلى كارلسباد بعد أن زرت جناب ناظر خارجية النمسا وسفيرى الدولة العلية وألمانيا ، وعرفتموهم بأن ذهابكم إلى كارلسباد هو للاستشفاء ، ثم تعودون إلى ويانه .

أقمتم ثلاثة أيام في كارلسباد ، ثم عدتم خفية إلى ويانه بعد أن خابرتكم سعادة يوسف باشا صديق لا تنتظاركم ؛ ثم سافرت ليلاً إلى السويسرة بدون أن يعلم أحد من حلفائكم بتغيير وجهتكم ، واستصحبتم معكم كل عفشكم ، وأتيتم إلى لوسرن بقصد الإقامة بها وعدم العودة كما ظهر لنا من أقوالكم أخيراً

ولما علمت الدولة العلية بمجيئكم إلى السويس بهذه الصورة غير المرضية داخلها الشك في أن قصدكم من وجودكم في بلد محايدة التمكن من مخافة الأعداء للانضمام معهم ضدها وضد حلفائها، فكلفت قنصلها في جنيف بأن يبلغكم رغبتها في أن تعودوا الاستانة منعاً للشبه، فوعدتم بأرسال الجواب على ذلك إلى الاستانة؛ وفعلنا كلفتم صهركم جلال الدين باشا الذي كان إذ ذاك بالاستانة بأن يقابل سعادة ناظر الداخلية طلعت بك، ويخبره بعزم سموكم على العودة في شهر سبتمبر، وبعد أسبوع تقريباً عاد إليكم القنصل، ومعه خطاب آخر يلح عليكم بالعودة في أقرب وقت، فرفضتم استلام الجواب المذكور، وأرسلتم جواباً إلى دولة الصدر، وآخر إلى سعادة ناظر الداخلية طلعت بك مظهراً استيائكم من هذه المعاملة، وقبل أن يصل إلى سموكم الرد على ذلك أرسلتم خطاباً آخر إلى جلالة السلطان مكررين الشكوى ومعانين عزمكم على البقاء بسويسرة حتى نهاية الحالة الحاضرة، التي تتمنون أن يكون ختامها في مصلحة الدولة أثناء مجيء أحدنا اسماعيل لبيب بك من الاستانة قابل في ويانة يوسف صديق باشا، وسأله عن أسباب ذهابكم إلى السويس، وصدور أمركم بقطع مرتبه؛ فقال: تركت الجناح العالي لأنه سائر في طريق سياسى مضر به وبالبلاد، ولأنه تمتنع عن أن يرد إلى الحكومة الألمانية مبالغ مليون وستمائة ألف فرنك الباقي لديه من مبلغ خمسة ملايين فرنك، كان أخذها ليصرفها في فرنسا وإيطاليا لمشتري الجرائد وبعض النواب ورجال السياسة، ولأنه يتخبر الآن مع فرنسا وانكلترا للحفاظ له أملاكه في مصر والواسطة في ذلك باغوص نوبار باشا وأغاطون بك الأرمنيين، وأنه كتب جواباً إلى بولو باشا الفرنسي يقوضه تفويضاً تاماً في مخافة الأعداء فيما يختص بمصالحه الشخصية، والمسألة المصرية؛ وأن هذا الجواب محفوظة صورته القتوغرافية في نظارة خارجية فرنسا. ولما أخبرنا اسماعيل بك بأقوال يوسف صديق باشا رأينا أن يسافر ليقابل جنابكم العالي، ويتحقق منكم صحة ما يفسه اليكم الباشا المذكور سافر إلى لوسرن ووجدنا شفيق باشا، فقابلنا سموكم معاً، ورضنا عليكم العودة إلى النمسا أو ألمانيا، فاظهرتم عدم الرغبة في ذلك مطلقاً؛ وكانت نتيجة المقليلة أن اعترف سموكم بقبض المبلغ وصرف أغلبه فيما كلفتم به؛ وإنكم ستصرون الباقي بعد عمل الحساب. أما عن مخافة الأعداء فنفيتموها، واعترفتم فقط بتكليفكم أغاطون بك بالذهاب إلى مصر للملاحظة أشغالكم الزراعية، وإفادتكم عنها. بعد ذلك سافر إلى لوسرن

فريد بك وعلى الشمسى بك، وقابلا سموكم أيضاً، فكان جوابكم لها كجوابكم لزميلها
ثم أطلعتموهما على صورة الجواب الذى أرسله جنابكم العالى إلى جلالة السلطان
وسبق ذكره

« يلاحظ الموقعون على هذا بكل أسف، أن سمو الخديو لم يحسن عملاً فى قبوله
التوسط لدى رجال الصحافة والسياسة فى فرنسا وإيطاليا، ووضع نفسه موضعاً لا يتفق
مع كرامة سموه وشرف الأمة التى يمثلها جنابه العالى، كما أنهم يلاحظون أيضاً أن سموه
مخاطب بأشخاص من رعايا الدول المعادية، وله بواسطتهم علاقات مع تلك الحكومات
لا نعرف حقيقة، ونعرف من هؤلاء الوسطاء الميسر بولو (باشا) الفرنساوى
والميسر كافاليني الطليانى، ومدام روشبرن الفرنساوية التى تحمل جوازين أحدهما
فرنساوى والآخر ارجنتينى

« وقد استدعاها سموه إلى ويانه ثم أرسلها إلى فرنسا بمأمورية كما تدعى، وهى معرفة
أفكار الفرنسيين والانجليز نحوه، وهل يوجد استعداد لديهم للدخول فى المحاربة
معه، وقد قالت إلى أحدنا الشمسى بك، إنها قابلت سكرتيرة سفارة انكلترا بياريس، فظهر
لها أن الحكومة الانكليزية لا تود مطلقاً الدخول فى مخاضات مع سموه لأنها
تعتبره كمية مهمة، لأنه مجرد عن كل نفوذ حقيقى؛ وإذا كان معه الآن الوطنيون
الذين كانوا بالأمس ضده، فما كان ذلك إلا لأنه سائر فى طريقهم، فإذا أراد
الاتفاق معنا انفضوا من حوله. أما رجال السياسة فى فرنسا فقالوا إنهم مستعدون
للتوسط بينه وبين الحكومة الانكليزية، لضمانه أملاكه بعد أن يتنازل عن حقوقه
فى الخديوية، وأن يعلن الأسباب التى حملته على ترك ألمانيا، وتركيا بشرط أن تكون
تلك الأسباب مثبتة، وتدل على خيانتهم له؛ وقالت لغيره أيضاً: «إن سموكم طلبتم منها
الذهاب إلى الاستانة، وعمل المساعى اللازمة بواسطة من تعرفه هى من الضباط الأتراك
للتوصل للذهاب إلى جناح قلعة لزيارة معاقل الدردنيل، وتقديم تقرير عنها لسموكم،
» وبهذه المناسبة نذكر أن من ضمن ما قاله يوسف باشا إلى أحدنا اسماعيل بك
الليب إنكم قلتم له بأن لديكم معلومات ورسوماً مهمة جداً عن جهات الاناضول
تريدون تقديمها إلى إيطاليا إذا دخلت الحرب ضد تركيا

« ورغما من أن اسماعيل بك حذر سموكم من هذه المرأة لما يحيط بها من الشكوك
فانها فى ثانى يوم حضرت إلى لوسرن، وتشرفت بمقابلتكم مرات عدة، وتدعى الآن
أنكم ستدعونها قريباً لتقيم بجواركم

لذلك يرى الموقعون على هذا أنه من الواجب عليهم نحو سموكم، ونحو مصر العزيزة أن يلتمسوا من جنابكم العالى، أولاً - رد ما يكون باقيا لديكم من نقود ألمانيا فوراً - ثانياً - قطع كل علاقة مع هؤلاء الأشخاص بولواخوان ومن على شاكلتهم - ثالثاً - العودة إلى الاستانة أو على الأقل إلى إحدى بلاد ألمانيا أو النمسا - رابعاً - تنفيذ ما تقرر في اجتماع لوسرن في شهر ابريل الماضى، وتأييد في اجتماع ويانه في شهر يونيه، من وجود لجنة مركزية تمثل الوطنيين بجانب سموكم لتشترك معكم في كل الأعمال السياسية الخاصة بمصر

هذه هي طلباتنا يا مولانا، نقدمها بكل احترام إلى سموكم، راجين قبولها لأن فيها دون غيرها تحقيق آمالنا، وحفظ شرف خديونا وكرامة أمتنا، وإننا نعد سموكم بأننا نعمل معكم إذ ذاك بكل إخلاص وصدق كما كنا للآن، وإلا فواجبنا الوطنى يحتم علينا أن نسلك طريقاً آخر، يكون فيه تحقيق آمالنا، وسلامة وطننا العزيز

المخلصون لسموكم

محمد فريد - على الشمسى - اسماعيل لبيب
محمد فريدى - احمد شفيق



على الشمسى بك



محمد فريد بك



الاستاذ محمد فهمي



اسماعيل ليب بك

وتقرر بينا أن أرفع أنا هذا الأندار للجناب الخديوى، ولكن لما علمنا أن الخديو - رغم مراضة صاحبه لوزائج الفرنسية - قد سوى حساب باقى النقود الألمانية مع موسيو پادل - الذى انتدبه وزارة الخارجية الألمانية لهذا الغرض - عدلنا عن تقديم الأندار وانتزعنا امضاءاتنا منه

شؤره مختلفه :

محج باشا فى نظر الالمان : فى يوم ١٩ فبراير قابلت موسيو الكساندر فسألنى عن رأى فى محج باشا، وعما إذا كان مخلصاً للخديو ؟ فقلت : « الظاهر أنه مخلص ، وأخبرته بما ورد فى كتاب رشدى باشا بقبول النظارة السلطانية فى مصر ، وخروج محج منها ، وأنه يفهم من هذا الكتاب عدم مشاركته للنظار فى تصرفهم . فقال الكساندر : « إن محجاً أرسل الى الأستاذة ثم إلى إيطاليا من قبل الانجليز للتجسس على المصريين الذين أبعدها من مصر ؛ وسأنقل كل ذلك شفهاً للخديو ؛ ولو حضر محج باشا لبرلين ؛ وطلب منى أن أعطى معلوماتى بخصوصه ؛ فلا أقول إلا بمنعه من الإقامة وطرده منها

وفى يوم ٢١ منه سأل البارون اوبنهايم يوسف صديق عن محج ، فأجابه

بأنه يظن أنه مخلص للخديو، ولو أن المصريين لا يرون ذلك، لاعتقادهم بأنه صنيعة الانجليز

وقد سألتى البارون كذلك فأجبت بما أجبته به الكساندر، وتبين لى أن سبب هذه الأسئلة أن البارون قابله، وهو معجب بأفكاره ويريد التأكد من إخلاصه حفلة وداع لهندي كبير وخطبتي فيها: في يوم ٢٢ ابريل دعاني محمد بركة الله افندي الهندي، وكنت قد تعرفت اليه من قبل عند البارون أو بنهايم، لتناول الشاي في فندق شاهين باشا بالآستانة. وكانت هذه الحفلة قد أقيمت لوداعه قبل رجوعه إلى الهند للقيام بأعمال اسلامية. وقد حضرها نحو ثلاثين مدعواً من بينهم الدكتور نظمي، وهو عضو مسلم في جمعية الاتحاد، وأسعد باشا الحكيم، والشيخ الرئيس العجمي، ومن المصريين الدكتور سيد كامل، والدكتور أحمد فؤاد، وحلى مسلم وحضر كذلك البارون.

وبعد تناول الشاي ألقى بركة الله خطاباً بالعربية، شكر فيه الحاضرين على تلبية الدعوة ثم ودعهم بأسلوب لطيف.

وقام بعده أحد الحاضرين فتمنى له سلامة الوصول، ودعا للمسلمين، والخليفة السلطان محمد رشاد

ثم أعقبه البارون فقال بالعربية: «إنه هو وإخوانه الألمان مسرورون باتحاد العناصر الاسلامية لتقوى بالاتحاد، وألمانيا تساعدهم لأن ذلك في صالحها وصالحهم». وبعد ذلك دعاني بركة الله لأقول شيئاً فقلت: «ماذا أقول بعد ما سمعناه من الخطباء إلا الأعراب عن الغبطة والسرور بهذا الاجتماع، وإلا أن تمنى لبركة الله افندي السلامة في السفر والأقامة، والنجاح في مهمته، ثم طلبت اليه أن يهدي تحياتنا لأخواننا الهنود ويقول لهم: «إن الفرصة سانحة للمسلمين ليهبوا من رقادهم، ويتحدوا قلباً وقلماً، فيدالله مع الجماعة، وينبغي أن نلتف جميعاً بحرم الخلافة لتكون لنا وجهة واحدة».

وقد انفضت الحفلة ولم يخاطب فيها أحد من الأتراك

الاتحاد العربي: في يوم ١١ مايو كنت مسافراً من فينا إلى جنيف لأمر عائلية. وقد لقيت ابن محمد علي وشكري بك سكرتيره. ولما انفردنا قصص على البرنس أموراً هامة عن بلاد العرب، فقال: إنه في العام الماضي شكلت لجنة سميت بالمؤتمر تحت

رياسة سموه وفيها من الأعضاء : طالب بك من البصرة ، ومندوبون عن الشام ومكة والادريسي وغيرهم . وكان الغرض من المؤتمر السعي إلى توثيق الاتفاق بين أمراء الجزيرة وإنشاء إدارة داخلية خاصة لكل منطقة يحكمها أمير عربي ، وأن تنتخب الدولة حكاما وقضاة يعرفون العربية . وأن تدرس اللغة العربية في جميع المدارس بتلك البلاد .

ولكن لما كانت الضغائن بين أمراء العرب شديدة ، فكروا في انتخاب الحديو للرياسة . ونظراً لما يعلمونه من تردده قر قرارهم على انتخاب البرنس محمد علي . ولما نشبت الحرب توقفت أعمال المؤتمر وقر القرار على توصية العرب بأن لا يتمرّدوا على الدولة ، بل عليهم مساعدتها حتى ينهى الحرب ، وبعد ذلك ينظر المؤتمر فيما يجب عمله



الاستاذ عبد العزيز الثعالبي

وقد عرفت فيما بعد من الوطني الكبير الأستاذ عبد العزيز الثعالبي أنه تألفت لجنة عربية في باريس لعقد مؤتمر عربي بها : وفي يوم ١٨ يونيو سنة ١٩١٣ افتتح المؤتمر جلسته الأولى في قاعة الجمعية الجغرافية برياسة السيد عبد الحميد الزهراوي ، وشهده ثلاثة وعشرون مندوباً عن مختلف البلاد العربية . ثم عقدت ثلاث جلسات أخرى وانفض المؤتمر على القرارات الآتية :

١ — إن الإصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية فيجب أن تنفذ بوجه السرعة .

٢ — من المسلم به أن يكون مضموناً للعرب التمتع بحقوقهم السياسية، وذلك بأن يشتركوا في الإدارة المركزية للمملكة اشتراكاً فعلياً .

٣ — يجب أن تنشأ في كل ولاية عربية إدارة مركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها

٤ — كانت ولاية بيروت قدمت مطالبتها بلائحة خاصة قبلت يوم ٣١ يناير سنة

١٩١٣ باجماع الآراء، وهي قائمة على مبدأين أساسيين وهي توسيع سلطة المجالس العمومية، وتعيين مستشارين أجانب؛ فالمؤتمر يطلب تنفيذ هذين الطلبين وتطبيقهما

٥ — اللغة العربية يجب أن تكون معتبرة في مجلس النواب العثماني، ويجب أن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية رسمية في الولايات العربية

٦ — تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية، إلا في الظروف والأحيان التي تدعو إلى الاستثناء الأقصى

٧ — يتبنى المؤتمر على الحكومة السنية العثمانية أن تكفل لمصرفية لبنان وسائل مالياتها

٨ — يقرر المؤتمر ويظهر ميله لمغالب الأرمن العثمانيين القائمة على أساس اللامركزية، ويرسل لهم تحياته بواسطة مندوبيهم، ويحيي العراق

٩ — يجرى تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية

١٠ — وتبلغ هذه القرارات أيضاً للحكومات الأوروبية. ويشكر المؤتمر الحكومة الفرنسية شكراً جزيلاً لترحابها الكريم بضيوفها وقرر المؤتمر كذلك قرارات داخلية أخرى هي :

١ — إذا لم تنفذ القرارات التي أقرها هذا المؤتمر، فالأعضاء المنتخبون في لجان الإصلاح العربية يتمتعون من قبول أى منصب كان في الحكومة العثمانية إلا بموافقة خاصة من الجمعيات التي ينتمون إليها .

٢ — تكون هذه القرارات برنامجاً سياسياً للعرب العثمانيين، ولا يمكن مساعدة أى مرشح في الانتخابات التشريعية إلا إذا تعهد من قبل بتأييد هذا البرنامج وطلب تنفيذه .

٣ — المؤتمر يشكر مهاجري العرب على وطنيتهم في مؤازرتهم له .

وقد حمل القرارات الأولى إلى وزير خارجية فرنسا وفد عن المؤتمر برئاسة رئيسه فاستقبله الوزير بالترحاب، وألقى تصريحاً أوضح منه للأعضاء أنه يريد اتخاذ عمل المؤتمر ومساعيه سبباً للتدخل في شؤون تركيا، فبادر أحد أعضائه بالرد على ذلك مؤكداً أن البلاد العربية لا تريد إلا تأييد فرنسا لها في مطالبها الإصلاحية، مع إخلاصها للدولة، وتمسكها بالجنسية العثمانية

وقد أرسلت جمعية الاتحاد والترقي مندوباً تركيا وهو مدحت بك شكرى للاتصال بالمؤتمر في باريس . وقد تم الاتفاق بينه وبين أعضائه على ما يأتي

- ١ - يكون التعليم بالدورتين الابتدائية والثانوية في جميع البلاد العربية باللغة العربية ، ويكون بالتركية في الأقسام العالية .
 - ٢ - يكون جميع رؤساء المصالح والموظفين ، ما عدا الولاة ، عارفين باللغة العربية . ويكون تعيين القضاة ، ورؤساء القضاء الذين ينصبون بأرادة سنية في العاصمة . أما من عداهم من الموظفين فيعينون من الولاية .
 - ٣ - تترك اإدارة الأوقاف الموقوفة للجهات الخيرية المحلية لمجالس الجماعات المختلفة
 - ٤ - تترك الأمور النافعة (الأشغال العامة) للإدارة المحلية .
 - ٥ - يخدم المجندون في المناطق العسكرية القريبة من بلادهم ؛ ويختار الجنـد الذين تدعو الحاجة إلى إرسالهم إلى اليمن وعسير بنسبة عادلة من جميع أبناء السلطنة العثمانية .
 - ٦ - مقررات المجالس العمومية تكون نافذة فيما هو من اختصاصها القانوني .
 - ٧ - يكون مبدئياً في الوزارة ثلاثة من أبناء العرب ، ويعين منهم عدد من المستشارين والمعاونين في الوزارة ، ويكون منهم اثنان أو ثلاثة في كل مجلس من مجالس شورى الدولة ، وبحكمة التمييز ، والمشايخ الإسلامية ، وبقية المصالح الأخرى ، ويكون منهم أربعة أو خمسة على الأقل في الدوائر المختلفة من كل وزارة .
 - ٨ - يعين خمسة ولاة على الأقل من العرب ، وعشرة متصرفين ، وينصف الذين لم يرقوا منهم . ويعاملون معاملة زملائهم من موظفي الملكية والحقانية والشرعية الترك .
 - ٩ - يعين عدد من العرب في مجلس الشيوخ بنسبة اثنين من كل ولاية .
 - ١٠ - يستخدم مفتشون اختصاصيون من الأجانب في كل ولاية بنسبة الحاجة وتحدد وظائفهم واختصاصهم بنظام خاص
 - ١١ - تكون المعاملات الرسمية في البلاد العربية باللغة العربية على أن ينفذ ذلك تدريجياً .
- وقد حمل المندوب العثماني هذه القرارات إلى الاستانة ومعه أحد أعضاء المؤتمر بعد ذلك أعلنت الحكومة العثمانية عزمها على تنفيذ الإصلاحات ، فاستصدرت بذلك إرادة سلطانية في ٣ أغسطس سنة ١٩١٣
- وقد ارتاح العرب لذلك وعدوه خطوة طيبة في سبيل تحقيق مقاصدهم ولكن هذه الإصلاحات وقف تنفيذها نظرا لأعلان الحرب ، وماحدث بعد ذلك من الجفاء بين العرب والدولة

وقد أطلعت حضرة صاحب السعادة عزيز على المصري باشا على هذا الموضوع فقال:
« عقد هذا المؤتمر وأنا في بنى غازى، وكنت قد استقلت من الجيش العثماني اثر
انعقاد الصلح مع ايطاليا ، لأداوم على الدفاع عن بنى غازى ، وذلك بناء على رجاء



عزيز على المصرى باشا

رؤساء العشائر، غير أنى أتذكر أن نسخة من
قراراته وردت إلى مصحوبة بكتاب يحثنى على
طلب تنفيذها من الدولة العثمانية وبقية الدول
ولما كان هذا الكتاب قد وصلنى
مع أخبار اندحار الجيوش العثمانية في
البلقان ، ووصول البلقانيين إلى ضالجة ،
فانتى أجبت بأنه لا يمكننى تنفيذ هذه
القرارات أو التفكير فيها ، في وقت انزمت
فيه الجيوش العثمانية هزيمة ترجع أسبابها
في اعتقادي للاختلافات الحزبية البرلمانية
التي شتت آراء الجيش مع قوته .

وأرى أن واجب العرب في الوقت الذى
هزم فيه الجيش العثماني أن يهبوا كرجل واحد

لدرء هذا الخطر ، فيكسبوا بذلك ما يطلبونه ، مع ارتياح اخوانهم العثمانيين وتقديرهم
أما الاستفادة من هذه اللحظة الخطيرة أمام العدو المشترك فهي سياسة لا تتفق
مع الشهامة الشرقية ، الأخلاق السكريمة الموروثة في العرب

على أن أكثر هذه القرارات لم يكن مخالفا للرأى ، ومانع من أنها لا ظروفا من جهة
ولانعقاد المؤتمر في باريس ، مع ما هو معلوم من ميول فرنسا للاستعمار في سوريا ،
ولأن المؤتمر قدم قراراته لوزير خارجية فرنسا ، وهذا ما عدته خيانة للجامعة الشرقية
وبسبب موقفى هذا أصبح المرحوم الزهراوى ضدى ، ولهذا أيضاً قررت
انشاء « جمعية العهد » لمنع تلاعب بعض السوريين واللبنانيين مع الدول الاجنبية ،
ولذلك كان عمادها الضباط . وكان أول موادها ما يأتى :

١ - الاتراك من ستانة سنة يقفون في المخافر الامامية تجاه الغرب ، فعلى العرب أن
يكونوا احتياطيا لا مداد هذه المخافر ... الخ

وقد كنت أمليها على اليوزباشى طه الهاشمي (الفريق طه باشا الهاشمي) فلما
فرغت من المواد قال لى : « ولماذا تجعلها سرية ؟ ولو أعلنها لفرح لها الاتراك لأن
هذه الجمعية هي أضمن تشكيل للمحافظة على كيان الدولة .. »

المصريون مختلفون مع عباس بسبب محاولة إنشاء جريدة - عبد الجبار
الخبزوي - كيف عشت في السويس بعد انقطاع مرتبي من تركيا - التحقيق
مع احمد بك صادر وقضية الأوقاف ضري - هياك الخربو - مخبرات الخربو
مع الانجليز ومناوراته ورسالة ملك البلجيكي - تسديد النقود الاطانية والخبز على
مبلغ يوسف صديقه - بين الخربو ورجاله والوطنيين في السويس - العلاقات
بين الخربو وحلفائه - القبض على يكن باشا وضبط أوراق الخربو - مؤدبه مختلفه

المصريون مختلفون مع عباس بسبب محاولة إنشاء جريدة :

محاولة إنشاء الجريدة : كان رجال الحزب الوطني الموجودون بأوروبا وفي
مقدمتهم محمد بك فريد ، وكذلك الطلبة المصريون في سويسرة ، فكروا في إنشاء
جريدة تكون لسان حال للمصريين في أوروبا ، وتدافع عن حقوق مصر ومصالحها ،
وعقدوا اجتماعاً في ١١ ديسمبر سنة ١٩١٥ لهذا الغرض ، وقرروا أن يطلبوا من
الخدو مساعدتهم على إنشاء هذه الجريدة ، وسبق أن ذكرت في مذكرات العام
الفائت ، أن الخديو أخذ على فريد اعتقاده أن خلاص مصر ، وحفظ حقوقها يكون
بواسطة إنشاء جريدة .

وفي يوم ٧ يناير سنة ١٩١٦ حضر عندى يحيى الدرديرى افندى ومدكور
افندى الطالبان ، ليدتفهما منى عما إذا كان قد ورد لى بجنيف أوامر بشأن
طلب إنشاء الجريدة ، فأخبرتهما بأنى ذاهب إلى لوزان لمقابلة الخديو وأجيبهما
بعد رجوعى

وفي ٨ يناير أبلغنى الدكتور سيد كامل ، أن سموه لا يقبل أن ينفق ملياً
واحداً ، لأن طلب المساعدة كان فى صورة تهديد ؛ وقد حدث فى الجلسة التى
عقدت لهذا الغرض أن حسين شيرين بك وضع جناحه ويوسف صديق باشا فى كفة

واحدة حيث قال : « ان الخديو يساعد بمبلغ ، ويوسف صديق يساعد بمبلغ آخر ، كما أنه قيل في هذا الاجتماع : « إن النقود متوافرة ، ولكنها تصرف في غير الطريق الشرعى ، تليحاً إلى ما سمعه الطلبة من أن الخديو اشترى لصاحبه مدام لوزانج عقداً من اللؤلؤ بمائة وخمسين ألف فرنك . وأن الخديو يقول : « ان هؤلاء الشبان (بما فيهم فريد والشمسى) أما إنهم معضدون من الألمان ، أو ، لا ، ففي الحالة الأولى يستغنون عن نقودى ويأخذون من الألمان ؛ وفي الحالة الثانية كان يجب أن يطلبوا منى في أدب وخضوع ، لافى صورة تهديد كما حصل ،

وكذلك من الأسباب التى يقولها الخديو عن رفضه المساعدة : أنه إذا نجمت فائدة من الجريدة يكون سموه أسيراً للحزب الوطنى ، فيفعلون معه كما فعل الاتحاديون مع السلطان عبد الحميد فى تركيا ؛ وهذا علاوة على أنه لا يريد أن يعمل مع الطلبة بل مع الرجال الذين اعتاد العمل معهم

وفى يوم ١٣ يناير قابلت الشمسى بك . فأنبأته برفض الخديو للمساعدة وبالأسباب التى بنى عليها الرفض ، فقال : « إن كلام أفندينا إنما هو لمجرد التخاص ؛ وحتى لو كان الاهتمام على حسب ما يطلب لوجد حجة أخرى لعدم الدفع . فقلت : « ان إحساسى غير ذلك ، وانا لو طلبنا بخضوع واحترام لأجاب الطلب ، وتقرر أن نجتمع عنده فى الغد للبحث فى الموضوع بحضوره هو والاستاذ فهمى ؛ ولكنى لما توجهت وجدت هناك الدرديرى أفندى ، فاستأثرت لذلك وعجبت . وقد قال لى الشمسى عند دخولى : « إننى كنت أتكلم مع درديرى أفندى فى المسألة ، فتحدثت عن الأسباب التى أوجبت رفض الخديو ، فبنى لى ذكر اسم يوسف صديق واستدل على ذلك بأنه لا يعلم عن المشروع شيئاً حتى يقال انه مستعد للمساعدة ، وكذلك بنى التعريض بالخديو فى مسألة شراء العقد لصاحبه ، وقال : « ربما قيل هذا خارج الجلسة ،

ولما أخبرتهم بأن الخديو لا يريد العمل إلا مع الرجال الذين عملوا معه ، لامع الطلبة مع اعتبارهم أعوانه وأولاده ؛ حدثت مشادة بينى وبين الدرديرى ، لأنه أراد أن يفسر كلامى بأن الخديو يحتقر الطلبة ، وهذا ما لم أرد ، فاستأثرت لهذا وهممت بالخروج ، لولا أن هدأتى فهمى والشمسى

وعندئذ تناقشنا فى أن يذهب الشمسى بك لمقابلة الخديو ، نائبا عن الجمعية لطبيب

خاطره وينبئ ما علق به من ناحية الطلبة ، فرفض ذلك ، واستحسن انتظار رجوع فريد بك من الأستانة - وكان قد سافر اليها - ليذهب بنفسه

وهنا قام يحيى الدرديرى وقال : « إذن سأجمع الطلبة وأخبرهم برفض الخديو للمساعدة » فقال الشمسى : « ما رأيك يا باشا ؟ » قلت : « إذا جمعت الجمعية فيشرح لها الاسباب التى ذكرتها ويقول لها : « إن الخديو يقول عن الطلبة انهم أولاده وأعوانه ، ولكنه مستاء من إهاتهم إياه »

وقد خرج الدرديرى غاضبا ، وخرج وراءه الشمسى ؛ ثم عاد فأخبرنى أنه أقنع أن لا يقدم على شيء قبل أن يطلعه عليه . وهنا عتبت على الشمسى ابقاءه فى موعد حددته وعينت أشخاصه ، فاعتذر بأنه حضر بنفسه ؛ وكنت اعتقد غير ذلك ، وأفهم أن الشمسى أحضره ليسمع منى ما أقوله

وقد خرجت أنا وفهمى فأقنعته بأن يحول دون تشويش الدرديرى ، وإثارته بخط الطلبة فى هذا الوقت العصيب

توسطى بين رجال الحزب الوطنى والخديو : وفى ١٧ يناير استدعيت الدكتور سيد كامل إلى جنيف ، واطلعت على كل ما حدث ، وقلت : « إن الأفضل هو انشاء هذه الجريدة » . فقال : « ان كل سعى يا باشا منك أو منى لدى الخديو لا يجدى ، فيجب حضور فريد أو الشمسى للاعتذار أولا ، والعرض بطريقة محترمة فربما يقبل الخديو » . ثم قال : « وأنا أعمل فى مسألة أخرى وهى انشاء صندوق تعاون لطلبة لوزان بأن يضع كل منهم فرنكا واحدا فى الشهر ، والخديو يدفع مساعدة لهذا الصندوق ومتى وصلنا إلى هذه النقطة ، نلتمس مثل هذا لطلبة جنيف ؛ ومن ثم يمكن انشاء الجريدة دون أن يحتمل الخديو تبعاتها ؛ فاذا نجحنا فى ذلك كان خيرا »

وفى يوم ١٨ منه قابلت الشمسى فأخبرنى أنه أقنع الدرديرى بعدم إثارة الطلبة ، وأن ينتظر حتى يعرض التماسا من جديد فى صورة محترمة ، ويزيل ما علق بنفس الخديو .

وقد قال لى الشمسى : « إن طالبا اسمه طاهر قدم من برلين الى جنيف لاستمالة الطلبة المصريين الى فكرة تأليف حزب برياسة الشيخ جاويز فى صالح سعيد حلم وأن رفض الخديو مساعدة الطلبة على اصدار الجريدة ربما مكن لطاهر فى نفوس الطلاب » ، واتفقنا ع أخبار لى الدكتور سيد كامل لمخاطبة الخديو فى ذلك وكتبت له

وفي يوم ١٩ منه وصل إلى خطاب منه هذا نصه : « وصلني جوابكم بخصوص مقابلة أختنا على الشمسي بك لسعادتكم ، ورجائه بأن تتوسطوا في التماس أن يتفضل الجنب العالي فيجيب بالقبول على ملتسمهم ، فاعتذرتهم بعدم امكانكم السفر ، وقلت له : « إن غاية ما يمكنكم عمله هو أن تكتبوا لي ، وأنا أعرض على الاعتبار هذا الالتماس بالصفة التي أراها ،

« ولو أنني على الدوام أتمنى أن أكون قادرا على أى سعى يعود بالنفع على إخواننا المصريين ، إلا أنني آسف غاية الأسف لأننى في هذه المناسبة لا أستطيع أن أقوم بالسعى الذى تشيرون اليه بأى حال من الأحوال ، لأن الظروف التى سبقت طلب هذا السعى من سعادتكم مباشرة ، لا تساعدنى مطلقا على عرض أى شئ بخصوص هذا الملتسم ، من تلقاء نفسى ، بل ولا عرض أية رسالة شفوية في هذا الموضوع ، لذلك أرجو سعادتكم أن تعفوني من هذا العرض ، وفي الوقت نفسه أرجو أن تعتقدوا بأننى أعرض على الاعتبار كتابة يريد أن يعرضها على بك الشمسي مباشرة بما يرغب ، إن شاء أن يفعل ذلك ،

فارسلت الخطاب مع الشيخ عبد الحميد ندا ليطالع الأستاذ فهمى ، وعلى بك الشمسي عليه

وقد اطلع عليه الاخير أولا فتغيط ، وقال : « ان هذا إهانة لى » ثم رجع وقال : « ولكن عدم عرض التماس الطلبة بواسطة الدكتور سيد كامل يعد إهانة لهم وحدهم . وعليه سأنبئ الطلبة أن أفندينا يرفض ملتسمهم ، ويكون شفيق باشا هو المسئول عن النتيجة . » ولما قال له الشيخ عبد الحميد : « إن الباشا مستعد لمحدثك أنت والأستاذ فهمى » أجاب : وما دخل فهمى في هذه المسألة ؟ أما أنا فلا أذهب عند الباشا ، وإن كان يريد مقابلتي فيحضر عندى

ولما اطلع الأستاذ فهمى على الرسالة قال : « ان ما فيها لا يشتم منه رائحة الإهانة » واستغرب غضب الشمسي . وقد ظل هذا لا يزورنى عدة أيام ؛ وأخيرا حضر عندى ، واتفقنا على أن نجمع كلمتنا لأزالة ما بنفس الخديو ، وإعادة الطلب ، وأرسلت بذلك رسالة الى الدكتور نجاءنى الرد التالى منه :

« أحيط سعادتكم علماً أن رسالتكم وصلتني ، ولا أخفى عن سعادتكم أنني

دهشت لقبول فهمي أن ينضم إلى علي الشمسي، ويشترك معه في مسعى لم يشترك في الاجتماعات الموجبة له، وخصوصاً في اجتماع ١١ ديسمبر الماضي، على أن فهمي رجل مستقل، وله حرية واسعة، يقدر استقلاله في اختيار الطرق التي يجب أن يسلكها، ولكن دهشتي كانت أعظم لما رأيت أن سعادتك أيضاً قبلتم الانضمام مع الأول والثاني لعرض الملتزم المعلوم على أعتاب الجنب العالي. ووجه دهشتي راجع إلى ثلاثة أسباب: الأول — أنكم كنتم خارجين عنهم بالأمس، وأنتم اليوم تقبلون أن تكونوا معهم في نفس النقطة التي اعتبروكم فيها من الخوارج. الثاني — أنكم كنتم الواسطة في سماع مطالب فريد بك ومن معه عقب هذا الاجتماع، وكنتم الواسطة في تبليغهم نطق الجنب العالي في هذا الموضوع، ولم يطرأ ما يدعو إلى تغيير صفة هذه الواسطة بقبولكم الانضمام اليوم إلى من كنتم واسطة لهم بالأمس. الثالث — هو أن رفض الجنب العالي كان مبنياً على سببين تعلو بهما، وأظن أنه ما دام في نفس سموه أثر للاستياء من العرض الأول فلا يسع سعادتك أن تنضموا إلى من كانوا سبب هذا الاستياء: ولو أن رغبتكم من هذا الانضمام ظاهرة، وهي جبكم أن يكون المصريون جميعاً بدأ واحدة. أنا أحب أيضاً أن يكون المصريون متحدين، ولكن المسألة ليست مسألة اتحاد المصريين أو افتراقهم، إنما هي أن الجنب العالي استاء شديد الاستياء من الطريقة التي طلب بها من سموه دفع نقود إلى محمد بك فريد ومن معه، فانه لم يلاحظ في هذا الطلب: أولاً — الاحترام الواجب لمقام سموه، حتى أنهم جعلوا يوسف صديق في مقام الجنب العالي من جهة طلب الاعانة منهما على السواء. ثانياً — إن الطلب جاء في صيغة تهديد مبنى على واقعة ظهر كذبها وهتانها. فقبل تجريد السعي للحصول على المال يجب ألا ننسى استياء الجنب العالي، يجب ألا ننسى ضرورة إزالة ما في نفس سموه من أثر هذا الاستياء، وإزالة هذا الأثر لا يمكن في اعتباري الشخصي أن تكون، مادام علي الشمسي ينكر أنه لم تحصل أية إشارة في اجتماع ١١ ديسمبر تفيد مساواة يوسف صديق بالجنب العالي، ولا يمكن خصوصاً أن تكون ما دام فريد بك الذي أشاع بين الطلبة هذه الواقعة المكذوبة لم يقل كلمة من الواجب أن يقولها في هذا الخصوص. أتم سمعتم أن علي الشمسي قال: «إن فريداً أخطأ في إشاعة هذه الواقعة المكذوبة»، وسمعت منه قوله: «إن الدرديري بأسف لما حصل منه»، ولعلكم تسمعون منه اقتناعه بأن مساواة يوسف صديق والجنب العالي حصلت فعلاً في الجلسة بشهادة الشيخ عبد الحميد امام

على الشمسى وخلافه ، إنما هل يكفى أنكم تسمعون ذلك ؟ ألا تكون أول خطوة واجبة - إن كان الشعور بوقوع هذه الأغلط حقيقياً - أن يكتب مثلاً على الشمسى إلى الجنب العالى كتابة صريحة تفيد الاعتذار عن هذه الأغلط بصفة صريحة والتماس أن يكون سموه راضياً ؟ أظن أن حصول الرضا من الجنب العالى هو الأساس قبل عرض أى شئ على سموه ؛ وأظن أن طلب هذا الرضا لا يمكن أن يكون من قبل سعادتك ، ولا من قبل فهمى . ولا من قبلى ؛ إنما يكون فقط من قبل فريد وعلى الشمسى اللذين كانا سبب اجتماع ١١ ديسمبر . ومع هذا أعرفكم أن هذا هو رأي الشخصى ، بدليل أنى استلمت رسالتكم ورددت عليها فى الحال ،

وقد أرسلت إليه بالرد يوم ٢٢ يناير وقلت فيه : « إن الذى قلته فى كتاباتك معقول ، فصحيح أن الالتماس كان خالياً من صيغة الاحترام ، وكان يشتم منه رائحة التهديد ، وصحيح أن أفندينا له الحق فى الاستياء ، وصحيح يجب علينا أولاً إزالة هذا الاستياء من نفس سموه ، إنما لكونى أمرت بتبليغ الرد على هذا الالتماس فعلى الشمسى رجائى أن أكون واسطة خير فى تبليغ ولى النعم أن مسألة يوسف صديق لم تحصل ، وأنه لم يحصل فى جلسة الاجتماع القول بأن النقود موجودة ؛ ولكن لاتصرف فى وجهها الشرعى . أما مسألة العقد فالذى قال بها هو فريد ؛ وقد رجائى الشمسى أيضاً أن أسعى فى إزالة هذا الاستياء ، والوصول الى تنفيذ المشروع حتى لايفلت الطلبة من يدنا ؛ فإذا كنت أفضيت اليك بهذا الالتماس لتبليغه فذاك لأننى كنت أنتظر أن يأتينى الرد منك بالصفة التى جاءت فى جوابك الأول ، وعلى أثر وصوله أطلعت الشمسى بك عليه ؛ وقد تميز منه غيظاً واعتبره رفضاً ، وقال : « إنه سيلبغه للطلبة وأننى مسئول عن النتائج » وعلى رأى المثل العامى « ماناب المخلص إلا تقطع هدمه »

« ليس لك الحق فى دهشتك منى ومن فهمى ، لأننا نحبذ المشروع ، فأنت تعلم رأيى فيه ، ولا بد أنك علمت أيضاً من فهمى فى لوازن رغبته فى هذا العمل ؛ إنما لانريد أن نشترك فى التماس الطلبة لأن فهمى قال عند وجوده فى الجلسة التى جمعتنى بعلى الشمسى والدرديرى : « إنه لا يضم صوته إلى صوت على بك فى عمل التماس جديد ، لأنه لم يشهد الاجتماع ولم يكن بين المندوبين » إنما الذى نرغب فيه أن يساعد أفندينا فى إنشاء الصحيفة بأية صفة كانت ، إما بأن تتولاه جمعية مصر بلوزان ، أو الدكتور

سيد كامل ومحمد يكن (وكان قد حضر من الاستانة والتحق بالخدوي في السويسرة)
أو أجنبي بمساعدة المصريين ، حتى لا يقال : « إن أفندينا لم يعمل عملاً في صالح مصر ،
هذا هو رأي . وليكن في علمك أنني أعتبر المخاطبة انتهت . فلا أقابل الشمسي ، ولا
أقول له شيئاً في هذا الصدد

وفي يوم ٢٣ منه زارني الأستاذ فهمي فقرأت عليه رسالة الدكتور سيد كامل
فقال : « إن الذي أفهمه من ذلك أنهم (يعني الخديو) لا يرغبون في الانفاق على جريدة
ولهذا لاجدوى من تكرار الطلب بعد الآن ، فأخبرته بملخص إجابتي على هذه
الرسالة : ومنها يتضح أنني قطعت الكلام في هذا الموضوع .

عبد الجوس المصري : في يوم ٨ يناير سافرت إلى لوزان لحضور الاحتفال
الذي عزمت الجمعية المصرية بها على إقامته لمناسبة عيد الجلوس الخديوي ؛ ولقيت
في القطار الأستاذ فهمي ، والدكتور زاهر ، والشيخ عبد الحميد ندا ، وتوجهنا إلى فندق
لوزان بالاس فاستقبلنا هناك منصور أفندي القاضي رئيس الجمعية

وكان المدعوون نحو الثلاثين من مصريين وأتراك وعجم ، وبعض رؤساء جمعيات
الطلبة الأجانب في لوزان ، وكان من بينهم أربع سيدات أفرنجيات ؛ وحضر كذلك
جلال الدين باشا ، ونشأت باشا ، وثريا بك ، والآخران من الألبان المنتمين للخديو ،
ومكاتب ألماني اسمه موسيو فروم

وقد جلسنا على موائد صغيرة أربعة أربعة ، وتناولنا الشاي ، وبعد ذلك عزفت
الموسيقى بالسلام الخديوي فاستقبلناه وقوفاً ؛ ثم عزفت بأدوار شرقية أخرى تخللها
خطاب رئيس الجمعية باللغة الفرنسية ، وخلاصته : عدم الاعتراف بالانقلاب الذي
حدث في مصر ، وأن السلطان حسين كامل يعتبر غاصباً لمركزه ، وأن الأمة المصرية
تنتظر بفروغ صبر طرد الانجليز من مصر على يد الجيش العثماني ، ورجوع الخديو
عباس حلمي الثاني إلى عرش مصر المستقلة تحت سيادة الدولة .

كيف عشت في السويسرة بعد انقطاع مرتبي من تركيا : سبق أن ذكرت
في سنة ١٩١٥ ، ما تم في تقرير الدولة لمرتبات لرجال الحاشية المقيمين مع الخديو
بعد انقطاع مرتباتهم من مصر

وفي يوم ١٠ يناير سنة ١٩١٦ وردت لي رسالة من توفيق بك فهمي الياور

بالاستانة ينبئني فيها أن الأتراك قرروا قطع نصف مرتبي . وأنه بذل المساعي كتابية وكلاماً لصرفه لى كاملاً فلم يفلح ؛ وطلب منى أن أخاطب طلعت باشا فى هذه المسألة ، لأنه الرجل الوحيد الذى تجدى مخاطبته فى الموضوع

وقد صدر قرار عام يوم ٢٤ يناير بعودة جميع المصريين المقيمين فى أوربا إلى الاستانة وإلا قطعت المرتبات التى تدفع لهم من خزانة الدولة ، وكان الغرض من ذلك إجبارهم على العودة ، والانفضاض من حول عباس ؛ وبذلك يضطر هو إلى العودة ؛ وكنت إذ ذاك لا أستطيع الرجوع لأن وجودى فى بلد محاييد ضرورى كى تنسنى لى مراسلة المحامى عنى فى قضية الأوقاف ضدى (وسياأتى ذكرها تحت عنوان خاص)

وفى يوم ٢٨ يناير سافرت إلى برن وقابلت سفير الدولة بها ، وهو



فؤاد بك

فؤاد بك سليم المصرى ، الذى عين حديثاً ؛ وكان من تلاميذى فى المدرسة العلية ، وأطلعته على المسألة ، ورجوته أن يطلب لى مهلة شهر أو شهرين حتى تنتهى القضية ؛ فرد قائلاً : « ولماذا يا باشا تكلف نفسك الحضور إلى هنا ، وكان يمكنك مخاطبى تليفونياً أو بالبريد ؟ » فقلت : « اننى جئت لأزورك أولاً ثم أعرض عليك هذا الموضوع . » فشكرنى ووعد بارسال برقية بطلبى وودعنى حتى السلم ؛ وقال : انه إنما يعاملنى المعاملة الجدير بسفراء

الدولة أن يعاملوا بها رجال الخديو . مما دلنى على أنه غير منضو إلى لواء الصدر فى مناوأة عباس

وفى يوم ٣٠ منه سافر عدلى مظهر بك قنصل جنرال الدولة فى فارس سابقاً إلى الاستانة ، فسلمته خطاباً إلى طلعت باشا أتمس منه صرف مرتبى كاملاً مثل زملائى ، لأننى أعتبر نفسى مديراً للأوقاف الخديوية

وفي يوم ٢٧ فبراير وردت لي رسالة من عديلي بأنه خاطب مستشار الخارجية بشأن إعطائي مهلة شهرين، فوعده أن يخاطب الناظر لعرض المسألة على مجلس النظار.

وفي يوم ٢٨ أبلغني أن المجلس لم يوافق على طلبي، وأن الرفض بلغ إلى فؤاد بك سليم، وأن الأصوب هو التعجيل بالعودة إلى الاستانة فرددت عليه يوم ٣ مارس قائلاً: « إن السفير في برن لم يخبرني بمسألة رفض طلبي، وأن قرار العودة ربما كان لا يشملني وإلا لأبلغني ذلك » هذا وقد



ابراهيم آدم بك

اتفق معي ابراهيم
أدهم بك أحد
الياوران في
جبوقلي أن يدفع
لي مبلغ ثلاثين
جنيهاً شهرياً؛ وأن
تستردها عائلته في
مصر من مالي بها.
وكذلك توفيق
بك فهمي

وفي يوم ٦
مارس قابلت
الدكتور سيد
كامل في لوزان،
فسمعت منه أن
الحديو يأخذ على

مقابلتي لسفير الدولة في برن مع أنني أكبر منه مقاماً، ثم قال: « وأنا أعتقد أن الحديو لا يتأخر عن مساعدتك مالياً إذا قطعت الدولة مرتبكك » فقلت: « إن القليل يكفيني مع عائلتي وأنا أقنع بألف فرنك في الشهر مع مبلغ الستين جنيهاً

الذى استبدله من ابرهيم بك أدهم وتوفيق بك فهمى ، وأنا لا أطلب من سموه شيئاً إلا إذا تأكدت من قطع مرتبى ،

وفى يوم ١٤ مارس حضر نور الدين افندى من الاستانة وعلمت منه أن المرتبات ستدفع لمدة شهر آخر ، وأنهم يقولون فى الاستانة : « ما بالنا ندفع لرجال الخديو ، مع أننا لانعلم هل سموه يحب أو عدو لنا ؟ »

وذكر لى أن سبب قطع نصف مرتبى ، أن عارف باشا قدم بياناً بأسماء حاشية الخديو ، وأمام اسمى كلمة (متقاعد) وأنه من أجل ذلك يصعب إعادة صرفه كاملاً وفى يوم ١٢ ابريل وردت إلى برقية من توفيق بك فى الاستانة بأن الأتراك قطعوا مرتبى لأننى لم أرجع : فاستأت لذلك القرار بعد ما علموا عذرى فى البقاء بالسويسرة . . .

وقد أرسلت إلى الخديو هذه البرقية ، وقلت له : « إننى التجئ إلى سموكم بعد انقطاع مرتبى » . فقرر لى مبلغ ألف فرنك فى الشهر .

وفى يوم ٣ يوليو وردت إلى رسالة من يكن باشا يقول فيها : « حسب ماصدر به النطق الكريم مرسل لأخوتكم طى هذا مبلغ وقدره خمسمائة فرنك » فأخذت المبلغ وأنا فى دهشة لاقتطاع نصف المرتب الذى قرره لى الخديو ، وأخذت أتساءل عن السر فى هذه المعاملة .

وفى يوم ٦ منه قابلت الدكتور سيد كامل ، فأطلعتة على هذه الرسالة ، فتأثر جداً وقال : « يخيل إلى أن أقول للخديو : أنا لست فى حاجة إلى مساعدتك إياى وأتركه » فهونت عليه الأمر ونصحت له بالصبر

وقد استطعت أن أعيش مع حرمى وأولادى بمبلغ خمسمائة الفرنك وستين الجنيه المستبدلة مضافاً إلى ذلك مبلغ خمسين جنيهاً سمحت السلطة بترتيبها لحرمى من إيرادها فى مصر

التفقيب مع احمد بك صادق وقضية الادرفاف ضرى : فى يوم ٢٨ فبراير من العام الماضى (ونحن بالنمسا) علمنا أن احمد بك صادق حضر إلى ايطاليا من مصر بعد أن قبض عليه ، وأطلق سراحه : وقد رغب الخديو أن أسافر للأحاطة بما لديه من المعلومات ، فسافرت إلى روما ، وقابلته ، وذكر لى أنه حبس نحو ثلاثة أشهر

قامى فيها العذاب؛ خصوصاً أيام حبسه بسجن الاستئناف فى غرفة صغيرة فيها فتحة بالسقف للأضواء، وأرضها أسفلت، وقد استحضرت سريراً بالأجرة وكوز ماء للشرب وغسل يديه ووجهه .

وكان سبب حبسه زيارة شيخ العرب حمد أبو سلطان له فى منزله ، وكان الخديو كلف صادق بأن يرسله للاستابة ؛ وحقق معه أولاً هارفى باشا ثم فليبيديس ؛ وكانا يطلبان منه أن يعرفهما بمعلوماته عن الخديو ، فلم يخبرهما بشئ .

ولما أرادت السلطة العسكرية إخلاء سبيله ، طلبت النيابة إبقاءه محبوساً على ذمة التحقيق فى الأوقاف .

وكان طلاماس بك ومعه انجليزى آخر من المالية قد فتشا حسابات الأوقاف ، وقدم ابرهيم يوسف افندى رئيس الحسابات بها كشفين : أحدهما بالمبالغ التى صرفها أحمد بك صادق لنفسه لتوصيلها إلى محل لزومها ، والثانى بالمبالغ التى صرفها أنا (شفيق) بالأمر ، وابتدأ التحقيق معه فى الكشف الأول ، وكان يلوح له أن الغرض هو الوصول إلى معرفة ما إذا كانت هذه المبالغ قد صرفها لنفسه ، أو غيره ومن هم ، وفى أى شئ ؟

فلما أبرز المستندات على أن البعض تسلمه أشخاص ، والآخر تسلمه الخديو لصرفه بمعرفته ، فى إحسانات أو على المهاجرين بدون إعطاء إيصالات من سموه ، سئل عن هذا الإهمال ، فأجاب بأن العادة من وقت إنشاء الأوقاف الخديوية جرت بهذا ؛ ووجد المحققون فعلاً أنه فى إحدى سنوات إدارة خيرى باشا صرف لنفسه ٤ ألف جنيه . . .

وقد كان فى إحدى جلسات التحقيق ابراهيم بك نصار المحسوب على السلطان حسين ، فحضر أحمد بك قائلاً : « حط كله عليه ، يعنى الخديو . وقبل أن يبرز أحمد بك المستندات ، قال للمحققين : « إن أوجه صرف هذه المبالغ معلومة لرئيس الحسابات لأنه كان يأخذ مذكرة عن كل مبلغ بناء على إشارة شفيق باشا ، ولكن ابرهيم افندى يوسف أنكر حالاً بالطلاق . غير أنه من حسن حظ أحمد بك أن رئيس النيابة المحقق وهو « محمد زكى الابراشى » (باشا) فى أثناء تفتيش منزله عشر بين أوراقه على مذكرة بهذه المبالغ ؛ وبعضها بخط ابراهيم افندى المذكور ؛ فثبت للمحققين أن رئيس الحسابات لم يقل الحقيقة

ويقول احمد بك : «أن طلاماس في جانبي (شفيق) وأنه يعرف أنني مدقق» . وقد كنت أود لو عرفت ما حواه كشف المبالغ المدعى بها على لأجيب عنه . وأنا في أوروبا ، فإن المبلغ كله هو ١٨ ألف جنيهه . وقد دل أحمد بك على أوجه صرف أغلبه ، والبعض الآخر دفعته بالأمر من الفوائد التي كانت الاوقاف تتقاضاها من بنك دى روما ، والبنك الشرقى الألمانى ، فى مملوك البنك الأهلى واللانل بنك عن ديون المرحوم الشفيخ على يوسف بضمانتى

وفى يوم ٢٢ يناير سنة ١٩١٦ وردت الى جريدة الأهرام الصادرة فى يوم ٦ منه ، فقرأت فيها أن الاوقاف السلطانية (الاوقاف الخاصة الخديوية سابقاً) رفعت دعوى مدنية أمام المحكمة المختلطة على الدائرة الخاصة لسمو الخديو السابق فى شخص الحارس القضائى عليها وهو موسيو جانيه مدير البنك العقارى المصرى ، وضد أحمد شفيق باشا مدير تلك المصلحة السابق ، طالبة الحكم عليهما متضامنين بأن يدفعوا مبلغ ٨١.٠٦ جنيهات و ٩٦١ ملياً قيمة ما سحبا من خزانه تلك المصلحة مدة إدارتهما لها . من ذلك مبلغ ٧٥٨١ جنيتها و ٩٦١ ملياً سحبت بمقتضى اذن صرف موقع عليها من شفيق باشا لغاية ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٤ يوم سفره الى الأستانة ومن ذلك مبلغ ٦٥٠ جنيتها سحبا بالبasha من بنك دى روما فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ وهو قيمة فوائد أموال الاوقاف الخصوصية المودعة فى ذلك البنك .

وفى يوم ٢٧ منه قرأت فيها الأهرام أن خيرى باشا وحسين محرم باشا كانا متهمين جنائيا : الأول عن مبالغ صرفت من الاوقاف الخديوية . والثانى عن مبالغ من دائرة سيف الدين التى يديرها . وقد حكم برأءة الاثنين

وفى يوم ١١ ابريل وردت لى رسالة من المحامى عنى محمد بك يوسف ، بأن المنظور أن تحكم المحكمة فى صالحى ، وأن هناك فروقا واضحا بين قضيتى المدنية ، وقضيتى خيرى وحسين محرم وهما جنحتان .

وسيرى القارى . فيما بعد نتيجة هذه القضية

مبار الحريو : كان الخديوي يتخوف كثيرا من مصادرة الانجليز لأملاكه بمصر ، وكان هذا من أهم الأسباب التى دعت الى الخروج من النمسا الى سويسرة . ليكون فى بلد محايد . وبعد ما أقام فى جنيف انتقل الى لوكارنو ، وامتنع عن مقابلة رجال الحزب الوطنى ، وعن مساعدتهم فى إنشاء جريدة كما سبق

وفي يوم ١٢ فبراير نشر الشيخ «على الغاياتي» في صحيفة «لاتريون» حديثاً عزاه إلى أحد رجال الحاشية، خلاصته: أن الخديو ترك الاشتغال بالشئون السياسية واعتكف في لوكارنو بعيداً من رسل أنور باشا، والامبراطور غليوم، ورجال الحزب الوطني

وفي يوم ١٦ منه اجتمعت في منزل لبيب معه هو والشمسي وفهيمى، وتحدثنا فيما كتبه الغاياتي واتفقنا على أنه ضار بالخديو، وبنا نحن المشتغلين معه؛ وقررنا إرسال خطاب إلى سموه، نلتبس فيه تكذيب هذا الحديث المزعوم وكنت أعتقد أن هذه الكتابة موعز بها من الخديو نفسه، وقد صرحت بذلك للدكتور سيد كامل بيني وبينه، لأننى كنت قد عرفت أن الخديو يسعى في الاتفاق مع الانجليز (كما سيأتى في فصل خاص)

وفي يوم ١٧ حادثنى الدكتور تليفونياً؛ وأخبرنى أنه عرض رسالتنا على الخديو فتكدر، لأن الاخوان بمجرد أن يسمعوا أو يقرأوا شيئاً يعتقدون صحته، ويظنون أنه مارق؛ مع أن سموه بعيد عن مراكز القيل والقال؛ ووجه اللوم إلى الدكتور لأنه عارض من قبل في استمالة الغاياتي قائلاً: «أنه كم مهمل وأنه جاسوس، وها نحن نراه يشتغل ويتحرك. فلماذا لا يطلبه الاخوان، ويسألونه عن الشخص الذى حركه ويكذبونه ويؤنبونه، وهم رجال لهم قيمة وهو ما تعلمون؟ وإن سموه يقول: «طبعاً إن شقيقاً لم يحدنه وجلال الدين ويكن سيد كامل والشيخ محمد عثمان والبشرى لم يقابلوه، وهؤلاء هم الحاشية؛ فكيف ينسب الغاياتي لأحدهم هذا الحديث؟»، وسموه يأسف لأن الاخوان لا يشتغلون ولا يعملون شيئاً، حتى لاستمالة الغاياتي فقلت له: «إن الاخوان لا يريدون أن يعملوا شيئاً قبل أن يعرضوا الأمر على الجنب العالى؛ ولذا طلبوا منى الكتابة إلى سموه». وما دام يقول بأن أحداً من حاشيته لم يتحدث مع الغاياتي فيمكننا أن نكذب الخبر». قال: «افدينا لم يأمرنى أن أقول لك يا باشا أن تكذب الخبر، إنما قال لى ما سمعته منى». فوعدته بأن أبلغ الاخوان بما عرفته منه (إنما فهمت من غوى كلامه إن سموه لا يريد أن أكذب مقال الغاياتي، وإلا لأمر صراحة بأن أرسل التكذيب منى)

وفي يوم ١٩ منه قابلت الاخوان الثلاثة، وأخبرتهم بما سمعته من الدكتور سيد كامل، فأروا أن التكذيب واجب، إما من الخديو أو أحد رجال الحاشية،

ولم يوافقوا على فكرة استحضار الغايات لتأنيبه ، ولا لاستمالته ، لعدم ثقتهم بأخلاقه ، وعدم اعترافهم بأهميته

وظهر من حديثهم أنهم يعتقدون أنه مأجور من الخديو نفسه ليكتب ما كتب ، بقصد التقرب للانجليز ؛ وأخيراً انفقوا على أن أكتب إلى الدكتور سيد كامل بأنهم إنما طلبوا التكذيب لأن الغايات يعزو هذا الحديث إلى أحد رجال الحاشية ، وأن التكذيب لا يكون إلا من أحدهم

وفي المساء حضر عندي عبد الله البشري ليعرف ما تم بيني وبينهم ؛ فأخبرته به وسلمته الرسالة التي كتبناها ، فلم يرد لنا رد بالتكذيب

وفي يوم ٦ مارس دعانا الخديو إلى مقابله في لوزان ، وكأنه أراد بذلك أن ينفي ما علق بأذهاننا ، من أنه قرر الابتعاد عن رجال الحزب الوطني ، ويقنعنا بكذب ما ادعاه الغايات !

مخابرات الخديو مع الانجليز ومناورة ورسالة ملك البلجيك

سفير ألمانيا على علم بالمخابرات : زرت سفير ألمانيا في يوم ٢٤ يناير فوجدت عنده معلومات ثخوها أن الخديو يسعى للمخابرة مع الانجليز ولم : أكن أعلم شيئاً عن ذلك . ولكن في يوم ٣٠ منه ، قابلت أغاطون بك الأرمني وهو أحد كبار المزارعين بمصر ومن المتصلين بالخديو ؛ ودار الحديث بيننا عن الشؤون الحاضرة فعلت منه أن سموه كان قد كلف باغوص نوبار باشا أن يسعى لايجاد التفاهم بين سموه وبين الانجليز ، وأن باغوص لم يقم بذلك نظراً لوجود علاقة بينه وبين السلطان حسين ، ويخشى أن يتهم بأنه يدس له الدسائس ، وأن الخديو مستاء منه من أجل ذلك

وأبدى أغاطون بك رأيه لي ، بأن الأصوب هو اطلاع السلطان حسين على الأمر قبل قيام باغوص بأى عمل ، وعظمته لا يكره سعياً من هذا النوع ، وأن الواجب هو أن يقيم الخديو كما هو الآن في بلده محايد ، ويمتنع عن الاختلاط برجال الحزب الوطني حتى تنتهى الحرب . وبعد ذلك بفتح الانجليز فيما يريد . أما الآن فهم مشغولون بالحرب عن كل شئ آخر

ولما سمعت هذا الكلام تأملت في نفسي لما علمت بمساعي الخديو ، وفهمت

لماذا خرج للسويسرة ، ولماذا أتى أن يعاون الطلبة ؛ وابتعد عن فريد والشمسي وسواهما ، وأقام في لوكارنو بعيداً عنهم ؛ ولم يكذب ما كتبه الغاياقي من أنه يقيم على الجهاد بعيداً عن رسل الألمان ورسـل أنور باشا

وكذلك لم أستبعد أن يكون حبيب لطف الله الذي قابل الخديو في جنيف ، قد عاد إلى مصر لأجل هذا الغرض ، كما سمعت ذلك من قنصل ألمانيا

وقد قابلت على الشمسي يوم ٣١ منه ، فأخبرته بما فهمته من حديث أغا طون بك فسأل : وما غرض الخديو من ذلك ؟ فأجبت : أنه نصح له باتباع هذه الطريقة . فقال : « لا بأس فهذا ربما كان أفضل في مثل هذه الظروف المضطربة »

عباس يحدثنى عن مساعيه الخفية : وفي يوم ٢٤ أبريل خلوت بالخديو ففتح لى قلبه ، وحدثنى عن مساعيه الخفية فقال : « نحن يا شفيق اشتغلنا من شهر يناير الماضى



حبيب بك لطف الله

فانه لما حضر حبيب بك لطف الله عرض على من قبل المؤتمر العربى في بلاد سوريا وغيرها أن أكون رئيساً لها ، واستعرض منها بعض الرجال منهم الضابط والتاجر والعين ؛ وقصدوا سفير انكلترا في برن ، فلما سمع أنهم يطلبون الخديو رئيساً انزعج ، وعلم أن نفوذى بين العرب قوى على الرغم من خلعى ، فتقرر ذهاب هذا الوفد إلى مصر لمفاوضة رجال الانكليز فيها ؟ فسافر ، ولكن يظهر أنه لم يرق في نظر هؤلاء عمل شيء الآن ، واكتفوا بأخذ معلومات الوفد عن حالة سوريا الحقيقية وقد تمكن حبيب لطف الله من الخروج

والسفر (لان انجليز مصر فضلوا أن يتكلم في مشروع الوفد مع حكومة لوندرة) ولكونه يعرف ملك اسبانيا فيها هو ذا الآن معه في نزهة ؛ وقد أرسل إلى بواسطة نظارة الخارجية الاسبانية خطاباً على يد السفير في برن ، فكتبت أطلب منه الحضور إلى هنا ، فوعده ولم يف فعلت أنه يصعب عليه ذلك ، وقد أظهرت لسموه استحسانى

لما قاله، فاستمر قائلاً : « ولما راجعنا سفير إنجلترا في برن للوصول إلى حل مرض يناسب مركزي، طلب أن أنزل كتيابة عن عرش مصر بين يديه، كأنه يريد أن يضع السكين على رقبتى من الآن؛ فرفضت، لأننى أطمع في رجوعى إلى عرشى ولو كان النصر حليف الألمان والأتراك، لأننى لا آمن لهم. أما إذا كان النصر حليف الانجليز فلا أقبل الحماية، لأننى حكمت ثلاثاً وعشرين سنة بدونها فلا أطأطأ رأسى لها؛ ولكنى أحفظ هذا العرش لابنى، فانه لم يتقيد إلى الآن بأى (régime) نظام، فاذا تمكنت من ذلك، وعرض عليه العرش فهو وشأنه فى قبوله أو رفضه

وساطة ملك البلجيك لحفظ حقوقه المادية : « وقد فكرت فى وساطة محب للمتحالفين، وهو ملك البلجيك على يد سفير بلجيكا سابقاً فى الاستانة؛ وكنت قابله؛ فأرسلت إلى الملك أقول: « انتى أردت أن أسوى حسابى مع إنجلترا، ولكنهم يريدون وضع السكين على عنق، وطلبت منه أن يساعدنى لدى الانجليز، ولما برح سفير بلجيكا إلى الهافر لم يجد ناظر الخارجية، ثم قابله فى باريس، ولكنه خشى أن يكون فى الخطاب شئ يسوء الانجليز، فلم يرد أن يقدمه قبل التحقق مما فيه؛ فأرسلت له مذكرة تفصيلية عنه، حتى يعلم الا شئ فيه يستوجب الملاحظة؛ وهأنذا أنتظر أن يأتى الرد،

وقد فهمت أن اهتمام الانجليز بمسألة عرش سوريا، وتركهم حبيب بك لطف الله يسافر حراً، ويتحدث فى هذا الموضوع الخطير، كان مناورة منهم ليطمعوا الخديو فى عرش سوريا، حتى ينالوا غرضاً آخر كانوا يبحثون وراءه، وهو حمله على التنازل عن عرش مصر.

وقد قلت لسموه : « إنه يحسن ألا يفكر فى أمر التنازل لأنه السلاح الوحيد الذى يملكه الآن فاذا أخذه الانجليز منه لم يعودوا يهتمون به وكذلك يخسر عطف الألمان وحلفائهم، ولا يعود لمسألته أهمية عندهم حين يصبح فرداً من الافراد، فوافق على ذلك وقال : « لقد أخبرتهم أنى لا أتنازل إلا إذا ضمنت مركزاً سياسياً (يعنى عرش البلاد العربية) وإننى هددتهم باستخدام السلاح الدينى، فقلت : « لقد وضعت البرغوث فى آذانهم !

شروط الانجليز : وفى يوم ١٠ مايو أرسل موسيو بارودى مراقب البعثة

المصرية في سويسرة بأن جهة غير رسمية طلبت منه العمل للتوفيق بين مصلحة الخديو ومصلحة إنجلترا ، فأرسلني سموه لمحدثه .

ولما قابلته أبدى لي أن الوقت مناسب الآن للمخابرات قبل انكسار الألمان ، لأنهم إذا انكسروا في «إيفردون» كما هو المنتظر ، فإن الحلفاء لا يهتمون بعدها بالخديو ولما سألته : ما الذي يحدث الآن لو أن سموه لم يتقرب للحلفاء ؟ فأجابني بأنه من المنتظر في هذه الحالة مصادرة أملاك الخديو وأمواله ، بخلاف ما إذا اتفق معهم فإنه يأمن عليها ، وتخصص له مرتبات سنوية ؛ وإذا أصاب أملاكه في تركية والضلمان ضرر فإن إنجلترا تعوضه عنها .

فسألته : هل يعتقد بنجاح هذا المسعى ؟ فأجاب بالاجاب .
فسألته عن الجهة التي كلفته بالمخبرة ، فراوغ وأخيراً قال : « إنه يعمل بصفة شخصية خدمة للخديو ، لأنه مذ كان موظفاً في مصر كان يعطف عليه »
فأخبرته أن مساعي من هذا النوع فشلت ، لأن السفير الانجليزي في برن طلب من الخديو أن يتنازل عن عرشه كتابه .
فأجابني : إن هذا السفير لا يعرف الذوق والمجاملات السياسية فلا عجب إذا فشلت المساعي .

فسألته عن كيفية فتح المخبرات ؟

فقال : « أن يرسل السفير للجناب الخديوي يقول له . « إنه علم أن سموه حضر الى بلد محايد ليخبر مع حكومة إنجلترا ، وأنه يقبل الاعتراف بالانقلاب ، وبسلطة السلطان حسين » فيرد الخديو بأنه قابل لما جاء في الكتابة المذكورة . وطبعاً تبقى هذه المخبرة الكتابية سرية لا يطلع عليها أحد »

فاعترضت على تبادل المخبرات كتابة من الآن ، وسألته : لماذا لا يكون ذلك بعد الحرب ؟ قال : « أخشى أن يفوت وقتها أما الآن فالفرصة مناسبة »

وقد رويت ليسكن حديثي مع بارودي فاستعاده ثانية ، وسألني عن رأي فيما إذا كان مكلفاً من قبل السفارة بهذه المخبرة ، فقلت : « لا أظن ، وإنما يريد أن يتوسط ليحز جائرة من الانكليز ، ويكبر في عيونهم فينال تقدماً ، وإنهم ليقبلون كل شيء . يعمل بأية واسطة مادام في صالحهم ؛ والذي يقوله بارودي هو ولا شك في صالحهم لأنه عند الصلح يجري ذكر مصر ، فيبرز الانكليز اعتراف الخديو بالانقلاب » قال :

« أما التنازل فانهم لا يرغبون أن يكون صريحاً في الكتابة التي يعطيها أفندينا ، لأن الأتراك لا يعترفون بتنازله لآية دولة إلا للدولة العلية صاحبة الشأن ، فأمنت على قوله ، ولفت نظره لمسألة هامة ، وهي أن لا يحصل كلام بين الخديو وبارودي مباشرة بل يكون بالواسطة ، حتى يتسنى لسموه إذا اقتضى الأمر ذلك ، أن لا يعترف بما حصل ويبعد عنه الواسطة ، وقلت له : « إنني لأرى الوقت مناسباً لطرق الموضوع لأننا غير عارفين بما سيأتي به الغد ، وأن الخديو ببقائه على الحياد كما هو الآن يمسك العصا من طرفيها ؛ وأن ما يقوله بارودي من إعطاء مخصصات لسموه ، وتعيين البرنس عبد المنعم ولياً للعهد يمكن أن يناله بعد الصلح . أما إذا امتدت الحرب لمصر ، وأتيح للأتراك والألمانيين الدخول في أرضها لما بعد القتال — ولو بقي الانكليز في جهات أخرى منها — فأنني أرى أن يرجع الخديو حينئذ لعرشه حتى يعلم العالم الاسلامي أن الخلافة تمكنت من قهر أعدائها ؛ وارجعت الخديو لعرشه بعد أن خلعه الانكليز وإنما في هذه الحالة أظن أن الأتراك يكيدون له فيجبر على أن يتنازل لابنه ،

الأتراك يحاولون استمالة عباس اليهم : وفي يوم ١٥ نوفمبر كنت عند الخديو مع عبد الحميد شديد ، فقال : « إن فؤاد بك سليم زارني يوم السبت الماضي ، ويزعم أن الانجليز هم المدبرون لما أصاب يكن باشا (وسياتي تحت عنوان خاص) وغرضهم هو الايقاع بي . وأن أفضايق من حالي ، وأجيهم إلى ما يطلبون وهو التنازل عن الخديوية ويعلمون أنهم لو حصلوا على ذلك تعزز مركزهم في مصر لأنه ضعيف الآن . وقد رددت لفؤاد بك سليم زيارته أول أمس ، ولما كنا منفردين قال لي : « إن الانجليز يريدون أن يحصلوا من الجناح العالي على هذا التنازل ؛ ويعدونكم أن يضمنوا لكم أملاً لكم ويعطوكم مخصصات سنوية ، وإذا لم تدعوا لنصيحتهم جردوكم من أملاككم . وهبهم فعلوا ذلك فالدولة العلية تعامل الرعايا الانكليز عندها بنفس هذه المعاملة ، فتجردهم من أملاكهم وتعوض سموكم منها ؛ وأرى أن أفندينا يصلح سياسته مع الألمان ، فيسهل بعد ذلك كل أمر . » قال سموه : « فأجبتة شاكرآله حسن مساعيه لدى الحكومة السويسرية حتى وصل هو وزميلاه سفيراً ألمانيا والنمسا إلى الاعتراف بمركزي الرسمي ، وقلت له : « انني تأكدت من هذه المساعي بقاء المودة التي كنا عليها في الصغر » وقد قال لي : انه لما ندب لسفارة سويسرا ، ولقي خليل بك ناظر خارجية الدولة العلية كلفه هذا أنه إذا قابلني يعلنني أن مقامي محفوظ ، وأن سياسة الدولة لم

تتغير من ناحيتي ، وأنه يستوى عندها أن أقيم في سويسرا ، أو أرجع إلى الاستانة ، وإذا عدت إليها فاني لا أجد غير الحفاوة اللائقة بي . ولم يدخل الخديو في مناقشة مع فؤاد سليم فيما قاله ؛ ولكنه فهم أهمية المتحادثين في كلارن وفي برن وقال لنا : « ان السفير يقول لي تليحاً أن أترك المساعي التي أبذلها عند الانكليز لضمانة ملاكي والحصول على مرتبات سنوية ؛ ولعله هو وسفير ألمانيا وسفير النمسا عالمون بهذه المساعي ، ويخافون أن تتوج بالنجاح ، وأن أتنازل للانجليز عن الأريكة ، فيقوى مركزهم ؛ ويضعف مركز الدولة العلية ولهذا يعدونني بالتعويض والمخصصات » قلت : « وأنا أميل إلى هذا الحل وأقترح أن يكون التعويض من جفالك الدولة الحرة وهي وشأنها في أملاك الانجليز ، وقد أظهر عباس رغبته في أن تكون المخصصات ، ألف جنيه مثل المرتب الذي أعطى لاسماعيل باشا عند تنازله عن أريكة مصر . قلت : « وربما يعطى لأفندينا جفالك آخر في مقابلة هذه المخصصات » قال « وبما انك ياشفيق تعرف فؤاد سليم ، فاني مشخصك إليه لأخذ التفصيلات عن اقتراحه ، ولمعرفة ما إذا كان مذ تكلم به مأذوناً من حكومته ، وباتفاق بينها وبين ألمانيا والنمسا ، أو غير ذلك . وبعد المناقشة في : هل الأصوب أن تكون زيارتي رسمية أو شخصية ، اتفق الرأي على أن تكون رسمية ؛ وأن أسافر غداً إلى برن لهذه الغاية .

وفي المساء جاءني منه أمر بقيامي في قطار الساعة العاشرة صباحاً ، وأنه سيلاقيني في هذا القطار ؛ وقد أخبرني عند تلاقينا أنه قابل أمس مساء ملحمة باشا ، فعلم منه أن البلجيكي الذي عهد إليه سموه أن يعمل المساعي لدى ملك البلجيكي ليتوسط لدى الحكومة الانجليزية ، أنبأه أنه سيسافر غداً إلى باريس لهذه الغاية ؛ وأنه قابل رامبولد سفير إنجلترا في برن ، وسمعه : « يقول إن العمل المختص بالخديو سائر سيراً حسناً ، ولكن يخشى أن يعرقله سموه بأفعاله » قال الخديو : « وحيث أن الأمر كذلك ، فلا يلزم ياشفيق أن تتعمق في التورط مع الأتراك ، بل تجيب فؤاد سليم عن كل ما تسمعه منه انك ستعرضه علي » (ومن ذلك علمت أن الخديو يأمل أن يسوى مسألته مع الانجليز رأساً وأنه يفضل ذلك) قال سموه : « واني ذاهب إلى برن لمقابلة البلجيكي والتكلم معه قبل سفره ، وهذا في أثناء وجودك مع فؤاد سليم »

العمل لتحسين العلاقات بين عباس وحلفائه : وقد توجهت للسفارة ، فقابلني فؤاد بك بحفاوة ، ومكثنا نتحدث مدة ثلاث ساعات ونصف ساعة ، بدأتها بأن أعلمته أنني منتدب من قبل الخديو لمقابلته على أثر دعوتي إلى كلاران ، ووقوفى من سموه على ما دار بينهما من الحديث ؛ وان سموه شاكر للمساعي التي بذلها عند الحكومة السويسرية ، ويقول : « انها تدل على استمرار المودة بينهما من أيام المدرسة » فقاطعتي فؤاد بك قائلاً : « ان ما فعلته هو الواجب » . قلت : « وسموه متشكر للدولة لأنها تفكر في مستقبله بحيث إنها — لاسمح الله — إن لم تقتصر في هذه الحرب ، واستمرت انكلترا في مصر ، وصادرت أملاكه لعدم إذعانه لرغائها ، ولم تقرر له مخصصات سنوية فان الدولة تعوضه عما يفقده بأملك رعايا الانكليز في الدولة ، وترتب له مخصصات تكفيه ؛ فقاطعتي قائلاً : « أما التعويض فقد ذكرته لأنني لما كنت في الاستانة ، وشاع الخبر أن الانجليز قد صادروا أملاك الخديو والوالدة والصدر الأعظم ، تبينت أن الحكومة كانت عازمة على مصادرة أملاك الانجليز . وعلى هذا عرضت من تلقاء نفسي على الخديو ما تفعله الدولة إذا صادرت انكلترا أملاكه . أما المرتب السنوي فهذا أيضاً من البديهي ، لأن الدولة لا تترك سموه بعد أن حالفها . وهذا هو رأي الخصوصي . أما ان كان هناك فتور بين سموه وبين بعض رجال الدولة فهو لا شيء إذا قيس بما كان بين اسماعيل باشا والدولة ، وسموه عند ما يرجع إلى الاستانة يتبوأ المكان اللائق به فضلاً عن أنه لا يجد مكاناً يستريح فيه إذا لم تسمح المقادير برجوعه إلى مصر مثل الاستانة التي فيها قصره وأملاكه .

« بودالانجليز أن يرغموه على الزول عن عرشه ، ويمتونه في مقابلة ذلك بألا يمسوا أملاكه ، وأن يرتبوا له مخصصات سنوية ؛ ولكن هذا شيء طفيف بالقياس إلى عرش مصر ؛ ثم إن سموه لا يليق به أن يمد يده إلى أعدائه ، ويتناول منهم مرتباً » قلت : « لا يبعد أن الدولة في مؤتمر الصلح تطلب عدم مس أملاكه وتقدير المرتب » قال : « هذا جائز » قلت : « نعم ان الانجليز يحاولون من مدة طويلة الوصول إلى تنازله ؛ وربما تكون يا فؤاد بك على غير علم بهذه المساعي ؛ فقد ابتدأت ونحن في فينا على يد البرنس جميل طوسون ، إذ وسط يوسف صديق باشا في أن يعرض — إذا نزل الخديو عن العرش — ان انكلترا تحترم أملاكه ، وتخصص له من المرتبات بقدر ما كان لجده اسماعيل باشا ، وأن ولاية العهد تكون لا كبر أنجاله واشترط

البرنس أن يأخذ في مقابلة وساطته مليوناً من الفرنكات . فقال فؤاد : ممن ؟ فقلت : من الخديو . قال : « وربما يأخذ من الطرف الثاني شيئاً أيضاً » . قلت : « وإنني لما سمعت من يوسف ذلك أجبته إنها مسألة خطيرة ويلزم إخبار حسين حلمي باشا بها » . هذه هي المرة الأولى وقد رفض الخديو أن يدخل من الباب الذي فتح له . أما المرة الثانية فقد كانت في عهد سفير إنجلترا السابق في برن : وقد طلب من سموه أن يتنازل كتابة فرفض ، وقلت لسموه : « إن ما يطلبه السفير هو سلاحك والانكليز الذين يخشونك به يريدون نزعته منك ؛ فلو تنازلت عنه أغفلوا شأنك ، ولم يسمعوا كلامك ، وهذه عادتهم فانهم يخضعون لمن هم محتاجون إليه ، ويفضون النظر عن لا حاجة لهم عنده » وهكذا حبطت مساعي السفير . والمرة الثالثة كانت على يدي وذكرت له ما عرضه مسيو بارودي ، واقتراحه أن يكتب الخديو ورقة يعترف فيها بالانقلاب الذي تم في مصر ؛ وقد رفض سموه الكلام في هذا الموضوع . فمن ذلك يتضح أن الانكليز يسعون كثيراً للاتفاق مع الخديو ؛ وسموه لما كان في الاستانة وعرض عليه سفير انكلترا فيها السفر إلى إيطاليا ، ورفض الطلب كان يعلم بالمضار التي ستلله أدياً ومادياً ، فلم يبال بذلك لأن مبدأه من وقت توليته إلى قيام الحرب هو السير مع الخلافة ، ولهذا تضافر معها بغير دافع من أي انسان إلا دافع الغيرة الدينية ، ودون مطلب إلا رجوع الحال في مصر إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال .

قال فؤاد : « وأنا أيضاً مبدئي أن أرى الدولة العلية قوية ، وأن تكون مصر مستقلة في داخليتها كما كانت دائماً ؛ وتكون عسكريتها قوية فتساعد الدولة عند الاحتياج فنكون أشبه شيء بالعلاقة بين المجر ودولة النمسا . وهذا رأى رجال الدولة حتى أن طلعت باشا قال لي : « اننا لانس الادارة المصرية لأنها خير من إدارتنا » ولكن لا أخفي عنك أن بعض الأنراك يرغبون في الرجوع بمصر إلى مرتبة الولاية التابعة ؛ ولكن ليس هذا رأى رجال الحكومة . وأنا أرى أن أفندينا يجتهد في تحسين العلاقات بهم . نعم أن فيهم من هو قليل التجارب ؛ ولكن أفندينا يستطيع بما أوتي من الحكمة والقدرة أن يجذبهم إليه » . قلت : « وما هي الطريقة ؟ » قال : « ببعض رسائل ودية عند سنوح الفرصة ، أو أن يعهد إلى أن أبلغهم مودته » . قلت : « أن الفرصة سانحة الآن فيما أنه حضر لزيارتك ، ولشكرك وشكر الحكومة على

مساعيا في حادثة يكن ، حينئذ تكتب الى ناظر الخارجية تطلب منه بصفة خصوصية أن يكلفك بتحياته ، وإذا كلفت بشيء فاطلب من سموه الحضور عنده لا بلاغه الرسالة حتى تكون سابقة ، ورويدا رويدا تتحسن العلائق بينكما ؛ وبالتالي مع الحكومة ورجالها ، وأنا أعاهدك على أنني أساعدك في هذا ؛ ولا أخفي عنك أنني اجتمعت في حملي على الرجوع الى بلاد المحالفين له ، وإنما الخديو مستاء ، ولا رغبة له في الرجوع الى الأستانة ، لأنهم ألقوا في روعه أن حياته تظل مهددة هناك ، حتى إننا كنا سعيينا في أنقاعه بامضاء شهر رمضان فيها عندما كنا في فيينا فلم ننجح للأسف ، وأظن أن صاحبه الفرنسية هي التي تؤثر في فكره ، وتمنعه أن يذهب الى بلاد المحالفين ، وتجهد في إبعاد المصريين عنه ؛ وحكى له ما قالته لي لوزانج في فيينا : من أن سموه لا يريد أن يرى أحدا منا ، وعرضت عليه أن يحسن علاقته بالألمان . قال : « نعم لأن مسألة يكن تعد أحرجتهم في سويسرا » (١) قلت : « هذا صحيح ولا بد أنهم تكبدوا من ذلك ، فأرجو أن تدلني على الطريقة الموصلة الى إزالة هذا الكدر ، كما أنني دلتك على طريقة الوصول الى تحسين العلاقات برجال الدولة » قال : « إننا اذا أفلحنا في هذا سهل علينا أن نفعل في تحسين العلاقات بألمانيا ، أما النمسا فان كل ما نقرره أنا وسفير ألمانيا يوافق عليه سفيرها هنا ، وعلاقتي بسفير ألمانيا على غاية المودة ، فانبداً أولاً بالطريقة الموصلة الى إصلاح الأمور بين الخديو ورجال الدولة ، وإنني سأسير في هذا الطريق » ثم طلب مني أخيراً أن أكون الواسطة بينه وبين الخديو في المخاطبات ولا أدعها لاحد آخر ؛ وانتقد الدكتور سميد كامل لأنه يتكلم بلهجة يشتمز منها الأتراك ؛ ثم ودعته وخرجت فقابلت الخديو في دكان شديد بك (١) وعرضت عليه خلاصة ما سمعته من السفير ، فلم يعجبه القول بأن الدولة تطلب تخصيص مرتب له في المؤتمر ، وقال : « حينئذ هي لا تريد تخصيص مرتب لي ؟ ولما كان هذا القول اقتراحاً مني لفؤاد بك ، فقد حاولت أن أفهمه أن السفير يقول : إن أخذ مرتب من الانجليز عار على سموه لأنهم أعداؤه ، ولا يليق أن يطلب منهم شيئاً » وقد فهم أن مسألة المرتب وضمان أملاك الخديو كانت من بنات أفكار فؤاد بك ، وليس بإيعاز من حكومته ، ثم قال لشديد الذي كان حاضراً معنا : « هناك فرق كبير وبون شاسع

(١) سيأتي ذكرها في فصل خاص

(٢) في هذا الوقت كان شديد بك قد افتتح محل تجارة في برن

بين وعد تركي ووعد انجليزى (يعنى أنه لا يثق بالوعد الأول) فواقفه شديد على ذلك ، ثم قال : « ولكننا نسير مع فؤاد سليم فنحسن علاقاتنا بالأتراك ونعمل عملنا من الجهة الأخرى ، وعند ما نصل مع هذه الجهة إلى نتيجة نقول لسليم بك : « نحن لا نريد أن نعمل أمراً من وراء ظهرك ، فها هي ذى شروط الاتفاق مع الانجليز ! » وذهبتا بعد ذلك إلى المحطة حيث كان في انتظارنا الدكتور سيد كامل ، فساغرنا ولم تتبها الفرصة مع وجود الدكتور لسؤال الخديو عن نتيجة مقابلته للبليجيكى ، خصوصاً وقد حصل الاتفاق بين سموه وبينى وبين شديد بك بالأنا نطلع أحداً على أحاديثنا في مسألة الضمان والمرتب مع الأتراك .

وفي يوم ٢٩ نوفمبر كنت عند الخديو بحضور عارف والدكتور سيد كامل والبرنس ابراهيم حلمى وعبد الحميد شديد والبشرى ، وتناقشنا في الموقف الحاضر . فقلت : « ان الواجب على أفندينا أن يتخذ خطة واضحة يبين فيها رغائبه واحدة فواحدة ، فنسعى في تنفيذها ، وأنا مستعد للعمل فيها » . فقال شديد : « وجودنا على الحياد لا يفيد ، بل يضر ؛ ويلزم أننا نلجأ إلى أحد الجانبين » . وقال البشرى : « ان أفندينا له مصالح في مصر وفي الدولة العلية ، فلننظر إلى أهميتها ، ونضحي بالجهة التى تقل فيها منافعنا ؛ ولو نظرنا إلى أملاك أفندينا نجد أن له في مصر ما يساوى ملايين الجنيهات ، وما هو في الدولة لا يمد شيئاً إذا قيس به (يعنى أنه يرجح فكرة الانضمام لجهة الانجليز) . فقلت : « إن الانجليز لا يرغبون الآن في موالاته سموه ، وجنابته يقول : « إنهم حينما تأتى سيرته يقولون : « نعم إنه يميل إلينا الآن لاحتياجه » فيبعدون عنه ، ثم إذا كانت انجلترا هي الغالبة فهى لن تسمح له بالرجوع إلى مصر ، وهو لا يود أن يعيش في بلاد مسيحية ، ويفضل طبعاً الإقامة في الآستانة : فكيف يكون حاله لو انضم إلى الانجليز الآن ؟ إنه لا يستطيع العودة إليها . »

وقد تناقش سيد وشديد فيما إذا كانت انجلترا تسمح لسموه أن يبيع أملاكه في مصر ويأخذ ثمنها . فكان من رأى الثانى أنها لا تسمح خشية أن يستعمل النقود ضدهم في مصر .

وبعد المناقشة كان رأى الأغلبية يميل إلى ترجيح جانب تركيا ، ماعدا عبد الحميد شديد وعبد الله البشرى .

نص المخبرات بين عباس وملك البليجيك : وقد اطلعت فيما بعد على الرسائل

التي تبودلت بين ملك الباجيك واخذيو . بخصوص توسط جلالته لدى الانجائين ،
أثبتها هنا لأهميتها :

- ١ -

« مولاي :

أسمح لنفسي إذا ذكر تلك العلاقات الودية التي تشرفت بقيامها بيني وبين جلالتم
ثناء زيارتكم لمصر أتم و جلالة الملكة ، بأن ألقا إلى عطف تدخلكم السامي
كي تعينوني جلالتم على إيجاد حل لمشكلكي

واقدر حسب يا مولاي - بحق ولا ريب - أن المحن الشديدة التي يتجاوزون
مضارها ببطولة فائقة أتم ومملكتم الجديرة بشجاعتكم ووطنيتكم بكل إعجاب ،
حسبت أن تلك المحن تزيد جلالتم ، بما جباكم عليه من طيبة ، عطفاً على كل يؤس
ومصاب . فلما أن لقيت صديقي القديم « الكونت دودزيك » ، وكان بالسويس
وزير جلالتم الممتاز الذي كنت عرفتة في الآستانة ، رأيت أن أرجو منه أن يعرض
على جلالتم رغبتي في الوصول بفضل عطفكم وتدخلكم إلى تسوية مع إنجلترا ،
ترضيني وترضى حكومة صاحب الجلالة البريطانية معاً

وسأظل يا مولاي مديناً لجلالتم بالعرفان كله لتكرمكم باعانتى على إيجاد ذلك
الحل الذي سيعرضه على جلالتم « الكونت دودزيك » ، إذا تفضلتم جلالتم
فأذنتم له بالعرض واستقبلتموه . ولجلالتم ، إذا رأت هذا الرأي ، أن تسمح له
بأن يقوم عند الضرورة لدى حكومة صاحب الجلالة البريطانية بالمساعي المطلوبة
وإنى لأتمنى من الأعماق أن أرى في أقرب ما استطاع ، جهود جلالتم التي
تفوق كل جهد بشري ، مكللة بالنجاح .

وأرجو ، إذ أعذر مختصاً عن إفلاق جلالتم في هذه الظروف المؤلمة ، أن
تفضل جلالتم بقبول عبارات احترامي وإخلاصي

عباس حلمي ،

لوزان في ١٢ مارس سنة ١٩١٦

- ٢ -

« مولاي :

لما تسلمت كتابكم وكتاب « الكونت دودزيك » ، بادرت بالعمل على السعي
لدى الحكومة البريطانية .

وقد وصل إلى الرد الآن . ومنه علمت أن الحكومة الانجليزية مستعدة - بناء على تعليمات سر ادوارد جرای - لأن تقترح على سموكم تسوية إذا شئتم وإني لأذكر بالسرور ذلك الترحاب الجميل الذي لقيتموني به في مصر منذ خمس سنين ، وأحفظ من أجله خالص العرفان .
وأرجو من سموكم أن تثقوا دائماً في أصدق عواطفى نحوكم .

« لابان » في ٢ يونيه سنة ١٩١٦

البيير

— ٣ —

« مولاي :

سلمنى الكونت دود زيك الرد الرقيق الذى بعثتم به لجلالتكم إلى فى الثانى من شهر يونيه .

وإنى لأشكر لجلالتكم ما تفضلتم به نحو طلبى من حسن القبول وإنى كما أخبرت « الكونت دود زيك » لا أزال فى الحالة التى أملت على طلبى ، ولذلك فأنى أنتظر اقترحات التسوية التى سيبلغها إياى سر ادوارد جرای ولعلى أستطيع المفاوضة بشأن هذه التسوية مع مندوب من قبيل الحكومة البريطانية يكون واقفاً على مجرى الشؤون المصرية ، إذ يساعد هذا كثيراً على الحل المرغوب

فأرجو من لجلالتكم التفضل باقتراح هذا الرأى ، وأشكر لجلالتكم هذا التفضل من كل قلبى

وإنى لأبتهل بالدعاء لجلالتكم بالهناء وتحقيق كل الآمال وأرجو أن تفضلوا بامولاي بقبول عبارات أخلص الاحترام

عباس حلمى

لوازن فى ٧ يونيه سنة ١٩١٦

تسليم النقد الاطمانية والحجز على مبلغ يوسف صريه : سبق أن ذكرت أن وزارة الخارجية الألمانية أرسلت موسيو پادل (الذى كان بمصر قبل الحرب وله اتصال بعباس وبى) لتسوية حساب النقد الألمانية مع الخديو فى السويدية

وقد رد عباس ما كان باقياً من هذه المبالغ وأخذ مخالصة من الألمان بها، رغم معارضة صاحبه مدام لوزانج في رد هذه المبالغ

عباس يوسف صديق : وقد علم القارىء من مذكرات العام الماضي أن يوسف صديق قد أخذ مبلغ مائة ألف فرنك لنفسه من هذه النقود .

وقد أودع منها في بنك زوريخ مبلغ خمسة وسبعين ألف فرنك ، فحجز عباس عليها ، ورفع قضيته بمبالغ كانت للخاصة الخديوية عند يوسف ، بما أوغر صدره ، فألف رسالة كلها مطاعن في سموه ؛ وقصد الى النمسا ليطلعها هناك ، ولكن حكومتها علمت بالأمر فمنعت طبعها

وفي يوم ١٨ فبراير لقيت على الشمسي فأخبرني أن يوسف حضر من فينا ليشاور محاميه في الدعوى المقامة ضده ، وأنه سأل : لماذا لا يسلم للخديو في هذا المبلغ مع أنه من نقود الألمان ؟ فأجاب بأنه يريد أن يجبر عباساً على رد أموالهم التي أخذها ، قال الشمسي : فقلت له : « ولكني أعرف أنه حاسبهم ودفع الباقي عنده لهم » فأجاب بأن المدفوع ليس هو الكل ، بل ستمائة ألف فرنك فقط ، فأكدت له أن المدفوع أكثر من ذلك ، فقال يوسف : « حينئذ أنا أطلب منه أن يترك لي مبلغ عشرين ألف فرنك باقى مرتبي ، لأنه كان يعطيني نصفه فقط ، ونفقات أنفقتها في مهام لم آخذ منه بدلها » . فقال الشمسي : « الأصوب أن تذهب لمقابلة سفير ألمانيا في برن ، وتعلميه تحويلاً بالمبلغ وتنتهي المسألة ، وربما صفح عنك الخديو » فقال : « وأنا بعدها ماذا أصنع ؟ وقد قطع الأتراك مرتبي ، لأنني رفضت العودة إلى الآستانة إذ رأيت أنني إذا أجبت طلبهم وعدت فربما قطعوا المرتب بعد شهرين أو ثلاثة وحظروا على الخروج » .

ثم ذكر للشمسي : أن بوليس الخديو أنشط من البوليس السرى في سويسرة ، فانه ما كاد يظاً أرضها حتى علم من محاميه الثاني أن محاميه الأول الذي اشتراه الخديو ، حادثه تليفونياً وسأله عن سبب حضور يوسف ، ولم يكن قد عرف بعد بحضوره . وكذلك لم يكذب يستقر بالفندق حتى حادثه نشأت باشا الالباني تليفونياً ، وسأله عن مهمته في السويسرة ؟ فرد عليه بأنه حضر من أجل القضية المقامة ضده من الخديو ، فقال له : « إن المسألة لا تحتاج لقضية ، ويمكن إنهاؤها في دقائق »

وفي يوم ٦ مارس كنت في لوزان عند الخديو بحضور لبيب وفهمى والشمسى، فأخبرنا أن يوسف أراد التقرب منه ، ووعد بتقديم الرسالة التى ألفها ضد سموه مع كتابه يقول فيها : « انه كتب تلك الرسالة فى فورة غضب ، وأن أعداء الخديو انتهزوا هذه الفرصة فحرضوه على التشهير به ، أما المبلغ المحجوز فقال عباس : « اننى قدمت للمحكمة مخالصة من الألمان ، فنقد يوسف حجته ، واقتنع بأنه لا مفر من الاستيلاء على المبلغ ، فسلم سلاحه ،

وفي يوم ٢ أبريل علمت من اسماعيل لبيب أن الخديو تنازل ليوسف عن عشرين ألف فرنك ؛ وانتهت بذلك القضية ؛ وانقطعت العلاقات بين عباس ويوسف صديق

بين عباس ورماله والوطنيين :

بينى وبين سموه : ذكرت فيما مر وقوع جفوة بينى وبين الخديو من وقت أن صارحته برأى فى جلسة الجمعية التى ألفت للنظر فى كل ما يهمه ، وتكلمت بشدة فى وجوب توضيح سياسته حتى نعرف اتجاهه ؛ وأنتى أقت فى جفيف وأبلغت من قبله أن أبقى حتى ترد ل أوامر أخرى

وفي يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩١٦ زارنى الدكتور سيد كامل ؛ وأبلغنى أن الخديو قال له يوماً : « إن شقيقاً أوحشنا ، ومضت علينا مدة لم نره فيها ، وإن شاء الله سنراه حينما نذهب إلى لوزان ، (وكان يقيم فى قصر كلاران مع صاحبه) فأجبت به بأن سموه كان قد قال للشيوخ عبد الحميد ، إنه سيأمر باستحضارى ولكن هذا لم يقع للآن .

وفي اليوم التالى علمت من هكسيوس أن الخديو حضر للوزان واجتمع به ، ثم عاد ، فعجبت فى نفسى من أنه لم يرسل إلى كما أرسل لهكسيوس
وفي يوم ٤ مارس زارنى عبدالله البشرى ، وأخبرنى أن عباساً حضر إلى لوزان وسيسافر غداً (أى ليس لديه وقت لمقابلتى !) وأنه أرسل ليأخذ ما لدى من الأخبار ، فأعلمته بما عندى

وفي يوم ٦ مارس ورد لى أمر تليفونى بالحضور إلى لوزان لمقابلة سموه مع لبيب وفهمى والشمسى فلما دخلت عليه رحب بى كثيراً ، فقلت : « يا أفندينا أنت

أوحشتني كثيراً وهممت بتقيل يده فأبى؛ وكان لطيفاً جداً معنا في هذه المقابلة، وجلس يسامرنا حتى منتصف الليل، وتوالت رسل صاحبه إليه لتناول العشاء حتى ملت، فأكلت بمفردها

وفي يوم ٦ مايو كنا مجتمعين بسموه؛ واستطرد الحديث إلى المصريين الذين يطلبون إعانات، فتهيج وقال: «كل ساعة فلوس فلوس»، ما بقي على إلا أن أحضر ما عندي من النقود، وأقسمه مثل التركة بيننا ونستريح، فتأملت من ذلك ورددت بشدة قائلاً: «ولماذا كنت تنفق على الشيخ محمد عثمان ٢٥٠٠ فرنك؟ أنا ما كنت راضياً عن ذلك فقال: «أسأل هؤلاء الجالسين الذين التمسوا مني هذه الإعانة، ثم سكت».

وقد علم القارىء في فصل سابق أن سموه رتب لى ألف فرنك حينما قطع مرتبى من الاستانة؛ ثم عاد فاقطع نصفه دون سبب ظاهر، فسكتت إلى يكن باشا أسأل عن سبب هذه المعاملة، فلم أتلق جواباً. ثم قضيت نحو شهرين في مدن الحمامات وعدت ولم يستدعنى سموه

وفي يوم ٣ سبتمبر أخبرنى الدكتور سيد كامل أن الخديو قال في ذات يوم: «ان شفيقا غضبان لأننى أعطيه فقط خمسمائة فرنك مع أن سفير النمسا في برن لا يأخذ أكثر من ذلك!»

وفي ٩ منه وردت لى رسالة من الشيخ عبد الحميد يقول فيها: «إن الجناز العالى أمره أن يكتب إلى بأن سموه راض عني، وأنه لم يستدعنى بعد لعدم وجود أعمال الآن!». ويطلب منى أن اكتب رسالة بالشكر لسموه على سؤاله عني، وسروره بعودتى من الحمامات؛ وقد كتبت هذه الرسالة

وفي يوم ٧ أكتوبر قابلنى شديد بك وسلمنى اشتراك السفر وقد أرسله الخديو إلى للذهاب فى الغد إلى كلاران، مهنتا بالعيد.

ولما دخلت عليه وقف وخطا نحوى باشا وأخذ يبدى قائلاً «كل عام وانت بخير يا شفيق باشا» فأجبهته: «إن شاء الله نعيد على سموكم فى العيد المقبل بمصر» وكان مع سموه البرنس عبد المنعم ونجل محمود مختار باشا، والبرنس محمد على (وكان قد خرج من إيطاليا إلى السويسرة وأقام فى جهة منترو)

وفي يوم ٢٠ أكتوبر وردت لى رسالة من الشيخ عبد الحميد يقول فيها: «إن

الخديو بلغه ذهابك الى طبيب العيون ، وأنه أشار بعملية ، وهو يتنى لك الشفاء ، فأرسلت شاكرآ

وفي يوم ١٧ نوفمبر قابلت الدكتور سيد كامل وكان الخديو قد بعثني لمحادثة فؤاد بك سليم في مهمة تختص بحفظ حقوقه في السويسي كخديو مصر ونجحت في مهمتي . فقال لي الدكتور : « إن الخديو يقول : « هناك فرق كبير بين شفيق ويكن فان الثاني إذا ذهب في مهمة لا يتكلم إلا في عرباته وخيوله التي يبعث في مصر ، ثم قال : « وإنني أهنئك يا باشا بما استعدت من ثقة أفندينا بك ، فضحكت في نفسي وقلت : « إن هي إلا مدة قصيرة ، ثم لا يلبث أن يسمع مني فكرة حرة حتى يعاوده الغضب »

الشيخ محمد عثمان والخديو : في يوم ٦ مايو دعيت إلى الخديو في نوزان بحضور يكن وسيد كامل والبشرى ، فتحدث معنا في أن الشيخ محمد عثمان المعاود بالخاصة طلب العودة إلى مصر ، وقال : إنه يعرف موسيو بارودي وهو مستعد لأن يسهل له العودة ، ثم أظهر سموه ألمه لأن هذا الرجل خرج على طاعته قبل ذلك ، وذهب إلى فينا ، وكتب رسالة حشاشا بالظعن فيه ، ثم عاد منها فدفع له مبلغ ألفين وخمسمائة فرنك إعانة له ؛ وبعد ذلك يطلب أن يتركه ويعود إلى مصر . قلت : « إنني متأكد أن سموكم إذا رخصتم له في العودة لم يوفق لذلك ، ويصبح وليس له معين » فوافق على قولي ؛ ثم أمر الدكتور سيد كامل بأن يستحضره ، ويقول له : « إن الخديو يرخص لك في السفر وسنؤوى حساب الفندق الذي تقيم به ، وليس لك بعده شيء في ذمتنا »

قلت : « ولكن تبقي مسألة ... » فقاطعتني قائلاً : « ونعطيه أجره السفر ؟ » قلت : نعم ووافق يكن والدكتور على قولي . فاحتد الخديو وقال : « أنا لا أعرف لكم مذهبا فلماذا تطلبون مني إعطائه نقودا مع علمكم أنه غير مخلص ؟ » . ثم قال : « لقد كان الشيخ احمد الزناتي رجلا مخلصا حقيقة ، ولكنه لم يكن نشيطا مثل الشيخ عثمان وأنا كنت أستخدم الاثنين مع علي بما في كل منهما من المحاسن والعيوب . وأنكم لتعترفون بعدم إخلاصه ، فلماذا يأناس تطلبون مني نقودا ؟ » فسكتنا لما أتيه من انفعاله

وفي اليوم التالي قابلته وقلت له : « إنني لم أرد أن أرد عليه أمس نظرا لانفعاله ولكنني أود إبعاد الشيخ بطريقة حسنة . وذلك باعطائه مرتب شهر قائلين له :

« إن أفندينا لا يمانع مطلقاً في سفرك، وما هو ذا مبلغ كذا لتتفق منه في السفر، فيعلم الناس أنه غير مجارود، وعندئذ يلاقى صعوبات في عودته إلى مصر، قال سموه: « نعم يقولون إننا متفقون على تسفيره، فأكملت حديثي قائلاً: « أما لو طردناه بالطريقة التي كان يراها الخديو، فإنه يلقي صدراً رحباً من أعدائنا، فقال: « يا شيخ حينما يأتي له الأمر بالسفر يعطيه بارودي نفقاته، فأصررت على رأيي وقد حضر الشيخ في اليوم نفسه فكلّمه يكن بحضوري وحضور الدكتور سيد كامل بما تم الاتفاق عليه، فدهش، وقال: « إنه بقي له من حسابه القديم خمسمائة فرنك، فأرجأه يكن إلى غد للنظر في حسابه. فقال: « أي حساب؟ كل هذه إحسانات من أفندينا بارك الله فيه. ولكن ماذا أصنع حتى يأتي لي الأذن بالسفر؟ أنا استأذنت في اتخاذ الاجراءات، ولكن لم أصنع شيئاً لآن، فرد عليه يكن بأنه ذكر أنه تسكّم فعلاً مع بارودي. وقد بات ليلته متكدراً ولم يستطع تناول العشاء.

وفي يوم ١٣ يونيو أخبرني الدكتور أن الشيخ أرسل يسترحم الخديو ويطلب معونته وهو خالي اليد في بلد أجنبي، ووقع رسالته « المخلص الحقيقي، (١) عباس ورجال الحزب الوطني: ذكرت فيما مضى أن هناك نفوراً بين رجال الحزب الوطني في أوروبا وبين الخديو من جراء رفضه للمساعدة على إنشاء الجريدة وكذلك لما بدر من اللوم على شرائه العقد لصاحبه.

وفي يوم ١٩ أبريل قابلت الخديو في فندق لوزان بالاس بحضور الدكتور سيد كامل، فأنبأته أنني علمت بأن محمد بك فريد الموجود في فينا أرسل برقية يقول فيها: « إنه عائد قريباً للسويسرة، فتكلم وهو مستاء من فريد، وذكر أن الشمسي وليبياً طلباً منه أن يضمّهما في سلفه، وأنه بعد أن وسخه المصريون لا يريد أن يتدخل في مسائلهم، ثم قال: « ها هو ذا دوبرتينو بك الأجنبي الذي كان يعلم كثيراً من أسرارى، ولا يعرفها أحد سواه لم يسج بشئ منها حتى الآن؛ ولكن المصريين تكلموا في حق كثير. إنما لم أسمع شيئاً عن ليب، مثل ما سمعت عن فريد والشمسي. وإذا عاد فريد وكان محتاجاً لمعونة مالية مثل زميله فاني سأرفض معونته؛ ولو ساعدت ليباً دونهما فربما أبى أن يقبل مساعدتي وحده،

وقد أراد الدكتور أن يدافع عن فريد فقال : « إنه أخطأ حقيقة في أخذ كلام حسين شيرين ، قضية مسلمة عن مشترى افندينا بجوهرات لمدام لوزانج ، وإخبار الطلبة بذلك لكنه من المخلصين لسموكم » . فقال : « لا ، الغلطة الكبرى هي ذهابه للسفيرين الألماني والترني في فينا وقت وجودنا هناك ، وما قاله لها بشأن عودتي إلى الاستانة » . فقال الدكتور : « ولكن سموكم صفحتهم عن الشمس ، ويستحب الصفع عن فريد في هذه الظروف الحرجة » فقال عباس : « أنا لست أريد أن أعرض عن مقابلة فريد إذا حضر ، ولكنني أعرف أنه غير مخلص كما تقول ، وهل نسينا ما كان يدور من الكلام في بيوكدره تحت الشجرة بين فريد وباقي رجال الحزب الوطني من تهديدي قبل وقوع الاعتداء على ؟ ألم يقل لك لببب إنه كان يعلم بما سيحصل لي في الاستانة باتفاق مع السلطة المحلية ؟ » قال سيد : « إن لبببا كان يسمع من مظهر أنه يريد أن ينتقم من سموكم ، ولكنه ما كان يصدق ، بل كان يقول انه هنذر أطفال ، وكان يعلم بعداء الحزب الوطني لكم قبل الحرب ؛ لكنه انضوى بعد ذلك إلى سموكم » . فقال عباس : « على كل حال أنا لا يمكنني أن أساعد الشمس وفريدا »

مدام لوزانج تعرف نقطة ضعف عباس فتستغلها : وفي يوم ٢٣ ابريل كنت أحادث الدكتور ، فأبدى لي تأله مما سمعه من الخديو في الجلسة الماضية بشأن رجال الحزب الوطني ، وقال : « إن صاحبته هي التي تزين له ذلك ، وقد عرفت مواضع الضعف فيه » واستشهد بما رآه ذات يوم من الخديو وقد جلس يفرز الرسائل الواردة ويفصل منها الجزء الأبيض الخالي من الكتابة فيحتفظ به ، فما كان منها إلا أن أخذت رسالة سها عنها وصنعت بها كذلك ! وهي الآن تستغل حرصه فتقول له : « ما الذي نفعلك به المصريون فتنتفخ عليهم ؟ » وتحسن له إبعاد رجاله واحدا واحدا اقتصادا للنفقات .

وقد سمعها الدكتور مرة تقول مثل هذا الكلام ، فأخذها عليه في غيبة الخديو ، وأفهمها أن رجل الطبقة الوسطى هو الذي يفكر في مسائل صغيرة كهذه ، ولا يصح أن يفكر الخديو في مثل هذا وهو ملك ، وقد دعاكم للحضور عنده في ضيافته .

ولما نقل هذا الكلام للخديو حنق على الدكتور سيد كامل

وفي يوم ١٣ يونيو قابلته في لوزان ، فعلبت منه أن الخديو غاضب عليه ، لأنه أمره باستدعاء اسماعيل لببب من « ليزافان » حيث يقيم مع فريد والشمسي ، فوجد أنه إذا استدعاه بمفرده يكدر الآخرين ، وخصوصاً بعد أن تقابل الثلاثة وإياه ،

وعلم منهم أن فريداً مستاء لاهمال الخديو له ، بعد أن قبل الاشتغال معه في مسائل خطيرة ، ومنها المخاطرة مع الانجليز ، الأمر الذي كان يعتبره فريد وإخوانه خيانة وطنية . ولهذا مر فريد والشمسي بلوزان ولم يقابلا سموه ؛ واحتج فريد بأن قدمه تؤلمه ، وهو يلبس « شيشياً » !

أما عباس فقد أراد باستدعاء لبيب وحده إغاضتهما نظراً لذلك ، فاستحسن الدكتور أن يدارى الأمور ، ويؤجل حضور لبيب على حدة فلم يفلح . وأخيراً أبلغ فريد تليفونياً تحيات الخديو ، وأن الأحسن تأجيل المقابلة حتى تشفى قدمه ، وأن يحضر لبيب وحده . وبذلك لم يشعر فريد بشيء . ولكن الخديو غضب على سيد كامل غضباً شديداً لما علم بذلك .

وفي يوم ٦ يوليو قابلته ، فأخبرني أن فريداً ولبيباً والشمسي قابلوا الخديو ، وتفاهم معهم على السير في مخاطرة الانجليز ، ولكنهم طلبوا قبل موافقتهم على ذلك أن يعطى كلا منهم مرتب سنة مقدماً بواقع أربعائة فرنك في الشهر ، لأن الأتراك إذا علموا باشتراكهم قطعوا المرتب الذي يعطونه لفريد ولبيب .

أما عباس فأراد أن يعطيهم شهراً شهراً ، واعتبر أن شرطهم معناه عدم الثقة به ، فلم يقبلوا .

وأبلغني الدكتور أنهم قالوا : « هانحن أولاء نرى أماننا كيف يعامل شقيقاً وسيد كامل وهما من رجاله المخلصين ! »

العلاقات بين الخديو و« هلفاء » :

فتور العلاقات بين عباس والنمسا : في يوم ٦ مارس أخبرني الخديو أنه كتب إلى حكومة النمسا بأن والدته مريضة بالاستانة ؛ وأنه يريد إرسال أحد أبنائه لرؤيتها ولكنه يخشى أن يحجزه الأتراك في الاستانة ، ولذلك يطلب المعونة احتياطاً لهذا . فجاء الرد منها بأنها مستعدة لمساعدته فيما يمكن ، بدليل أنها منعت يوسف صديق من طبع كتابه ضده (الذي سبق ذكره) وكذلك منعت محبا من مبارحة البلاد النمساوية بعد مجيئه إليها ، لما علمت أنه غير مخلص لسموه . ولكن مسألة المخاطرة مع الحكومة العثمانية في عدم حجز ابنه يعد تدخلا في الشؤون الداخلية لتركيا .

ومن ذلك علم الخديو بتغير النمساويين من ناحيته ؛ فأرسل دعوة إلى الكونت دي تورن قنصل النمسا في جنيف ، فلبى الدعوة يوم ١٨ مارس ، ورحب به سموه

كثيراً ، وذكره الأيام التي قضوها معا في التريانون ، وأنه لا زال يحفظ مودته القديمة ، وبهذه الصفة يتحدث معه . ثم أخذ يشرح سياسته مع الانجليز ، وكيف دافع عن مصالح مصر ، وقامى المتاعب الجمة ، وكيف حالف الأتراك والألمان ، ثم شكاه سوء معاملة الأتراك إياه مما أجبره على مبارحة الاستانة . وكيف بعد هذا أهمله الألمان ولم يسمح امبراطورهم بمقابلته ؛ ثم شكاه من حكومة النمسا نفسها لأنها قد خصصت لمراقبته حينما كان بويانه اثنين من رجال البوليس السرى يتعقبانه ، حتى اضطر أن يشكو لظارة الخارجية ؛ وعندئذ اعتذر له رئيس البوليس . وقال سموه في النهاية : « إنه ينتظر انتهاء الحرب ، فيتنازل عن عرشه ، ويطلب من الانجليز تخصيص مرتب له ، ويستريح من هذا العناء »

سحابة تنقشع وفي يوم ٢٣ منه بلغنى من الكونت نقلا عن موسيو أرفاى النمساوى - وكان في خدمة عباس - أن الخديو تشاور معه في أن يذهب لبودابست ليرى القناطر التي أقامها النمساويون على نهر الطونة بعد فتح الصرب ، وأن صاحبه عارضت في ذلك ، فقال لها : إنها تنتظر في السويسرة حتى يعود سموه وقد استغربت في نفسى أن يكون ذلك عزم الخديو حقيقة ، وفهمت أنها ربما كانت مناورة منه ، لاذاعة هذه الرغبة عنه في بلاد النمسا وألمانيا ، حتى يعلموا أنه لم يتحول عن صداقتهم

عودة اهتمام الألمان به وقد علمت ألمانيا فعلا بذلك العزم ، فأرسل مسيو ياجو ناظر الخارجية بواسطة سكرتيه يطلب مسيو أرفاى للحضور إلى برلين ، وفي رسالة استدعائه ما يشير إلى أن السياسة الألمانية نحو الخديو أصبحت طيبة ، فلم يستحسن سموه استدعاء أرفاى مباشرة بغير اذنه ، وأجاب مستدعيا السكرتير إلى زوربخ لمقابلاته ، على أن تكون نفقاته من جانب سموه

وفي يوم ١٣ ابريل علمت من الكونت بأن مسيو ياجو أرسل برقية للخديو فخواها أن الامبراطور مستعد لمقابلاته ؛ ويدعوه الناظر إلى برلين ، ولكن سموه يتمنع ؛ وربما أدى هذا إلى قطع الجبل بينه وبين محالفيه ، وقال لى كذلك : إن أرفاى أبلغه أن الخديو يسوف و يترث في السفر إلى المجر ، بعد أن كان يريد أن يسافر سريعا وعند ذلك تأكدت أنها كانت مناورات فقط كما فهمت ذلك من قبل

وفي يوم ١٨ ابريل زارنى على الشمسى ويوسف صديق ، فعلمت من الأول أن

ألمانيا له علاقة معه (وربما كان ياقوبى وهو جاسوس لألمانيا فى السويسرة) أخبره بأن المسيو فيزندوق الذى يشتغل بالمسائل الشرقية فى نظارة الخارجية بـ برلين حضر إلى مونتروه عند والده ، ويحب أن يجتمع بالشمسى ويدعوه إلى الشاى ، فذهب الشمسى أول أمس وقابله ومعه الألمانى (ياقوبى) وتحادثوا فى مسائل مصر والحديو ، فقال فيزندوق : «إن الحملة العثمانية ستزحف على مصر فى الحريف القادم ، لأن ألمانيا لا تتمكن من قهر إنجلترا إلا فى مصر ، وأن تأخيرها فى هذه السنة كان لضيق الوقت عن تجهيزها والاستعداد لها كما يجب ، وأن ألمانيا لا تحب أن تفشل مرة ثانية صوتا لشرفها العسكرى وسمعتها الحربية ، وهى لا تترك الأتراك يفعلون ما يريدون فى مصر ، وتريد أن تحافظ على عهودها بأن ترجع الحالة إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال . أما الحديو فنحن نعلم أنه حائق علينا كما أنه حائق على الأتراك ، ولا باعث لتدمره لأننا لم نمسه بضرب ، وإذا لم نساعده عند الأتراك فليس معنى هذا أننا تركناه بل إننا لا نريد أن نغضبهم ، لتدخلنا فى مسألة يعتبرونها داخلية ،

فأجابه الشمسى : بأن سفير ألمانيا هو الذى تدخل بين الحديو والصدر ، وبدلا من أن تقول يا مسيو فيزندوق : إن الواجب على الحديو أن يصلح هو بنفسه سياسته ، معه ، يجب أن تعرف أن الشقاق الحاصل بينهما سببه كرسى الخديوية ، وسعيد حلم يريد أن يختلسه من الحديو الشرعى ، وليس من صالح ألمانيا ذلك ، بل من صالحها أن ترضى الحديو ، لأنه إذا استرسل فى كدره ، فربما انقلب وأدار دفته نحو الأنكليز . وقد كنا فى وقت ما سمعنا أقوالا عنه كثيرة ، وشككنا فى سياسته ، ولكننا استقصينا فلم نجد قد مال إلى جهة الأنكليز كما أشيع عنه ، فإذا حصل هذا الميل كان سببه انه لا يلقى معاملة حسنة منكم ومن الأتراك ، بخلاف معاملة المتحالفين لمن عاهدوهم ، وها هو ذا ملك الجبل الأسود كاد أن يعقد الصلح مع النمسا ، أى يخون الحلفاء ومع هذا رحبت فرنسا به وأكرمته ، وأثنى عليه ناظر خارجية روسيا أثناء مستظابا . والحديو محبوب من الأمة المصرية ، ولو ذهبت الحملة وعلبت الأمة بانفصال سموه من الأتراك والألمان قامت فى طريقها صعوبات كثيرة ، بخلاف ما إذا كانت الأمة تعلم أنه لم يزل حليفا لهم . وعلى هذا نرى من مصلحتكم أن توفقوا أنتم معشر الألمان بين الصدر وبين سموه ، وتزيلوا الشقاق . فاقنع فيزندوق بذلك ووعده أن يسعى فى هذا الطريق ، فقال الشمسى له : إنه من المحتمل إذا تحسنت العلاقات بين الصدر والحديو أن سموه يمضى شهر رمضان فى الأستانة

« ومن حسن السياسة بين المتحالفين أن يزيلوا كل خلاف يقع بين رجالهم »
قال الشمسي : « وقد أردت أن أحتاط حتى لا أقطع على خط الرجعة ، فقلت له : هذا
يامسيو فيزندوق وفق فكري الخصوصي ، وانتي لست مأمورا من سموه بشيء ما »
قال : « نعم نحن نتكلم بيننا بصفة خصوصية ، ولا نحب أن يعلم عباس ولا سعيد حلیم
بسعينا ، وعند الشروع في التكلم لا يخطر على فكر أحدهما أنها مسألة محضرة مدبرة
بل إنه عمل في صالح الطرفين ، إنما يلزم أن يكون هذا السعي بالتأني كما يقول
الأتراك : « ياواش ياواش » . فأجابه الشمسي : « نعم . ولكن نريد أن ينتهي قبل دخول
رمضان ، حتى تتيسر للخديو تمضية هذا الشهر في الأستانة ، وإذا رفض فنكتفي بدخوله
النمسا ، ولو أن هناك مانعا وهو حسين حلمي باشا السفير ، الذي قال : « انه إذا قابل
الخديو فلا يصاحفه » وكان سموه قد وعده بعدم الخروج من النمسا ، فوقفه حرج
إذا عاد . قال فيزندوق : « إنما يجب ألا يدخل مع حاشيته المربية » أعنى يوسف
ومحبا ، فأجابه الشمسي بأن الأول خرج من خدمة سموه ، والثاني محجوز في فينا
قال : « إننا نحن الألمان كنا أردنا أن نبعدهما ، ولكن حسين حلمي هو الذي تولاها
بكفالته . ثم سأل الشمسي عن اشاعة سمعها ، وهي أن يوسف يريد الذهاب إلى إيطاليا
فقال الشمسي : « إذا سافر يوسف حقيقة إلى إيطاليا يكون هذا سببا وجيها لتخلص
الألمان من حسين حلمي » . ثم تحدثا عن يكن باشا فأظهر فيزندوق أن الألمان
لا يرغبون فيه إذا رجع الخديو إلى الأستانة أو الى فينا . قال الشمسي : « أما أنت
يا باشا فان الألمان يقولون : إنك حقيقة الرجل الصادق المخلص ، وبأسفون لعدم
وجودك على الدوام إلى جانب الخديو » وقال فيزندوق : أما صاحبة الخديو فقد
اتضح لنا أنها لاتتدخل في السياسة ، ولهذا يرجح أن مصاحبته إياه إلى فينا
لاتصادف صعوبة ، ولو أن وجود فرنسية في النمسا أو في ألمانيا غير مباح »

البريد الخديوي والصدر وسفير النمسا : وفي يوم ١٩ ابريل استدعاني محمد يكن
إلى لوزان لمقابلة الخديو في فندق بالاس ، وهناك قابلت الدكتور سيد كامل ، فأسر
إلى أن نظارة الخارجية التركية منعت السفارة في صوفيا أن تؤثر على جواز سفر
نور الدين « حامل البريد الخديوي » وأنه ينتظر الآن في عاصمة بلغاريا ؛ وأن
الخديو يريد إرسال برقية إلى ناظر الخارجية التركية يستفهم فيها عن سبب هذه
الاجراءات ، ضد رجل من رجاله يحمل رسائله الخاصة

وقد حضر نسختين : إحداهما فيها سؤال عما إذا كان هذا المنع شخصياً لنور الدين ، أو أنه شامل لكل شخص من قبل الخديو . والثانية فيها استفهام فقط عن الأسباب ، فاستحسننا الأخيرة ، لأن الأولى قد يحجب عليها جواباً يؤذى الخديو ويكشف النيات المستورة

ولما قابلت سموه وكان الدكتور حاضراً - عرض عليه الصورتين - فقرأهما ، وقال له : « أنا لم أقل لك أن تكتب هكذا ، وينبغي أن تكتب البرقية ببساطة » ثم أخذ يملئ عليه وهو يكتب ، ولكنه توقف عند ما أراد الخديو أن يملئ عليه جملة شديدة وابتدأ يناقشه . أما أنا فتظاهرت بأنى لا أعرف شيئاً عن الموضوع ، وصمت يكن مثلى ، فبدأ الغيظ على وجه الخديو ، وفهم أننا نحن الثلاثة متفقون على معارضته فقال : « أنا لا أفهم لماذا لا تريدون أن أرسل برقية شديدة لرجال الدولة أمام عمل كهذا ، فالمصريون كانوا دائماً يدفعوننى إلى اعتراض كل إهانة من الانكليز ولكنهم يطلبون منى الآن ألا أفتح فى مع الأتراك . والآن لا فرق بين خديو وموظف ، فكل يعمل حسب رأيه . والسيد كامل يناقشنى ولا ينفذ أوامرى . إننى سأعمل وحدى » ثم تركنا وقام منفعلا .

وفى يوم ٢١ منه قابلت سموه ، فشكالى من الدكتور ، وأنه يريد أنه ينفذ رأيه وأنه يعارض أفكاره . ثم كرر انتقاده لسكوتى أنا ويكن ، فاعتذرت بأننى لم أكن أعلم شيئاً عن الموضوع ، لأن سموه لم يطلعنى عليه . وفى اليوم التالى كان هادئاً فشكلنى أن أكتب الرسالة مع يكن باشا ، فحضرنا عدة صور ليختار إحداها ، وقد أخبرنى أنه لقي فى برن مسيو توشيف (صاحبه وسفير البلغار فى فينا وفى السويسرة) فأبلغه سلام الملك ، وكلفه أن يستعلم من سموه عما يطلبه منه من المساعدات ، فأجابه شاكراً ، وقال سموه : « اننى فوجئت بالحرب وأنا مريض ومصاب بثلاثة جروح وبعيد عن بلدى وعن أهلى وجيشى ، فما كنت مستعداً لعمل الاحتياطات مثلاً حصل من ملك البلغار ، ولهذا خسرت كثيراً ، والأتراك يطمعون فى ، والالمان تركونى ، فأنا لا أطلب من جلالة الملك إلا أن يدافع عنى كلما عرضت سيرتى أمامه ، وطعن أعدائى فى » وتسكلم سموه بعدها فى مسألة منع الأتراك لنور الدين اقتدى من دخول الاستانة ، فأشار السفير بارسال البرقية ورجا أن تخلو مما يثير النزاع ووعد سموه أنه بمجرد رجوعه إلى فينا يفضى إلى سفير ألمانيا باستياء سموه ، ويطلب

منه أن ينصح الأتراك بالكف عن سياسة الخبز، فقلت: «نعم النصيحة» ثم أخرج سموه من جيبه الصور التي كنت حضرتها مع يكن، وانفقنا على إرسال إحداها بعد تعديل طفيف، وهي تتضمن الاستفهام عن أسباب منع نور الدين من نقل بريد الخديو، وطلب إصدار الأوامر بالكف عن منعه.

وفي يوم ٢٣ منه قابلت في الصباح الدكتور أمستر مع الخديو، فأظهر سموه استيائه مما قاله ماكيو (الذي كان سفيرا للنمسا في روما والآن بنظارة الخارجية) لأمست لما طلب منه توصيل بريد الخديو بواسطة حامل بريد الخارجية النمساوية، فانه أجابه معتذرا بأن بريده يعتبر خاصا، فقال الخديو: «ماكيو هذا الذي ساعدني وأنا جالس على عرشي مساعدة ما كان واحد من نظاري ليقوم بها، لما أرادت امرأتى الثانية بعد انفصالها أن تشتغل بالتمثيل^(١) وتمكن هو وقصص جنرال النمسا مسيو زميتيني أن يحولا دون ذلك بمساعدتهما لدى الحكومة، وها هو ذا يقول الآن: «إن البريد الذي باسمي خاص، ولا بد من استئذان سفير الدولة في نقله» مع اننى قابلت امبراطور النمسا مراراً بدون وساطة. هذا ولا شك تغيير في سياسة خارجية النمسا، فكأنها تعتبرنى فرداً ليست له صفة، وهذا الرفض نضيفه إلى ما قالته النمسا لما طلبت منها أن تضمن لى رجوع ابني الذي كنت أريد إشخاصه إلى الاستانة، وقد رفض غليوم كذلك مقابلتي، وها أنت ذا يا دكتور أمستر حينما أرسلتك في شهر سبتمبر الماضي إلى برلين قابلك ناظر الخارجية أربع مرات في ظرف ثمانية أيام، واهتم برسالتى التي حملتك إياها، إنما اعتذر بأن هناك سببين لعدم مقابلة الامبراطور لى: الأول — خشية غضب الأتراك. والثاني — أن جلالته في مدة الحرب لم يقابل أمراء. ولقد عرفت بضرف مركزى فى فينا من احتسكاكى بسفير ألمانيا، فانه كان دائماً يقول لى: «اصطبر!» ولما ضيقت عليه الخناق، وأردت أن أنفذ إلى الحقيقة، قال لى بأنه يرى شخصياً أن أفضل الطرق لتمكين مركزى هو الذهاب إلى الاستانة، والاتفاق مع رجال حكومة الدولة، ثم قابلت سفير الدولة بعد ذلك فأخبرنى بأنه فريداً زاره وقال له: انه طلب منى الرجوع إلى دار السفارة، وانه أى (السفير) شخصياً ينصح لى بذلك، فعلبت ان الاتفاق قائم بين السفيرين لارغامى

(١) يعنى بها البكونتيس توريك

على السفر إلى الأستانة ، ولو أنهما يدعيان أن ما يقوله كل منهما هو رأيه الشخصي . عند ذلك جئت إلى هنا ، وحصلت من الأتراك الوخزة الأولى ، فأرسلتك يا أمستر إلى برلين ، وسويت المسألة . فاليوم حصلت الوخزة الثانية بمنع نور الدين أفندي من العودة إلى الأستانة ، وقد أرسلت برقية لناظر الخارجية التركية أستفهم منه عن السبب — وقرأ عليه صورة البرقية — فإذا جاء الرد بما يسوء ، ففي نيتي أن أسافر إلى برن ، وأجمع سفيري ألمانيا والنمسا ، وأعلن لهما انفصالي عن المتحالفين معي لسوء المعاملة ؛ وأكون حراً في أعمالى مع أى جهة ومع أية دولة ، وأنا حتى الآن لم أخاطب الإنجليز إلا في أعمال خاصة . فقلت : « يا أفندينا الأتراك لا يرسلون رداً جارحاً يسوءك لأن هذا ليس من مصلحتهم »

وفي يوم ٥ مايو طلبت تليفونيا لمقابلة الخديو . ولما لقيناه قال لى : « إننى أرسلت أطلبك لمسألة هامة ، وهى أن جلال الدين باشا أخبرنا أن سفير الدولة كله تليفونيا من برن بأنه تسلم برقية من الأستانة ، فحراها اننى إذا طلبت شيئاً فلا أخاطب فيه الصدارة ، وهذا رداً على البرقية التى أرسلتها إلى خليل بك بشأن نور الدين فأنا أفكر فى أن نطلب من جلال الدين تدوين هذه الإشارة التليفونية كما وقعت ثم نكتب إلى الصدر بما معناه : إننا لما منع نور الدين بأمر من الخارجية كتبنا إلى الناظر الذى أصدر أمر المنع (لأنه من حقوقنا أن نخاطب حتى الولاة) فى ذلك منعاً لافلاق خاطر الصدر فى مسألة تافهة . أما الآن وقد وردت لنا الإشارة المذكورة فنحن بكل ارتياح نكتب إلى الصدر ، فقلت : « هذا حسن يا أفندينا ، خصوصاً وأن سموكم كنتم تبحثون عن وسيلة للخبرة الرسمية مع الصدارة ، كما كان الحال قبل الانقلاب ، فالأتراك الآن قد أوجدوا لنا الوسيلة » قال : « و نرسل برقية نطلب فيها أن يرخص لأحد موظفينا فى الأستانة بالحضور إلينا لتسلم الخطاب إلى الصدارة » قلت : « إذن ربما قالوا : إنه يكفى توصيل المظروف إلى سفارة الدولة فى برن » قال : « صحيح ! وخصوصاً أن الرجل الوحيد الذى اعتمد عليه هناك هو ابراهيم بك أدهم ، ولكن هل يمكنه أن يتكلم مع الصدر ؟ لأننى أريد من يحمل هذا الخطاب أن يتكلم فى مسألة سيد كامل (الذى يدعون عليه أنه خطب بين المصريين لما كان فى الأستانة ضد الدولة) وفى مسألة البشرى (ويقال إن الأتراك حكموا عليه لسفره من الضلحان إلى مصر ، وتركه تعليمات لموظفى التفتيش مقتضاها أنهم

إذا نزل الأعداء في الأناضول فلا يقاومونهم ، وإذا طلبت الحكومة التركية هناك إخلاء الجبهة لا يصغون لها) ويستصدر قراراً بأنهما بريئان مما نسب اليهما بحيث يتيسر استخدامهما في حل البريد بدلاً من نور الدين ، فقلت : « إن إبراهيم أدهم لا يصلح » قال : « وكنت فكرت في إرسال جلال الدين ، ولكن بعد أن سمعت من أولادى ما يقولونه لهم (يعنى جلال الدين وحرمة) لا يمكن أن أعتد عليه ، فإنه بلغنى أنهما يقولان لعبد المنعم : كيف أنك ولى العهد ووالدك لا يشتري لك سيارة ؟ هأتى ذا ستبلغ رشدك فتطلب حقوقك وهكذا من الكلام المثير . . . فغرضهما أن يثيرا أولادى على ، ومن ثم لا أعتد على جلال الدين » وقد فهمت أن الخديو يفكر في إرسالى ، فقلت : « إن أرسلت تركيا أو مصرياً لا يفيد ، وقد تصادفه عراقيل ، أو يسمع كلاماً من الصدر جارحاً فى حقكم ويمكن منع خروجه ، فأنا أرى أن خير وسيلة هى استخدام أجنبي . أين مسيو رامبير مثلاً » قال : « الأتراك أخرجه فلا يقبل أن يذهب الآن الى الأستانة » قلت : « ترسل الدكتور امستر باعتباره سكرتيراً ألمانيا لسموكم ، فالصدر لا يجسر على أن يفوه كلمة أمامه بجرحكم ، وبذلك تحفظ كرامتكم من جهة ، ومن جهة أخرى يستطيع أن يتكلم بكل ما تريدونه دون مبالاة ، ولا يتأتى منع خروجه من الأستانة » فقال : « النهاية أنت وكن سيد كامل تجتمعون بجلال الدين ، وتكتبون الرد أما الشخص فبعدها نفكر فيه »

وفى اليوم التالى أخبرنى أنه زار ملحمه باشا ، وسأله رأيه فى مسألة الإشارة التليفونية التى وردت من برن ، فأشار عليه أن يرسل خطاباً إلى الصدر لا يذكر فيه هذه الإشارة . وإنما يستعسر عن سبب منع نور الدين ، ويسأله تسهيل رجوعه إلى الأستانة ، ويومئ إلى برقيته السابقة إلى نظارة الخارجية قائلاً : « إنه قصد بها مراجعة الصدر إذا اقتضى الحال » قال سموه : « ولكنى لم أوافق على السكوت عن إشارة برن » ولهذا تقرر أن نكتب إلى الصدر نعلمه بأرسال برقية الخارجية لمجرد الاستفسار أولاً ، ثم الالتجاء الى الصدارة .

وفى يوم ٨ مايو كتبنا الرد ، وهو يتلخص فى أن نور الدين افندى الذى يحمل بريد الخديو أ برق بأنه محجوز فى صوفيا ، مخاطب سموه ناظر الخارجية الذى أصدر أمر المنع ، يطلب الترخيص له فى السفر ، وأنه علم من السفارة فى برن أن غفامة

الصدر بود أن تكون المخاطبة معه رأسا ، ولما أبداه نخامته من الصداقة لعائلة سمو الخديو ، رجع سموه ألا يصادف الموظفون الخديويون ما يعوقهم ، حتى يتسنى له الاتصال بعائلته على الدوام ؛ وأن الدكتور امستر السكرتير الخاص هو الذى سيسلم هذه الرسالة

وقد سمح بعد ذلك لنور الدين بالسفر ، وقال الصدر لامستر : « أن الخديو يمكنه أن يرسل بريده بواسطة سفارات الدولة ، وأنه سيرسل أوامر بذلك ، وحتى يوم ٢٠ نوفمبر لم تكن هذه الأوامر قد وردت ، فكلفنى الخديو أن أقابل فؤاد بك سليم مستفسرا ، فعلمت أنه لم تصل إليه أوامر بهذا الخصوص ؛ ولكنه مستعد لقبول البريد وتوصيله بمعرفته ، وأنه يعمل دائما للوفاق بين الجميع

وفاة امبراطور النمسا : وفي يوم ٢٢ نوفمبر توفى امبراطور النمسا فرانسو جوزيف فقرر الخديو أن يذهب مع جلال الدين وموسيو ارفاى لتعزية سفير النمسا في برن . وكنا نريد أن يتنزه سموه هذه الفرصة فيسافر إلى فيينا للتعزية ؛ وبذلك يستأنف العلاقات الأولى ، ولكنه أبى

وفي يوم ١٥ ديسمبر أخبرنى ارفاى أن موسيو جلنك مرسدس قنصل جنرال النمسا سابقا في نيس ، وأحد معارف الخديو يريد أن يحادثنى ، فتوجهت إلى فندق ناسيونال بخنيف الذى ينزل به

المساعى للقرىب بين الخديو وحلفائه : وقد علمت منه أولا أنه رفع تقريراً إلى الامبراطور غليوم لاستئالة جلالته إلى الخديو ، وتقريراً آخر إلى مسيو بوريان ناظر خارجية النمسا بواسطة واحد من معارفه في الخارجية ، قبل أن يتوسط في توصيل ما يكتبه ويرسله إليه . وبعد أن أطلع الخديو على التقريرين أرسلهما ، فلم يأت الرد له عن الأول ولا الثانى . إنما جاء له في المدة الأخيرة أحد رجال البوليس السرى النمساوى في مهمة لا يعرف بها أحد ، حتى سفارة النمسا في برن وقال له : « إنه مأمور بأن يبلغه وصول تقريره لمسيو بوريان وردا عليه يقول : « ان سياسة الخديو غير واضحة وأنها تسير بين ماء من والحكومة النمساوية من أجل هذا غير واثقة من سموه . ثم ترك هذا الرجل مسيو مرسدس دون أن يعلم باسمه . قال مرسدس : « وقد صرحت للخديو عند زيارتى سموه منذ أسبوع في الهوتيل ناسيونال أنه دام على سياسته هذه العوجاء ، فلا تكون العاقبة خيرا له ؛ ومن الواجب أن يتبع خطة واحدة ، ويعان أنه لم يزل في جانب حلفائه إذا أراد أن تسمع

له كلمة عندهم ، قال : « ولعل كلاي هذا أغضبه ، ويحتمل أنه لا يريد رؤيتي بعد الآن ، فأجبت به بأن الخديو يسمع الحقائق ، ولو كانت مرة ، وقصصت عليه ما دار بيني وبينه من المشاهدات التي كنت أظن بعدها أنه لا يريدني مرة أخرى ، ولكنه طلبني وعهد إلي بأعمال ، وحينما أرى أنه يستسلم للغضب ساعة ثم يعود إلى السكينة ، ويقدر الكلام حق قدره بعد أن يهدأ باله »

قال مرشدس : « إن حفلة تتويج امبراطور النمسا ستكون في آخر ديسمبر فهل يرسل من ينوب عنه إليها ؟ » قلت : « هذه فرصة سانحة الآن ، فإذا أراد اصلاح أمره مع حلفائه ، فما عليه إلا أن يذهب بنفسه لحضور هذه الحفلة » ثم أخبرت مرشدس بأن الحالة النفسية في باريس ولوندره وبطروجراد ورومة رديئة ، فإن الأهلالي تحس بالضعف أمام ألمانيا وحلفائها ، وقد ظهر الآن من بحر في مجالسهم النيابية بتحيز الصالح ، وإنني اطلعت الخديو على بعض كتابات في جورنال دو جنيف تدل على هذا الضعف ، وأن سموه وافتمى على ذلك ، ولهذا قلت له : « إن الفرصة سانحة الآن لاصلاح سياستنا مع رجال الدولة والألمان »

وعرفت مرشدس أيضاً بأنني حسنت هذه الفكرة لجلال الدين باشا وشديد بك وسيد كامل ، وهم المحيطون بالخديو ، وأنتى مستعد لاداء أية خدمة في هذا الشأن . وأظن أن أنور باشا يساعدن على أن يطمئن سموه على أملاكه بتعويضه عنها إذا صادرها الانجليز ، وباعطائه مخصصات شهرية له وللحاشية

النمسا تعترف بخديوية عباس : وفي يوم ٣١ ديسمبر زارني ارفاى في منزلى وأخبرني أن سفير النمسا في برن وردت له رسالة من نظارة الخارجية النمساوية بأن يكتب إلى الخديو ، وينبئه بأن الكونت زيميتنى معتمدها السابق في مصر قد عين سفيراً لها في صوفيا ، وبهذا تعترف النمسا بخديوية عباس حتى الآن ، إذ أنها تعتبر الكونت معينا لديه ، حتى يوم ترقيته إلى منصب سفير صوفيا . فسر الخديو بذلك وعده علامة على تحسن موقفه في النمسا

القبض على بكى باشا وضبط أوراق الخديو : في يوم ٢٤ أكتوبر قصدت زيارة محمد باشا يكن بناء على ميعاد سابق ، ولكنى وجدت بالمنزل حركة غير عادية ، وتبينت أن البوليس السرى السويسرى فاجأهم ، وضبط الأوراق التي عثر بها لديهم وقد رجتنى السيدة حرمه أن أبادر بإبلاغ الخديو لتليفونيا ، فأبلغت الخبر ، وعلمت أنه نما إلى سموه قبل ذلك ، من أمينه هانم اسماعيل القاطنة بنفس المنزل في طبقة أخرى



محمد يكن باشا

وقد فزعت لهذا التفتيش ، واعتقدت
أن الخديو هو المقصود به ، وأن ذلك من
دسائس انجلترا لسموه ومعاساتها
وفي الصباح زرت مدام يكن باشا
فعلت أن زوجها مقبوض عليه ، وأنها
أرسلت له فراشا وطعاما ؛ وكانت في نهاية
النأثر ؛ فعرضت عليها أن أبقى معها لتأدية
ما تريده من الخدمات فقبلت شاكرة
ثم طلبت أن تزور المحامي الذي تولى
حضور التحقيق مع زوجها ، ومنه عرفنا
أن الاوراق المضبوطة تدل على أن يكن باشا
استخدم وسائل شتى للحصول على معلومات
لصالح مصر والخديو ، ولكن هذه المعلومات

تعدت الحدود السويسرية ، وهذا يخالف قانون سويسره الصادر في أغسطس سنة ١٩١٤
فالعامل الذى قام به الباشا ليس ماسا بالشرف ، ولكنه مخالف للقانون ، ولذلك
سيطلب من قاضى التحقيق أن يفرج عنه بكفالة .

وفي يوم ٢٦ صاحبت السيدة إلى مقر القاضى فقابلها على انفراد ، ولما خرجت
أخبرتني أنه قابلها بمنتهى اللطف ، وكرر لها ما سمعته من المحامى ، وأذن لها برؤية
زوجها ؛ وأنها علمت من تليحاته أن سفير انجلترا فى برن ضدقريتها ، فأخذت رأيها فى
مقابلة السفير ، فلم يشر عليها بشئ ، ولكن يكن أشار عليها باستشارة الخديو

وقد تمكنت من رؤيته من بعيد عند فتح الباب لقريته ، لحيته وحياتى
وفي اليوم التالى قابلت الخديو ، فعلت منه أنه عقد اجتماعاً حضره محامى يكن
ومحام آخر اسمه « جينان » وجلال الدين وعبد الحميد شديد ، والدكتور سيد كامل
وتقرر إرسال مذكرة الى رئيس حكومة سويسرة ، بأن الخديو منذ قدومه وهو
يلاقى حفاوة كبيرة به ، ولكن الحادث الاخير كدر خاطره ، و، وهو يطلب
إرجاع الاوراق المضبوطة لأنها أوراقه الخصوصية .

وقال الخديو : « ان جينان علم بأن اسمك (شفيق) عند النائب العمومى لمناسبة

مسألة تتعلق بكونتس انجليزية كانت معك في البنسيون . فقلت : ولعلها (لودرس) ، قال : «نعم ، وربما كانت جاسوسة قبض عليها وأنتك ستدعى للشهادة ، وعلى كل حال إذا كانت لديك أوراق من البارون اوبنهايم أو من غيره ، فخير أن تحتفظها في مكان مجهول . فأجبت : إن أوراق الخصوصية مودعة في صندوق في بنك فدرال والأصوب مع ذلك أن أودعها عند الكونت دوتورن ، فوافق . وأودعتها عنده . وبعد ذلك أحيى سموه على يكن لتهاونه في رد هذه الأوراق اليه ، فرأيت أنه ليس من اللائق الطعن في رجل سجين الآن من أجل أوراق الخديو . فقال : « ان أعداءه كانوا يريدون الايقاع بيكن ، ولكن ما كان يخطر لهم على بال ، أنهم سيحصلون على أوراق مهمة بهذه الخطورة ، وعلمت أن الأوراق المضبوطة خاصة بمسألة المشروع الألماني بفصل فرنسا عن إنجلترا .

وفي يوم ٢٨ توجهت ، بناء على طلب الخديو ، لمقابلة مسيو بارودى لمعرفة رأيه ومعلوماته عن الحادث

فسألت عما إذا كنت أعلم ما حمل ليكن باشا ، فأجبت بالاجاب ، فقال : « إن في هذا إهانة له وللخديو ، وسموه الآن قد أضاع نفسه بين الانكليز والفرنسيين والألمان والأتراك ، فليس له صديق من الدول . فسألته عن سبب حبس يكن ، فقال : « انه أوفد لفرنسا بعض السويسريين لأخذ أخبار منها وتوصيلها إلى الألمانين ، وقد ضبط اثنان منهم . قلت : « الحمد لله ، أنا بعيد عن كل ذلك ، حتى أن الخديو الذى كان ينقذنى ألف فرنك شهرياً قطع نصفها . فسألنى « هل قطع المرتب بتاتاً ؟ » قلت : « انه لا يزال يعطينى خمسمائة فرنك من وقت لآخر . قال : « انه اتضح من أوراق قضية سموه مع يوسف أنه أعطاك من نقود الألمان عشرة آلاف فرنك ، وعند ما أنسلم نسخة من هذه الأوراق أطلعك على ذلك ، وهذا كل ما قيل عنك يا شفيق ، فعرفت من ذلك أن اسمى لا تعلق به تهمة .

قال بارودى : « والحكومة السويسرية لا تنظر للخديو بالعين التى كانت تنظر له بها ، لأن سلوكه غير حميد ، وأنا أعرف من مخبر سرى أنه حينما يأتى لجنيف يذهب إلى بيت في حارة نوشاتل ، لا يلبق بملك أن يذهب إليه في مثل هذا الوقت ؟ ثم إنه يشتري لصاحبه قرطاً من اللؤلؤ الأسود بخمسمائة ألف فرنك

وفي يوم ٢٩ سألني الدكتور سيد كامل بالتليفون من قصر كلاران عما فعلته فقلت له كلما حصل ، ونقلت له ماسمعت من بارودي إلا مسألة العشرة الآلاف فرنك وعلمت منه أن المذكرة عملت ، ووقع عليها الخديو ، وقدمت إلى رئيس الحكومة بالسويسرة بواسطة جلال الدين باشا

السويسرة تعترف بخديوية عباس : وفي يوم ٣٠ منه حضر عندى الكونت

دوتورن وطلب منى أن أخبر الخديو تليفونياً فى قصر كلاران
أولاً : أن أرفأى كان قد سأل سفير النمسا عما حصل من المساعى فى مسألة يكن باشا ، لجاء الرد الآن بأن سفير الدولة ذهب إلى نظارة الخارجية السويسرية واجتهد فى رد أوراق الخديو لمن يعينه سموه من أتباعه ، وطالب بحفظ امتيازاته كخديو مصر ، وأن السفيرين الألمانى والنمسوى أيدا زميلهما

ثانياً : جاءت برقية بأن يكن باشا نقل إلى برن
وفي يوم ٣ نوفمبر علمت أن أرفأى فتش كذلك ، وقبض عليه جملة ساعات ، ثم أطلق سراحه ؛ وكذلك فتش مقر الدكتور سيد كامل وعبد الله البشرى .
وفي ٦ أخبرنى الدكتور تليفونياً أن يكن باشا أفرج عنه اليوم ، فأرسلت له بطاقة بالتهنئة .

وقد زرته فى يوم ٩ فعلمت أن الأوراق سلمت إليه ، ولكن افتقد بعضها فوجده ناقصاً وهو من الأوراق المهمة ، وبينما هو يفرز الأوراق جاءه طلب بالتليفون من كلاران ، وكلف الحضور بعد ثلاث ساعات ، ومعه الأوراق التى تخص الخديو بعد استخلاص أوراقه الخاصة ، وكانت تملأ حقيقتين فقال لى : انظر هل معقول أن أفرز كل هذه الأوراق فى ثلاث ساعات ؟ ، ثم أخذها جميعها وذهب .

وفي يوم ١٠ نوفمبر توجه الخديو إلى برن فزاره فيها مسيو دينان Dunan وكيل إدارة الأشغال الخارجية السويسرية ، وأعلمه بأن حكومته تعترف به ، وليس لها الحق فى مس أوراقه ، واعتذر مما حصل من ضبط هذه الأوراق عند يكن

وفي يوم ١٥ نوفمبر أوفد جلال الدين باشا إلى برن ، فزار سفيرى ألمانيا والنمسا حاملا إليهما شكر الخديو على تعضيدهما مساعى سفير الدولة لدى الحكومة السويسرية . فسأل السفير الألمانى الباشا عما إذا كان بين الأوراق المضبوطة عند يكن باشا أوراق مهمة ؟ وأنه يخشى أن يكون قد اطلع عليها الأعداء ، واستغرب لأن

أوراق الخديو لم يكن عليها ، ولا على غلافاتها علامة تدل على انها له ، ولو كانت عليها علامة لمنعت البوليس في حال ضبط الأوراق أن يطلع عليها

وزار الباشا مسيو دينان ، وقال له إنه قد مضت عشرة أيام ، ولم ترد الأوراق كما كان قد وعد ، فأجاب بأن الأوامر صدرت إلى النائب العمومي ، وانتهى الأمر من الخارجية ، وطلب منه أن يتوجه إلى النائب العمومي ؛ فلما قابله أجاب بأن زميله الذى عنده المسألة غائب في زوريخ ، وأن رد الأوراق يتم في آخر الأسبوع القادم ونفى دينان أن يكون الإيعاز بهذه المسألة صادراً من سفارة أجنبية ، وسأل عما إذا كان يمكن لم يزل مقيماً في لوزان ؟ وقد جرى البحث في معنى سؤاله أمام يكن صباح ١٦ . وكان من رأى الخديو أن سؤال دينان له معنى يدل على أن وجود الباشا غير مرضى عنه ، ليس في لوزان فقط بل في السويس

وفي يوم ٢٠ قابلت الخديو ، فعلبت منه أن محامى يكن قابل النائب العمومي الذى بيده قضيته ، فلم منه أنه هو الذى أخرجه من الحبس مؤقتاً بدون أمر ادارى وأن القضية لم تحفظ للآن . فقال سموه : إنه على ذلك يشته في هذا النائب لأنه لا معنى لأن مجلس الاتحاد السويسرى يأمر بالحفظ وهو يراوغ في المسألة ؛ فأجبت بأن الدول المتحالفة كانت تنتظر من ألمانيا والنمسا والدولة عدم التداخل في الأمر لأنها غاضبة من الخديو الذى تركها ، وكانت تنتظر أن السويسرة تمد يدها للساس به . ولكن لما فشلت عند انتصار هذه الدول الثلاث لسموه ، وكان هذا الفشل مزريراً بها لأن السويسرة اعترفت بشخصية الخديو وامتيازاته ، أرادت أن تضغط على الحكومة عسى أن يصدر الحكم على يكن ، فتدارى فشلها . قال سموه : كل ذلك جائز ،

وفي يوم ٢١ منه سافر الخديو إلى برن لمقابلة سفير الدولة ، وأرسل الدكتور سيد كامل إلى سان جال لمقابلة محام شهير اسمه (فورر) ليطلع على ما سمعناه من محامى يكن ، ويعهد اليه في مباشرة القضية عند مجلس الاتحاد السويسرى لحفظها ورد الأوراق .

وقد زرت في هذا اليوم فؤاد بك سليم ، فسألنى عن رد الأوراق المضبوطة فأخبرته بما سمعناه من المحامى نقلا عن النائب العمومي ، فوعد أن يتكلم مع الخارجية السويسرية .

وسالته تليفونيا بعد ذلك عن نتيجة المحادثة ، فأخبرني أن الخارجية أحواله على النائب العمومي ، وذكر لي أنه يظن أنهم ينوون اختلاق قضية أخرى ضد يكن . ومن المحتمل أن الانجليز ضبطوا رسائل واردة من الاستانة أو من النمسا أو من المانيا ، لأنهم يأخذون من البوستة السويسرية الفرنسية بعض المظاريف التي ترد لمن يشتبهون فيهم ، ويرسلونها الى المراقب في إنجلترا فيطلع عليها ؛ ثم يردها للبوستة السويسرية وعلى الظرف بالانجليزية خاتم المراقب ؛ وأنه رأى « مظروفا » من هذا القبيل للحكومة السويسرية في برن ، وربما ضبطت خطابات اعتمد عليها الانجليز في دفع الحكومة السويسرية الى اقامة الدعوى ثانية ضد يكن .

وفي مساء علمنا من يكن أن النائب العمومي قال : « إن المجلس لم يصدر له أمراً بحفظ القضية لا كتابة ولا شفويا ، وأن القضية لم تحفظ للآن ، والقاضي منكب على درسها ومطالعها ، وأنه سيقدم قراره له في آخر هذا الاسبوع ، فاستغرب الخديو ما سمع .

وفي يوم ٢٢ منه قابلت يكن بمنزله ، وعلمت منه أن الأسئلة التي طرحها عليه عليه القاضي كانت تدور حول المسائل المالية ، سواء كانت مختصة باتفاق الخديو مع المانيا على مشروع بولو ، أو بأحواله الشخصية ، حتى إنه سئل عن المبلغ الباقي لسموه في البنك بناء على ائصال وجد بين الأوراق المضبوطة ، فأجاب إنها ليست فقط ثمانمائة ألف فرنك أو مليون بل إنها كانت أكثر من ذلك ، كان منها عملة ذهبية نقلت في صناديق بالسكة الحديدية السويسرية إلى جهات متعددة ، ولما سئل : وكيف وصلت للخديو هذه المبالغ ؟ أجاب : إن على القاضي أن يوجه هذا السؤال لسموه . فتغيظ القاضي وضرب يده على المنضدة .

قال : « واني كنت في بعض الأحيان أجيب القاضي على مسائل من تلقاء نفسي . أخذت على عاتقي المسؤولية ، دون الخديو . وبعد كل هذا يعنفي سموه ، ولا أسمع منه كلمة تلطيف ، فضلا عن أنه يقول لزوجتي : « ولماذا خرجتم من إيطاليا ؟ » فأجابته لو أردنا لكننا ظللنا في بلادنا . ثم إنه وزوجته قد كسر قلبها لأن الخديو يقول : « إن السبب فيما حصل امرأة فرنسية ساقطة اسمها لويز يجوندى صديقة يكن ، وقال سيد كامل لنا : إنه سمع هذا الكلام من سموه . فهل يليق أن يحكي ذلك لامرأتي ؟ » أما زوجة يكن فقد قالت : « إنها مستاءة جداً مما سمعته ليس عن غيرة منها ، لأنها

لا تصدق الاشاعة ، إنما لكون الخديو يصدقها ؛ وأنها قالت مرة لزوجها لما رأت سوء العاقبة من انغماسه كثيراً في مسائل سموه : إن عليه أن يختار أحد أمرين : إما هي وإما الخديو ، فأجابها بأنه يختار جانب الخديو .

وكان يكن متهيجاً لما سمعه من المحامى من تأخير حفظ القضية ، وعدم صدور أوامر للنائب العمومى بهذا الصدد ؛ وقد خاطبت شديداً تليفونيا ورجوته أن يتصل بخليل بك الملاحق العسكرى في سفارة الدولة ، ويخبره بما سمعه يكن من المحامى ، حتى اذا وصل سمو الخديو الى السفارة مع جلال الدين يعلمه به ، حتى يتسكلم سموه مع السفير .

وتسكلمت مع يكن وزوجته في ضرورة تحرير ثبت بحاشية الخديو ، وعمل المساعى لدى الحكومة السويسرية لكي تعترف بعدم مسهم بضر ، وقلت : « كيف أخدم الخديو ، وعقلي مشغول بما يمكن أن يصيبني من جراء ذلك ؟ »

معرفة سارق الأوراق : وفي يوم ٢٥ منه كنت مع الخديو بحضور سيد كامل والبشرى فقال : « إن موسيو جينان المحامى عثر على جاسوس فرنسى اسمه هوثيه وكان قد علم أنه حصل على بعض أوراق الخديو بواسطة مدام ريفيه خادمة يكن ، فهدده موسيو جينان بالقبض عليه ومحاكمته وبيحه اذا لم يسج له بالحقيقة ، فقص عليه جلية الامر ، وقال : « إنه تعرف الى خادمة يكن بواسطة خادمة عائلة يهودية كانت في لوزان بالاس هوتيل اسمها سيجلمان (ومن أصدقاء يكن وزوجته) فذهب الجاسوس مرتين الى التندق ، وصعد من سلم الخدم ، وقابل مدام ريفيه ، وأغراها بسرقة الأوراق ، وفي مرة ثانية أخذ منها خمسة خطابات واحداً من المراكز أدا التليانى ، والثانى من كافالينى وشيناً باللغة العربية ، ولما وقف المحامى على هذه المعلومات قصد ليلاً الى منزل يكن ، وقابل مدام ريفيه ، وهددها مواجهاً اباهاً بهذه المعلومات ، فأشفتت من إقامة الدعوى وسجنها ، واعترفت بكل ما قاله الجاسوس . ولما قال لها المحامى : « وكيف تفعلين ذلك مع انك مغمورة باحسانات سادتك ؟ » أجابت : بأنها تحب يكن باشاً ومام يكن ، ولا تريد لها سوءاً ؛ ولكنهن فعلت ما فعلته انتقاماً من الخديو ، ثم أخرج سمو الخديو من جيبه ورقة بخط الخادمة وإمضائها بكل ما اعترفت به . وفي صباح اليوم التالى أبلغت الخادمة تليفونيا من القنصلية الفرنسية بأن زوجها قد جرح في الحرب ؛ وحضر الى ليون في حالة سيئة ، ويطلب أن تسافر

في الحال لرؤيته . وبناء على أمر عباس لم يظهر يكن ولا زوجته أنهما على علم بمقابلة المحامي واعترافها له ، بل أعطاها يكن أجرة السفر ، واستأذنت ، وأخذت جميع مالها وسافرت . قال الخديو : « هذا دليل على أن قنصلية فرنسا كانت على علم تام بهذه المسألة ، فأرادت أن تتق وقوع الضرر للخادمة ، فبيأت لها هذه الحجة لخراجها من السويسرة » ، ثم قال : « واني كلما وقع نظري على يكن بعد اعتراف خادمته كنت أحس أن مراجلي تغلي ، وأهم بأن أضربه ، لأنني أحس الضرر العظيم الذي حاق بي وسيحقيق من جراء هذه المسألة ، فان المخبرات التي كانت دائرة مع الانجليز قد انقطعت تماما ، وملحمة يقول : « إنه لا يمكن أن نبتدى فيها مرة أخرى إلا بعد جملة أشهر حتى تهدأ الأفكار ، وتنسى المسألة » وفكر سموه أن يستدعى يكن ، وبين له هذه الأمور جميعا ، ويعلمه بمقدار الضرر الذي ألحقه به ، ويقول له : « إنه لا يريد أن يرى وجهه مرة أخرى » . فلم أوافق أنا والبشرى على ذلك ، وقلنا : « يكفي ألا تعتمد عليه في شيء » . فقال : « يا قوم عندكم عادة وهي « ما علشي » مع أن ملحمة كان يقول لي مرارا : « ابتعد عن يكن ، وابتعد حاشيتك عنك لأنها تضرك »

فقال البشرى : « وما هي الحاشية المقصودة ؟ » فتجاهل الخديو هذا السؤال .

تهديد عباس ليكن : وفي المساء حضر يكن الى كلاران وخلا بعباس ، ويظهر من كلام سموه لنا بعد خروجه أنه قال له : « يا يكن باشا إذا كنت تعلم بأسراري فأنا أيضاً مطلع على أسرارك » ، يعني أنه هددته . وبعد ذلك تكلمنا فيما يلزم اجراؤه من الاحتياط حتى لا يقع الباشا في يد القضاء مرة ثانية ، إذ أن القضية لم تحفظ ، وأن التحقيقات قائمة على قدم وساق ، ويمكن إدانته ، فتقرر أن يسافر إلى النمسا ، وأن يعطيني جواز السفر لأؤشر عليه من قنصلية الدولة . وقد ظهر على وجه الباشا الخوف من العاقبة وقال : « انه يفضل أن يهرب الى النمسا ، ولو تعرضت أملاكه لما تعرض له في مصر ، على أن يسجن مرة ثانية » . وقد أفهمه الخديو أن الضرر الذي عاد ويعود على سموه من سرقة أوراقه لا يقدر ، وشاهدت على محيا يكن أنه يعترف بهذا ، وأنه آسف لما جرى ؛ ولو أنه لم يسيح بشيء . وقال : « إنني في البعد أوفي القرب خادم أفندينا المخلص »

عباس يحصل على اعتراف منه : وفي أول ديسمبر كلف الخديو الدكتور سيد

كامل أن يحصل من يكن على اعتراف بأنه هو الذى رغب فى السفر الى النمسا وأنه عالم بمقدار الضرر الذى أصاب الخديو بسببه .

وكان يريد أن أحصل أنا على هذا الاعتراف ، فلاحظت لسموه ، أننى إذا طلبت ذلك فإن يكن ربما يظن أننى أريد أن أحل فى مركزه ، فيتأثر ويمتنع .
واتفق الرأى على أن أمهد فقط للدكتور سيد كامل بأن أقابل يكن ، وأحدثه برضاء الخديو عنه فى القرب والبعد ، وأسفه لما حصل فيطمئن ، وقد تم ذلك وأخذ الدكتور الاعتراف المطلوب .

بحث فى امتيازات رجال الحاشية بسويسرا : وفى يوم ٣ ديسمبر زرت فؤاد بك سليم ، وتحادثنا فى مسألة يكن ، فسألنى عما إذا كانت أوراق الخديو ردت ، فقلت : « لم ترد » ، قال : « عجباً ! ان حكومة السويسرة لا يعرف الانسان لها رأساً من قدم » ثم قال : « بلغنى أن البحث جار فيما إذا كانت امتيازات الخديو تغطى يكن باشا وإلى أى درجة . ولكن كان الواجب أولاً أن يردوا الأوراق الى سموه » ثم ينظروا فى مسألة يكن . فانتهزت هذه الفرصة وقلت : « ان مسألة سريان الامتيازات على حاشية الخديو مهمة جداً ، فأنا مثلاً أحضر للسفارة مرسلاً من قبل الخديو ، ولا بد أن الانجليز عالمون بحركاتى وسكناتى . فمن أين أعلم أنهم لا يكيدون لى كيداً كما حصل ليكن ؟ نعم إننى لا أخشى ما يفعلونه ، ولكن يكون من وراء ذلك ضجة غير مستحسنة » ، قال : « هذا صحيح ، وأنا فى بادئ المسألة قلت لجلال الدين باشا : إن الواجب أن يرسل الخديو ثبثاً برجال حاشيته ، حتى لا يلحقهم ضرر ولا يمسوا بسوء ، وما عليه إلا إعلان هذا الثبت للحكومة المحلية ، ويرسل إلى نسخة منه . وأنا أبعث بها إلى مجلس الاتحاد » .

استرداد بعض الأوراق المضبوطة : وفى يوم ٩ منه قابلنى فى محطة لوزان الدكتور سيد كامل ، فعرفنى بأن الخديو تسلم ١٤ ورقة تخصه من الأوراق المضبوطة منها إيصال بالمبالغ التى ردها سموه لألمانيا ، وإيصال بخمسين ألف فرنك بأمضاء يوسف باشا سديق . وهذه الأوراق هى التى اتضح من خواها أنها تتعلق بشخص الخديو أو التى عليها علامته . أما الأوراق الباقية فلم تزل فى يد رجال السلطة القضائية وربما توصلنا إلى سحب الأوراق الباقية ، وسيجتمعون يوم الأربعاء الآتى لهذا الغرض ، وبناء على الأمر طلبت منى أن أخبر فؤاد بك سليم بذلك وأبلغه أن الطلب لدى الإدارة .

وفي يوم ١٢ منه قابلني الدكتور سيد كامل ، وأخبرني أن المحامي فورر يرى أنه يلزم فصل مسألة يكن عن مسألة عباس ، ويكفي أخذ الأوراق الصادرة والواردة باسم سموه ، أو عليها علامته ؛ وقال أن نيسى محامي يكن اعترض على تسليم الأوراق الأربع عشرة للخديو رأساً ، وأنه يقول : « أن القضية قضية افندينا ويكن معاً » وإذا اقتضى الحال فإن هذا المحامي لا يعترف بامتيازات الخديو ، فإذا لم ينجح يكن من المحاكمة فانه يكون مضطراً إلى زج الخديو فيها (وهذا التهديد مقصود به أن يتحرك سموه ويلج على مجلس الاتحاد بواسطة سفراء الدولة العلية والنمسا وألمانيا لإصدار الأذن بحفظ القضية) ولم يستطع الخديو ان يحصل بعد ذلك إلا على الأوراق التي تسلمها

شئره مختلف

رأى الخديو في غورست وكنتشنر : في يوم ٦ مارس كنت عند الخديو مع لبيب وفهمي والشمسي ، ودار الكلام عن مصر وإدارتها السالفة ، فقال سموه : « إن مدة كنتشنر لم تكن مفيدة للبصريين ، ومسألة الخمسة الأفدنة فشلت ، لأن السير أرنست كاسل ، والانكليز أصحاب الاموال في البنك الزراعي وقفوا ضد كنتشنر فيها ، فاضطر أن يطلب من محمد باشا سعيد إعطاء امتياز للبنك المذكور وهو غبن فاحش ومسألة توزيع الأقطان في بيله وغيرها فشلت أيضاً ، لأن الفلاحين تركوا الأراضي المذكورة ؛ وأما غورست فهو الذي عمل حقيقة لمنفعة مصر ، ولو أن الحزب الوطني ومنه هذا « اسماعيل بك لبيب » كان يدعي بأنني سلمت البلد للانجليز ، فغورست أعطى مصر مجالس المديريات ، ولكن نحن المصريين لم نعرف أن نستفيد منها كثيراً لأن المديرين استبدوا ، ولو أنه في الغيبة كانت توجد معارضة من بعض الأعضاء ، ومع ذلك فإن مجالس المديريات قد أفادت البلاد ، وركت التعليم وكان غورست بألحاحنا يريد أن يتدرج بمصر شيئاً فشيئاً إلى المجالس النيابية رغم معارضة الانجليز الذين كانوا يقولون عنه : إنه ضعيف الإرادة

« ولكن الامر الذي كسر قلبه هو إخفاقه في مسألة امتداد أجل الامتياز لشركة القنال ، فإنه لما جاء مصر علم أن المستشار المالي تصرف في الاحتياطي الخاص بصندوق الدين تصرفاً سيئاً ، واشترى من أسهم الترنسفال وغيرها ، فأفاد الانجليز وأصاب مصر بخسارة تربى على مليون جنيه ، بينما هي في حاجة إلى المال للشروعات

الجديدة ؛ وقد طلب الإنجليز منه أن يعقد قرصاً لتنفيذها ، فأبى ذلك ، قائلاً : « كيف يدير كرومر هذه البلاد خمساً وعشرين سنة بدون قرص ، وأنا أبتدىء عهدى بالاقتراض ؟ »

« ولهذا فكر في الحصول على المال اللازم من مد أجل الامتياز ، فلما لم ينجح تأثر وفاة تهمته »

الخديو وملك أسبانيا : في يوم ٢٣ إبريل كنت مع الخديو ، فأخبرني أنه لعدم اطمئنانه الى الألمان والأتراك فكر في أن يضع عائلته في الاستانة في كفالة سفارة أسبانيا بها ، فطلب من شقيقه البرنس محمد علي أن يكتب الى ملك أسبانيا بذلك ، نظرا للعلاقة الودية بينهما ، وقد أرسل البرنس رسالة بهذا الخصوص الى الملك عن طريق سفيره في برن .

وفي يوم ٣١ مايو أخبرني أنه يريد أن يرسل جوابا الى ملك أسبانيا ليشكره أولا — على الرد التواضعي اللطيف الذي ورد الى سموه عند ما هنأ جلالة بعيده في ١٧ مايو — وثانيا — لأن جلالة أجاب الطلب الذي خاطبه فيه البرنس محمد علي باشا بناء على اقتراح الخديو ، فابرق الى سفيره في الاستانة برعاية عائلة سموه (الوالدة والحرم والبرنيسيات) وقد ذهب السفير الى بيك وأعلم الوالدة بأنه « تحت أوامرها فيما تطلبه » ، وهي أرسلت علي يديه شكرها للملك ، وكتبت للخديو بارتياحها الى المساعي التي حصلت ، وكلفتها أن يشكر الملك من قبلها ، وأنها تطلب من جلالة أن يساعدنا في مثل تلك الأوقات الصعبة . قال الخديو : « ولما كان سفير اسبانيا في السويسرة سيحضر لمقابلتي بعد يومين ، وربما حمل الى أيضا شيئا من قبل جلالة ، فاذا علمنا بشيء آخر ضممناه الى الخطاب » ، وأمرني سموه أن أضع المسودة بذلك .

وفي أول يونيو حررت الرسالة المطلوبة ومما جاء بها :
« إنني لا يمكنني أن أعبر عن مقدار شكرى لجلالتكم ، نظرا للعطف الذي تبدونه نحوي في هذه الظروف الحرجة ، وإنني متأثر من الاحساسات الشريفة التي ظهرت في ردكم على برقيتي بتهنئتيكم ، وأنا شاكر كذلك للأوامر التي أرسلتموها الى سفيركم بالاستانة لرعاية عائلتي بها . »

« وإن والدتي التي أبلغها سفيركم في الاستانة أوامركم الطيبة تشترك معي في إبلاغ جلالكم تشكراتها ،

وقد وافق سموه على هذه الرسالة وأرسلها .

غرق كتشنر : في يوم ٩ يونيو قرأت في الصحف أن اللورد كتشنر غرق هو وأركان حربه ، وكانوا على بارجة حربية ذاهبة إلى روسيا ، فصادفه توريد ألماني وأغرقه .

ولما علمت بالخبر الذي اهتزت له إنجلترا ، واهتز له الحلفاء ، بادرت بارسال برقية إلى عباس ، وأنا أعلم أنه سيرحب بالخبر .

محاذنة البرنس محمد علي مع مكسويل عند اعلان الحرب : في يوم أول نوفمبر



الجنرال سير جون مكسويل

سافرت إلى مونتروه وزرت البرنس محمد علي باشا ، فوجدت عنده عبد الله البشري ، ودار الحديث على مصر وسياسة الانجليز بها ، فقال البرنس : « إن التاريخ الذي يكتبه المقطم عن الحرب يزعم أن السلطة الانجليزية طلبت مني الابتعاد عن مصر ، وهذا كذب ، فانه لما رجعت ونجحت باشا ومكسويل وسسل وجراهام الى مصر عقب اعلان الحرب خف الثاني لزيارتي ، وسألني عن فكري ، فقلت : « إن المصريين لا يمكنهم الدخول في هذه الحرب ، وعليكم أن تأخذوا أنتم الحيلة للمحافظة على مصر ، لأن ذلك في صالحكم ، ولأن

مصر لم تدخل الحرب مع الدولة العلية لما ثار البلقان عليها ، ومن رأي أنكم تطلبون رجوع الحديو من الاستانة ويبقى في سرايه تحت مراقبتكم ، فقال مكسويل : « ولكن لو حضر الحديو فانه لايسكت ، بل يلعب بذيله مهما نبالغ في الاحتياط ، وهو عدو لنا ، فقال البرنس : « أنا أرى أن الفرصة سانحة للانجليز لاعلان استقلال مصر وبهذه الوسيلة يمكنكم أن تجهزوا جيشا من المصريين للدفاع عن استقلال بلادهم

وتتفقوا معنا على أن تركوا مصر بعد مدة تحددونها، فإن صنعت ذلك تكتسبوا ثقة المصريين ، وغيرهم في البلاد العربية » — وقد ظهر لى أن كلامى لم يعجبه — وأخبرته أيضاً أنتى مع اعترافى بأن اللورد سسل رجل لطيف، ومن أسرة شريفة ولكنه ليس أهلاً لمنصب مستشار مالى ، فإنه فى الظروف الصعبة التى نحن فيها ما كان يجب عليه أن يجبر الفلاح المسكين على دفع الأموال ، بل كان يعطيه ميعاداً كافياً للدفع بحيث لا يجبره على بيع أوانيه وماشيته وكل ما يمتلكه. وقد قام الجنرال من عندى غير راض عن محادثته معى ، فإن إجاباته ما كانت تشف عن ارتياح ، بل عن تغيط بخلاف ما وجدته عندما تحدثت مع ونجت باشا فى نفس الموضوع ، فقد كانت أجوبته بكل احترام وأدب ، وقد أجاب عن رجوع الخديو بأنه كان فى الصالح ، إلا أن الحكومة الإنجليزية قد ترى أسباباً لمنع رجوعه الآن ،

وقال البرنس : « إن رأيه الذى أبداه عن استقلال مصر قد استحسنه ووافق عليه ما كلريث المستشار القضاى وماكدونالد وكيل الاشغال — أما سسل وجراهام وشتهم فكانوا ضده »

أوراق الخديو فى رودس : كان الخديو قد أمر باستحضار بعض أوراقه من مصر على الباخرة طاشيوز ، فقبض على الباخرة فى رودس ووضع تحت الرقابة وفى يوم ١٠ نوفمبر كلفنى أن أحضر خطاباً ليرسله الى ملك إيطاليا ، فكتبته وعرضته عليه (مضمونه أن سموه بلغه أنهم يسعون لضبط أوراقه الموجودة فى رودس داخل باخرة له ، وتحت ملاحظة حكومة إيطاليا المحلية فى هذه الجزيرة ، وأن سموه مع علمه بمشاغل الملك ونفاسة أوقاته يجسر على أن يلتمس من جلالته أن يصدر أوامره القاطعة بعدم مس هذه الاشياء ، وهذا رجاء حفيد اسماعيل) وفى يوم ٢٥ وردت برقية من ملك إيطاليا بعنوان « صاحب السمر الخديو عباس باشا » قال فيها : « إنه تسلم خطاب سموه وفى الحال أرسل أوامره بما يطلبه » ، ففرح الخديو وفرحنا نحن أيضاً ، وقررنا أن نكتب هذه المسألة حتى لا تصل إلى آذان الانكليز ، لأنهم طبعاً لا يرغبون فى اعتراف ملك إيطاليا بخديوية عباس ، فضلاً عن امتيائهم من عدم إجابة السلطة الطليانية فى رودس طلبهم من وضع يدهم على الأوراق ؛ وقد أخذ سموه البرقية وركب السيارة وذهب بها إلى ملحة وأراها له ثم رجع فكتب الرد بالشكر الجزيل على عناية الملك .

كتبخانة عمارة قوله: في يوم ٢٥ نوفمبر طلب مني الخديو أن أحضر رسالة إلى ملك البلغار بأن كتبخانة عمارة قوله معرضة لغير ان العدو ، ولتتمس من جلالتهم أن يأمر بوضعها في مكان أمين حتى نهاية الحرب .

العلماء والانقلاب : مما سمعته من البرنس محمد علي باشا في زيارتي له : انه في أوائل الحرب كانت قد حصلت حركة بين العلماء ظهر منها أنها ضد الاحتلال ، وفي جانب الخديو ، فأوفده رئيس النظار حسين باشا ارشدى إلى شيخهم الشيخ سليم البشري^(١) لتسكين هواجسهم ، قائلا لهم : « انت هذه الحركة لا تفيد لان المصريين لا يملكون سلاحا ، ولا ذخائر للمدافعة عن أنفسهم وعن بلادهم ؛ والاصوب أن يكون الهدوء رائدهم ، وقد حصل ذلك .

(١) صور ج ٢ ق ١ ص ٢٨٠

فشل المفاوضات مع الانجليز ومحاولتي التوفيق بين الحديبو والأتراك - الاحتفال
ببلاغ عبد المنعم من الرشد - البرنس عبد المنعم ورواية العهر - سفرى
الى الاستانة - عودة الحديبو الى الاستانة - كيف تلقى الحديبو خبر وفاة السلطان
عبد ونولية السلطان فؤاد - بينى وبين عباس - بين الحديبو وولى عمره

فشل المفاوضات مع الانجليز ومحاولتي التوفيق بين الحديبو والأتراك :
انتدبني للتفاهم مع الاتراك : في يوم ٢ يناير اجتمعت بعد الحيد شديد ، وتحادثنا
في الحالة الحاضرة ، فقلت له : « إن الوقت مناسب للسعى عند الاتراك والالمان ،
وتحسين سياستنا معهم ، وإلا فأنتنا نخرج « من المولد بلا حمص » على رأى المشل
العامى ، وأن الحديبو أمامه الباب المفتوح من ناحية أنور باشا المعروف بصداقته
له ؛ فلما ذا لا يلج هذا الباب ؟ »
فقال شديد : « إننى أميل جداً لاتخاذ خطة معينة ، والانضمام إلى إحدى
الهيئتين : إما الاتراك وإما الانكليز ، فذلك أولى من وقوفنا الآن موقف المتحير »
ثم سألتني عما إذا كنت أقبل السفر إلى الاستانة للتفاهم مع الاتراك ؟ فقلت له : « كان
الأولى بذلك جلال الدين باشا » فأجابنى بأنه رفض خشية حجزه فى الاستانة ،
قلت : « وهل هذا السؤال من عندك ، أم أن الحديبو هو الموعز به ؟ » فضحك وقال :
« هو يرغب ، ولكنه يخاف عليك من الانجليز » فقلت له : « إننى على استعداد لما
يأمر به ، لأننى أريد خيره ، وهو ولى نعمتى ، ومن قبله والده ، وإن كنت أتوقع الضرر
من جانب الانجليز فى أموال بمصر ، إلا أننى مستعد للتضحية ، فأنا « محروق » أول
مرة ، وقيامى بهذه المهمة لن يزيد هذا الاحتراق ، وأن لسموه أصدقاء مثل ملك
بلغاريا ومثل الدوق دومكلمبورج ، وغيرهما من الالمان والنسويين . فلما ذا
لا ينفع بصداقتهم ؟ » قال شديد : « على أن أعرض للحديبو هذا الموضوع » ثم أبدى
لى رأياً فحواه : أننا نطلب أولاً من الاتراك تنفيذ مشروع الحملة على مصر ، فأذا لم

يجيئوننا إلى ذلك طلبنا منهم ضمانات مالية إذا صادر الانجليز أملاك الخديو في مصر وافترقنا على ذلك .

سعى الخديو لدى الانجليز ومناوراتهم : وبعد يومين اثنين من هذا الحديث قابلت موسيو بارودى ، فسألنى عما يعمل الخديو الآن ، فأخبرته أننى لأعلم شيئاً ، فقص على : أن سموه قد فاتح الانجليز للاتفاق معهم ، وتسوية موقفه على يد معتمد البلجيك فىينا سابقاً فعينوا «اللورد أكتون» المقيم مع معتمد انجلترا فى برن للتفاهم وإياه ، وقد اتفقا على أن ينزل عن حقه فى الخديوية فى مقابلة تخصيص مبلغ ٢٥ ألف جنيه سنوياً له ، ورفع الحجز عن أملاكه فى مصر ، وضمان أملاكه فى تركيا ، ومساعدته فى مسألة وقف والدته ليسكون له نصيب فيه .

وبعد هذا ذهب الخديو ، وقابل فؤاد بك سليم سفير الدولة ، وأخبره بما يعرضه عليه الانجليز ، وطلب منه معرفة رأى الدولة ، وهن تضمن له مثلاً يضمن له الآخرون ،

ثم قال لى : « والخديو كما هى عادته لم يحفظ سر أعماله هذه ، بل أذاعها ، فانتشر الخبر فى جنيف ولوزان وغيرهما ، وأخذ يوسف صديق وأمثاله يذيعونه ، فغضب الانجليز لذلك ، وعزموا على إهمال الموضوع ؛ ويسرنى يا باشا أنك لا تعلم بما حصل وإلا لو أنك تدخلت لذلك انتقاد » فأخبرته أن الخديو يعمل برأيه ، ولا يطلعنا إلا على الظواهر . قال : « ومن الأسف أن أعماله هذه ستؤدى به إلى الخسارة ، لأن الانجليز فى استطاعتهم أن يوعزوا إلى البنك العقارى فى مصر بعرض أملاكه للبيع سداداً لديونه ، فتباع بأبخس الأثمان ، دون أن يعمل الانجليز شيئاً ظاهراً يؤخذ عليهم »

ولما أخبرنى بارودى بذلك ، وكنت أعلم أنه متصل بالانجليز ليقوم باطلاعهم على كل ما يعلمه من أخبار الخديو والمصريين ، تذكرت أن عباساً قال لى فى العام الماضى : « أنا سأعمل مع الانجليز ، وإذا انتهيت إلى شىء أعرضه على الأتراك وأطلب منهم بيان ما يعملون هم لصالحى ، وقدرت فى نفسى خطورة هذه الخطوة ، وأنها لعب بالنار ؛ وقد تصل بنا إلى سوء التفاهم مع الفريقين .

مقابلي لفؤاد بك سليم : وفي يوم ١٤ يناير اجتمعت بفؤاد بك سليم سفير الدولة في برن ، وتحدثنا في عدة شئون تتناول الحرب ، وأعمال الانجليز الحربية في شبه جزيرة سينا ، وما كان يقال عن المخابرات الدائرة عن الصلح . . الخ . ثم تدرجنا في الحديث إلى الخديو فسألته عما إذا كان هناك تحسن في علاقات سموه برجال الدولة ؟ فأجابني بأنه لم يتلق شيئاً من الاستانة بخصوصه ، ثم قال لي : « إنه حصلت مسألة ولو أنها بسيطة إلا أنها غير لطيفة ، ذلك أنني طلبت بناء على رغبة الخديو خادماً من الاستانة ، ومعه بعض الأمتعة الخديوية ، فرخص له في السفر إلى فينا فقط ، ولا يزال محجوزاً هناك ،

وفهمت أنه يريد أن يبرهن بذلك على سوء العلاقات ، فقلت له : « وما ذا نعمل للوصول إلى غرضنا من حسن التفاهم ؟ فأجابني : بالسعي لدى الألمان . ولكن لاحظت أن الأتراك لا يرغبون في ذلك . قال : « كان على الخديو أن ينتهز فرصة وجوده في فينا ، ويقابل امبراطور ألمانيا مباشرة ، فأخبرته بفشل الخديو في محاولة هذا عدة مرات ، فأجابني بأنه لو شهد حفلة جنازة الامبراطور النمساوي لنجح ، وتحسنت علاقته بالامبراطور . فأجبت أنه الخديو احتج بعدم وجود كسوة رسمية لديه لأنها في الاستانة

ثم أبدى انتقاده لرجال الحزب الوطني ، وخطتهم التي وسعت هوة الاختلاف بما كانوا يشيعونه عن مطامع الأتراك في مصر .

مقابلة شديد بك : وفي اليوم التالي قابلت عبد الحميد بك شديد ، فأخبرته بكل ما دار بيني وبين بارودي والسفير ، فاستغرب تصرفات الخديو ، ولا سيما عرضه على سفير الدولة مخبراته مع الانجليز ، واستبعد ذلك . وأخيراً انتهينا إلى إرسال برقية إلى الخديو في زوريخ (وكان قد انتقل إليها) نطلب مقابله لمسألة هامة . وقد جاءنا الرد بالتوجه إلى « تريته » وكان شديد أخبرني أنه أبلغ سموه استعدادي لكل عمل ، فاستحسن ذلك ولم يبد رأياً ، وقال لي شديد : « إنه ربما فاتحك في هذه المسألة » .

مقابلة الخديو : وفي يوم ١٧ ذهبت للمقابلة ، فعرضت على سموه ما قاله لي بارودي : فقال : « هاهم أولاء منذ شهرين يشيعون أن الاتفاق بيني وبين الانجليز

قد تم ؛ ولكن الواقع غير ذلك ، ثم أبدى استغرابه لمسألة وقف والدته ، فقال : « انه لا يعلم شيئاً عن هذا الوقت الذى قيل إنه عمل منذ شهر » وأبدى دهشته من قول سفير الدولة : انه لم ترد اليه مخبرات بخصوص الخديو فى الاستانة فقلت : « ربما علوا بمخبرة الانجليز فامتنعوا عن الحديث معنا . » وأخيرا ودعت سموه دون الاتفاق على قرار معين .

مقابلة البرنس محمد على وانتقاده شقيقه : ومرت بعد ذلك بالبرنس محمد على باشا ، فدار الحديث بيننا فى الشئون الحاضرة ، فانتقد الخديو قائلاً : « كل الناس تعلم بمخبرته مع الانجليز مع انه يفهم أن أحداً لا يعرف سره ، وأنه لا يوجد من هو أحق منه ، فيريد أن يلعب بالانجليز وبالأتراك وهذا مستحيل . وواسطته هو ملحة باشا المعروف بميله للفرنسيين والانجليز » . وقال : « إن فؤاد بك سليم كلف شديد بك أن ينصح للخديو بترك سويسرا الفرنسية ، ولكن هاهو ذا لا يزال فيها . ! ثم أخبرنى أن النموسيين مستاءون كذلك لعدم حضور الخديو جنازة امبراطورهم حتى إن سموه لقي الأمير « مترنيخ » وكان زميلا له فى التريزيانوم ، فأراد أن يعتذر له بأنه لم تكن معه كسوة رسمية ، فرد عليه الأمير قائلاً : « لاتحادثنى كما تحدث رجال السياسة ، فأنا أعلم أنه لو كانت عندك كسوة ما ذهبت ! » وعندئذ صمت الخديو .

مقابلتى مع قنصل النمسا : وفى يوم ١٩ منه اجتمعت بالكونت دى تورن وأفهمته أننى أخشى أن يكون الخديو فى مخبرات مع الانجليز ليتفقوا باهم ، مع أنه يعهد الى من وقت لآخر فى مساع عند سفير الدولة لتحسين العلاقات . فاذا سمع السفير بذلك فانه يعتبرنى غشاشاً أو غيباً وكلاهما لا أرضاه لنفسى ، واننى أفضل الاستقالة على ذلك ، لولا أن انفصالى قد يجعله يرمى بنفسه فى أحضان الانجليز . وقد فكر الكونت ثم قال : « هذا صحيح ولذا فلا يحسن انفصالك الآن »

مقابلتى مع پارودى مرة أخرى : وفى يوم ٢٠ منه اجتمعت بموسيو پارودى فأخبرته أننى سأقابل الخديو قريباً ، فهل أطلعه على ما علمته منه ، فقال لى : « إننى قابلت أمس « فردريك » خادم الخديو ، وكلفته أن يعرض على أعتابه تهنئتى له بالمخبرة الحاصلة بينه وبين الانجليز ! » وأبدى لى أسفه على اذاعة رجال الحاشية الخبر مما عطل سير المخبرات . وقال : « ولماذا لاتكون أنت ياشفيق باشا واسطة

هذه المخبرات الهامة بدل تويني بك (١) وملحمة؟ نحن نعلم أن هؤلاء السوريين غير مخلصين، ثم حادثته في مسألة وقف الوالدة فقال: «إنه لم يتأكد منه بعد»، وأخذ يبالغ لي في منزلته الشخصية عند الانجليز!

من الذى أذاع سر المحادثات؟ وفي يوم ٢٤ قابلت الخديو فأبلغته ما دار بيني وبين پارودى، فنفى لي أن رجال الحاشية هم الذين أذاعوا سر المحادثات لأن أحداً منهم لا يعرف ذلك، وأن أعداءه المتصلين بالانجليز مثل يوسف صديق ومحب باشا ربما كانوا هم الذين أذاعوا ذلك، وبعد خروجي من عنده جلست مع شديد، فتحدثنا في هذه المناورات التي يقوم بها دون فائدة، وثلة استقراره على حالة، ثم فكرنا في مسألة إقامته بعد الحرب، وهل ستكون في الاستانة أم غيرها، وكذلك في مسألة ولي العهد، وهل يشمل التنازل الذى يقرره الخديو؟

وقد قابلت پارودى يوم ٢٩ منه فسألته عن هاتين المسألتين، فلم أجد لديه معلومات عنهما؛ وأخبرته بأن إذاعة سر المحادثات لم تكن من ناحية الخديو، فافتتح بذلك مناورات الخديو بين الأتراك والانجليز: وفي هذا اليوم قابلت الخديو وعلمت أنه سيغادر «تربيته» بعد أيام قلائل، وكلفني أن أخبر فؤاد بك سليم بهذا وألا أترك الاتصال به، وقد أفهمني أنه يقصد بذلك إثارة الاهتمام عند الانجليز بموضوعه، لأنهم إذا علموا بقطع صلاتنا مع رجال تركيا فانهم لا يهتمون بنا! وقد قمت بهذه المهمة يوم ٥ فبراير

استقالة البرنس سعيد حليم من الصدارة: وبينما كنت عند السفير جاءته بريقة من الاستانة تنبئه بسقوط نظارة سعيد حليم، وتشكيل النظارة الجديدة برئاسة طلعت باشا، مع الداخلية والمالية، التي كان بها عباس حليم، شقيق الصدر السابق، فخرجت بعدها وأخبرت شديد بك بالتغير الذى حصل، فسر به كثيراً؛ وقد أبلغنا الخديو تليفونياً في فندق «أسبلا ناد» في «لوكارنو» فأظهر فرط سروره وكلفني أن أقابل فؤاد بك سليم مرة أخرى؛ وأشكره من لدن جنابه على إخباري قانلباً؛ وأفهمه أنه سيرسل بريقة بالتهنئة بمجرد إعلانه رسمياً من قبل الدولة كالمعتاد ببل الحرب.

(١) أحد كبار السوريين وكان له اتصال ومعرفة سابقة بالخديو

وقد قابلت فؤاد بك، وأبلغته ما كلمت؛ فقال لي: «إن نظارة الخارجية أبلغتني الخبر ولم ترد على ذلك»

وفي يوم ٧ منه اجتمعت بالخدوي وشديد بك، ودار الكلام حول التغيير الذي حدث في النظارة، فقال: «إن البرنس سعيد سيقوى مركزه عند الانجليز بهذه الاستقالة، وربما رشحوه لعرش مصر، فكان رأينا غير رأيه في هذه النقطة. ودارت المناقشة في إرسال تهنة من سموه، فكان رأي فيها انتهاز الفرصة للتفاهم، وعدم انتظار الإعلان رسمياً من جانب تركيا. ولكن تقرر أخيراً - على غير رغبة مني - أن أذهب إلى فؤاد بك، وأن أطلب منه إرسال برقية «شفرة» للخارجية العثمانية بأن الخديو بعث يستفهم من القبول كتخداية، عما إذا كانت أعلنت بالتغيير رسمياً كالمعتاد؛ وأن غرضه هو القيام بالواجب في تهنة الصدر الجديد وربما أوفد سموه مندوباً لهذا الغرض

ولما قابلت السفير لم يستحسن إرسال برقية؛ وأشار بأرسال التهنة مباشرة، وبدون تأخير، لأنه مضت ثلاثة أيام الآن من وقت حضور البرقية؛ ثم إذا ورد إلى الخديو أن القبول كتخداية أعلنت يرسل برقية أخرى، أو يرسل مندوباً خاصاً «مثلك باباشا» قلت: «ولكن إذا أوفدني الخديو فيجب ألا يشيع ذلك عند الانجليز حتى لا ينقموا مني في أملاكهم بمصر» فقال: «إذا تم ذلك فأنا أطلب من قنصل الدولة تحرير جواز السفر بنفسه، ولا يخبر أحداً بسفره»

ولما رجعت إلى الخديو حاولت إقناعه بعدم التثبت بالرسميات، وانتهاز الفرصة السانحة، وأخيراً تقرر أن نطلب من فؤاد بك أن يكتب في تقريره الذي يرسله إلى الآستانة أنه أخبرني بالتغيير، وكلفني إبلاغ الخديو، فيكون ذلك شبه إعلان رسمي. وقد حصل ذلك وأبدى لي الخديو تخوفه من انتقام الانجليز مني إذا سافرت، فأظهرت له استعدادي لذلك، ولكن قلت: «يجب أن نحاط» وأن نتق شر بارودي، فأدعى أنني ذاهب إلى بادن للاستحمام،

إرسال التهنة: وبعد ذلك حررت صورتين للتهنة، إحداها مطولة والأخرى رسمية قصيرة، فاستحسن سموه الثانية وأرسلناها يوم ٢٧ فبراير.

وقد وردت برقية الرد في يوم ١٧ منه في لهجة لطيفة باسمه، باعتباره «خدويًا لمصر».

جس النبض لدى رجال تركيا: عندئذ فكر الخديو في الشروع في مخبرات مع

الصدر الجديد لتحديد مركزه ، وقد أراد أن يحس النبض للتأكد من نجاح المخبرات قبل البدء فيها . وكان قد سبق أن طلب من الاستانة حضور خادم فحجز في النمسا وبقى بها ؛ فمزم على أن يكون طلب الترخيص لهذا الخادم أول ما يحس به النبض ؛ وأمرني في يوم ١٧ أن أحرر خطابا لطلعت باشا بذلك في صيغة غير صريحة ، لأن الطلب تافه ، وقال لي : « اذا وجدنا أن لدى الصدر نية طيبة من ناحيتنا ، فاننا نرسلك يا شفيق للاستانة » .

وفي يوم ٢٨ مارس كنت مع الخديو أنا وشديد بك والدكتور سيد كامل ، فعلمت أن رد الصدر قد وصل إليه منذ أيام ، وأنه رد طيب . وفيه وعد بالتسهيلات اللازمة لكل تابعي الخديو في ذهابهم لسويسرا وإياهم منها ، وكذلك أبدى اهتماما بمخبرانه ، ووعد بالرد عليها ، بقدر ما يمكن من السرعة .

وقد أظهر لنا الخديو سروره من هذا الرد ، وتقرر ايضاد مندوب الى الاستانة للمخاطبة مع الصدر في المسائل المعلقة ، وطلب منا أن نفكر في وضع نقط لهذه المخاطبة ، وفي الخطة التي يتبعها المندوب .

تحضير مذكرة للمخبرات : وفي يوم ٢٩ منه اجتمعنا ووضعنا المذكرة الآتية :
أولا . انضمام الخديو للدولة ، كانت مبنيا على (١) تعلقه بالخلافة والغيرة الاسلامية (٢) الولاء للتبوع بصفته تابعا سياسيا . (٣) الأمل في أن تكون لمصر حالة سياسية أسعد مما كانت عليه

ثانيا : أسباب خروج سموه من الاستانة : (١) معاكسات سعيد حليم (٢) استرجاع الحملة (٣) شعور سموه بعدم استشارته في شيء يختص بها
ثالثا : أسباب خروجه من فينا : (١) تعيين بوليس سرى لمراقبة سموه كأنه عدو لأمحالف . (٢) انقطاع أمله في تحسن الحالة بينه وبين الاستانة بسبب ما تقدم (٣) عدم قبول امبراطور المانيا مقابلاته (٤) طعن سفير المانيا بفيينا في الشرقيين ما عدا الأتراك (٥) الحاحه على سموه بالرجوع الى الاستانة للسعى في تحسين العلاقات .
رابعا : أسباب عدم تحسين العلاقات في سويسرا : - (١) استمرار معاكسات الصدر (٢) عدم الترخيص لرجال الخديو بالدخول في الاستانة والخروج منها (٣) قطع مراتب رجال حاشيته لأنهم لم يرجعوا الى بلاد الدولة ، بينما المصريون المنتمون للصدر يستمرون في قبض مراتبهم .

خامسا : أمل الانكليز في التقرب من سموه لما علوه من سوء التفاهم بينه وبين

رجال الدولة، والألمان واجتهادهم في فصله عنهم فلم ينجحوا، بدليل أنه لم يصدر من سموه أى فعل أو قول عانى أو غير عانى يدل على اتفاقه مع الانكليز، ولو كانت المسألة متعلقة بالحالة الخصوصية لسموه فقط لانتهد منذ زمن

سادسا : تغيير النظارة العثمانية أحياء الأمل في تحسين العلاقات مع الدولة وجواب الصدر خير مشجع لهذا التقارب .

هذا عن الماضى

أما المستقبل فأولا : تحقيق الأمل باسعاد الحالة في مصر متوقف على قيام حملة أو احتمال نجاح مساع سياسية، وعلى هذا يجب الخديو أن يعرف : (١) اذا كانت هناك نية لتجريد حملة، واذا كانت الدولة مهمة باتخاذ وسائلها، وما هو الموعد الذى الذى تقوم فيه ؟ (٢) ان كانت هناك نية فهو مستعد للرجوع الى الاستانة عند الزحف (٣) طلب تعضيد ماديأ وأديأ للحفاظة على مظاهر الخديوية الى حين عقد الصلح، فهل الدولة مستعدة لتتقدم اعتماد مالى يصرف فيما يتعلق بالأمور العامة، أو بالاتفاق على الحاشية، أو لاعانة المصريين المحتاجين فى الخارج (٤) ان لم تكن هناك نية فى ارسال حملة فالخديو يتسامل اذا كان تعضيد الدولة وحلفائها فى مؤتمر الصلح يضمن الوصول الى نتيجة حسنة لمصر ولشخصه، ويتسامل فى هذه الحالة عن الضمانات الحالية الممكنة لتحقيق هذا الأمل فى مؤتمر الصلح (٥) فان لم توجد هذه الضمانات من الآن فهلا يكون من المصلحة أن تجيز الدولة لسموه اجازة غير رسمية الاتفاق مع الانجليز على تسوية مركزه المالى بالنسبة لحالته الشخصية فى المستقبل ؟

ثانيا : سموه يتسامل عما اذا كانت الدولة تحب أن تنفع بأى خدمة يقوم بها لمصلحتها فى الخارج، فانه يكون سعيداً عند استطاعته القيام بهذه الخدمة فى الحال أو الاستقبال، لأن الأسباب التى استوجبت انضمامه الى الحكومة العثمانية ما زالت قائمة، ويضاف اليها نيته عند عدم النجاح فى المسألة المصرية ان يعيش فى بيئة اسلامية؛ ويصرح من الآن بأنه لا يتفق مع الانكليز على أى ترتيب سياسى فيما يتعلق بمسألة مصر يكون من شأنه الاضرار بمصلحة الدولة .

فلما اطلع الخديو على ذلك طلب إلغاء الفقرة الأخيرة، ثم قال : إنه لا لزوم للكلام فى الماضى، بل تكون المذكرة عن المستقبل فقط . أما اذا جاء السؤال من رجال الدولة عن أسباب خروجه من الاستانة ومن فينا وعدم رجوعه، فعندها يمكن الاجابة بالتفصيلات الموضحة .

وقد سألته عما إذا كان المندوب يومئذ الى كلام فؤاد سليم في أمر التعويض الذي يرجى أن يحصل الخديو عليه من الدولة ، في حالة إضرار الانكليز بسموه في أملاكه وتخصيص مرتب سنوى له ؛ فأجاب : نعم إذا كانت المخبرة تقضى بهذا الايماء . ثم أملى على آراه ، لوضعها في قالب مقبول ، وإضافة ما نراه لازماً . وهى

(١) الجناب الخديوى لم يغير خطته ، وما كان ينتظر ما حصل له (٢) بعزل الصدر سعيد حليم يأمل في تحسين الحالة ، وإزالة سوء التفاهم ، خصوصاً وأنه يتذكر ما قاله له طلعت باشا ، في زيارته لسموه ، مع خليل بك قبل مغادرته الآستانة ، وتأكيده أنه لا ينطوى على شعور غير شعور المؤدة من نحوه ، ووعد نخامته هو وأنور الذى كان معه ، بما جعل الخديو يتحقق الآن من نجاح مسأله ، ولهذا أوفدنى (شفيق) للسلام والشكر .

ثم أشار بأن يضاف على أسباب خروجه من فينا ، معاكسة حسين حلى باشا السفير لسموه بواسطة «حاشيته» (محب ويوسف صديق) وقال : «وإذا حصل السؤال عن طلباتى فيكون الجواب : (١) إعطائى الحقوق الممنوحة لى . . . يعنى البريد ، والتلغراف الشفرة .

وهنا بدر اعتراض منى ومن الدكتور سيد كامل ، لأن الحرب لا تسمح باستعمال الشفرة ، ولكنه غضب من هذه الملاحظة (٢) «معاملة رجال القبو كتخداية ، كما كانوا يعاملون سابقاً ، لأن القبو كتخداية لم تعلن عند تغيير النظارة الأخيرة» قال سموه : «ثم إن المندوب يسأل الصدر عن رأيه فى المسألة المصرية ، ونتيجتها ؛ وإن لم يكن هناك نية فى إرسال حملة فهل تنوى الدولة عمل شيء آخر ؟ وإذا كان هذا لا يعلم فى أى وقت فهل يبقى سموه بدون مساعدة مالية ؟

وإن سئل المندوب عن رجوع سموه يحيب بأنه إذا تحقق حسن نية رجال الدولة نحوه ، فانه يرجع الى الآستانة للإقامة فى بيته فى شهر سبتمبر ،

ثم قال : «ومن سبتمبر نؤجل الميعاد الى اكتوبر ، ثم نساfer إلى بلغاريا ، ونمكث لغاية نوفمبر ، ومن يعلم ماذا يحصل لغاية هذا التاريخ ؟»

وقد اجتمعت بالدكتور ، ووضعنا المذكورة على حسب الفكرة التى أملاها علينا الخديو ، وقدمناها له ؛ وبعد أن قرأها قال بابقائها لاعادة النظر فيها وتعديل ما يراه وأمر بسفرى إلى برن لمقابلة فؤاد بك سليم

السفر الى برن : وفي ٣٠ مارس سافرت إلى برن وقابلت فؤاد سليم ، وأبلغته سلام الخديو وشكره على حسن مسعاه ، وأن سموه ربما أوفد مندوباً إلى طلعت فأجابني فؤاد بك « ولكن سموه عزم من مدة على هذا ولم ينفذه ، قلت : « لأنه كان ينتظر الرد على جواب أرسله الى الصدر ، وقد وصل

مذكرة جديدة : وفي يوم ٩ ابريل قابلت عباساً ، وتفاهمنا مرة أخرى على مهمة المندوب . فقرر الرأي على أن أترك المذكرة التي كنا قد أعدناها سابقاً ، ونكتفي بما أتى : أولاً : بعد التحية يبدأ المندوب بأن يقول لطلعت باشا . « إنه لما رآه الخديو من حسن قبولكم لكتاب سموه ، وأمركم باجابه ما فيه من الطلبات أوفدني لفخامتكم للاعراب عن شكره وامتنانه ، وأمرني أن أقدم لكم خطاباً أحمله ،

ثانياً : عندما تأتي مناسبة في أثناء الحديث يلح المندوب الى زيارة طلعت و خليل بك قبل ترك سموه الأستانة ، ويذكر تأكيدات نخامته لسموه ، من أنه لا يوجد شيء عند رجال الحكومة العثمانية ضده ، وخطاب الصدر دليل قاطع على تأييد هذا الكلام ، لذلك يتفالم الخديو خيراً من وجود طلعت باشا في كرسى الصدارة . ثالثاً : إن سألت نخامته عن اشاعة شاعت باتفاق بين سموه والانجليز يرد المندوب بأنه : حقيقة أراد الانجليز انتهاز فرصة الفتور الذي كان ملحوظاً بين سموه ورجال الدولة لاستئالة اليهم ؛ ولكن لما تغيرت النظارة تبدلت الحال بعناية نخامة الصدر ، ويقول المندوب : « ولو أنني لم أكن على الدوام ملازماً الجنب الخديوى إلا أنني أعلم جيداً أنه لم يتفق مع الانكليز على شيء ، وإلا فإنه كان يعلن قبل سفرى » (أى أنه لا ينفى ذلك بصفة رسمية)

رابعاً : واذا سألت طلعت عما اذا كان الخديو يريد أن يتفاهم معهم ، يقول المندوب : « إنه إن تكلم فلا يكون موضوع الكلام إلا في المسائل الشخصية لا السياسية ، فهى التى تههم معيشته فى المستقبل ، لأن ثروته كلها فى مصر وهى محجوزة ويتمنى ألا يحصل له على الأقل ضرر فى المسائل المالية ،

خامساً : وان سئل عن آراء سموه يكن الجواب : أن سموه يريد أن يعرف موقع المسألة المصرية فى الحركة العسكرية والسياسية . فان كان الرد أن المسألة منظورة والحكومة عازمة على عمل شيء فيظهر المندوب الاستحسان ، واذا كان الرد بأنها غير منظورة فيجيب بالاسف

سادساً : وإن سئل عن طلبات سموه يجيب بأن لا مطلب له إلا أن تعامله الحكومة بالحقوق المخولة لمقام الخديوية ، معاملة ودية ، لا معاملة عدائية ، لأن الاعتماد يعاملون الملوك الذين عزلوا معاملة لا ثقة بهم ، وهم يعيشون بينهم بالعز والاكرام . مع أن سموه طلب من الحكومة نقل موظف في المحروسة (الدكتور صبحي) إلى خدمة الدولة المحتاجة إلى أطباء ، وعمله في المحروسة لا يستدعي وجوده فيها . فبعد قبوله ارجعته الحكومة إلى المحروسة خلافا لرغبة الخديو ؛ ويرجو المندوب من الصدر إجراء ما يلزم لحفظ مقام الخديوية . فان قال الصدر : « ها نحن أولاء نعامله الآن كما يجب » ، فالمندوب يستفهم في هذه الحالة عما إذا كان في نية الحكومة معاملته مادياً فان دخل الصدر في الموضوع المادى فعندها يقول المندوب : « إنه يرجو أن يعامل رجاله في المراتب كما يعامل المصريون الذين أظهروا عداوة له » (أى المنتمين للصدر السابق) وفي حالة القبول من الصدر يقول المندوب : « وان سموه مستعد لأن يشترك مع الحكومة في وضع قاعدة لمساعدة المصريين على وجه العموم » .

سابعاً : إذ قال الصدر برجع الخديو الى الاسنانة ، يجيب المندوب أنه مستعد للرجوع ؛ وإنما يفكر في صوالحه في مصر وفي إيطاليا (حيث توجد أوراقه في باخرة طاشيوز برودس) فهل توجد طريقة لتأمين هذه المصالح لو رجع إلى الاسنانة ؟ فان قال بوجود طريقة ، يستعلم عنها المندوب ويطلب أن يعرضها على الخديو . وقد سألت سموه عن المبلغ الذي يطلب تقريره من الدولة ، فأجابني بأن خمسة وعشرين ألف فرنك سويسرى شهرياً تكفي

الاحتفال ببلاغ عبر المنعم سر الرشد : في يوم ١٧ فبراير كنت عند الخديو في لوزان ، فعرض على رأيه في تحرير خطاب للبرنس عبد المنعم ولي عهده ، يهنئه فيه ببلوغ سن الرشد يوم ٢٠ منه ، ويسلم اليه في الاحتفال بهذه الذكرى ، وطلب منى تقريره مع الدكتور سيد كامل وقد أعدنا مشروع هذا الخطاب ، وبعد تحوير وتبديل منا ومن الخديو صار كما يأتي :

« في مثل هذا اليوم من ثمانى عشرة سنة خلت ، احتفلت مصر بمولدك ، فبالأمس أتممت حياة القاصر ، واليوم بدأت حياة البالغ الراشد ، وأنت اليوم

وغدا - كما كنت بالأمس - محل رعايتي وشفقتي الأبوية، فهنئاً لك بما أنعم الله علينا من بلوغ هذا اليوم، وبارك الله لك في عمرك، ووفقك في جميع أعمالك .

« وقد كنت أود أن تحتفل بك اليوم بلادنا المصرية العزيزة، كما احتفلت يوم عيد ميلادك، ولكن الحوادث الحاضرة التي مازالت منذ عامين ونصف عام، تحدث الانقلابات المنوعة في كيان الممالك المتعددة، ومراكز الملوك والأمراء قد أصابتنا بشيء من انقلاباتها - أرجو أن يكون وقتياً - وعلى أى حال فأمل ألا يمتد أثره إلى المساس بحقك الثابت المشروع، الذى لا أدرى وسعاً فى تأييده والله المسئول أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والفلاح،

وفى يوم ١٩ أرسلنا الدعوة لحضور الاحتفال؛ وقد ردد عدد من سيحضرونه بستة عشر وهم :

الخديو وولده وشقيقه، وسكرى بك سكرتيره، والبرنس ابرهيم حلى، ومحمد طاهر بك نجل البرنيس أمينه هانم اسماعيل، وجلال الدين باشا، وتوينى بك، ومحمد باشا يكن، وعبد الحميد بك شديد، والدكتور سيد كامل، وعبد الله البشرى، ونور الدين افندى، ومنصور القاضى، وصاحب المذكرات

وقد عرضت على سموه أخذ صورة تذكارية للحفلة وصورة أخرى لأفراد العائلة فوافق على ذلك

وطلب منى أن أفهم البرنس بأنه سيهدى إليه قطعة من الجواهر التى ورثها من عائلته لتكون تذكراً لبلوغه سن الرشد، وبما أن مجوهراته فى زوربخ فإنه عند رجوعه إليها سيختار هذه القطعة ويرسلها لدولته، وأن سموه يأسف لعدم وجود السجلات الخاصة بأمواله حتى يراجعها .

وقد نقلت ذلك للبرنس فقال : « هذه أمور نصفها بعد الحرب، ولا حاجة بي اليوم للنقود . أما أنا فأفكر فى مسألة أخرى : وهى أننى أطلب من معتمد إنجلترا أن يتوسط فى استحضار نقود لى من أموالى الخاصة، وأقول له صراحة : « إننى أريد أن أقرض أبى ما يحتاجه منها الآن بحيث يرد له بعد انتهاء الحرب العظمى ،

فأبديت له تشككى فى نجاح هذه الفكرة، لأنى أعتقد أن الانجليز سيرفضونها وقد أرسلنى الخديو لدعوة شقيقه الذى قرأت عليه صورة خطاب الخديو لولى عهده، فأعجبه

وفي يوم ٣٠ فبراير كانت الحفلة، فدخلنا في الساعة الواحدة الى المائدة، وجلس الخديو، وأمامه شقيقه، وعلى يمينه ولى العهد، وعلى يساره البرنس ابراهيم حلمي، وعلى يمين البرنس محمد علي جلس البرنس عبدالقادر، وعلى يساره محمد بك طاهر، ثم باقى المدعوين، وكان مرسوماً على قائمة الأطعمة العلم العثمانى

وبعد تناول الطعام أمرنى الخديو أن أتلو الخطاب الموجه منه لولى عهده فتلوته بلهجة مؤثرة، فسالت دموع البرنس عبدالمنعم، ونهض فقبل يد والده مظهرآ حنايه عليه. ثم سلمت الخطاب للخديو فسلمه لابنه الذى تناوله شاكرآ

وقد وقف البرنس محمد على، وأراد أن يقول شيئآ، ولكن التأثير أخذ منه كل مأخذ، فقال: «إن المصيبة التى أصابت الأسرة هى غضب من الله، فيلزم علينا أن نطلب منه المغفرة»، وكرر هذا القول بألفاظ متقطعة بين البكاء والدموع. وكنت معزما أن أهنيء البرنس بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن الحاشية، ولكن لما رأيت هذا الجو امتنعت، ووقف البشرى وطلب قراءة الفاتحة ليوقفنا الله للخير.

وبذلك انتهت الحفلة، وكان لها أثر جميل فى تقريب هوة الخلاف بين الخديو وولى عهده.

وبعد تناول القهوة ذهبنا إلى حديقة الفندق، وجاء المصور فالتقط صورة لنا مجتمعين، ثم صورة أخرى لأفراد الأسرة الخديوية.

وقد جلس الخديو مع نجليه وبنتيه وجلال الدين باشا فى معزل عنا جلسة عائلية، وكنا نشاهد سموه بين حين وآخر يقبل أبناءه واحداً بعد الآخر فى تأثر شديد.

وفى يوم ٢١ منه اجتمعت بالخديو والبرنس عبدالمنعم، فقالت لسموه: «إن دولة البرنس أبدى لى الرغبة فى عمل رد على خطاب الجناب العالى، فقال: «لا بأس وهأنت ذا موجود يا شفيق فانظر مايريد كتابته واعمل بإشارته»

وفى اليوم التالى استدعانى وكلفنى بكتابة الرد على أن يحتوى على عبارة فخاها: أنه بعد بلوغه سن الرشد سيبقى كما كان قبل ذلك خاضعآ لوالده. ثم سألتنى عن أية النقط التى تهتم والد، فأجبت به أنه ربما تكون النقطة الخاصة بتوثيق رابطة المحبة بين أفراد الأسرة الخديوية. فقال: «حينئذ نضمها للنقطة الأولى». وعاد فسألنى عما إذا كان يرسل العنوان باسم «سمو الخديو المعظم» - لأن والده لايزال



صورة الاحتفال ببلوغ سمو البرنس محمد عبد المنعم سن الرشد

الجالسون : يرى في الوسط سمو الحفيظ ع. اس حلي الثاني وعن يمينه سمو البرنس محمد عبد المنعم المفضل به وسادة محمد طاهر بك وعن يساره سمو البرنس محمد علي والبرنس محمد إبراهيم حلي والبرنس محمد عبد القادر

الواقفون : من اليمين . الأستاذ منصور القاضي والكبير سيد كامل واحد شكرى يكنى بك ونور الدين أفندى وعبد المجيد شديد بك وتوفيق بك وجلال الدين باشا ومحمد يكنى باشا وعبد الله أفندى البشري

في نظره إلا أن خديويًا، ولا جناح عليه إذا اعترف له بهذه الصفة، قلت : « حقيقة إنه هو الخديو، لأنه لا جد الآن في مصر خديو آخر ، بل الموجود لقبه « سلطان » ولكن لا بأس أن نصدر الخطاب باسم « مولاي ووالدي العزيز » - حفظه الله .

وفي يوم ٢٥ منه قابلنا الخديو وعرضنا عليه مشروع الرد ، فلاحظ أن به جملة تخرج مركز البرنس ، وهي وعده بأنه سيجري على الخطة التي جرى عليها أجداده واقترح حذفها .

وهذا نص الرد في صيغته الأخيرة

« مولاي ووالدي العزيز - حفظه الله -

« تناولت بيد التعظيم والاحترام كتاب سموكم الذي اقتضت إرادتكم أن تشرّفوني به ، لمناسبة إتمامي السنة الثامنة عشرة من عمري ، ودخولي في أول يوم من أيام حياتي البالغة الرائدة . ومن تلاوته أخذ مني التأثير كل مأخذ لما أشار إليه من الحوادث الماضية والحاضرة . وإنني تلقاء ما تفضلتم به من التبريكات وعالي الاحساسات لا يسعني إلا انتهاز الفرصة ، وأن ألتبس قبول تشكراتي الصادرة من قلب أساسه الحب والولاء ، لما شتمتموني وما زلتم تغمروني به من الرعاية والشفقة الأبوية ، والسهر على توفير أسباب تعليمي . مد الله في حياة سموكم ، ووفقني إلى ما فيه بقاء رضاكم ، وعساني أسعد بأثبت ما يكتنه ضميري من الاعتراف بالجميل على ما تبذلونه من الوسع في صالحتي ؛ وآمل استمرار هذه المساعدة الثمينة ، لأنني اليوم كما كنت في الأتمس ولدكم الخاضع المحتاج لمعونتكم ، ولا أنكم مصدر وجودي ومرجع الفضل فيما ينالني من خير . والله أسأل أن يجعل لنا من الأيام القادمة خير حال . أما العمل بالصدق والأخلاص للوطن العزيز ، وتوثيق رابطة المحبة بين أفراد أسرتنا العلوية فهو المبدأ القويم الذي يجب علينا جميعاً اتباعه ،

البرنس عبير المنعم وولاي : العهد : في يوم ١٧ فبراير كنت بلوزان ودار الحديث مع الخديو عن نجله البرنس محمد عبد المنعم ، فأخبرني أنه قابل المعتمد الانجليزي ، وطلب منه أن يعلم حكومته بأنه يلتبس منها ألا تهضم حقوقه الشرعية ، وأن تأذن له ، بإتمام دروسه في إنجلترا ، فأجابه المعتمد بأن إنجلترا لا تظلم أحداً ، وما على الخديو إلا أن يتنازل لك ولعائلتك ، ووعدته بأن يتخبر مع حكومته في طلبه .

ثم قال عباس : « ومن رأيي أنه بعد بلوغه سن الرشد يذهب إلى المعتمد ويطلب بحقه الشرعى فى ولاية العهد . »

وفى يوم ٢٠ فبراير كان البرنس قد بلغ رشده . وفى هذا اليوم اجتمعت بالخديو وولى عهده ، فقال سموه : « إننا نريد أن نفكر فى كتابة خطاب لملك الانجليز من البرنس يقول فيه : « إنه ترك مصر وسافر الى الآستانة ، ثم باغته الحرب فذهب الى السويسة للتعلم ؛ وأنه نظراً لاعلان جلالته يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ أنه يبقى أسرة محمد على على رأس الحكومة المصرية ، فالبرنس الذى هو فى الصميم من الأسرة يأتى اليوم ، وقد بلغ رشده ، ليطلب بحقه الشرعى فى ولاية العهد ، وفى يوم ٢٢ منه استدعانى البرنس تليفونياً ، وعرض لى رأيه فى الرسالة ، وتركنى لكتابتها ، وبعد إتمامها عرضتها عليه فرأى تخفيف بعض التعبيرات فيها ، فوافقته على ملاحظته ، وأجريت التعديلات التى طلبها . »

وفى يوم ٢٥ قابلنا الخديو وعرضنا عليه مشروع الرسالة بحضور ملحمة باشا ، فلاحظ أنه ذكر فى الرسالة ما يفيد أن التغيير الذى حدث فى مصر ، وإبقاء عائلة محمد على ، هو من افضال ملك الانجليز ، بينما هذا حق ثابت للأسرة بمعاودة دولية ، وأن الغرض الذى يرمى اليه الخطاب غير واضح ، فأجاب الخديو : بأنه هو الذى أشار بالنقطة الأولى ، أما الثانية فوافق عليها . وقد أخذ ملحمة يحضر « مسودة » سريعة ، ولكن الخديو ونجله وجدا فيها خضوعاً زائداً لملك انجلترا ، وتقرر أن يعمل مشروع وسط بين المشروعين ، ووكل إلى ذلك ، فأتمته وعرضته على الخديو يوم ٢٦ منه فوافق عليه ، وكذلك أطلعت عليه البرنس محمد على فنال استحسانه .

وفى يوم ١٩ مارس قابلت البرنس عبد المنعم ، وسلمته مشروع الرسالة ، فأخذ يحمره بخطه ، وها هى ذى ترجمته فى صورته الأخيرة :

« حيث أنى بلغت سن الرشد فى ٢٠ فبراير الماضى ، رأيت أن أول واجب على أن أقدم جليل احترامى لجلالتكم . وبعد ذلك أتمس من عطفكم التوسط فى مسألة تخصنى شخصياً . »

« على إثر التعادى على حياة والدى فى الاستانة يوم ٢٥ يوليو سنة ١٩١٤ اضطررت أن أذهب إليه ، ثم عدت إلى السويسة فى شهر ديسمبر من السنة نفسها لأتمم دراستى . »

« وبقيت مشغولا بالدراسة منتظرا يوم بلوغى الرشد لآلتجىء إلى عدل جلالتم
ملتسماً الاعتراف بالحق الذى يخوله لى انتسابى لا كبر ولد مباشر لعائلة محمد على
معتزفا بأبنتى سأحافظ على هذا اللقب بالسلوك الحسن .

« وإنى على يقين من أن جلالتم وحكومتم العادلة ، ستنتظران بعطف
وتدافعان عن شخص ذهب ضحية بريئة للحوادث .

وانتظارا لرد مطمئن أشرف بأن أكون . . . الخ ،

وفي يوم ٢٧ منه قابلت البرنس ، فسألته عما إذا كان قد سلم الخطاب الموجه للملك
إلى السفير ، فأجبنى بالإيجاب ، وأن المقابلة كانت لطيفة ، ولم يزد شيئا على ذلك .
ولكنى لقيت الخديو فى اليوم التالى ، فأخبرنى أن مندوبا من قبل معتمد
الانجليز قابل البرنس ليخبره برده عليه بخصوص المساعى الاولى التى بذلها
للاحتفاظ بحقه ، وهذا الرد يتلخص فى أنه قد سقط حقه فى الوراثة بخلع والده
وأن انجلترا عينت خلفا له هو السلطان حسين حافظة لنفسها الحق فى انتخاب
الخلف ، وقد سعى بعض البرنسات للحصول على مركز ولاية العهد ، كما سعى
السلطان حسين ليحفظ به لابنه البرنس كمال الدين ، ولكن كل المساعى حبطت
لأن انجلترا لاتوى الآن أن تنظر فى المسألة ، وعذما يحين الوقت تنتخب خلفا
للسلطان ، وربما كان للبرنس عبد المنعم نصيب فيه .

وأن سموه بعد ذلك أمر نجله بأن يتوجه للسفير ويقول له : « إنه كان يفضل أخذ
الاجابة منه رأسا بدون واسطة ، وأن يسلمه بعد ذلك الخطاب الذى أعده لملك
انجلترا ويرجوه فى إرساله . »

ولما سلمه للمعتمد أطلعه عليه بصفة غير رسمية ، فنصحته بتغييرات فيما يختص
بالمطالبة بحقوقه . وكذلك أشار عليه بحذف ما يختص بمسألة الوراثة .

وقد فهمنا من ذلك أن انجلترا تكره مطالبتها بحق ما ، وترى أن يكون فى
الالتماس ، ما يشعر أنها صاحبة الحق فى إعطائه أو منعه .

وعلى هذا أمر عباس أن نضع صورة أخرى مخففة ، فوضعناها ، ولكن بقى
فيها تلميح لمسألة الوراثة .

وفى يوم ٨ إبريل علمت من عبد الله شديد بك أن السفير الانجليزى لاحظ
على الرسالة الجديدة عند اطلاعه عليها ، أن الاشارة لمسألة الوراثة باقية ، مع أن
الحكومة الانجليزية قد أجابت عنها فى الرد الشفوى .

وقد اجتمعنا في اليوم التالي : الخديو وولى العهد وشديد وأنا ، فأبدى البرنس تدمره من مقابلة السفير له في المرة الثانية ، لأنه لما قدم الرسالة أراد الخروج فطلب منه البقاء حتى يطلع عليها ؛ وبعد قراءتها ردها له بدون استئذان ، قائلاً : « هذه الرسالة لا تخرج في معناها عن الأولى فلا يمكن أن أقبلها » . وكان دولته عازماً على عدم العودة له ، ولكننا تمكنا من اقناعه بالاستمرار في خطته ، وكان من رأيه أن يكتب خطاباً بالفور ، ويرسل معه صورة الخطابين ، ويعرفه أن السفير هو السبب في التأخير ، وكذلك فكر الخديو في توسط كريمة الدوق أوف كونوت في إيصال الخطاب رأساً إلى الملك . ولكن بعد المناقشة تقرر أن تكتب مرة ثالثة بحيث لا يكون فيها تلميح لمسألة الوراثة ، ولا طلب الذهاب إلى إنجلترا للدراسة .

وبعد عمل المشروع الثالث للرسالة قرر الخديو أن يعرضه شديد بك على ملحمة باشا ، وأن يسافر البرنس إلى برن بعد ذلك لتسليمها ؛ ولكن هذه المخبرات لم تسفر عن نتيجة .

سفرى الى النمسا للتفاهم مع الأتراك :

الاستعداد للسفر : أخذت في الاستعداد للسفر واستخراج الجواز ، وبعد أن أشرت عليه من قنصلية النمسا توجهت في يوم ١٧ ابريل الى فؤاد بك سليم ليوصى لى بحرية المرور من بلغاريا والنمسا . مع الترخيص باعفاً من الكورنتينة في حدود النمسا وفى يوم ١٩ عقدنا جلسة (الخديو وشديد بك ونور الدين وأنا) وتلقيت تعليماته النهائية ، ورسالة منه الى الصدر بايفادى اليه ، لاحظته علماً بمسائل هامة ، ورسالة أخرى الى الوالدة للسؤال عن صحتها ، ورسالة باسم ابراهيم بك أدهم فيها بعض أوامر تختص بأشغال جبوقلى ، ووضعت جميعاً في ظرف كبير ختم عليه بالجمع الأحمر (التاج الخديوى) . وكذلك أخذت رسالة لموسيو بوركار سفير السويسرة في فينا وآخر لموسيو أمستر ، وورقة فيها تعليمات لى مدة وجودى في فينا بمقابلة الدكتور كاوتسكى ، وزيارة بوركار والدكتور أمستر . ووضعت جميع الأوراق التى أحملها بما فيها الظرف الأول في ظرف أكبر

وفى المساء ورد لى جواز السفر مع إذن بحرية المرور من النمسا والبلغار ، وخبر

من فؤاد بك سليم بأنه أرسل الى الآستانة برقية بسفري لتعطى التنبيهات على الحدود العثمانية بمرورى

عقبات : وفي ٢٠ منه سافرت من زروىخ الى فينا ومعى نورالدين افندى . وفي الطريق قابلت الكونت دى تورن بمحطة سان جال ، فأخبرته بسفري الى الآستانة ، وفي بوكس «حدود السويسرة النمسية» رجع نورالدين افندى ، واستأنفت سيرى الى «فلدكرش» وبالرغم من التوصيات التى أحملها فان إحدى حقائى قتشت وأخذ الضابط الظرف الكبير الذى به الأوراق ، ثم سألنى عما به ، فأخبرته بأنها رسائل من الخديو الى الصدر فقال لى : «ولكن ليس على الظرف ما يفيد أنه رسمى ، ولهذا فسنحفظه ونرسله بمعرفتنا الى سفارة النمسا فى الآستانة فتسلبه منها هناك» ولم أتمكن من اقناعه بترك الظرف لى

وفي المساء وصل القطار الى «انسبروك» فنزلت فى فندق التيرول لتمضية الليل وفي الصباح قام القطار الى فينا ، فوصل فى المساء ، وكان بانتظارى الدكتور أمستر وزوجته ، فذهبنا الى فندق امبريال ، فلم نجد به أما كن خالية فاضطررنا للبيت فى فندق آخر

وفي صباح ٢٢ أرسلت برقية باسم نورالدين فيها إشارة الى حجز الظرف دون التصريح بذلك خوفا من أن يمنعها المراقب

وقد توجهت الى قنصلية الدولة ، وأشر القنصل على جواز السفر ، وأعطانى توصية بالاذن لى بالسفر لأقدمها للبوليس ، وعلمت منه أنه تلقى تعليمات من الآستانة بالتسهيلات لكل أتباع الخديو

وفي يوم ٢٣ منه وردت لى برقية من شديد بك يأمرنى فيها الخديو ببذل المساعى لدى ناظر خارجية النمسا لاسترداد الظرف الذى حجز فى حدود السويسرة . فذهبت فى اليوم التالى مع الدكتور أمستر الى مدير أحد الأقسام فى نظارة الخارجية المختص بمثل هذه المسألة ، ورجوناه أن يعرض على ناظر الخارجية الموضوع فأجابنا بأنه سيبحث عن الظرف ، واذا وصل إليه فان الصدر سيزور فينا قريبا فيسلم إليه ، فقلت له : «انه مكتوب له فى رسالة أتى أنا الذى سأسله له ، فلا يليق أن يسلمه شخص آخر» . وأخيرا تبين لى أنه غير راغب فى انتهاء المسألة ، فبادرت فى اليوم التالى بكتابة رسالة الى ناظر الخارجية نفسه ، وسلمتها لهذا المدير لتوصيلها

إليه ، فورد الرد لى فى يوم ٢٦ منه بأن الناظر أمر بالبحث عن الظرف وتسليمه لى ولكن مضى يومان ولم يأت خبر عن المسألة ، وعلبت أن الصدر سيعرض قريباً ، فذهبت لنظارة الخارجية ، وألححت فى مقابلة الناظر ، وعندئذ وعدنى المدير السابق الذكر بسرعة البحث . وفى المساء ورد لى فعلاً إخطار بأن أذهب غدا صباحاً لتسلم الأوراق ، ولما تسلمتها وجدت أن المراقبة فتحت الظرف الكبير واطلعت على ما يحويه ، ولكنها لم تفتح الظرف الداخلى الذى يحوى رسائل الصدر والوالدة وإبراهيم بك أدهم ولا الخطاب الخاص بسفير السويس . وقد أرسلت رسالة شكر الى ناظر الخارجية على اهتمامه ، وبرقية للخديو بالحصول على الأوراق

حضور الصدر الى فينا ومقابلته : وفى يوم ٣٠ إبريل حضر الصدر الى فينا وقد قابلته فى أول مايو بفندق امبريال ، فسلمته الرسالة الخاصة به ، وحادثته بما كلفت وبعد قراءة الرسالة ، قال لى : « انه يشكر الجناب العالى لما يديه من الاحساسات الطيبة نحوه » ثم فاجأنى قائلاً : « لماذا لا يحضر الخديو الى الأستانة ثم يرجع للسويسرة ؟ » فأجبت : « إن أوقاتكم هنا ثمينة فان استحسنتم نرجىء الكلام فى هذا الموضوع الى أن تصلوا للأستانة » فقال : « وهل ستسافر أنت إليها ؟ » فأجبت بالإيجاب . فقال : « هذا حسن » واستأذنت وخرجت .

استئناف السفر : وفى ٢ مايو سافرت الى الأستانة فى القطار الذى سافر به الصدر ، وكنت قد كتبت تقريراً للخديو بكل ما عملته حتى اليوم ، فسلمته عند قيام القطار الى امستر لتوصيله

وفى يوم ٣ وصل القطار الى بلغراد ثم الى صوفيا ، وبينما كنت جالساً وحدى على نهاية العربى إذا بيد تلمس كتفى من الخلف ، فالتفت فاذا به الصدر ينادىنى : « يا شفيق باشا » فوقفت وقلت : « أمان افندم » ولكنه استمر فى سيره ونزل فى صوفيا

العقبات فى حدود الدولة : وقد وصل القطار فى يوم ٤ منه الى « أوزون كوبرى » فركب البوليس العثمانى ورجال الجمرى للتفتيش على جوازات السفر والمتاع ، ولما جاء عندى المفتش الخاص بالجوازات سألتى بعد الاطلاع على جواز سفرى : هل أنت مصرى ؟ فأجبت نعم ، فسألتى عما إذا كان لدى ترخيص خاص بالدخول ، قلت : « إن السفارة العثمانية فى برن أرسلت برقية بطلب انفاذ الأوامر الى

الحدود بمرورى ، فقال : « إن الأوامر لم تصل إليه » . وتركنى على أن يستعلم ، وإذا لم يجد أوامر فلا بد من نزولى بالخطئة التالية .

وعند وصول القطار إليها جاء اثنان من الجندرمة ، وطلبا منى النزول ، فنزلت وقادنى أحدهما إلى غرفة فى فندق بها سرير لنوم أحد رجال الجرك ، وبعد أن تركت متاعى بها قصدت دائرة البرق ، وبعثت برقية للصدر فى صوفيا ، وأخرى لأنور باشا فى الآستانة . وانتظرت حتى المساء فلم يأت الرد من كليهما

وفى يوم ٥ عزمت على السفر إلى صوفيا لمقابلة الصدر اذا كان هناك ، فوصلتها فى صباح اليوم التالى ، وقابلت فتحتى بك سفير الدولة بها ، فعلبت منه أن الصدر أرسل الأوامر بمرورى ، ومع هذا فقد أشر هو بالأذن لى ، فشكرته ، وقلت له « اننى سأستريح هنا ثلاثة أيام ولا سيما وعندى أمر بمقابلة ملك البلغار لشكره على إعطاء الأوامر بحفظ المكتبة التى فى العمارة الخيرية فى قوله بمكان بعيد عن هدف السفن الحربية ، وبمقابلة رئيس الحكومة البلغارية لمسألة تختص بهذا الشأن أيضا ، عدم الثقة بالخدو فى بلغاريا : وقا . حاولت فى يوم ٧ مايو إلى ١٠ منه أن أقابل

الملك أو رئيس الحكومة فوجدت إعراضا عن مقابلتى ، فهمت منه أن الثقة بالخدو هنا أصبحت مزعزعة بالاضافة لما حدث لى فى الحدود

الوصول للآستانة : ولما لم أتمكن من المقابلة سافرت يوم ١١ منه ، فوصلت « أوزون كوبرى » مرة ثانية ، وسألت بها عن ورود أوامر فأخبرت بوصولها وقابلت المفتش المختص فسمح لى بالمرور

ووصل القطار إلى الآستانة فى الساعة الرابعة ، فوجدت الشيخ عبدالعزيز جوايش فسلم على ، وسألنى عن حالة الخديو ، فأجبت بأنها طيبة

مقابلة الوالدة : وقد ذهبت توأ إلى بلك ، ولما رآنى الاغوات رحبوا بى كثيرا واستفهموا عن صحة الخديو ، ثم أرسلت السلام للوالدة ولخديجة خانم افندى أخت الخديو ، ولفتحية خانم وشوكت خانم كريمته ، وكانت البرنسيسات الثلاث عند دولة الوالدة نظرا لاعتلال صحتها

حيلة : وقد فكرت لمناسبة مرض الوالدة ، أن أكتب للخديو مجسما المرض لعل ذلك يعجل بسفر سموه إلى الآستانة ، فيتحقق طلب الصدر بمجيئه ، وتحسن العلاقات كما نود ، ونفذت هذه الفكرة فى اليوم التالى

وقابلت أدهم بك لا بلاغه الأوامر المختصة به . وكذلك قابلت الوالدة في نفس اليوم والبرنسيسات الثلاث ، وكنت في حالة تأثر شديد عند رؤيتهن بعد غياب عامين فسالت الدموع من عيني ، لولا أن نهتني الوالدة ، إلى أن هذا التأثير يسىء إلى صحتها وهي مريضة

مقابلة البرنس ابراهيم حلمي : وفي يوم ١٥ منه قابلت البرنس ابراهيم حلمي فأخبرته بما دار بين الخديو والصدر من المخابرات ، وإرسالى بمهمة لازالة سوء التفاهم وبمقابلتي طلعت باشا في فينا ، وطلبه زيارة الخديو للاستانة ثم العودة إلى السويس ، وهنا أخذ يذكر لي الفرق بين الحالة الآن ، والحالة أيام سعيد حلمي ، وكيف كان هذا ينتهز كل فرصة للطعن في الخديو ، والاشاعة بأنه باع نفسه للانجليز فكأهه : وذكر لي كذلك أن نفوذ الصدر السابق قد تلاشى ، وانفض أنصاره من حوله . ثم قص على كيف أخذت أولاً نظارة الخارجية من سعيد حلمي ، ثم كيف أخذت منه الصدارة . فأما الأولى فقد جاء ناظر العدلية يوماً ، وسأله في حديث عادي إن كان خليل بك رئيس مجلس النواب يمكنه إدارة نظارة الخارجية ، فأجاب ولم لا ؟ . وعند اجتماع مجلس النظار أخبر أن نظارة الخارجية أعطيت لخليل بك حسب موافقته ، وذكر له النظار محادثة ناظر العدلية معه بشأن تولى خليل بك قال سعيد حلمي : « ولكني ما كنت أعلم أن في النية أخذ هذه النظارة مني ! ، وأخيراً لم يسعه إلا التوقيع على الدكرتو ، ولكنه تأثر كثيراً من هذه الحادثة . وقبل أن يعتزل الصدارة أحس بقرب خروجه منها فأرسل شقيقه إلى السلطان ليقول له : « إن المملكة لا يمكن أن يديرها أولاد رعاع ، بالتلييح إلى أنور وطلعت ؛ ولابد أنهما عليا بذلك فخفا عليه كما اشتد حنقهما بمناسبة رسالة انتقد فيها مبادئ الاتحاديين الخاصة بالمرأة .

قال البرنس : « وعلمت من مظهر بك (وكان له اتصال بالصدر) أن الذي توجه لسعيد حلمي ، وطلب منه استقالته هو جاويد بك (ناظر المالية الحالي) فان عدلي كان في منزل سعيد حلمي في وقت هذه الزيارة ، وأن خادم سموه حضر وقال : « إن سيده بعد خروج جاويد من عنده كان متهيجاً ،

عند أنور باشا : وفي يوم ١٦ مايو قصدت منزل أنور باشا في « قورى چشمه » وقابلته ، وأبلغته سلام الخديو الذى أوفدنى بمهمة لدى الصدر ، وأفهمته بما دار بين

سموه وطلعت باشا من المخبرات البرقية والرسائل ، وأنه لما وجد حسن قبول من الصدر أوفدني لأزالة سوء التفاهم بين الطرفين . وما كان يحصل ذلك لو كان سعيد حليم على كرسي الصدارة ، فقال أنور : « إنني أشكر الخديو على سلامه ، وأرى أنه فعل حسناً . نعم إن الأشاعات هنا كثيرة عن اتفاقه مع الإنكليز ؛ فلأؤا آذان السلطان تنفيراً لجلالته منه ؛ حتى لقد أرادوا أن يصلوا إلى الانتقام من سموه انتقاماً شديداً ، والله الحمد لم يفلحوا في قصدهم ، فزيارة جنابه العالی تزيل الشبهة التي ألصقوها به .

« والخديو لم يتغير مركزه عندنا ، وله أن يستمر على الإقامة في سويسرا إنما إذا زارنا فإنه يقوى مركزه . وعندما تحصل المناقشة في مؤتمر الصلح يكون من واجبنا تعضيدته ؛ ويكون قد اكتسب الحق في ذلك ؛ وفضلاً عن أننا لا تأخر في القيام بالواجب أيضاً بالنسبة للنفقات التي تلزمه شخصياً أو تلزم رجاله وسرايه . فإذا أمر بعشرة آلاف جنيه شهرياً أو خمسة عشر ألفاً فأتنا ننفذ أمره .

فقلت : « حيث لا تنوى الحكومة إرسال حملة على مصر ، قال : « إذا أمكننا عمل صلح انفرادي مع روسيا ، فوقتها نأخذ من جهة القوقاز جنوداً ، وتقوم الحملة ؛ وإلا فأتنا اتفقنا مع الألمان ألا يعقد الصلح مع الإنجليز إلا إذ استرددنا حقوقنا التي سلبوها ، ومن ضمنها حقوقنا على مصر .

قلت : « إن الخديو لو أعطيت له الدنيا وما فيها ما كان يتصور أنه يضع قدمه في الاستانة ما دام سعيد حليم في الصدارة . أما الآن فان ضميره مرتاح بعد التغيير الأخير . إنما سموه يخشى من انتقام الإنجليز منه في أملا كه بمصر اذا غادر سويسرا وجاء الى الاستانة ، والخديو ضحي بتاجه في حجة الخلافة والتعلق بها ؛ ولكنه يريد أن يحافظ على أملا كه لمعيشته في المستقبل ، فمن يضمن له ألا يقع الضرر المحذور ؟ ،

فبعد تأمل قال : « الخديو له الحق أن يفكر في ذلك ، إنما أقدر أن أقول لك : « إن الحكومة السنية تضمن له تعويض كل ضرر يتأتى له ، فشكرته على إحساساته .

ثم قال : « ان الحكومة مستعدة لذلك ، وإذا لم تكن نحن في مناصبنا فالحكومة باقية على كل حال ،

وهنا ودأعته على أن أرجع إليه لتلقي وأمره قبل سفرى إلى سويسرا .

عند طلعت باشا ثم خرجت من عنده، وقابلت طلعت باشا في الصدارة فقال :
« إن من مقتضى جواب الجناب الخديوى أنك ستبلغنى أموراً هامة فما هى ؟ » فقلت :
« إن سيدى تلقى خبر القاء أمور الصدارة لعهدت نخامتكم بكل سرور، فانه يعلم بحميتكم
ووطنيتكم، وإنه لا هم لكم إلا خدمة البلاد، والسعى وراء سياسة التوفيق ». فقال :
هذا هو واجبنا ،

قلت : « لهذا أوفدنى مولاي لازالة سوء التفاهم الحاصل بينه وبين رجال الدولة،
فأجاب : « ان الاشاعات هنا كثيرة من أن سموه عقد اتفاقاً بينه وبين الانجليز
بالنسبة لشخصه ولابنه، وأنهم ضمنوا له أملاكه في مصر، وتعيين أربعين ألف جنيه
سنوياً لتفقاته، وملاًوا آذان السلطان بهذه الاشاعات، فأرى لتكذيبها أنه يحسن
بحبه لتمضية شهر الصيام فى الاستانة، ثم يرجع إلى سويسرا ». فأجبت : « بأننى
لا أخفى عليه أن الانجليز لما علموا بخروج الخديوى من الاستانة غاضباً بما كان
يراه من سياسة الصدر السابق انتهزوا فرصة إقامته فى بسويسرا للتقرب منه
وحاولوا فعلاً أن يستميلوه اليهم، وقالوا : انهم يضمنون له أملاكه فى مصر وفى
الاستانة، ويرفعون الحراسة عنها، ويقررون له مخصصات سنوية . ولكن الخديوى
لم يعقد اتفاقاً بل كان يسمع ذلك من اذن فيخرج من الأخرى، لأنه كان يريد
بذلك اكتساب الوقت، ويقول : « إن دوام الحال من المحال » وبالفعل حصل التغيير
الآخر فى النظارة

« فهو الآن مستريح البال بوجودكم على هذا الكرسي

« وأن الجناب العالى نولم تكن تنغيصات البرنس سعيد لما خرج من الاستانة، فانه
يود أن يكون فى سرايه محفوفاً بعائلته وحاشيته، ولكنه ما كان يأمن على حياته » ،
قال : « نعم ان التنغيصات كانت بين عضوين من عائلة واحدة، ولكن رجال الحكومة
لم يكن لهم دخل فى ذلك ».

قلت : « صحيح، والخديوى يتذكر زيارتكم الأخيرة له مع خليل بك، وقولكم له :
« ان رجال الحكومة لا يضمرون نحوه شيئاً، وطلبكم منه زيارة الصدر السابق، وكان
يظن أن هذه الزيارة تصلح الأمور، إلا أن سعيدحليم لم يقابله مقابلة مرضية، ولهذا
ترك الاستانة

« أما الآن فانه آمن بوجود نخامتكم فى الصدارة وإنما يخشى لو حضر للاستانة

من انتقام الانجليز منه في أملاكه بمصر ، فقال : « وهل انتقموا من سعيد حليم ؟ »
قلت : « لا إنما مركز الاثنين ليس واحداً ، وبما أن الخديو مدين للبنك العقارى
فما على الانجليز إلا أن يطلبوا من البنك توقيع الحجز على أملاك سموه وطرحها
في المزاد ، فنباع بالغبن وتؤخذ في مقابلة الدين المطلوب منه ، مع أنها تساوى كثيراً
ويكون هذا العمل شرعياً ، فقال : « أنا لا أظن أن الانجليز يفعلون ذلك ، ولو
فعلوا حقيقة لفعلنا نحن أيضاً في أملاكهم عندنا مثل هذا ونعوض الخديو عن كل
ما يخسره ، فضلاً عن أننا نسهل لسموه معيشته بتقديم المال الذى يلزمه ، وقد
أعلم أنه يخشى على حياته فانا أعطى له « كلفة شرف » أن حياته لن تمس بضرر ، وانى
أصحه برجالى ، وأضمن له حرية السفر من الاستانة وقت ما يريد للرجوع الى سويسرا ،
قلت : « هذا طيب ، والذى يطلبه سموه أن تعامله الحكومة معاملة محب لا معاملة
عدو ، كما يليق بمركزه ، وهو مستعد للقيام بأية خدمة تطلبها منه الحكومة . »

فقال : « لاشك أننا لا نتأخر في الاعتراف لسموه بكل حقوقه ، فنتحتفل به كما يجب
للخديو ، فدعوت لفخامته بالنجاح في مشروعاته والتوفيق فى أعماله وطلبت منه أن
يأذن لى بالمقابلة قبل سفرى فأجاب طلبى ، ووقت من عنده منشرح الصدر .

مقابلة ناظر العدلية : وفى



خليل بك ناظر العدلية

١٧ منه قابلت خليل بك ناظر
العدلية الجديد « الحفانيه »
وبلغته سلام الخديو فابدى شكره
ثم أوجزت له بيان مهمتى فقال :
إنه قرأ جواب الجناب العالى إلى
الصدر . وكررى مسألة الاشاعات
فأكدت له أن سموه لم يعقد عقداً
مع الانجليز على الرغم من المساعى
التي تقدموا بها ، ولما علم بما قاله
لى الصدر عن حضور الخديو إلى
الاستانة قال : أن لاخوف على

سموه من التغيصات السابقة . فان المنغص صار بعيداً عن الحكومة ، وإن الوكلاء الحاليين محبون لسموه .

أذئاب الصدر : وقابلت صفا بك صاحب جريدة العدل ، وهو مصرى ومحِب للخديو ، فعرفني أن أذئاب الصدر السابق انزوا ولم يبق منهم صاحب نفوذ إلا الشيخ عبد العزيز جاويش والدكتور احمد فؤاد ، وأن احمد بك صادق والشيخ محمد عثمان يجتمعان ويترددان على الأخير .

وعرفني بأن احمد فؤاد وشى به لما كتبه في جريدته العدل نقلا عن الجرائد التركية من أن الخديو عمل عملية في لسانه فأخرج قطعة من رصاص أصابته ، وبقيت تحت لحم اللسان ، وقال العدل : « وهى الاصابة التى حصلت للخديو من المؤامرة التى دبرت لاغتياله » فادعى فؤاد أن كلمة المؤامرة يؤخذ منها أن مظهر الذى اعتدى على حياة سموه له شركاء (والدكتور احمد فؤاد كان من ضمن المشتبه فيهم وشريكا لمظهر) مع أن الحكومة قالت : « إنها حادثة فردية » فكأن العدل بكتابته يكذب قول الحكومة ، وعلى ذلك مثل صفا بك أمام المجلس الحربى ، وصدر الأمر باغلاق جريدته ولكن لم يحكم عليه لأنه أتى بشواهد تفيد أن كلمة مؤامرة تحتل معنى جماعة ومعنى فرد ، واستدل على ذلك بالعنوان وبالبلغ الذى صدر بخصوص الاعتداء الذى حصل في مصر ضد السلطان حسين ، وكتبت الجرائد أنها مؤامرة مع أن الفاعل كان واحداً .

والحكومة قطعت عن العدل المرتب الشهرى مدة ، ولكن بعد الجهد تمكن من إعادته .

مقابلة أخرى لأنور باشا : وفي يوم ٢٣ مايو قابلت أنور باشا في منزله ، وعرضت عليه خلاصة تحريرية لمحادثتي معه ومع الصدر ، فقال : « إن خلاصة الصدر ينقصها شئ » ، فان طلعت باشا قال لك : « إنه يحترم حقوق الخديوية » ، فقلت : « نعم لقد نسيت أن أدونها في الخلاصة » .

قلت له : « وهل تسمح لى بأن أدون الخلاصتين في صورة برقية مختصرة » ، اورسلهما بامضائى الى الخديو بشفرة الحرية الى الملحق العسكرى بسفارة برن لتوصيلها بمعرفته؟ قال : نعم . قلت : « وهل اذا حضر الخديو الى الاستانة تنوى الحكومة أن توعد الى المصريين بتقديم احتراماتهم له ؟ فان وجود حزبين واحد لسموه وواحد

للبرنس سعيد شىء غير حسن! قال: «نوعز لهم بذلك، فضلا عن أن سعيد حلیم ليس له الآن أى شأن، وعلاوة على هذا سنكل الأمر في ترتيب المعاشات للمصريين الى الجناح الخديوى بدلا من اجراء التحقيق عنها بواسطة نظارة الداخلية». قلت: «هذا حسن». وأخيرا طلبت منه بموجب مذكرة ارسال برقية الى الملحق العسكرى في فينا لاجراء ما يلزم لدى السلطة العسكرية النمسية لسفرى الى سويسرة بغير حجز في كورنتينه، وأن يرسل أمرا الى المحطة بحفظ سرير لى يوم سفرى فكتب مذكرة بصدد هاتين المسألتين لاعطائها الى مرافقه، فشكرته وخرجت.

الحصول على ورقة رسمية: زرت بعدها الصدر وأطلعته على خلاصة محادثتى معه فقط، فأخذ القلم وأصلح وأضاف عليها وسلمها الى، فأخذتها وأنا في غاية السرور لأنها صارت ورقة رسمية فيها كل الضمانات، ولو أن فخامته لم يوقع عليها بامضائه. وطلبت منه بمذكرة، أن يأمر بتسهيل مبادلة بريد الخديو بين برن وفينا فوعد بأعطاء الأوامر.

واستفهمت منه عما اذا كان سيعطينى ردالجواب الذى أرسله له الخديو بواسطتى فأمر بأن احضر عنده يوم الاثنين المقبل، أى قبل سفرى بيوم لآخذه. وبعد رجوعى وردت اشارة تليفونية من أنور باشا بأن تكون الخلاصة التى ترسل للخديو خاصة بمحادثتى مع الصدر فقط، وقد أعددت صورة هذه البرقية وتوجهت الى منزله يوم ٢٤ منه ولما لم أجده تركتها لمرافقه.

خطاب طلعت للخديو: وفي يوم ٢٨ منه قابلت الصدر، فأخذت منه الرد على خطاب الخديو، وفيه يقول: «إنه قابلنى ودار الكلام بيننا على المسائل المهمة، وإننى سأعرض على سموه كل ما حصل من الحديث، وإن فخامته رفع الى السلطان هذه الشئون فتلقاها بارتياح وسرور»، وبعد أن قرأه سلمه لى، وقد استأذنته في وضعه مع خطاب من دولة الوالدة في ظرف واحد وختمه من المراقبة، لثلا يفتح فأجاب هذا الطلب.

السفر من الاستانة: وفي يوم ٢٩ منه سافرت من الاستانة فوصلت الى فينا يوم ٣١ منه ونزلت في فندق أمبريال.

عقبات: وقد وجدت في طريقى من العقبات مثلما لقيته في المرة الأولى من جراء تأخير الأوامر، فسلمت الأوراق التى أحملها إلى سفارة الدولة في فينا لتوصيلها

الى الجناب العالى فى زوريخ ، وقد وعد السفير باتخاذ الاجراءات اللازمة لسرعة سفرى بدون كورنتينه

مفاجأة بمقابلة الخديو : ولم أتمكن من متابعة السير إلا يوم ٨ يونيو فسافرت مساء إلى « انسبروك » وبعدها الى « فلدكرش » على حدود النمسا ومنها إلى « بوكس » . وفيها انتظرت حضور القطار الذى سأركبه إلى زوريخ ، فلما حضر توجهت الى المركبة ؛ واذا بنور الدين افندى يتلقانى ، ولما دخلت معه إلى « الديوان الخاص بى » وجدت الخديو واقفا فقال لى : « الحمد لله على السلامة » فقبلت يده وجلست معه وكان يدعو على وجهه السرور . فقال : « إننى لم أكن أعتقد أنك تصل إلى الاستانة ، حتى إنه لما وصلت برقيتك كنت بين مصدق ومكذب »

قلت لسموه : « إننى بمعونة الله تعالى نجحت فى مهمتى نجاحا عظيما ، وحصلت على ضمانات وافية ، فى ورقة شبه رسمية لأن الصدر اطلع عليها وأضاف بخطه بعض ملاحظات فى خلاصة حديثى معه » .

وعند ماسمع الخديو ذلك - وكنا جالسين - وقف نصف وقفة وفتح ذراعيه وضمهما على ذراعى فى ابتهاج وسرور ، دليلا على امتنانه واعترافه بحسن صنعى . العودة إلى زوريخ : وبعد ذلك واصلنا السفر إلى زوريخ قبلغناها يوم ١٠

يونيو . وهناك استعلمت من سفارة الدولة فى برن عن وصول الأوراق ، فاذا بالسفير متغيب ، وفى اليوم التالى تسلمتها من السفارة ، وكان الخديو ينتظرنى ، فاطلع على خطاب الصدر ، وعلى الخلاصتين وتعديلات طلعت باشا ، فاطمأن . وقد أمر نور الدين افندى بترجمتها إلى اللغة الفرنسية .

السعى لموافقة النمسا وألمانيا على المخبرات : وفى يوم ١٢ استحضرنى الدكتور سيد كامل ، وأمره سموه بتنظيم المعلومات المبعثرة فى الأوراق ، ووضع كل منها تحت عنوان خاص . ثم فكرنا فيما يجب عمله بعد ذلك ، فاقترحت أن نسعى لموافقة النمسا وألمانيا على نتيجة هذه المخبرات لتأكيدها ؛ وبعد المناقشة اتفقنا على استحضار الدكتور امستر ، وتكليفه بإصال صرورة من هذه المخبرات للنمسا وألمانيا ، وكذلك تحضير الترتيبات لدهما فيما يختص بمرور الخديو عند سفره للاستانة .

وقد قابلت سفير الدولة وسفير النمسا لتسهيل حضور الدكتور امستر ، ولكن بعد البحث علمنا أن حضوره يتعذر ، وعلمت أن الخديو سيرسل رجلا ألمانيا يثق به للقيام بهذا العمل ، ولم يصرح سموه باسم هذا الرجل .

تردد الخديو : وكان المنتظر بعد عودتي من الاستانة ناجحاً في مهمتي أن ينتهز الخديو هذه الفرصة ويبادر بالسفر اليها ، ولكن سموه ظل يتردد ويماطل وأراد أن يأمر جلال الدين مرة أخرى بالسفر فرفض ، فاستدعى عارف باشا من الاستانة .

وفي يوم ١١ يوليو جمعنا أنا والبرنس ابراهيم حلمي ، واجتمعنا مرتين ، وانضم الينا في الثانية عبد الحميد شديد ، وتكلمنا في موضوع مهمتي في الاستانة ، فكان من رأى البرنس أن يتخذ الخديو خطة الانحياز إلى الأتراك ومحالفهم أو الانكيز وحلفائهم ، وإذا اختار الجهة الأولى فينبغي الإسراع في تنفيذها ، وقد رجح هذه الجهة . عندئذ أخرج سموه من محفظته صورة رسالة وردت له من الإنجليز ، وفيها الشروط النهائية ، وقال : « إن بلفور رئيس الوزارة الإنجليزية أرسل برقية يقول بضرورة اعتراف الخديو بسلطنة عمه البرنس حسين وإلا فلا ، وآخر موعد لقبول الشروط كما هي أو رفضها هو يوم السبت القادم ، ثم قرأ الشروط وفيها أن الخديو ينزل عن حقوقه في عرش مصر ، وألا يطالب بشيء لولي عهده ، وأن الحكومة الإنجليزية هي التي تنظر في مصلحته ، وأن يعترف بالحالة الحاضرة في مصر وبسلطنة عمه حسين ، وبألا يعود إلى البلاد . وفي مقابلة ذلك تخصص الحكومة المصرية له ألف جنيه شهرياً مدة حياته ، وترفع الحراسة عن أملاكه ، وتصرف له ما يزيد من إيراداتها (بعد وفاء قسط البنك) ولا تمنع في قبض ما قد يخصه في إيراد ما يمكن أن تتركه والدته أو أي إنسان آخر ، وأن يقف أملاكه لصالح أولاده .

وكان عباس يرى أنها شروط مجحمة بقدره ، خصوصاً اعترافه بسلطنة عمه التي سلبها منه فضلاً عن أنه ينوي محاسبته على أخذه فضيات وخيولاً وعربات ليست للخديوية بل ورثها من والده . ولهذا فهو يفكر في إرسال مذكرة إلى الإنجليز مؤداها أنه لا يقبل الخط من كرامته (بالاعتراف بسلطنة عمه) قال : « وإنه يرجح طرف الأتراك لو تساوت الشروط حيث لا يكون هناك حطة في قدره فضلاً عن إقامته في بيئة إسلامية ، وإنما من جهة أخرى يرى أن المبلغ الذي سيخصص له من مصر محقق ، بينما الذي ستخصصه الدولة لا يمكن الاعتماد عليه ، حيث يقف أحد أعضاء مجلس النواب . ويقول بكثرة المبلغ : أو تأتي نظارة غير الحالية وترفض استمرار المخصصات التي تقررت بواسطة هيئة سابقة — ومن جهة أخرى فإنه يخشى

من تطاول بعض المأمورين عليه ، أو أنهم ينغصونه في معيشتهم . فكان رأينا جميعاً أن نطلب من ألمانيا ضماناً الشروط التي تعرضها الدولة : فقال الخديو : « إنه فكر في أن يطلب من المحامي فورر أن يتكلم مع مسيو هوفمان الذي كان مديراً للأُمُور الخارجية في سويسرا ، لتحصل بواسطته المخاطبة مع سفير ألمانيا على هذه الضمانة وإن لم يقبل هوفمان فإنه يطلب حضور موسيو رشتوفن (وكان عضواً بصندوق الدين والآن عضو في البرلمان وصاحب نفوذ) ويكلفه بهذه المأمورية ، وأنه سبق أن تقابل معه في سويسرا ، وطلب منه التوسط ، فلما رجع إلى برلين وتخابر مع ناظر الخارجية أرسل يقول : إن ألمانيا تكتفي بأرسال ولي عهده وادخاله في مدرسة حرية ، ويعامل كعامل الأمراء ويأخذ نيشاناً ، وأشار بأنه يكفي أهلها ميل الخديو ، عند ذلك حصلت مناقشة فيما إذا كان البرنس عبد المنعم يقبل السفر ، وكنت على علم باتجاه أفكار دولته من محادثات معي فقلت : لا ، لأنه يرجح جانب الانجليز وشديد قال أيضاً بذلك ، ولكن بتحفظ ، فقال عارف باشا : « نضعه في القطار غضباً عنه ونرسله ، فضحكنا !

قال سموه : « اذا سافرت وحدي دون أولادي فإن الأتراك يقولون : إني تركت ولي العهد باتفاق بيننا على أن يسعى لدى الانجليز ، فأجنبناه بأنه عند وصوله للاستانة يعد رجال الدولة بضم نجله اليهم .

قال : وان الانجليز وقتها يرخصون ليوسف باشا صديق في دخول بلاد فرنسا ويتفقون معه على أن يقدم تقريراً في حقى يدعى فيه بأننى قمت بأعمال عدائية ضد الانجليز ، وبذلك يحكمون على بحرمانى من أملاكى . قلت : « اذا حصل ذلك فإن الدولة تعوض سموكم من أملاك الانجليز فى بلادها .

وقال : « إني أفضل أن تكون أملاكى فى تركيا لأننى أكون حراً فى استثمارها وتأتى برىح أكثر . أما أملاكى فى مصر فأننى لا أراها بعد الآن والذى سيدبرها يرسلنى خطابات فقط ويقول : لقد بعنا المحصرل بكذا ، وعملنا كيت وكيت بدون أن يكون لى أقل سلطان على أعماله وآرائه

« ثم إنه يمكننى أن « أنشىء وقفاً » باختيارى أعطى من ريعه لمن أشاء ولاية جهة أريدها ، وليس محتماً على أن أعطى لإيراده لأولادى ، لأنهم حينما يعلمون بذلك لا يسألون عني ، ولا يبعد أن يسعوا فى الحجر على كائنى مسرف

ثم أخذ يشكو من معاملة الأتراك، فقال: « إننى أرسلت برقية الى الصدر لمناسبة شهر رمضان بتهنئة السلطان بواسطته وبتهنئته أيضاً، ولم يرد الرد للآن، فقال البرنس ابراهيم: « إن مترجم الصدارة وهو أسعد بك من رجال سعيد حليم، ولا يبعد أنه لم يعرضه، على الصدر، فقال سموه: « هذا محتمل، وسأرسل بتهنئة العيد »

وفي المساء اجتمعت ببعباس وشديد، فدارت المناقشة مرة ثالثة في الموضوع، وشرح الأخير نظريته وهى: ماذا يكون الحال اذا حصل اتفاق مع الأتراك وصدق عليه من الألمان، ثم سقطت الحكومتان. فهل نضمن أنه فى حالة عدم قيام الدولة بدفع التخصصات أن تقوم ألمانيا بدفعها؟ واعتراضات أخرى ترجح كفة شروط الانجليز لأنها أكثر ضماناً. فقلت: « أما من جهة المال فإن شروط الانجليز أضمن، وما على أفندينا إلا قبولها خصوصاً وأن ميعاد التوقيع عليها قريب جداً، مع أن المساعى التى سنجرىها عند الألمان والأتراك تقتضى وقتاً طويلاً؛ ولكن ماذا يفعل الخديو بعد الحرب؟ فالأتراك لا يرضون بإقامته فى بلادهم، قال شديد: « وربما حكموا عليه بتهمة انضمامه للأعداء، ثم قال: « إنما بعد سنتين أو ثلاث يجوز أن الحكومة التى تكون فى الأستانة وقتها ترخص فى الإقامة، قلت: « اذا كان أفندينا يرتاح لما يطلبه الانجليز وهو أدرى منا بصالحه فما عليه إلا القبول، فأجاب سموه بأنه لا يرى الاتفاق معهم من الجهة المالية فى صالحه، لأن ألقى جنيهه لا تكفيه ولا تكفى نفقات أولاده التى يقدرها بمائة وخمسين جنيهاً شهرياً لكل منهم، ولو أضاف إليها ألفين أخرى من ربيع أملاكه.

وأن شرط وقف الأتبان لذريته يغل يديه، ولا يمكنه من عمل خيرات مثل إنشاء مساجد فى الجهات الخالية منها أو تعمير المندثر، وهذا الشرط يشجع الأولاد على أن يطلبوا موته فى القريب العاجل. فضلاً عن أن الاتفاق لا يذكر شيئاً بشأن ما يملكه فى شركتى الأزبكية والبيان فون، فإذا يحصل لها ياترى بعد الاتفاق؟ ثم شرط استيلاؤى على ربيع ما قد تتركه الوالدة أو غيرها يثير اللغط حول سمعى، فيزعم الناس أننى أنا الذى طلبت ذلك وهو دليل على رغبة فى موت دولتها.

وأخيراً قال: « لولا ما أتوقعه من التنقيصات عند وجودى فى بلاد الدولة وما أراه من وجود أناس ضدنا لقبلت فى الحال شروط طلعت باشا،

وقال عارف : « إنه يظن بأن ذلك آخر كلام من رجال الدولة مع سموه ، ومع ذلك يمكن أن نطلب منهم توفير الراحة لأفندينا في كل شيء ، فاتفق الرأي على أن جنبابه يحضر مذكرة ليأخذها الباشا ، ويتوجه بها لطلعت ، ويعرضها عليه ويقول له : « إن الأوامر التي كانت أعطيت لشفيق هي الكلام إجمالاً ، وبما أننا وجدنا حسن قبول فريد أن نتفاهم على التفاصيل ، ومن جهة أخرى نبحت مع ألمانيا حتى نصل إلى ما نريد . »

وكان الدكتور سيد كامل الذي لم يحضر اجتماعاتنا يعتقد بأن الخديو لن يذهب إلى الاستانة ، ويعتقد أن كل ما يفعله هو مناورات تاجر يريد أن يريح من أية جهة تعطيه أكثر من غيرها ، حتى إن طلب سموه الحصول على ردود برقية من الاستانة على بعض المسائل مثل مسألة نور الدين هي سياسة دقيقة ، الغرض منها أن يفهم الإنكليز أن الأتراك يهتمون به ، وبذلك يضمن اهتمام الإنجليز به .

وفي ١٢ اجتمعنا عباس والبرنس ابراهيم وعارف وشديد وأنا ، وقال سموه : « إن هذا الاجتماع يمكن أن نسميه عائلياً لأن البرنس من العائلة وأتم من المخلصين لي » وقد تناقشنا في الموضوع فأخذ رأي البرنس فيما إذا كانت شروط الإنجليز مما يمكن قبوله . فقال : لا . وسألني بعدها عن رأي فتوقفت برهة وقلت : « إنها من الجهة الأدبية غير موافقة »

قال لاني بقبول هذه الشروط أكون عملت عملاً يناقض الخطة التي اتبعتها مدة الاثنتين والعشرين سنة التي حكمتها .

قلت : « أما من الجهة المادية ، ففقاطعي سموه قائلاً : « وهي أيضاً رديئة » فتكلم شديد شارحاً ماجاء في الشروط ، وقال : « إن المصريين حينما يقرأونها يقولون إن الخديو أجبر على قبولها نظراً لما حصل له من الضيق » فرددت عليه بأنهم سيعلمون أن الدولة عرضت عليه كلما يلزمه . وأخيراً تقرر كتابة مذكرة ، فأخذ عارف باشا القلم ووضع رؤوس المسائل .

وقد سافر الخديو بعد الظهر لمقابلة المحامي فورر في سن جال للتكلم معه في انتداب الموسيو هوفمان ليتولى المخبرات مع ألمانيا .

وفي ١٣ اجتمعنا في فندق دولدر (فوق زورنيخ) الخديو والبرنس وأنا ، وعند المناقشة ابتدنا سموه قائلاً : « كيف يثق الإنسان بكلام الأتراك وهم كل يوم

يخالفون لنا الصعوبات ، فيمكن أراد التأشير على جواز للسفر إلى الاستانة ، فقال
قنصل الدولة في زوريخ : « إنه توجد أوامر من مقتضاها عدم التأشير لرجال الحاشية
إلا بعد الاستئذان » وكذلك حصل مع الشيخ عبدالحيد ، فكيف تتحمل كل هذه
الاهانات ؟ إن الأحسن حينئذ أن تتحمل إهانة الإنجليز مرة واحدة ، ثم نستريح
ولكننا مع الأتراك سنظل دائماً على ذلك الحال .

فأجابه البرنس بأنها أصول تقرر لاتباعها مع جميع المصريين بقرار وزارى
فهى عامة .

وقد تكلمت أنا أمام سموه بالتليفون مع فؤاد بك سليم فقال : « إن الأوامر صدرت
منذ سنة ونصف تقريباً بالألا يؤشر على جوازات سفر المصريين إلا إذا جاءت
الموافقة من الاستانة ، فالذى قاله قنصل جنرال زوريخ من أنها خاصة بحاشية أفندينا
غير صحيح » .

ولما سمعت من الخديو انتقاده المرظنت أنه غير فكره من حيث الاتفاق مع
الأتراك فقلت له : « إن أفندينا يفعل مايرى ، وإذا كان متخوفاً من الأتراك فليتفق
مع الإنجليز » . وكنت اعتقدت أنه تعرض لبعض المؤثرات من أمس لليوم ،
فاحتج بمسألة يكن للتخلص من مشروع الاتفاق مع الأتراك حتى قال فى أثناء
الكلام : « هاهو عملنا أمس ذهب بدون فائدة » قلت : « وهل الذى غير فكر أفندينا هو
جواز سفر يكن ؟ » فأجاب إنها مسألة مهمة

إلا أنه فى النهاية أمرنى بأن أطلب من عارف صورة المشروع ، وقرأناه وأضاف
عليه أيضاً نقطة تتعلق بحريته فى انتقاء مستخدميه ، وأمر عارف بترجمته للفرنسية : وبعد
أن خرج البرنس أمرنى وشديد بك بأن نبقى معه للتفكير فى الرد الذى ينوى عمله
فى صدد الاتفاق مع الإنجليز ، فسألت زميل عما يقصده ؟ فقال : يعنى رفض الاتفاق ،
وبعد الظهر اجتمعت به وبشديد ، وتكلمنا فى الموضوع وكان يبدو على وجهه القلق
وبما قاله : إنه يفضل كثيراً الاتفاق مع الأتراك إلا أنه لا يأمن لوعودهم . وأخيراً
قرر الاجتماع لآخر مرة فى المساء عند البرنس إبراهيم لاتخاذ قرار حاسم .

وفد سأله شديد عما قاله فورر فى مسألة توسط هوفمان . فقال : « إنه سيتكلم مع
الآخر ولكن فى حذر ، ولا يمكن أن يأتى الجواب إلا بعد ٨ أيام ، لأن هوفمان لدغ
من الألمان مرة فلا يريد أن يلدغ مرتين ، لهذا يحتاج فورر أن يسوسه رويداً

وويدأ، ثم اجتمعنا في المساء، وتكلمنا في الموضوع، وكان سموه متردداً وكرر سؤاله لماذا لم يرد طلعت على برقيتي؟ لماذا لم يرد على خطابي الذي أرسلته لأبراهيم بك أدهم وفيه تعليمات بأرسال برقية بشأن المحروسة؟ فلا برقية وردت لي ولا أعلم إن كان خطابي وصل أو لم يصل. ولماذا لم يحضر حامد العشي المحجوز بفينا - مع أن عارف باشا طلب له الأذن من طلعت قبل سفره من الاستانة، فأجاب بأن يقدم حامد الطلب كالمعتاد؟ فأجابه بأن الخطاب ربما لم يصل، أو أنه وصل ولكن البرقية التي يحتمل أن يكون أرسلها أدهم بك لم ترخصها السلطة. أما حامد فلائن الاجراءات تستلزم مدة طويلة، ومسألة رد الصدر على تهنة رمضان فلعل أسعد بك قال لفخامته بعدم وجود سوابق، قال سموه: فكيف أتق بالأتراك مادامت الصعوبات قائمة هنا وهناك؟ ومن يضمن لنا أنهم لم يشعروا بالموجدة لأننا تأخرنا عن السفر للآن؟ فقال البرنس: إن برقية أفندينا له كانت قبل سفر دولته ولما قابله عارف باشا لم يظهر الصدر غضباً، بل قال إذا حضر الخديو فيكون ذلك من صالحه وكلفه تقديم احتراماته. قال سموه: إذا كانوا متأثرين فربما يتأخرون عن قبول طلباتنا. قلت: لا أظن لأنها في مجموعها لا تخرج عما يفكرون فيه بل فيها أشياء تثبت أن أفندينا مخلص لهم، وإذا كان فيها نقطة واحدة تحتمل القبول أو الرد فهي تصديق ألمانيا، والشروط كلها في صالحنا. قال سموه: إنك تقول حينئذ بقبولها قلت: أنا أقول ما أراه، ولكن أرجو أفندينا ألا يتأثر بكلامي - والذي أعلمه أن سموكم لا تتأثرون بكلام إنسان فأن في ذلك مسئولية - فقال: لا لاتخف، وأخيراً قال: ولكن مارأيكم في الشيء المستعجل، وهو الرد الذي لا بد أن أعطيه غدا على شروط الانجليز؟ فأن المشهور عنى أننى أماطل، وأننى أنتجى بسبب شيء طفيف. وهل أرفض الشروط؟ فقلنا بأننا لانرفضها صراحة. وأخيراً اتفق الرأي على أن يترجه شديد بك إلى السفارة الانجليزية في برن، وينبئهم أن الخديو درس الشروط فوجدها صعبة عليه خصوصاً الاعتراف بسلطنة عمه، وأنتم تقولون ألا تعديل فيها. فإذا كان لا يمدنكم عمل شيء، فسموه بدلا من كتابة جواب كما قال - سابقاً - يوفدمندوباً إلى انجلترا لاتمام المراسمى هناك تخفيفاً لوطأة الشروط. وفي هذا الوقت يسافر عارف باشا في أقرب فرصة إلى الاستانة، ويعرض الشروط التي ستفق عليها مع الاتراك، وفي ظرف أسبوعين يتمكن من إرسال برقية ننبئهم منها هل الحكومة قبلتها

أولاً . وفي حالة القبول نرفض شروط الانجليز .

وفي هذا الاجتماع علمت أن الانجليز عرضوا شروطاً في أول مرة فبدلها الخديو ، فقبلوا بعض التعديل ، ومن التعديلات أن يستمر مرتب ألني الجنيه طول حياته لا لاتهاء الدين ، وأنهم سينظرون في إعطاء مخصصات لأولاده (ولكن لم تدرج في الشروط) وأضافوا اعتراف سموه بسلطنة عمه ، وبأعطائه الباقي من ربيع ما يمكن أن يؤول إليه بالارث أو غيره ، وحبس الوقف على أولاده ، مع أنه كان يجب أن يخصص شيئاً للخيرات .

وفي ١٤ يوليو قابلت البرنس ابراهيم حلى وعارف باشا فأظهر دولته ارتياحه لما سمعه منى ليلة أمس في أثناء المناقشة ، وقال لعارف : « جزى الله شفيق خيراً » ثم قال : « يظهر لى أن هناك أناساً منهم شديد بك يشتغلون لصالح الانجليز » قلت : وطبعاً منهم لوزانج . قال لنى قرأت الاتفاق الذى كان وضعه سموه والاتفاق الذى أرسله الآن الانجليز والفرق بينهما كبير ، وأن الاتفاقين في مجموعهما مضران ، وأن الخلافة والعالم الاسلامى والاوروبي يلومونه على ما يصنع من هذا القبيل ويلومه الانجليز في الباطن ، وأنا إذا وقع سموه هذا الاتفاق فانى أقول له : « إن شاء الله يكون خيراً والسلام عليكم ، وأدعه لشأنه »

فأخبرت دولته بمناقشاتي العديدة مع سموه خشية لوم اللاتمين على في مصر أن يحسبوا أننى لم أقم بواجباتى نحوه ، وأنا أ كبر الخاشية وأخبرته أيضاً بأنه أخفى عنى مخبراته مع الانكليز ولم يعلننى بورود الشروط منذ ثلاثة أسابيع إلا في حضوره أخيراً .

وقد جاء النبأ بالتليفون من شديد أن اللورد ا كتون لما علم باعتراض الخديو على شرط الاعتراف بسلطنة عمه ، وأنه إذا لم يقبل اللورد المخابرة مع انكلترا في هذه النقطة فان سموه يرسل مندوباً من قبله إلى انكلترا .

أجاب بأنه سيرق إلى انكلترا في هذا المعنى ، ولكن ليعلم سموه أن لاشأن للورد الآن بالمسألة ، ولا داعى إلى إرسال تلفونات له ولا طلب مقابلاته بعد الآن .

قال عارف : « إن الخديو أخبره بأن جلال الدين باشا كلفه تليفونياً قائلاً : إنه تحقق من وجود مندوبين في سويسرا من المتحاربين للاتفاق على عمل الصلح . والمظنون أن الصلح يتم بعد ثلاثة أشهر فقال : إذا حصل ذلك فأنا لم أزل خديويًا . وسأل

الباشا مدام نوزانج عن رأيها فقالت: إنها لا ترفض الإقامة في الآستانة ، إلا أنها تحشى على حياة أفندينا !

مذكرة للصدر يحملها عارف باشا : وقد قرأ عارف باشا علينا المذكرة التي ستقدم للصدر بمعرفته ، وبعد تعديل وإضافة أقرها عباس ، وهي بتبديء بمقدمة يقول فيها : « إنه تلقى نتيجة مخبرات شقيق باشا بالرضى والشكران والافتخار ، وأنه كان كلف جلال الدين باشا أن يسافر إلى الآستانة لتقديم هذه المذكرة التي هي عبارة عن مقترحات نغامته مع بعض إضافات وتمنيات ، ولكن لما رفض جلال الدين باشا السفر اضطر سموه أن يكلف عارف باشا هذه المهمة ، وهذا هو العذر في تأخير الأجابة على المقترحات المذكورة . ومضمونها :

أولاً : أن الحكومة العثمانية تعطى سموه المخصصات التي كان يتناولها من مصر طول مدة الحرب (يعني مائة ألف جنيهه مصرى سنوياً) وفي مؤتمر الصلح إذا كانت مصر - لاسمح الله - لا ترجع إلى حالتها الأصلية ، فالدولة تطلب من إنجلترا أن تخصص لسموه أربعين ألف جنيهه مصرى من الخزانة المصرية ، وفي حالة عدم النجاح تتعهد الدولة بدفع ألفي جنيهه مصرى شهرياً لسموه مادام حياً

ثانياً : الضمانات على حرية إقامته وخروجه إلى البلاد المتحالفة مع الدولة أو الدول المتحايدة والتأمين على حياته وإعطائه الاعتبار الرسمية للخدوية فقد تلقاها سموه بالامتنان .

ثالثاً : أنه عند سفره إلى الآستانة ، إذا رفض البرنس عبد المنعم اتباع الخطة التي يتخذها والده فإن سموه يطلب من الدولة ، في أثناء الصلح . أن يكون ولي العهد هو البرنس عبد القادر

رابعاً : لما كان الاتفاق الذي حصل في أوائل الحرب مع الخديو حصل باتحاد مع الدولة ودولة ألمانيا فيطلب سموه تصديق الثانية على هذه الشروط .

ثم يلي ذلك طلبات ثانوية منها دفع ديونه لغاية سفره من سويسرا (للبحامين والأطباء وغيرهم) وأن يرسل إلى سموه جواب من الحرية بأن المحروسة لا يصح استعماها فلا تأخذها الحرية كما كانت عازمة على ذلك ، وألا يفتح سموه في مسألة زواج بنتيه لابنى السلطان . لأنه بلغه أن هناك محاولات من هذا النوع تبذل لدى حرمه في الآستانة .

وقد سافر الباشا يوم ١٨ يوليو حاملاً هذه المقترحات .

رد صريح من طلعت تعززه رسالة من أنور : وبعد هذا التاريخ لم يعد لدينا أعمال هامة فذهبت أنا لأخذ حمامات والترييض مع العائلة إلى أن كان يوم ٢٢ أغسطس فحادثني عبد الله شديد تليفونياً وأخبرني بحضور عارف باشا وطلب منى الحضور إلى جنيف يوم ٢٣ منه . ولما اجتمعنا قال الخديو : « إن طلعت باشا يتبع معنا خطة صريحة لا غموض فيها بعكس ما عرف عن الأتراك من الماطلات ، فقد أرسل لى جواباً يقول فيه : إنه يقبل كيت وكيت ويرفض نقطاً معينة وهى الخاصة بضمأن ألمانيا فلا يقبل التدخل فى الشؤون الداخلية للدولة . وكذلك نقطة تخصيص مبلغ من المال شهرى فى حالة عدم نجاح الدولة فى استرجاع مصر ، فأن هذا الكلام يثير الانتقادات ضد الصدارة الحالية فما دامت غير واثقة من نجاحها فلماذا تبقى فى مقاعدها . ومع أنى أحمد له هذه الصراحة إلا أننى أستدل من رده على أنه ليس بالرجل الذى يعرف الحل المناسب للمعضلات فأن نابليون قال بحذف كلمة مستحيل من القاموس ، ثم قال سموه : أنا معترف بصعوبة مركز الصدر فى قبول النقطتين ، ولكن النقطة المالية يمكنه أن يجد لها حلاً (وكان شديد اقترح أن يضمن البنك العثمانى الألتى جنيه شهرياً فوجده سموه حلاً موافقاً) .

ثم قال : « حينئذ ماذا استفدنا من الاتفاق مع الترك على هذه الصورة ؟ خصوصاً وأنهم لم يجيبونى على أى طلب من طلباتى حتى مسألة المحروسة ؟ أما الاتفاق مع الأنكليز فإنه يضمن لى معيشة المستقبل : فإذا ينفع أن الأتراك يعطوننى مخصصاتى مدة الحرب وبعدها لا يضمنون لى شيئاً ؟ فهل فى مدة الحرب سأقتصد من المخصصات مبلغاً يكفينى لمعيشتى طول حياتى ؟ »

قلت : « حقيقة : كنت أتصور أن الأتراك يرفضون إجابة طلب أفندينا بتخصيص ألتى جنيه من خزانة الدولة بعد الحرب ، ولكن يظهر أن هناك صعوبات وعارف باشا كررها لنا وهى (أولاً) أن الاتفاق على أمر مجهول العاقبة فى المستقبل لا قيمة له (ثانياً) أن كل اتفاق مالى يلزم عرضه على مجلس النواب ولا يمكن طلعت أن يقول للمجلس : « فيما إذا لم تتمكن الدولة من إرجاع مصر لحالتها الأصلية » فان أعضاء المجلس النواب يثرون على الحكومة ويقولون لها ولماذا دخلت الحرب ؟ . فما علينا إذن إلا أن نطلب من ألمانيا أن تكون هى الضامنة لهذا المبلغ » وأخيراً

طلبت قراءة خطاب الصدر ، فلما تلاه عارف وجدناه يقول : « إن المخصصات الخديوية تصرف شهرياً بصفة منتظمة » (ولم يحدد مدة الدفع إلى نهاية الحرب) عندها استراح عباس نوعاً ، وقد جاء في الرد أنه تلقى خطاب سموه بالتعظيم ، وأنه علم برغائب جنابه العالی التي أرسلها على يد عارف باشا وأنه جدد البحث مع زملائه فيها ويعرض أنه كما أجاب شفيق باشا بهذه الرغائب فإن الحكومة العثمانية ترى أنه من الطبيعي أن يكون لسموه الحرية التامة في الإقامة بالاستانة والسفر منها إلى البلاد المحالفة أو المحايدة ، وأنها تصرف له المخصصات الخديوية شهرياً بانتظام وأن شئون المصريين ورجال سموه يرجع الأمر فيها إلى جنابه العالی ، وبالاختصار كل ما جاء في مذكرة سموه ماعدا النقطتين المذكورتين ، فإن الحكومة لا تجد طريقة لتطبيقهما . وأنه يلتمس تعريفه برقياً عند تشريف ركابه للاستانة .

وقد أرسل أنور باشا أيضاً خطاباً آخر لطيفاً يقول فيه : إنه متفق مع الصدر في كل ما جاء في جواب نخامته وأنه يرى الفائدة لسموه في عودته إلى الآستانة ولا يلتمس من جنابه العالی إلا ثقته برجال الدولة .

وعارف قال : « إن مجلس الوكلاء بحث في رغائب الجناب العالی في جلستين يوم الثلاثاء ويوم الأحد وأن الصدر هو الذي كتب بخطه الجواب على رغائب سموه وأمضاه باعتباره صدراً أعظم وناظرًا للداخلية ، وقال فخامته لما سئل عن عدم التصريح ليسكن بأخذ جواز سفره إنه لا يعرف الباشا من هو ، وعلى أي حال فانه صدر قرار وزاري بعدم التصريح بالذهاب لسويسره ، ولا بالأياب منها ، ويمكن لم يطلب تصريحاً بالحضور إلى الآستانة باعتباره موظفاً خديوياً ،

شديد يزين للخديو جانب الانكليز وهو يرجع جانب الأتراك : وفي صباح ٥٢ أغسطس وجدت الخديو يتناقش مع شديد بك في الموضوع واليك يقول : مادام الصدر لم يضمن لأفندينا المخصصات بعد الحرب ، وإن الطلبات التي أجاب عليها الآن ربما لا تكون لها قيمة فيما إذا تغير الصدر حينئذ لا فائدة من الاتفاق مع الأتراك بخلاف الاتفاق مع الإنجليز فان كل شيء فيه مضمون . وقد دهشت لما سمعت عباساً يحجب على هذه الملاحظات بقوة مفندا لها ومحبذا الاتفاق مع الأتراك ومع هذا قال « إن الباب مفتوح أمامي . فيمكن الاتفاق مع الانكليز كما يمكنني الانتهاء مع الدولة ، وإنني بعد كل تدبر أرى المنفعة في الاتفاق مع الدولة

فانه يبقى لى صفة الخديوية، ويحافظ على موقفى السياسى ويضمن لى المعيشة بالراحة فى بلاد إسلامية وبين أهلى وحاشيتى؛ وأظن فى وقت الصلح لا ترفض إنجلترا تخصيص ألفى جنيه شهرياً لى .

وعلى ذلك تقرر أن يمهد للسفر وأن يكون بعد عيد الأضحى مباشرة — أى فى أوائل أكتوبر — وتقرر أن نحضر مذكرة بالمسائل اللازم تنفيذها قبل وصول الخديو لى الأستاذة مثل إبعاد الدكتور أحمد فؤاد الذى يعمل الآن فى إدارة الأمن العام بتركيا فان الصدر قال : إننا بعد تجربة أربع سنوات لا نجد لهذا الشخص أهمية مطلقاً وإننا نبعده عن الأستاذة لى أى محل يريد أفندينا

وحصل الكلام بعد ذلك فى أن تنفيذ هذه المسائل يستلزم رجلاً خلاف عارف باشا ولمح الخديو مراراً لى بدون ذكر اسمى؛ ولكنى تظاهرت بأنى لأفهم مايريده لأنه لا يمكننى أن أترك عائلتى وهى الآن فى معالجة من مرض .

ترتيبات السفر : عندئذ قرر أن يذهب يكن باشا باعتباره رئيساً للتشريفات الخديوية . مع عارف باشا، وأن تصدر إرادة خديوية لرمزى باشا طاهر بتعيينه سرياورا؛ ويقسم العمل لى ثلاثة أقسام : عسكري يشتغل به رمزى باشا والثانى يختص بحبوقلى ويقوم به ابراهيم بك أدهم وثالث ملكى ويقوم به عارف باشا ويكون باشا يراقب. ويرجع الأخيران بعد تمام عملهما لى سويسرة للالتحاق بالركاب الخديوى، ورمزى باشا وتوفيق بك فهمى الياور يحضران لى فينا للالتحاق بنا أيضاً .

وقد كتبت مذكرة تتضمن (١) إرسال المال لدفع المطلوبات (٣٠٠ ألف فرنك) (٢) إرسال أوامر من الباب العالى لسفير الدولة فى برن بالاستعداد للسفر مع الحاشية بصفة رسمية وبأخبار حكومة سويسرة بهذا السفرو بطلب إعطائها الأوامر فى صدد ذلك للحدود السويسرية، مع مخبرة دولتى ألمانيا والنمسا باعطاء الأوامر لسفيرهما بزيارة الخديو قبل سفره (٣) الحكومة العثمانية تتفق مع النمسا والبغار على الترتيبات اللازمة للمرور بأرضيهما ولزيارة الأمبراطور والملك وإبلاغ سموه بالترتيبات المذكورة قبل قيامه (٤) إذا كان للحكومة ملحوظات على هاتين الزيارتين فتبلغها لسموه تلغرافياً (٥) تعطى الأوامر لتسهيل سفر رمزى طاهر باشا وتوفيق بك فهمى لى فينا مع عارف باشا لانتظار وصول الخديو إليها والالتحاق بحاشيته

(٦) طلب سفره لسموه لاستعمالها عند الحاجة مع البواب العالي كالمعتاد من قبل، وتسلم ليكن باشا لاحتضارها معه للسويسرة عند رجوعه من الاستانة (٧) المخصصات الخديوية ومرتبات الحاشية والقبوكتخدائية والمحروسة تصرف من النظارة المختصة لرئاسة الديوان الخديوى عند حضور سموه لتوزيعها بمعرفة حسب الأمر . (٨) تنفيذ وعد الصدر بابعاد أحمد فؤاد قبل سفره (٩) الترتيبات التى ستعمل للمحافظة على حياته من قبل إدارة الأمن العام أثناء وجوده بالاستانة تكون بالاتحاد مع من يخصه سموه لذلك (١٠) الاستئذان من الصدر لمقابلة رئيس التشريفات ومدير الأمن العام وقومندانية مركز الاستانة - إذا لزم - لعمل الترتيبات والاحتياجات اللازمة لحضوره واستقباله على المحطة لزيارة السلطان .

والاوامر العسكرية تقضى بأن عارف باشا يقدم لناظر الحربية خطاباً من أفندينا رداً على جوابه وفيه يعلم سموه بأنه عين رمزى طاهر باشا سرياوراً ويعرفها ببعضها ورمزى باشا يطلب من أنور باشا صدور الأمر للبحرية باصلاح المحروسة والزورق البخارى الكبير واحتضار ما يلزم لهما من الأدوات . وبأن يمد خزان وابور الكهرباء فى جبوقلى بالزيت ويصرف الأشياء اللازمة لمطبخ جبوقلى وسراى بيك حسب وعد الناظر .

ولما علم شديد بأن من ضمن الطلبات ارسال ٣٠٠ ألف فرنك لدفع المخلوبات قال: ان المبلغ لا يكتفى . فرد عليه سمره قائلا : لا يا شديد بك . يكتفى يكتفى لان البنك له ٢٠٠ ألف و ٢٠ ألف للمحامين و ٣٠ ألف للمشتريات اللازمة لبيك وجبوقلى — وبقى ٥٠ ألفا . ففهمت من ذلك أن السلفة التى عقدها مع البنك هى مائتا ألف فقط ، ولما خلوت بشديد عرفت الحقيقة وهى أن السلفة تعطى على أقساط شهرية ولهذا يقول الخديو : إنه بقى له لآخر الشهر مبلغ كذا . وعلمت أن السلفة عملت من شهرين وعلى هذا فان الذى سيدفع للبنك ليس ٢٠٠ ألف فرنك بل المبلغ الذى سحب منه فى مدة الشهرين الماضيين والشهر الآتى أى لغاية السفر .

وما سمعته من عارف أن أنور باشا يقول: إن الخديو عندنا الان - وفيما بعد - خديو، ومن الدين علينا له أن نقوم بمعيشته لآخر حياته وأن الألفى الجنيه التى يطلبها سموه قليلة بالنسبة له . وإن كل ما يلزم لمطابخ بيك وجبوقلى نعطيها من الحريسة بالأثمان التى تعطى بها سراى السلطان وأعضاء العائلة الملكية ، يعنى بأثمان قليلة جداً فمثلا أفة السكر بثمانية قروش بدلا من مائة وعشرين قرشاً

وفي يوم ٢٧ أغسطس أرسل الحديو بركة للاستانة بعزمه على السفر، وارسال عارف باشا ويكن باشا لعمل الاستعدادات اللازمة

اختيار بعض المصريين لمرافقة الحديو بالاستانة : وفي يوم ٧ سبتمبر اجتمعت أنا وشديد بك والدكتور سيد كامل عند الحديو، وتحادثنا في الاشخاص الذين سيستصحبهم للاستانة غير الحاشية الرسمية؛ فسررنا أسماء المصريين في جنيف ولوزان وزوريج؛ ثم نظرنا في حالة كل منهم؛ وقررنا بادی الامر عدم أخذ الطلبة، ولا الذين جاھروا بالعداوة مثل محمد فريد بك،



احمد فريد بك

وتقرر أن كل واحد منا (أى شديد وسيد كامل وأنا) يبلغ بعض المنتخبين بسفر الجناح العالي؛ وأنهم إذا أرادوا التماس سفرهم في معيته فالتنا نبلغ التماسهم . وكان في الكشف ٣٤ اسما، فانتخب منهم ١٤ هم اسماعيل ليب، على الشمسي، احمد بك فريد (ورئى تعيينه تشريفاتيا خديويا) والدكتور زاهر، والاستاذ فهمى (وتقرر تعيينه في جنيف لمراقبة الصحافة وما يكتب فيها بخصوصا نظير راتب نرسله له) والاثنان الأولان يخبرهما شديد بك والدكتور سيد كامل، والثلاثة الآخرون أخبرهم أنا؛ وأن أكلف الاستاذ فهمى بأن يستطلع رغبة

كل من عثمان افندى الديب ومدكور وصفر (إذا كانوا أمضوا الامتحان) أما الشيخ عبد الحميد فاني أستفهم من البرنس ابراهيم حلمي عما إذا كان يريد عندده لغاية رجوعه إلى الآستانة فيبقى، ويأتى معه؛ وإلا فنأخذ في المعية؛ واستجلاب مصرى اسمه صالح يستخدمه الانجليز في سويسرة للاستفادة من ذكائه واقداره في مصلحتنا بالآستانة، وآخر اسمه نجيب ندخله في مدرسة الطب بالآستانة ليختلط بالطلبة المصريين ويعرف نواياهم . وكذلك تقرر أن يرافقنا منصور أفندى القاضى

الذي كان يصدر جريدة النيل بلوزان، وهو رئيس الجمعية المصرية وجمعية الرابطة الإسلامية؛ وقد عين رئيساً للحسابات بالخاصة (١)

عودة الطمير لموسماته: وافق رجال الحكومة التركية على جميع الترتيبات التي اقترحها الخديو للسفر، وزادوا في التسهيلات أن وضعوا سفير الدولة في سويسرة تحت تصرفه لتسهيل كل ما قد يعترضه من العقبات؛ وصرح طلعت باشا بأن للخديو أن يستصحب من يشاء (إشارة لصاحبه) وعندئذ أخذنا في الاستعدادات النهائية فأشرت في يوم أول أكتوبر على جوازات السفر من قنصلية الدولة وقنصلية النمسا إلى للمسافرين معنا، وبينهم ثلاثة من السويسريين: أحدهم بوظيفة سكرتير، والثاني مهندس معماري، والثالث مهندس حدائق؛ وتقرر أن يكون السفر لزوريخ يوم ٤ أكتوبر. وفي هذا اليوم ودعت حريمي وأولادي وغادرت جنيف ظهراً

السفر: وفي يوم ٥ أكتوبر كان جميع المسافرين في محطة زوريخ. فركبنا القطار الخصوصي، وهو مركب من عربتين للنوم وعربة متاع. وكان على المحطة للوداع دولة البرنس محمد علي، وسكرتيه، ونجلا الخديو البرنسان عبد المنعم وعبد القادر، وسفير الدولة، ومندوب من الحكومة السويسرية، ونشأت باشا الألباني وأخوه ثريا بك، وعبد الله البشري (الذي رجا الخديو أن يتأخر شهراً ليطمئن على أحوال عائلته في مصر بعد وفاة والده) ورشيد بك أحد الأتراك من لهم علاقة قديمة بالخديو، وهو من جماعة تركيا الفتاة، وكان مدة الحرب يقيم في جنيف وشديد بك. وركب معنا بعض المودعين إلى الحدود السويسرية. ولم يفتش متاعاً عند هذه الحدود. وفي محطة «فلدكرش» النمساوية أضيفت للقطار عربة طعام، وتناولنا الغداء الفاخر على حساب الدولة التركية كبقية نفقاتنا في السفر.

الوصول إلى فينا: وفي صباح يوم ٦ وصلنا إلى فينا فوجدنا في استقبالنا ضابطاً ورجلاً ملكياً، والدكتور امستر، ورجال السفارة العثمانية بدون السفير حسين حلمي باشا، الذي أرسل سيارته ليركب فيها الخديو، فقصدنا فندق امبريال. زيارة امبراطور النمسا: وبعد الاستراحة قدم السفير للزيارة، ثم ركب مع سموه إلى قصر الامبراطور الذي يبعد عن فينا قليلاً لأجابه دعوته للغداء.

(١) وقد بقي بالإستانة حتى الهدنة فعاد إلى السويسرة

وبعد العودة علمت أن سموه جلس على يمين الامبراطورة، وجلس الامبراطور على يسارها، وان الامبراطور سأله: هل تأتيه أخبار من مصر؟ فلم يبق على إجابته بأن الأخبار منقطعة بينه وبينها، وأجاب «نعم»!

حادث مكدر : ثم غادرنا فينا في المساء، وما كاد القطار يبرحها حتى وقعت حادثة مكدره ذلك أن إحدى نوافذه أصيبت بمقذوف نارى كسر زجاجها، ولما وصل إلى مدينة صوفيا قدم سكرتير الملك، وأبدى لسموه الأسف على غيابه عن المدينة، وكذلك استقبله سفير الدولة ورجال السفارة. ومن بليجراد كانت قد أضيفت عربية حربية بها ضابط ألماني، وقوة معه بالاستعدادات التامة للمحافظة على القطار.

وفي يوم ٨ وصلنا إلى لوى بوغاز، فوجدنا مفتش الحدود العثمانية واصف بك وزميله في انتظارنا، لمرافقتنا إلى الآستانة. وركبا هما واثان من الجند معنا. الوصول إلى الآستانة : وكان القطار قد تأخر عن ميعاده في بلاد البلقان نظرا لسقوط قاطرة على الخط فانتظرنا ساعتين حتى أخلى الطريق؛ ولكن عوض المسافة في بلاد البلغار وجزء في أراضي الدولة بحيث بلغنا الآستانة في الميعاد المضروب وهو الساعة الثانية بعد الظهر؛ وقد كان في بعض المحطات الكبيرة بضعة عساكر لتأدية السلام.

وكان في انتظارنا على محطة سرکه جي رئيس المرافقين، والأمين الأول لجلالة السلطان، ومستشار الصدر بالنيابة عن الصدر، ومستشار الحرية بالنيابة عن أنور باشا، ومدحت شكرى كاتم أسرار جمعية الاتحاد والترقي بالنيابة عنها، وفصيصة من الجند ومعها الموسيقى التي عزفت عند وصولنا، ثم ضباط المحرسة وعلى رأسهم الميرالاي ابراهيم أدهم بك، وانضم اليهم توفيق بك القائم مقام المرافق الذي كان قد حضر إلى فينا مع السرباوير رمزي طاهر باشا، وفصيصة من بحرية المحرسة، ثم بعض المحبين، ومن بينهم عزت باشا زوج فائقه هانم افندى.

ونزل الخديو من القطار، فسلم على المندوبين أولا؛ ثم استعرض فصيصة المعسكر الشاهانية، وأثنى على قائدها؛ ثم سلم على باقي الحاضرين في المحطة الا عزت باشا فإنه أشار إليه بيده من بعيد، فتأثر، ولما رأى شكلى من هذه المعاملة، وقال: انه لا يعلم السبب لهذا الأغضاء..

مقابلة السلطان : ثم ركب الخديو سيارته ومعه مندوبو السلطان ورمزي طاهر باشا؛ وركبت أنا وعارف ويكن في سيارة أخرى تابعة للحرية؛ وتوجهنا إلى سراي يلدز، وقابل السلطان محمدرشاد^(١) منفرداً؛ ثم رجعنا إلى بيك بدون المندوبين . الخديو يستخف بجلالته : ولما عاد الخديو أبدى لنا استخفافه بالسلطان الذي حادثه في تغيير « بوابة » سراي ضولمه باغجه .

وكذلك علم من جلالته أن امبراطور ألمانيا طلب أن يرى السلطان عبد الحميد؛ فهذه المناسبة قال : « إنه يحب شقيقه وإنه يراعيه ولا يريد ضرره » فقال الخديو : « كان كلامه مثل الصغير الذي يحس بذنب، فيبتدىء بتبرئة ساحته قبل أن يسأل عنه ! »

وبما دار الحديث فيه مسألة ثورة الشريف حسين في مكة؛ ولما أراد الخديو أن يقول : « ربما كان للشريف عذر » نفى السلطان ذلك بشدة .

زيارة الصدر للخديو : وفي يوم ٩ منه زار الخديو الصدر في منزله، فأخبره بأن امبراطور ألمانيا سيحضر لزيارة السلطان، وأن سموه سيدعى للمأدبة التي ستقام لجلالته، ولمح بأن سيكون من بين المدعوين البرنس سعيد حليم، وسأل سموه عما إذا كان سيخاطب البرنس؛ فأجابه بأنه لا يود الحديث في الشخصيات، وأظهر عدم استعداده لمخاطبته قائلاً : « إن المائدة كبيرة فليس هناك ما يدعو للتقرب » .

وروى لي سموه أيضاً أن الصدر قال له : إن وجوده الآن في الاستانة معهم سيفيد الحكومة العثمانية من خبرته ومعلوماته، فأجابه بأنه مستعد لأية خدمة عامة وإنما لا يحب أن يتدخل في مسائل شخصية

قال الخديو : « ولو ضمنا ماقاله السلطان عن الشريف، وماقاله الصدر تبين ان الاتراك سيطلبون مني أن أساعدهم في المسألة العربية، وقد رأيت من الصدر صراحة عجيبة »

زيارة ولي العهد : وبعد الظهر زار الخديو الأمير وحيد الدين ولي عهد السلطنة العثمانية

وفي يوم ١٠ زار شيخ الاسلام في مركز المشيخة، وبعد الظهر زار الأمير



الأمير وحيد الدين

عبد المجيد في جاملجة ؛ وهو الأمير الذي يأتي بعد ولي العهد وبينه وبين الخديو مودة خصوصية الحفاوة بالخديو : وقد لاحظت من يوم حضورنا إلى الاستانة أن المحبين هرعوا إلى بيك للسلام ؛ وفي هذا اليوم حضر الصدر ورد الزيارة لسموه ؛ وفي أثناء الحديث عرضت مسائل شخصية ، فتتحنى الصدر عن الدخول في الموضوع بناء على ما رآه من رغبة الخديو وكان سموه يريد أن يوفدني له كائنني ذاهب

من تلقاء نفسي لزيارة خصوصية ولا علمه بارتياحه لما رآه من الحفاوة ، وأضيف إلى ذلك تحذير الصدر من الدخول في مسائل سموه الشخصية ، ولكن بعد زيارة اليوم والحديث الذي حصل كلفني أن أبلغه بأنه يقدر سياسته التي يلتزم فيها اجتناب الحديث في المسائل الشخصية حق قدرها ، وروى لي أنه عرف من الصدر رغبته في ارجاع الاتراك المخالفين للاتحاديين إلى الاستانة بأية وسيلة كانت ، والغرض من ذلك ألا يسمع لهم صوت معارض عند المناقشة في الصلح ، ولهذا لما كلمه سموه في دخول نشأت باشا الاستانة : قال « إنه لا يرى مانعا من ذلك » وحضر أنور باشا وشيخ الاسلام للزيارة

أسف الأميراطور على الحادث المكدر : وفي هذا اليوم ورد من سفير النمسا خطاب يقول فيه بورود برقية من سكرتير امبراطور النمسا يعرب فيها عن أسف جلالة والملكة لحادث كسر الشباك بديوان سموه في القطار النصوص ، وأنه تحقق بأن ولدين صغيرين كانا يقذفان الحجارة على القطار عمرهما ٧ و ٨ سنوات . وقد أرسلني سموه الى سفير النمسا لأعرب له عن شكره لاهتمام الامبراطور والامبراطورة بارسال البرقية ، وأن أرجو رفع هذا الشكر لجلالتهما ؛ ثم لمحت في كلامي الى انتظار الخديو لزيارة التراجمة حتى يحضر هو ويؤدي الزيارة للسفراء

فأفهمنى أن الحكومة العثمانية أظهرت رغبتها فى عدم استخدام التراجمة فى الأعمال الرسمية ، لأنها عادة قديمة كانت متبعة عند وجود الامتيازات ، فألغيت بألغائها. وقد حضر ناظر الخارجية فى بيك ، فكلّمه عارف باشا فيما يلزم اجراؤه ، فقال : « انه سيخاطب سفير النمسا وهو أقدم السفراء ويفيدنا بما يتقرر .

عباس و امبراطور ألمانيا بالاستانة : فى يوم ١٤ أكتوبر وردت مكاتبة من الصدارة بها دعوة للجناب الخديوى للحضور الى محطة سرّكة جى يوم ١٥ منه فى الساعة الحادية عشرة لىكون مع جلالة السلطان فى استقبال امبراطور ألمانيا ؛ وفى هذا اليوم أخذ سموه معه رمزى باشا طاهر وتوفيق بك فهمى الى المحطة ، وكانوا جميعاً يرتدون كساوى التشرىفات الكبرى ، وكان الترتيب كما أتى : السلطان وولى العهد وباقى الامراء ، وبعدهم الصدر ، ثم الخديوى ، ثم شيخ الاسلام والوزراء .

وقد لاحظ سموه فى تأثر أن يكون ترتيبه بعد الامراء ، فكأنهم رجعوا الى ترتيب صدارة سعيد باشا الاخير الذى كان يصمم على أن يكون ترتيبه قبل سموه وتساءل عما إذا كان هذا قد حدث عفواً ؛ ولكنه استدرك بأن الصدر أخذ موقفه بشكل يدل على أنه يعرف هذا الترتيب من قبل . فقلت : « لعله عمل ذلك ليرى الامبراطور أن مقامه أعلى من مقام الخديوى » فقال عارف : « ومن جهة أخرى يفهمونه أن مسألة مصر داخلية ، وشاركه الخديوى فى رأى . ثم قال :

« ولما سلم الامبراطور على من كان قبلى سلم على وحادثنى بالالمانية قائلاً : « لقد مرت مدة طويلة لم تتقابل فيها ، وابيض شعر رأسينا . فأجبتّه : « إتنى وإتنى كنت لم أحظ بمشاهدة جلالكم فأتنى رأيت أولادكم عندى فى مصر » فقال : « أنا آسف لما فاتنى من زيارتها ، وأولادى كان حظهم أوفر برؤيتها » . يعنى أن الامبراطور عنى به أكثر من الآخرين .

وقد جمعنى سموه مع عارف وقال : « إن الأتراك لم يعلمونى هل المطلوب منى زيارة الامبراطور ؟ مع أن ذلك من الواجب على : ثم يلزم أن أعرف من الآن موقفى فى المأدبة التى ستقام » .

وتقرر ذهاب عارف باشا إلى دائرة التشرىفات للاستعلام ، بينا الخديوى ونور الدين يمران على سفارة العجم ، وعلى بعض النظار الذين حضروا للزيارة ، لترك بطاقات لهم .

وكان رد التشريفات : انه حددت الساعة السادسة إلا ربعاً لزيارة الخديو
للإمبراطور ، فتعجبنا لأهمال التشريفات إلى هذا الحد؛ فلو لم نسأل ما ذهب
الخديو، وعد ذلك منه تقصيراً .

أما ما يختص بترتيب سموه فأخبرنا أن أمين السلطان وممدوح بك التشريفاتي
وواحداً من الحرية سيجتمعون في السراي للاتفاق على هذه المراسم ، فتقرر مقابلة
ممدوح بك ولفت نظره إلى ترتيب الخديو على المائدة ، ولفت نظر الصدر كذلك
ولمعرفة ما تقرر .

وقد ذهب عارف إلى سفارة العجم فقابل الخديو وأخبره بما عمله ، ثم عاد
فلبس كسوته العسكرية حسب أمر التشريفات ، وذهب مع توفيق بك إلى يلديز في
الميعاد المحدد ، فوجد الصدر والوكلاء يلبسون « الردنجات » فقال له الخديو : « إني
لم أكن أعلم بالزيارة إلا بعد ان أرسلت للتشريفات مستفهما ؛ وهام أولاء قد
ألبسوني الكسوة العسكرية ، وأنتم جميعاً بالردنجات ، مع أنني كنت قبلها لابساً
مثلكم ! » فأجابه طلعت : « ولكنك عسكري »

وكان الترتيب : أن يتبدى. ولى العهد بالزيارة ، ثم الخديو ، ثم النظار ، وبين
كل زيارة وأخرى ربع ساعة . فلما خرج ولى العهد نودى على الخديو فدخل .
ومكث مع الإمبراطور عشرين دقيقة ، ولولا أن الضابط نبه جلالته إلى فوات
الوقت لاستمر في محادثته

رأى الإمبراطور في الانجليز والأتراك : وقد انحنى الإمبراطور إنحاء شديداً
على الانجليز ، وانتقد الملك انتقاداً مرأ ، واعتبره عديم القيمة . قال : « وإني عالم بما
نالك أنت منهم » ثم أضاف : « وماذا تقول في صاحبك الذي ذهب مع همشير
(اسم الوابور الحربي) - وأشار بأصبعه - في مقر البحار ؟ فذهب كتشنر حيث لا يرجع ،
ثم قال : - أي الإمبراطور - « إنه محب للاسلام ، وأنه من تاريخ زيارته الأولى عزم
على مساعدته ، والمسلمون عندهم القرآن ، وهو قانون عظيم جدا لو اتبعوا مافيه
لافلحوا . ولكن بكل أسف أرى أنهم يهملون قواعده . فكيف يترك الأتراك
أراضيهم بدون زرع ؟ أما أنت فأنني أعرف بأنك مزارع كبير واشتغلت كثيرا
بالفلاحة ، فأجابه الخديو نعم « أنا فلاح » قال : « ويلزم أن يشكل الأتراك إدارة

طية ، فيقيموا العدل في المحاكم ، ويستغلوا أراضيهم ، وينظموا ماليتهم ، ويخلعوا عنهم رداء الكسل حتى تتوفر الثقة الأوربية بهم .

قال الخديو : « ومن ذلك علمت أن زيارة الإمبراطور ليست زيارة ودية ، بل زيارة عمل ، وأساسها الكلام مع الأتراك في مسألة إلغاء الامتيازات ، فكأنه سيقول لهم : « إنكم تطلبون هذا الإلغاء ، ولكن ماذا فعلتم لاجتذاب ثقة أوروبا نحوكم ؟ » ثم يفهمهم أن ألمانيا ضمنتهم في مبالغ كثيرة فماذا صنعوا لتحسين ماليتهم حتى يمكنهم فيما بعد سداد الاقساط ؟ »

أما أنا فاعتقدت أن الغاية من هذه الزيارة هي التدخل في شئون الدولة الداخلية بحجة الإصلاح ، وتعيين ألمانين في الإدارات .

وقال الخديو : « إنه وجد الإمبراطور موفور الصحة ، ولا يظهر عليه التعب ولا القلق ، بخلاف إمبراطور النمسا الذي هو شاب لطيف الخلقة ، إلا أنه يظهر عليه الاجهاد »

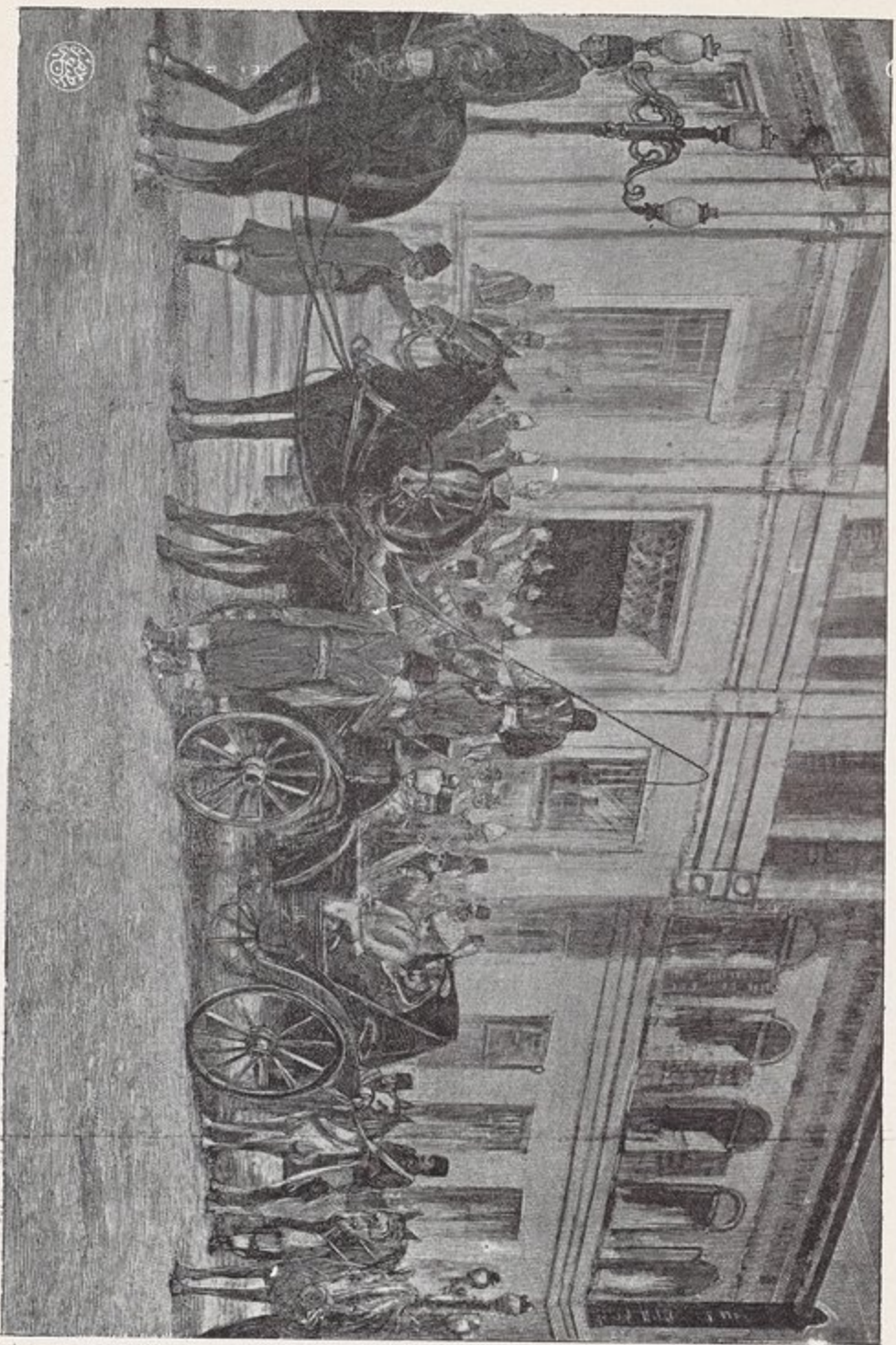
وقد سأل عارف عما اذا كان الإمبراطور قال شيئا بخصوص الحرب ، أو انه قال على العموم : « إن النصر في جانبه » فأجاب سموه بأن الإمبراطور لم يفتاحه في مسألة مصر على الإطلاق . وذلك طبعاً لأن الأتراك أفهموه أنها مسألة داخلية ولكن الحقيقة أنها مسألة دولية .

ومن المحتمل أن سموه لمح لجلالته بأنه اعتماداً على ما أظهره طلعت باشا من حسن السياسة معه قبل الرجوع للاستانة ؛ ولكنه لم يصرح لنا تماماً بذلك بل لمح تليحاً خفيفاً .

قلت : « يا حبذا لو دعا الإمبراطور أفندينا لزيارته ، ورافقه في الجهات العسكرية فانه يتمكن من الكلام الطويل معه في مسائلنا » فقال : « نعم يكون حسناً »

وفي يوم ١٧ منه ذهب عارف ويكن إلى التشريفات للاستفهام عن مكان سمو الخديو في المأدبة الرسمية التي ستقام في السراي للإمبراطور . ولما حضرا علنا أن السلطان سيجلس في الصدر ، وعلى يمينه الإمبراطور ، وأمامهما ولي العهد ومجيد أفندي وعلى يمين الإمبراطور حتى باشا سفير الدولة في برلين ، ومن بعده ناظر خارجية ألمانيا ، وبجانبه سمو الخديو . وفي المساء وردت دعوة رسمية لحضور المأدبة

عباس يشكو من معاملة ناظر الخارجية الألمانية : وقد سافر الإمبراطور مساء



امير طور المانيا خارجا من سراي بلدر

يوم ١٨ منه وكان الخديو بين المودعين لجلائته على المحطة ، ولما عاد من وداعه وجده تمتعاً من ناظر خارجية المانيا لأنه لم يتحدث معه فى شأن ما من الشؤون السياسية ، مع كثرة التقارير التى أرسلها له بواسطة موسيو پادل ، وموسيو لندمان (تاجر الاقطان بمصر) والبارون رشتوفن .

ولكنه كان مسرورا من حفاوة الامبراطور به لأنه عند الانصراف من المائدة تحدث معه فى أنه مضى وقت طويل ولم يتقابلا ، وختم كلامه معه بقوله : « ولا تطول مدة البعاد كما سبق »

ولكن هذه الحالة من ناظر الخارجية الالمانية جعلت الخديو يتخوف من أن يكون هناك اتفاق بين الاتراك والالمان على هضم الامتيازات المصرية بعد الحرب مرتبات المصريين : كان من ضمن الاتفاقات بيننا وبين الصدر وأنور قبل عودة الخديو أن تصرف الدولة مرتبات المصريين الذين يرافقون الخديو ، وقد كلفنى وضع ميزانية بهذه المرتبات ، وكذلك وضعنا ميزانية للمخصصات الخديوية ولجوبقى والمحروسة .

وفى يوم ٢١ أكتوبر قابلت أنور باشا ، وطلبت منه أن يأمر بارسال جميع المخصصات والمرتبات إلى البنك الذى يختاره ، ليتولى الديوان الخديوى توزيعها بمعرفته وسألته عن الاجراءات الواجب اتباعها ، وهل ترسل الكشوف للصدارة أو للحرية مباشرة ؟

فقال : « أما المخصصات فأمرها معلوم ، والمرتبات التى كانت تصرف من قبل سيدى صر فيها . وأما مرتبات من حضر مع الجناح الخديوى فترسل ونحن نأمر بصرف الجميع ، فشكرته وخرجت .

وقد أمر الخديو أن أعطى أنا وظيفة ناظر الديوان الخديوى ، وعارف رئيس الديوان التركى ، ويكن بأشار رئيس التشريفات^(١) وقرر مرتبا لكل منا قدره ١٧٥ جنيا تركيا ، وكان قد عزم على جعله ١٤٣ جنيا فقط : فأبنت له أن هذا المبلغ لا يكفى وأنه يحسن أن يكون ١٥٠ جنيا فرفعه هو إلى ١٧٥ جنيا وسوانى بالرئيسين الآخرين وقد بلغت الزيادة فى المرتبات الجديدة ٢٣٥ جنيا تركيا : لأن مرتباتنا نحن وأن كانت قد قطعت عند وجودنا بالسويسرة إلا أنها كانت محسوبة ضمن المرتبات القديمة . وقد رفعت لسمو الخديو التبت الاقى :

(١) وكان قد عاد للاتصال بالخديو بعد ماعليه الفارى سنة ١٩١٦

الديوان الخديوى مقارنة بين المبالغ التى تقررت الآن والمبالغ التى كانت تصرف

الآن	قرش	جنيه	الآن	قرش	جنيه	قبلا
أحمد شفيق	٠٠	١٧٥	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
عارف باشا	٠٠	١٧٥	٠٠	٤٥	١٤٢	٠٠
يكن باشا	٠٠	١٧٥	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
رمزى باشا	٠٠	١٧٥	٠٠	٤٥	١٤٢	٠٠
ابراهيم أدهم بك	٧٦	٥٨	٧٦	٥٨	٠٠	٠٠
توفيق بك	١٩	٥١	١٩	١٩	٠٠	٠٠
الحاج محمد افندى	١٠	١٦	١٠	١٦	٠٠	٠٠
احمد فريد بك	٠٠	٦٥	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
منصور افندى القاضى	٠٠	٤٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
مأمون نجيب	٠٠	٢٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
ميشيل دهان	٠٠	٢٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
نور الدين افندى	٠٠	٤٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
احسان افندى	٠٠	٠٠	٠٠	٧٨	٢٢	٠٠
المجموع	٠٥	٦١١	٠٥	٧٣	٢٣٣	٠٠
ما كان يصرف قبلا	٧٣	٢٣٣	٧٣	٢٣٣	٢٣٣	٠٠
الزيادة	٣٢	٣٧٧	٣٢	٣٧٧	٣٧٧	٠٠
تنزيل نقص فى القبول كتنخداية	٥٠	١٤١	٥٠	١٤١	١٤١	٠٠
الزيادة الحقيقية	٨٢	٢٣٥	٨٢	٢٣٥	٢٣٥	٠٠
القبول كتنخداية	الآن	قبلا	الآن	قبلا	٢٣٥	٠٠
جلال الدين باشا	٠٠	١٥٠	٠٠	١٥٠	١٥٠	٠٠
عبد العزيز افندى	٠٠	٢٠	٠٠	٢٠	٢٠	٠٠
عبد السلام افندى	٢٠	٦١	٢٠	٦١	٦١	٠٠
وصفى افندى	١٤	١٤	١٤	١٤	١٤	٠٠
عمر عادل افندى	١٥	٠٠	١٥	٠٠	٠٠	٠٠
	٤٩	١٩٠ ١	٤٩	١٩٠ ١	١٩٠ ١	٠٠

فى الشهر

قرش	جنيه	
٥٠	١٩٠	مجموع ما كان يصرف
٠٠	٤٩	الذى سيصرف الآن
٥٠	١٤١	التقص

وذكرت في نهايته ملاحظة وهي « إن استصوب أفندينا يقال في الجواب : إن هذا الثبت يحتوى أسماء المأمورين في الديوان الخديوى وفي القبوكتخدائية (الان) حتى يكون الباب مفتوحا لتعيين طبيب أو خلافه، وقد أضيف فيما بعد اسم الدكتور امستر السكرتير بمرتبة ٧٥ جنياً

إهداء نياشين من الخديو : رغب الخديو في أن يستخدم حقه في إعطاء النياشين إظهاراً لسلطته بين المصريين ولدى الأتراك كذلك بعد أن عاد إلى الاستانة متمتعاً بجميع حقوقه ؛ وقد طلب منى أن أكتب إلى الصدارة بطلب بعض النياشين طبقاً للامتيازات الخديوية ، فلاحظ عارف باشا أنه ربما اعترضت الحكومة على ذلك ، وطلبت معرفة أسماء من سيمنحون هذه النياشات ، فأجاب : هذه ليست للأجانب بل نقول : إننا سنوزعها على رجال المعية . وحرر الطلب فعلاً ومعه ثبت بعدد النياشين من كل نوع .

وقد ورد الرد بالموافقة ومعه النياشين فوزعها سموه كالآتي

البرنس عبد المنعم	:	المجيدى الأول
عارف باشا رئيس الديوان التركى	:	العثمانى الثانى
رمزى باشا طاهر السرياور	:	المجيدى الثانى
عبد الحميد بك شديد	:	» »
ابراهيم بك أدهم ميرالاي	:	العثمانى الثالث
توفيق فهمى بك قائم مقام	:	المجيدى »
احمد نور الدين افندى معاون	:	العثمانى »
حسين وصفي كاتب بالقبوكتخدائية	:	المجيدى الرابع
الحاج محمد افندى ضابط أركان حرب	:	العثمانى »
منصور افندى القاضى	:	المجيدى »
الدكتور سيد كامل	:	» »
إسلام قبودان	:	المجيدى الخامس

كيف تلقى الخبر وفاة السلطان حسين ونولية السلطان فؤاد: في يوم ١٢ أكتوبر وردت لنا الأخبار ب وفاة السلطان حسين كامل ، وتعيين السلطان فؤاد ، فقال الخديو : « أنا مسرور بما حدث . أولاً لأن أولادى يعرفون الآن أن إنجلترا لا تعاضدهم ولا تفكر فيهم ، وثانياً لأن البرنس فؤاد غير محبوب من المصريين لأنهم يعلمون ميله للإيطاليين » ثم استطرد في أحاديث من هذا القبيل .

وقد وردت من شديد برقية بأن الذى خلف السلطان حسيناً هو نجله البرنس كمال الدين . وذلك أنه عرض عليه العرش فرفضه ، ولهذا عين البرنس فؤاد .

بنى وبين عباس : كان اسماعيل حتى باشا « مدير اللوازم » في نظارة الحرية قد وعد بشراء احراج (الجفلك) الجديد الذى يملكه الخديو بمقدار مائتى ألف جنيه ، فسر بهذه الصفقة ، ولكن المدير عاد فرأى أن الحرج لا يساوى هذا المبلغ وعرض مائة ألف فقط ، فغضب الخديو لذلك . وفى أثناء مناقشات فى الموضوع يوم ٢٢ أكتوبر أبدت رأي بأنه إذا حصلنا على مبلغ ١٥٠ ألف جنيه فانتا نقبل خصوصاً وأن اسماعيل حتى صرح بأن هذه الاحراج ستباع للفقراء بالاستئانة بأثمان رخيصة ؛ واقترح أن ينوه بأن ذلك بناء على رغبة الخديو لينال من الشعب الرضا والدعاء ؛ وعندئذ ثار الخديو وفاه بكلام عدده جارحاً الى لأن خواه أننا نفرط فى ماله ، ولكن ما يخلصنا نحن نتشدد فيه . وقد تأملت لهذا الكلام لأنه دليل على أنه يعتقد أننا نخدمه لأجل النقود وليس لاخلاصنا له ؛ وفهمت أنه سيستمر على جرح إحساسى كما كان فى سويسرة ، وأنا مراراً كنت أنوى الانفصال عنه ، ولكنى كنت بعد التدبر أعود فأقول : « إنه معذور لما هو فيه من الضيق المالى ، فأصبر على قوله فى بعض الاوقات : « كل ساعة يلزمننا طبيبى يلزمننا فلوس ، أنا أصرف عليهم بدون ثمرة ! لماذا أعطيهم نقوداً هل أنا مجبر على ذلك ؟ » وهكذا من الكلام المؤلم للتنفوس .

ولكن بعد رجوعه إلى الاستانة وبعد أن صارت معيشته مضمونة ، والحكومة العثمانية هى التى تصرف مرتبات حاشيته فلا يصح أن يجرح إحساس الصغير قبل الكبير . فبعد أن ترددت دقيقة فيما أفعله دفعنى إحساسى إلى القيام من حضرته بدون استئذان ، وبجملة غضب أمام ماهر افندى المحامى و ابراهيم بك أدهم ، ونزلت إلى غرفتى ، فأخذت القلم وأصابعى ترتجف ، وكتبت ورقة طلبت فيها منه إقالتى

ورجوته أن يقبلها وما دوته فيها « إننى ما أبديت رأى فى مسألة الحرج إلا حفظاً لشرف سموه ومنفعته الشخصية، وما كنت أتوقع أن يعنفنى أمام رجل غريب، لهذا أرفع استقالتى وأرجو قبولها » ودعوت له فى ختامها بالتوفيق فى جميع أعماله .

ولم أذهب لتناول الطعام فى الغداء بحجة الصداق ، ولا لتشجيعه للزورق البخارى عند مبارحته لبيك ، وقد حضر لمقابلتى مظهر بك فكنت أكله بصعوبة حتى كان ينقطع الكلام مدة ، فى خلالها أفكر فيما حصل ، فيشق على الأمر ، وأقول بنفسى : « ماهذه المعاملة بعد أن خدمته الخدمة الصادقة ، فهلا يحترم سنى ، وهلا يقدر إخلاصى ؟ »

أما عريضة الاستقالة فبعد أن كتبها سلمتها للحاج محمد افندى أحد الضباط لتوصيلها إلى إبراهيم بك أدهم ، وكتبت له كلمة أقول فيها : « إنه بالنظر للأهانة التى رأيتها أمامه من أفندينا فأنى رفعت استقالتى فى العريضة التى أرسلها مع الحاج محمد افندى » ورجوته أن يقدمها .

وقد أدرك يكن باشا كدرى ، فأخ على أن أعرفه بما جرى ، فأخبرته بأنى سمعت ما أكره من أفندينا لأجل إبداء رأى فى مبيع الحرج ، ولم أعلمه بالتفصيلات ولا بالاستقالة .

وبوم ٢٣ قابلت يكن باشا مساء وكان قد حضر إلى بيك من جبوقلى بناء على استدعاء الخديو له ، فأخبرنى أنه رافقه فى زيارة القصر ومحلات الكهرباء والمطبخ وغير ذلك ؛ وفى أثناءها كلمه فى مسألتى ، وادعى أنى أردت أن أوثر عليه فى زيادة المرتبات ، قال يكن : « ولكنى قلت له : إن الباشا لعله بأحوال المعيشة رغب فى عرضها على الاعتبار ، ولا أظن أنه أراد إجبار أفندينا على شيء » فقال : « إنما لما سألتى شفيق عن مرتبه ، وأجبت به بأنه مثل باقى الرؤساء لم يقل شيئاً فوضع الرقم أمام اسمه بدون ملاحظة منه » وتكلم كثيراً حول نقطة واحدة أنه لا يقبل أن يؤثر عليه شخص ما ؛ ثم قال : « وأنا بقولى لشفيق : إننى فى الوقت الحاضر لا يمكننى أن أفرط فى مبلغ ٥٠ ألف جنيه من ثمن الحرج ، وقولى : هل تتنازلون أتم عن جزء من مرتباتكم ؟ لا أقصد إهانة ، بل أريد أن أقول : إن الوقت لا يسمح بذلك »

قال « يكن : وعرفنى سموه برفع استقالتك ولكن يا باشا كيف تتركنا ؟ » قلت له : « إن الخديو تعود أن يقول عنا : أننا اشخاص لا يهمننا إلا الطعام والنقود ، وكنت

أسمع ذلك في سويسرة وأنكدر منه كثيراً ، وهممت أن أرفع استقالتي جملة مرات ، إنما كنت أرجع لأنني أقول في نفسي : إنه في ضيق وفي بلاد أجنبية وخالي اليد وأعصابه متهيجة سواء من خلويده أو من الأحوال السياسية ، ولكن الآن رجعت إلى مركزه واطمأن على معيشته وعلى منصبه الرسمي ، فلا يصح أن يكرر ما كان يقوله . ولا يليق به أن يلقي الكلام بدون حساب . وسموه مخطئاً إذا كان يظن أننا نخدّمه لأجل المال ، فهو تحت أقدامي ، ولو كنت ممن يعبدون المال لكانت ثروتي كبيرة ، ولكني مخلص ومخاط بمخلصين ، فأنت الذي تنفق على عائلتك في الشهر ثلثمائة جنيه أظنك ماجئت طامعاً في المرتب الذي قرره لك ، ولهذا لا أطيق الآن وهو في مركزه القوي أن أيسر إحساساتنا بكلام جارح ، وإذا كنت أضحي بمركزي صوناً لشعوري فأنت في الوقت نفسه أدافع عن أشخاصكم أتم ، وإنني بصفتي رئيساً يجب على أن أفعل ذلك ، وإلا فلوتركت هذه الفرصة دون أن أعرف الحديو بأننا لسنا عبيداً بل أناساً يحافظون على كرامتهم ، فماذا كنتم تفعلون أتم ؟ فالذي فعلته هو درس لسموه ليعاملنا المعاملة الطيبة ، ويترك عادة التفرع والتكدير بدون حق وخصوصاً أمام أشخاص ليسوا منا ، فلما سمع مني يكن باشا كل ذلك قال : « يا باشا لك كل الحق » ثم رجاني أن لا أروى عنه شيئاً بخصوص هذه المسألة ، لأنه لم يكلف من قبل الحديو بأمر ما ، وإنما رغب فقط أن يعلمني سراً بما حصل من الحديث .

وفي ٢٤ منه جاءني رمزي طاهر باشا وعارف باشا وقالوا : « إن أفندينا أخبرهما باستقالتي » وطلبا مني أن أستردها لأنه يقول إن مبدأه لا يرفض استقالة من يطلبها . فلهذا حضرا للرجاء بأن أكلفهما استرداد الاستقالة من الجنب العالی فأجبتهم بأن هذا لا يكون ، لأنني أكون قد اعترفت بخطأ مني ، مع أنني أنا المجروح وأنا المهان .

فقال رمزي طاهر : « إن الكلام الذي حصل من أفندينا ليس فيه ما يدعو لتشبك » فقلت وأنا غاضب بما سمعته : « إذا كنت يا باشا لا تعتبر هذا الكلام جارحاً فلا يليق أن تكون رئيساً : وأنا كنت أقبل هذا الكلام لو كان قد حصل بيني وبينه أو بوجود أحد أقراني ، ولكن أمام أجنبي لا أقبله » فرد علي قائلاً : « إن أفندينا لا يعتبر ما هو أفندي أجنبي . قلت : « ولكن أنا لا اعتبره كعارف باشا ورمزي باشا » فقالوا : « إنه

لا يلبق أن تترك سموه وهو خارج بلاده ولو كثافي بلدنا لتغير الموقف، فأجبتهما بأني ما كنت أفعل ذلك لو كان سموه في سويسرة؛ ولكن الآن وهو في بر السلامة محاط بعائلته وحاشيته، ومقيم في بيته، ومعتز بخديويته من الحكومة العثمانية ومطمئن على معيشته، لا مانع من استقالي من خدمته.

قال عارف: «وما الذي يقوله الناس ورجال الحكومة؟، أجبت: انني اتفق مع أفندينا على أن تكون استقالي مبنية على أنني ذاهب إلى السويسرة قياماً بواجبي الوطني للدفاع عن حقوق مصر. قال: «ولكن سموه لا يكتف الحقيقة». قلت: «هو حينئذ وشأنه. وإنني لا أريد أن أسمع من أفندينا أنني أعبد الدرهم، ولو كنت كذلك لأحرزت ثروة كبيرة مدة وجودي في المناصب العالية، أو لعملت على تنفيذ الوعود التي كانت تعطي لي بتولي إحدى النظارات قبل الحرب ولاخذ أموال طائلة؛ فليتهم أفندينا أننا نحن قبلنا العمل لاأخذ المرتبات بل لأخلصنا له وللسير معه على مبادئنا».

ولما كثر الإلحاح وقال عارف باشا: «إن الظاهر على وجه أفندينا الأسف» قلت: «حينئذ أرفع لأعتابه بأني علمت بأسفه، ولهذا أسترجع استقالي» قال: «إنه لا يقصد ذلك» قلت: «حينئذ أكتب العريضة بأني علمت أن أفندينا ما كان يقصد اهانتني» قال: «هو لم يكلفنا أن نقول ذلك» قلت: «وأنا لا يمكنني أن أكلفكم رد استقالي بدون سبب».

وقد قال عارف باشا: «إن أفندينا تأثر من استقالتك وهذا يكفي» يعني ان الذي حصل يكفي ليعلم مقدار كدرى (أى أنه لا يفعل ذلك مرة أخرى)

وفي هذا اليوم حضر يكن باشا وقال: «إن أفندينا قال له: إن عارف باشا ورمزى طاهر باشا لم يتمكننا من اقناعي فاذهب أنت لأقناعه».

فقال: «أنا وشفيق نعرف كيف نتفاهم» ولهذا حضر الى فرويت له ما حصل من المناقشة بيني وبين الرئيسين واخذت عليهما أنهما لم ينتهزا فرصة فتحي لهما الباب لولوجه وانتهاء المسألة فأنتى لسكوني علمت منك ان أفندينا قال لك: «إنه لا يقصد اهانتني» اردت أن يقولالى ذلك حين استفهمت منهما عما إذا كان سموه يقصد تعنيق؟ فلم يفهما غرضي ولم يجاوباني، ولواجابا لاتنته المسألة.

قال يكن: «امس قلت: اننى سمعت هذا الكلام من أفندينا ولكنى ما كنت

مكلفاً أن أبلغه ؛ أما الآن ففي وسعي أن أكرر لك في ذلك ، قلت : « حينئذ أكتب لافندينا أقول أنتي سمعت منك ذلك ولهذا أسترد استقالتى » قال : وهو كذلك ، ووعده بارسال الجواب غداً ، وقد أعلبتنى هذه الحادثة مكاتبتى عند جميع من بالسرائى حيث حضروا من أغوات وموظفين للسؤال عنى ظناً منهم أننى مريض حتى أن الوالدة أرسلت فسألت عنى كذلك ؛ ولم أخبر أحداً بالواقع إلا الماس آغا فى المساء فلما علم بالتفصيلات وافقنى على ما فعلت وقال : « الى متى هذه المعاملة السيئة ؟ »

وفى ٢٥ منه حررت العريضة الآتية وأرسلتها مع عارف باشا :
« سيدى ومولاي :

جاءنى حضرات الرؤساء أمس فعلمت من صاحب السعادة يكن باشا أن الجناح العالى ما كان يقصد تعينى ولا تكديرى ، مما استوجب رفع استقالتى ، فاطمأن قلبى وهدأ روعى — ولهذا أستردها راجياً أن يتحقق مولاي بأن إخلاصى لعرشه ولذاته الكريمة لا يقدر بمال والله المسؤول أن يوفقنى لخدمة جنابه الفخيم وإرضائه . »

وقد أفهمنى عارف باشا أن مسألتى انتهت فقلت : نعم ، وكان يمكنكم أن تنوها أمس ، فأننى فتحت لكم باباً لكنكم ما ولجتموه عند ما سألتكم عما اذا كان الخديو أراد من كلامه إهانتى أولاً ؟ فلو كنتم أجبتونى بالنفى لانتهى الأمر ؛ ولما علمت من يكن باشا أن الواقع هو هذا قبلت سحب استقالتى .

وقد عرفت اليوم من ابراهيم بك أدهم أن رمزى طاهر باشا قال له أمس : انه لم يرنى منفعلاً بهذه الدرجة مطلقاً ، فأخبرته بما سبق أن قلته له : بأنه لا يصلح للرئاسة إذا كان لا يفهم إن كلام الخديو كان جارحاً أولاً .

وقال البك أيضاً أنه لما تسلم عريضتى المحتوية على رفع الاستقالة لم يقدمها فى اليوم نفسه ، وبعد أن تردد فى عرضها - ولعله بالالهانة التى حصلت أمامه - قال فى نفسه : « إن الواجب عليه تقديمها حتى يتجنب أفندينا كسر الخواطر » فعرضها عليه فى الساعة العاشرة مساءً فسأله عن وقت تسلمه لها وعلم أنه كان أخرها عنده فلم يفتحها فى شيء ؛ انما يظهر انه قال شيئاً عن ذلك لرمزى طاهر باشا فقال الباشا لابراهيم بك : « اذهب عند شفيق وهدئه ، ولكن أدهم بك تتحى

عن التدخل ، فلما قرأ عريضة سحب الاستقالة قبل إرسالها مع عارف باشا أعجب بها خصوصاً قولي : « إن إخلاصى لا يقدر بمال » .

وفى يوم ٢٦ منه قابلت عباساً عند حضوري الى بيك فقال : « أهلاً يا شفيق باشا ، وطلع الى السلامك ، وبعد أن حضر الرؤساء تكلم معهم في الكتابة التي أرفقتها باسترداد استقالتى ؛ ثم حضر الى يكن باشا وكان في الغرفة عارف باشا وحاول أن يظهر لى أن ماقاله لى أول أمس ليس هو أن الخديو لم يقصد تكديري بل ان الكلام الذى أسمعنيه ليس فيه شيء من التكدير ولا التعنيف ، فقلت : ان الذى سمعته أن سموه ما كان يقصد تكديري ، فقال عارف : « ان هذا معناه إذن أن أفندينا يقول : إنه آسف لما حصل ، قلت : لا ، ولا أقصد أن يقول لى سموه إنه آسف ، قال يكن : فأفندينا يقول يجب تغيير هذه العبارة . وهى « لا يقصد » حيث تدل على الأسف ، فتقول أن ليس فى كلامه شيء من التكدير ، قلت : حينئذ اعترف بأن غضبى لم يكن فى محله وانى غير محق فيه . قال يكن : إن الغرض إيجاد كلمة غير (لا يقصد) قلت : فليأمر أفندينا بالكلمة التى يريدونها ففهمت أن يكن باشا رأى مؤاخذه من الخديو عما قاله لى أول أمس وأراد أن يتدجى عنه .

ولما طلبنا للمائدة صعدت مع الاخوان فقال : « تفضلوا . تعال يا شفيق باشا » وفى أثناء الطعام وجه لى الكلام فى مسائل عاديه فزال ما كان بيننا من سوء التفاهم ولم يطلب منى تغيير جوابى .

وفى يوم ٢٨ منه جاءنى ماهر افندى فأخبرته بما حصل من استقالتى وأسبابها وطلبت أن لا ييوح بشيء من ذلك لأحد ، وفهمت منه انه لم يحس بامتعاضى ولم يفهم ما حصل من الكلام باللغة العربية .

واليوم علمت من يكن باشا أن عباساً سأله عن الكلام الذى دار بيننا لما أمره بمحادثتى فأجابه بأنه قال لى : « إن الجناح العالى ما كان يقصد تعنيفى » فقال سموه : ولكن من هذه الكلمة (لا يقصد) يستدل القارىء أننى أبديت أسفى لما قلته ، فرد الباشا بأن شفيق باشا يقول : انه لا يريد أن يمس كرامة سموكم واذا رغبت فى ابدال كلمة (لا يقصد) فما على سموه إلا أن يختار ما يريده ، فقال عارف باشا : بل إن شفيقاً مصر عليها ، فرد عليه يكن بالنفى ، وعندئذ قال الخديو : « لندع هذه المسألة الآن ، ولذلك لم يفاتحنى عند مقابلته كما سبق

بين الحديو وولى عمره : فى يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٩١٧ أرسل عباس فى طلبى وكذلك أرسل لعارف باشا ، ولما اجتمعنا عنده فى الآستانة أخبرنا أنه وردت له بالأمس من نجله ولى العهد رسالة باللغة الفرنسية تتضمن أنه طلب منذ شهر يوليو الماضى من سفارة انجلترا فى برن أن تتصل بالدائرة الخاصة فى مصر وتطلب منها إرسال مبلغ شهرى له من الأموال التى يستحقها هو شخصياً وقد ورد له الآن ما طلبه . ولهذا فانه يرجو والده فى أن يأمر شديد بك الذى كان قد عين من قبل الحديو للبقاء معه فى فريبورج بصفته ناظر الخاصة الحديوية بألا ينفق عليه مع إبقائه فى خدمته . وإبقاء شقيقه كذلك ، إذا لم ير سموه مانعاً وأنه لا يزال الابن الخاضع المطيع . ثم أبدى أسفه على أن الحالة اقتضت فعل ما فعله .

وعرض علينا رسالة أخرى من شديد تفيد ما تقدم وقد كان سموه متألماً من أن شديداً لم يخبره بهذه الاجراءات التى اتخذها نجله فى حينها .

وقد أرسل سموه بعد المداولة معنا رسالة الى الصدر يخبره فيها بالموضوع اتباعاً لسياسة التفاهم التى انتهينا اليها أخيراً .

امتنال هام بعيد الجلوس الثمري - معلومات وأسرار عن الخانة في طرابلس
بين الثمري ورجال الحزب الوطني - محاكمة بولو وأعداءه - رحلة السويسرة كلرها
مناعب وآلام - سنو مختلف:

امتنال هام بعيد الجلوس الثمري : عز من بعد موافقة الخديو - على الاحتفال
بعيد جلوسه بالاستانة ، للفت الأنظار إليه ، وإظهار شخصيته في العاصمة التركية ،
وقد كان يرغب في هذا الاحتفال ولكن خشية من فشله لم يرد أن يتدخل فيه بشكل
ظاهر ، فأعطاني في أول يوم من يناير مبلغ مائة جنيه بصفة سرية ، للانفاق منها
على هذا الاحتفال ، وتقرر أن يقام في فندق بير بالاس .

وفي ٣ منه حضر البرنس ابراهيم حلي ومحمد عزت باشا ، وقابلا سموه . وقالوا
له : « إن حالة الجيش التركي في فلسطين سيئة جدا » - وكان قصدهما من ذلك أن
نعدل عن الاحتفال الذي لم يكونا موافقين عليه - وبعد خروجهما أبدى لي الخديو
عدم استراحته لرأيهما ، فقلت له : « إن صغار المصريين هنا يدون شعوراً وحاسة
أكثر من كبارهم » فقال : « نعم وكلما نزلت إلى الطبقة الدنيا تجد الاحساس
أعظم » . . .

وقضيت من يوم ٤ منه إلى يوم ٧ في إعداد الخطب التي ستلقى في الاحتفال ،
ووضع البرنامج ، وأسماء المدعوين من مصريين وأتراك وفرنس وأفغان وهنود
وسوريين وغيرهم ، مع أعضاء اللجنة وكان سكرتيرها فريد أفندي صدقي ، وقد
استعد لالقاء خطب عبد الحميد أفندي رفعت ومنصور أفندي القاضي ومأمون أفندي
نجيب الذي حضر معنا من السويسرة . . . وغيرهم .

وقد أرسلت أوراق الدعوة موقعة باسم السكرتير .

موقف جمال باشا من الاحتفال : وفي يوم ٧ أرسل مدير البوليس إليه لمقابلته وفهمنا أن هناك نية لعرقلة الاحتفال ، وتكدر الخديو لذلك . ولما قابله سأله هل



فريد أفندي صدق

الخديو سيحضر الاحتفال حتى يقوم البوليس بعمل الترتيبات اللازمة ؟ . ولما علم منه بعدم ذهاب سموه أرسل الخبر تليفونياً إلى نظارة الداخلية ، فجاء الرد بأرسال فريد أفندي لمقابلة جمال باشا ناظر الداخلية بالنيابة عن طلعت باشا الذي كان متغيباً ، ولما مثل بين يديه ، انتقد أولاً : وضع السلام الخديوي في البرنامج مادام سموه لن يحضر في الحفلة ، وأمره ألا يعزف إلا السلام الشاهاني ، والناس قيام ثانياً : توقيعه على بطاقة الدعوة باسمه ، مع أنه غير أهل لدعوة الصدر ، وشيخ الاسلام والوكلاء والسفراء . ثالثاً : أنه اكتفى

بمخاطبة البوليس مع أن الواجب أن يطلب مندوباً عن الداخلية ، للاشتراك مع لجنة الاحتفال في وضع البرنامج . رابعاً : لاحظ على كلمة (الجلوس على الأريكة الخديوية) التي وردت في الدعوة قائلاً : « إن هناك تعييناً وليس جلوساً »

وكذلك انتقد الهتاف « أفندمز » بالنسبة للخديو قائلاً : « هذه كلمة لاتقال إلا للسلطان ، فليس لدينا غيره نقول له : « أفندمز » فرد عليه فريد بلطف قائلاً : « إننا نحن المصريين لانستعمل كلمة « خديو » بل نقول « أفندينا » وها هو ذا المستشار (وأشار إلى مستشار الداخلية) يقول لدولتكم أفندمز « فهل أتم في منزله السلطان ؟ »

وأخيراً سأله فريد عما إذا كان هناك ما يدعو لعدم الاحتفال ، أو يأذن له بالذهاب ، لأن الوقت قد حان لحضور المدعوين ! فأجابه جمال باشا : « كنت تستحق المحاكمة على المخالفات التي ارتكبتها ، ولكن لأنني شاهدت فيك الذكاء والصراحة أكتفي بتأنيبك ، تم التفت إلى المستشار وقال : « إذا سمع الآن الخديو

بملاحظاتى هذه فإنه سيقول : « إننى أناؤنه ، فأجابه فريد بأنه يستحق التأنيب الذى سمعه وأكثر منه لاعتماده على البوليس فقط ، وعدم اخبار الداخلية . ثم رخص له جمال باشا بالخروج ، وإقامة الاحتفال . وبعد خروجه عاد إليه فأخبره أن صورة الخديو ستوضع في صدر الاحتفال بين عليين أحدهما تركى والآخر مصرى . فقال له جمال باشا : « لا يوجد علم مصرى ، فضع علماً تركياً مكانه ومزقه ، ! ولما علم الخديو بما دار بين جمال باشا وفريد افندى لم يتأثر ، بل أعطى لجمال الحق في انتقاداته ، ولا سيما في مسألة العلم ومسألة السلام الخديوى

إنابة الخديو لى في حضور الحفلة : وقد أنابنى عنه في حضور الاحتفال فذهبت ومعى عارف باشا ، واحمد بك فريد ، وقد كان الأول متردداً في الذهاب . ولا سيما عندما أرسل البوليس لفريد افندى ولم يكن قد عاد بعد ، وحضر من المدعوين أكثر من مائة . ولما وصلنا قابلتنا لجنة الاحتفال ، وأجلستنا في المكان المعد لنا .

اعتذار البرنس ابرهيم حلى عن رياستها : تولى يوسف ضيا باشا الرئاسة بعد أن اعتذر عنها البرنس ابرهيم حلى ، وجلس الأعضاء عن يمينه ويساره ؛ وافتتحت بالسلام الشاهانى ، ونحن وقوف ، وصعد على المسرح رجل يسمى سليمان مع خمسة أشخاص وأنشد السلام الخديوى بصوت جميل ، فاستعيد مرات ؛ ثم رحب الرئيس بالمدعوين وشكرهم على اجابة الدعوة . وألقيت الخطب والقصائد بين التصفيق الحاد ، وقد اقترح فريد أفندى تذكاراً لهذا اليوم أن يقام احتفال خيرى يصرف دخله لأبناء الشهداء في الحرب .

كلمتى بالنيابة عن الخديو : وبعد ذلك وقفت وقلت : « باسم الجنااب الخديوى أشكر حضرات أعضاء اللجنة التى أقامت الاحتفال لمناسبة ارتقاء سموه الأريكة المصرية ، وأشكر الخطباء والشعراء على احساساتهم الشريفة نحوه ، وإننى سأرفع اقتراح اللجنة باقامة احتفال خيرى إلى جنابه العالى ؛ ولا أشك في أن سموه يقبل بكل سرور جعل الاحتفال تحت رعايته ؛ وندعو الله عز وجل أن يحفظ لنا دولتنا العلية ، وينصر جيوشها على أعدائها ، وأن يوفقها لاسترداد حقوقها وحقوقنا فنهى بعضنا بعضا ، ونرجع للأوطان ، ونتمتع بمشاهدة الأهل والايخوان وما ذلك على الله بعزيز . »

انشاد السلام الخديوى . وبعد انتهاء كلمتى أنشد السلام الشاهانى ختاماً للحفلة ، ولكن الكثيرين طلبوا انشاد السلام الخديوى من سليمان وجماعته ، فصعد على المسرح ، وأنشده بين التصفيق الشديد .

كثرة المهثين للخديو : ولقد غصت سراى بك بالمهثين ، فجاء البرنسان ابراهيم حلى وعلى فاضل وعزت باشا ، وأرسلت البرنسيس فاطمة هانم ووالدة البرنس عمرطوسون مندوبين للتهنئة ، ونور أفندى قاضى مصر ، ورفعت باشا سفير الدولة فى باريس سابقا ، واحمد بك صادق ، وحمد الله باشا ، من كبار الموظفين سابقا فى المحاكم المصرية وعدد من المدنيين والمكيين ، وجموع كبيرة من المصريين فى قطارين خاصين من قطارات الترام ، ومن بينهم أعضاء لجنة الاحتفال : فقابل سموه جميع من حضروا إلا صلاح الدين مظهر وشقيقه حسن مظهر ، وهما اخوان لمظهر الذى تعدى على الخديو فى سنة ١٩١٤ ، فبكيا ، وقالوا إنهم بريئان مما حصل من أخيهما ، فوعد سموه بمقابلتها بعد أيام (١)

وكذلك حضر مقبل يكن مندوباً عن ناظر الحرية للتهنئة والاعتذار عن عدم إمكان الحضور بنفسه نظراً لكثرة أعماله ، فسر سموه بهذه العناية : وجاء كذلك

« نظام السلطنة » السفير العجمى فوق العادة مع سفير العجم الأسمى ، وأرسل سفير ألمانيا تهنئة بصفته الشخصية عنه وعن قرينته وكذلك الدكتور « پروفير » رئيس قلم الاستخبارات الألمانية فى الآستانة

ووردت عدة برقيات من الآستانة وسويسرة والنمسا ، بينها تهنئة من الجمعية الخيرية الإسلامية التركية بالآستانة وبرقية من الطلبة بجنيف . ومن البرقيات اللطيفة التى سر بها الخديو برقية من ولى عهد السلطنة الثانى عبد المجيد أفندى وكان بينه وبين سموه صداقة شخصية ، وقد أمرنى بتسليمها لعارف باشا ليكتب رداً ودياً مناسباً .



عبد المجيد أفندى

وكذلك برقيتان من كريمته عطيه هانم افندى وزوجها جلال الدين باشا والذي سره منها إعلانها الاستعداد للرجوع للاستانة إذا رغب الخديو ذلك ، وكانا من قبل ممتنعين عن الحضور من سويسرة ، ولم يقبلا مرافقتنا عند السفر منها .

وبعد انتهاء ورود التهاني عهد إلى الخديو في الرد على المهتمين ، والذهاب لمركز الجمعية الخيرية التركية وشكرها على التهنة التي بعثت بها . وكذلك الذهاب إلى أنور باشا وشكره على إرسال مندوب خاص ، ولما لم أجده في المنزل تركت بطاقة لأحد مرافقيه .

وبمناسبة هذا العيد أنعم الخديو على ضباط المحروسة بنياشين مختلفة ، وعلى أحمد فريد بك التشريفاة ، الأول بالمجيدى الثالث ، وعلى نور الدين بالرتبة الثانية .

لجنة الاحتفال في دار الآثار العسكرية : وفي يوم ٢٠ دعا مختار باشا مدير دار الآثار العسكرية والسينما ، لجنة الاحتفال مع كبار المصريين لزيارة الآثار المذكورة ولزيارة السينما ، وقد عرض علينا فيها صورة الاحتفال بعيد الجلوس مع مناظر لزيارة امبراطور ألمانيا ، ثم ألقى خطاباً مدح فيه الخديو كثيراً على تعلقه بمقام الخلافة ، وعدم عودته إلى مصر ليكون آلة بيد الانجليز ، وتكلم عن أهمية موقع مصر وضرورة إخراج الانجليز منها وإرجاعها لما كانت عليه قبل دخولهم فيها وإعادة الخديو إلى أريكته .

وبعد عودتنا قابلت عباساً وكان معه البرنس ابراهيم حلمي ، فعرضت عليه ماحدث في دار الآثار وفي السينما ، وما سمعناه من مختار باشا ، وقلت : « إن الباشا كان جريئاً جداً في خطبته وصريحاً في ثنائيه ومدحه » ، وكنت أشير بهذا إلى التردد والضعف الذي أبداه البرنس عند ماتنحي عن رئاسة لجنة الاحتفال .

حفلة لمواساة عائلات الشهداء في القنال : وفي يوم ٢٦ فبراير قر الرأي على تنفيذ اقتراح فريد افندى صدقي بشأن مواساة عائلات شهداء القنال ، فافتح الخديو قائمة الاكتاب بمبلغ عشرين جنبها عن نفسه ، ومثلها عن الوالدة ، ومثلها عن كل من كريمته . وقد اشتركت بمبلغ خمسة عشر جنبها ، وبلغ الاكتاب بعد يومين ثلثائة جنبه .

وتقرر توجيهي مع حمد الله باشا والشيخ عبد العزيز جاويش إلى السراي في

يوم ١٦ مارس ومعنا رقعة دعوة للسلطان ، مطبوعة بحروف مذهبة ، كما هي العادة حسبما قيل لنا ومختومة من الجنب الخديوى بما أن الاحتفال تحت رعايته ، ولكن سموه تردد فى كتابة الدعوة ، أو الختم عليها إن كانت مطبوعة . كما أنه تردد فى طلب أوركستر السراى ، وفضل أن لا نعمل شيئاً « غير معتاد » إذ يجوز أنه فى أمثال هذه الحفلات لا يعطى الأوركستر . فلما استفهمنا من صادق بك تشريفاتى الصدارة أكد لى هو والشيخ عبد العزيز جاويش بأن « الأوركستر » أرسل إلى حفلات متعددة ، وما علينا - نحن رؤساء الديوان الخديوى - إلا أن نكتب خطاباً إلى رئيس الحجاب بطلبه وبعد العرض على سموه أذن بالكتابة ، فخررت باعتبارى ناظر الديوان طلباً ببنته على التماس لجنة الاحتفال ، وأضفت على ذلك « كما هو المعتاد فى أمثال هذه الحفلات » ومن جهة أخرى توجه عارف باشا ، وقابل مرتضى بك الكاتب الثانى فى المابين ، وباحشه فى صيغة ورقة الدعوة للسلطان ، ثم حضر وأخبرنا بأنه لا توجد طريقة رسمية لتقديم الدعوة ، وأملانى كتابة بالتركية لطبعها بحروف ذهبية وتقديمها بواسطة حمد الله باشا والشيخ جاويش ، وأنه لا لزوم لتوجهى معهما ، وأضاف قائلاً « وأن ذلك ما يرغبه الجنب العالى » ، ولما علمت بهذه التفصيلات عرفت فريد افندى صدق بها لطبع تذكرة السلطان وإحضارها فلم يلبث أن خاطبنى تليفونياً بما فحواه أن جمال باشا ناظر الداخلية بالنيابة لم يستحسن « تصديق » السلطان بمثل ذلك ، وسألنى رأيى فيما يلزم عمله ، فقلت ماعلى الباشا والشيخ إلا أن يتوجها لدعوة مولانا السلطان شفهاً بواسطة رئيس الحجاب ولما كنا فى الغداء سأل عباس عما تم فلخصنا له ما حصل فقال لى : إنه لا يعلم بكتابه الجواب بطلب « الأوركستر » وأظهر أنه لا يتذكر أنه وافق عليه وقال إذا حصل ما لا يرضى فانى أقول إن هذا العمل حدث بغير إذن وأضاف على ذلك : « أرايت يا شفيق أن الأوركستر لا يعطى فى احتفالات مثل احتفالنا ؟ وإذا أمر السلطان بأعطائه فما هو إلا لخاطرى وعلى سبيل الاستثناء » وانتهى الامر بان توجه حمد الله باشا والشيخ جاويش ، وتحدثا إلى رئيس الحجاب ، وعادا شاكرين لما لقياه من الحفاوة مع الوعد بهبة سلطانية .

وفى يوم ١٧ منه توجهت للمابين ، وقابلت توفيق بك رئيس الحجاب ، ورجوته فى أن يرفع شكر الجنب العالى ، ولجنة الاحتفال ، والمصريين جميعاً لمولانا السلطان على إرسال الأوركستر .

وفي يوم ٧ ابريل ألصقت على الجدران إعلانات عن الحفلة في تياترو « بتي شان » على أن يكون يوم للرجال ، وآخر للسيدات ؛ وكذلك طبعنا برنامج الحفلة بالتركية والفرنسية مصدراً بصورة الخديو ، فكان ذلك كله دعاية عظيمة له .

تخوف الخديو من الفشل : وعلى الرغم من هذا كان عباس يخشى أن يفشل الاحتفال من جراء الدسائس التي كان يتوقعها من رؤساء المعية الآخرين الذين كانوا ينقمون على إقامتي الحفلة ، وقد كتبت جريدة « ألتى » تلاحظ أن لجنة الاحتفال اختارت أرمينياً للتمثيل ، فكان سموه يتوقع التصفير في أثناءه لوجودها ، فامتنع عن الحضور وأتاب عنه البرنس الأمير ابراهيم حلى . أما الصدر فانه لما علم أن سموه لا يحضر أرسل في « بنواره » اثنين من مرافقيه ؛ وكذلك لم يحضر من النظار إلا جاويد بك ؛ واعتذر سفير النمسا بأنه أسلف وعداً بالحضور في فندق بيرابالاس للجمعية الخيرية النسائية وكذلك الكثيرون من ذوى المناصب العالية . ومن المحتمل أن السفير لما سأل يكن باشا عن يوم الاحتفال وعرفه جعل احتفاله أيضاً في اليوم المذكور حتى لا يحضر اجتماعنا بهذه الحجة لما بينه وبين الخديو من سوء التفاهم .

أما سفير ألمانيا وزوجته فقد حضرا ؛ وكذلك عبد المجيد أفندى ولى عهد السلطنة الثانى ، وجلست معه في مقصورته مدة ، فأعرب عن حبه للخديو ، وتمنياته لرجوعه إلى عرشه ؛ وفي هذه الحالة يزور سموه في مصر . وكذلك حضر خالد باشا الداماد نجل المرحوم درويش باشا ، وقال لى : « انه من المحين للجناب العالى الخديوى » .

تنحى البرنس ابراهيم حلى ونيابتي عن الخديو : ولما قرر سموه إنابة البرنس ابراهيم حلى اتخذنا ما يلزم لارسال الزورق البخارى إلى ميركون لاحتضاره إلى بيبك حيث يستقل مركبة الوالدة إلى التياترو ، إلا أنه خاطبنا بواسطة حرمه يقول : « إنه لما رجع مع أفندينا أمس الى سرايه أصيب بركام ، فهو طريق الفراش لا يقوى على النزول ، فاستغربت هذا التنحى في هذه المرة ، كما أنه تنحى في المرة السابقة لما دعى لرأسه الاحتفال بعيد الجلوس . وأظن هذا التصرف مراعاة لحاظ البرنس سعيد حليم من جهة ، وحتى لا يصل الى علم الانجليز خبر يكدرهم منه . عنى أنه يريد أن يحفظ خط الرجعة ؛ فلما علم الخديو بذلك أمرنى أن أنوب عنه

فتوجهت الى التياترو ووصلت قبل الساعة الثانية ، فوجدت أعضاء اللجنة ورئيسها حمد الله باشا امين يستقبلون الزائرين ، وآنسات يعن بعض الاشياء الصغيرة . فجلست في المقصورة التي كانت معدة الخديو ، ومعى يكن باشا ، واحمد بك فريد ، وابتدت الحفلة بعزف الموسيقى للسلام الشاهانى ، فوقف الجميع على الاقدام ، ثم قامت فرقة تركية بتمثيل رواية تمثيلا متقنا ؛ ثم أقيمت قصيدة في رثاء شهداء القتال الشيخ سليمان ناجى العمرى السورى وفيها أبيات جميلة عن مصر والخديو ورجوعه العرش ؛ وقد حازت قبولا وتصفيقا من العرب خصوصا والأعيان وأعضاء مجلس المبعوثان التركى ؛ وهذا الشيخ أعمى فألقاها عن ظهر قلبه

وحضرت بعده مدام ليني برنارد متبرعة ، ووقعت على البيانو قطعتين أظهرت فيهما مهارتها ؛ فأهدينا اليها طاقة من الزهور وهى على المسرح ؛ ثم أنشد الشيخ سليمان سلام الخديو «يا زمان الهنا الخ..» وبعده قطعة من رواية «روميو وجوليت» ولقى الشيخ سليمان استحسانا عظيما .

وبعدها جاءت موسيقى دارالآثار العسكرية وهى مرتدية ملابس الموسيقيين القديمة بالعمم والقفاطين والأحزمة ، ولقد نجحت الحفلة نجاحا عظيما حتى أن الخديو أسف على عدم حضورها لما بلغته أبناء نجاحها الباهر .



احمد افندى فريد

معلومات راسرار عن الحانة فى طرابلس:

فى يوم ٢٢ يناير زارنى فى سراى بيلك رجل مصرى اسمه « احمد افندى فريد » حضر من طرابلس الغرب على غواصة ألمانية بصحبة نورى باشا شقيق أنور باشا ورفع لى عريضة لتقديمها إلى الجناب الخديوى فسألته عن دواعى وجوده فى طرابلس ، وعلمت منه بأنه فى أوائل الحرب تشكلت جمعية سرية المؤسس لها هو على بك اسماعيل واسماعيل افندى

حسن من ضباط الحرس سابقاً ومن محمود بك عزمى الذى كان موظفاً بقولة



محمد عبد الحالى مذكور باشا



الميرالاي على اسماعيل بك

وعبد الحالى باشا مذكور سر تجار مصر ، وعلى باشا حلى عضو الدومين سابقاً . وجبريل بك من مشايخ العربان ، والاثنان الأولان كانا يجتمعان بالشيخ الطيب السنوسى فى منزله بالسيدة زينب (وكنت أنا علمت بمن حضر الى الآستانه من رجال المعية الذين وصلوا من مصر قبل دخول الدولة فى الحرب باجتماع الضابطين المذكورين بالشيخ الطيب وحلف اليمين لديه على العمل ضد الاحتلال بتدبير ثورة فى الداخل ومساعدة السنوسيين ضد الانجليز) ودخل فريد افندى فى هذه المحالفة وقر رأى على إرساله الى السنوسى بمهمة وقام من عزبة جبريل بك فى كفر الدوار ومعه أحد البدو مزوداً بخطاب من اسماعيل افندى حسن الى نورى باشا ؛ فلما قابل السنوسى وعلم منه أن قوة السنوسيين والأتراك غير كافية للهجوم على مصر ضد ٦٠ ألفاً من الانجليز بعث الى اسماعيل حسن خطاباً يحذر المصريين فيه من سوء العاقبة ، إذ اتتمدوا على قوة السنوسيين فى إحداث ثورة بمصر ؛ فلما وصل هذا الخطاب الى جبريل بك رده الى نورى باشا فتغيظ من فريد افندى وظن أنه جاسوس انجليزى وليس موفداً من قبل اسماعيل حسن ، وحبسه مدة حتى أرسل

يستعلم من مصر عن الحقيقة ، فورد الخبر بأنه ليس جاسوساً ؛ وعند ذلك أخرجه من السجن ، وعاتبه قائلاً : «ولو أن قوتنا ليست كافية حقيقة ، إلا أنه ما كان ينبغي أن تخبر المصريين بها ، لئلا تضعف عزيمتهم ، وتقل شجاعتهم ، وتنحل عرى رابطتهم». وبعد ذلك اشترك مع نوري في جملة أعمال ، حتى وثق به جداً وأحضره معه للاستانة ومن كلام فريد افندى لى علمت أن طرابلس منقسمة الى جملة مناطق فمنها منطقة نفوذ السيد احمد الشريف وهو مياي (على قوله) الى الانجليز باطنياً والى العثمانيين ظاهراً ؛ ومنطقة نفوذ السيد الادريسي وهو مياي الى الايطاليين وموال للسيد احمد الشريف في الباطن ؛ ومنطقة نفوذ رمضان السواحي وهو من الأتراك ؛ ومحل وجود نوري ميناء مصراطة التي تأتي اليها الغواصات ؛ ولو أن شقيق أنور يعلم بموالاة الشريف للانجليز إلا أنه (على رواية فريد) لا يجاهر بذلك لكي لا يحمله على الانضمام علناً لأعداء الدولة ، فتسقط حجة الأتراك في أمر الجهاد الديني الذي أعلنه الخليفة ، ولم يعمل به أحد ، غير السنوسيين في الظاهر . والدولة ترسل النقود والهدايا الى السيد احمد الشريف ، وآخر هدية كانت منذ شهر حيث أعطته ٥٠ ألف جنيه ذهباً . ومثلها ورقاً . وكذلك علمت أن سر الاتفاق بين الشريف والادريسي هو أنه إذا انتصر الأتراك يشفع الأول للثاني ، وإذا انتصر الانجليز يشفع الثاني للأول ؛ وأن الواقعة التي نشبت بين السنوسيين في سيوه ، وبين الانجليز هي مظاهرة فقط ليظهر الشريف للأتراك أنه ذهب لمقاتلة أعدائهم ولكنه اضطر الى التقهر أمام قوتهم فيثبت بذلك ولاءه للأتراك . والحقيقة أن هذه الواقعة وبالآخرى المظاهرة تم تدبيرها بين الانجليز والشريف بحيث لم يقتل ولم يؤسر من رجال الأخير أحد ، وأن فريد افندى حاضراً ، كما أنه كان موجوداً في الواحات الداخلة مع الشريف ، عندما طرد الانجليز السنوسيين منها .

ولما علمت بأهمية معلوماته طلبت اليه أن يرجع الى بيك يوم الخميس القادم

٢٤ يناير .

وفي هذا اليوم قدم الحديو وتباحثنا نحن الثلاثة في جلستين وأمر سموه أن يكتب فريد افندى تقريراً مفصلاً بجميع الحوادث في مصر وفي طرابلس وأمرني أن أذهب الى أحد رجال قلم الاستخبارات الألمانية ، لأعرفه بوجود فريد افندى وبأهمية معلوماته لابلاغها لقلم المخابرات الألمانية فتوجهت يوم ٢٥ برفعة احمد بك فريد اليه ، وعرفته بملخص ماسمعه من فريد افندى وبأنني سبق أن اشتغلت بأمر

الخديو مع البارون أوينهايم في تحضير عمل يقوم به المصريون ضد الانجليز في مصر من جهة حدود طرابلس الغرب ، وإرسال أسلحة وديناميت وأشخاص مصريين كانوا يتعلمون في المدرعة « جوبن » صنع قنابل الديناميت . ولكن بكل أسف أن أنور باشا قال : « إن هذا من شأن الحرية » فلم تتمكن من تنفيذ مشروعنا . فقال رجل الاستخبارات ان الأتراك وحدهم لا يمكنهم عمل شيء ، ولكن نحن الألمان بواسطة غواصاتنا ، يمكننا نقل ما يلزم من الأدوات والأسلحة والنقود وإرسالها الى داخل مصر لتمكين المصريين من الانتفاض على المحتلين فتعلم الدنيا بأجمعها أنهم لا يرغبون فيهم ، بل يريدون الاستقلال ؛ وبذلك يدحضون ادعاء الانجليز والثورة تساعد مندوبي الدولة وحلفائها على طلب إخلاء مصر ، وعلى كل حال أنه قد عرف من كلامي أن الخديو له رجال يعملون في مصر ضد الاحتلال ، وأن نفوذه موجود فيها .

وفي يوم ٢٦ منه حضر الألماني ، واختلى بالخديو مدة ساعة ونصف ، وبعدها قابلت سموه وقلت : أن من صالح أفندينا إرسال أحد رجاله الى طرابلس ليكون واسطة اتصال بيننا وبين رجالنا في مصر ويدرس الحالة في طرابلس من جهة إمكان عمل شيء . بالاتفاق مع الألمان والأتراك وبهذه الطريقة يعلم محالفونا أن نفوذنا لم يزل باقياً . ويقدرّون قيمتنا حق قدرها . وقد راقه هذا الاقتراح ، إلا أنه لم يجد أمام نظره إلا مأمون أفندي نجيب فقلت . « إنه شاب طائش لا يعتمد عليه » فأبدى عدم اعتماده على عبد الله أفندي البشري ، حيث لا يثق باخلاصه الثقة المطلوبة ، ولا بمحمد بك فريد لأنه قوال وليس بالفعال ، وقال عن احمد بك فريد إنه يخشى ألا يكون حسن التصرف . فقلت : « يا أفندينا اذا سمحت فاني أذهب بنفسى ، وأضحى بحياتي لصالح بلدى » قال « نعم يا شفيق أنت لست كغيرك ، فان إخلاصك ثابت ، ولكن عندما يبحثون عنك ولا يجدونك هنا ولا في أوروبا والانجليز لهم جواسيس في كل محل ، يعلمون بوجودك في طرابلس »

وقد ظهر لى من ذلك أنه لا يريد إرسال أحد المستخدمين ولا الضباط المعلومين للانجليز خشية الانتقام منه ، لأنهم يعلمون وقتها أنه هو الذى أرسل هذا الشخص الى طرابلس ؛ وهو يرجع احمد بك فريد على الآخرين لأنه غير معلوم عند الانجليز انتسابه للخديو مثلنا .

وفي ٢٧ منه بناء على أمر الخديو توجه احمد فريد بك ، مع احمد فريد أفندي

الى رجل الاستخبارات الالماني فشرح له الأخير الحالة في طرابلس الغرب وسياسة السيد احمد الشريف والادريسي والسواحي ، فكان من رأيه التوفيق بين الشريف والسواحي حتى يتيسر جمع جيش عظيم ليقوم بعمل مفيد ، وفي حالة تعذر التوفيق تستدعي الحكومة العثمانية الشريف الى الأستانة وفي غيابه تنضم القبائل التي تحت نفوذه الى قبائل السواحي وتسير الحملة على مصر لأن رؤساء قبائل الشريف على رواية فريد أفندي يعلمون بنياته الخفية ، وغير راضين عنه إلا أنهم ملتفون حوله للمنفعة التي تأتيهم منه .

فأفهمت احمد فريد بك عند رجوعه من هذه المهمة باقتراحى إرسال أحد رجال الخديو لطرابلس للمخابرة مع رجالنا في مصر وبأنتى قدمت نفسى لهذه الخدمة . فأجبنى بأنه هو أيضاً فكر فى أن يذهب للعمل هناك .

وقد عرضت على الخديو هذه المعلومات فلم يوافق على اقتراح الالماني لأن السنوسى لا يقبل السفر .

مندوب عثمانى في طرابلس للاصلاح بين زعمائها : وفي ٣١ يناير حضر إلى بيك يوسف شتوان بك رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية فى الأستانة وقابل الخديو : وأعلمه : بأنه سيسافر إلى برلين لمقابلة الصدر هناك ومنها يتوجه إلى بنى غازى فى مهمة لأن الأحوال فى طرابلس ليست على ما يرام وقد أرسل الخديو أحمد فريد بك إلى الالماني ليعلمه بسفر شتوان بك لبرلين وبمهمته فى طرابلس ، ويسأل هل السفارة الألمانية تعلم ذلك ؟ ولما رجع أفهمنا أنه لا يعرف شيئاً عن هذا الموضوع فأمره الخديو بأن يعود إليه ويرجوه ألا يذيع سفر شتوان بك ، وألا يعلم أحداً بأن الخبر منقول عنا ، وقد عاد لنا فقال : إنه روى الخبر للسفير فاستغرب وقال : « كف تصرف تركيا وحدها دون ألمانيا ودون الخديو ؟ » وأرسل الخبر « بالشفرة » إلى دولته .

وأخيراً علمنا من فريد أفندي أن مهمة شتوان بك هى اصلاح ذات البين بين الشريف والسواحي ، وأنه أخذ معه هدايا فاخرة للزعيمين :

مشروع القيام بحركات حرية على حدود مصر الغربية : وفى يوم ٣ فبراير علمنا منه كذلك أن نورى باشا سيسافر إلى برلين ومعه محمود أفندي لبيب الضابط ، والأستاذ عبد الرحمن عزام ، المصريان ، ويطلب من ألمانيا ، الغواصة الكبيرة دوتش لاند ، للخدمة بين پولوا وطرابلس مع الغواصات الصغيرة التى تشغل الآن .

وذلك لنقل مهمات حرية استعدادا لاحداث ثورة في مصر ، حيث علم أن الانجليز أخذوا من المصريين جنوداً وموثناً أرسلوها إلى الجهة الغربية ، وكذلك أخذت فرنسا من تونس . ولذلك يرى نوري باشا مناوشة الفرنسيين على حدود تونس والانجليز على حدود مصر ، وإذا لم ينجح في كلتا الجهتين فهو على الأقل يضطر الدولتين لسحب جزء من جنودهما في الميدان الغربي .



الأستاذ عبد الرحمن عزام

الخديو يقترح احتلال سيوه : وفي يوم ٩ منه قابل الخديو سفير ألمانيا في السفارة واتحدث معه في في شؤون طرابلس ، وما يريد نوري باشا عمله ، ومهمة شتوان بك ثم أبدى أنه يفضل استبدال الأمير دومكنمبورج الألماني بالمندوب الألماني الموجود بطرابلس لأن الأمير يستطيع مع بعض المصريين تشكيل قوة مصرية بقيادة ضباط مصريين يمكنها بسهولة احتلال سيوه .

وقد ظهر لسموه أن السفير يجهل وجود مندوب ألماني في طرابلس ، وأنه يرى ألا ضرورة للقيام بحركات في هذه الجهة ، بل يكتفي فيها بالدفاع . وقد استنتج الخديو من ذلك أن الألمان لا يهتمون الآن بمصر فعاد متألماً .

ترقية الضباط المصريين بطرابلس : وفي يوم ١٦ علمت من الخايبو أن أنور باشا أمر بترقية جميع الضباط المصريين بالجيش التركي بطرابلس إلى رتب أعلى من رتبهم ، وصرف جميع مرتباتهم حسب الترقية الأخيرة ، وأمرني سموه بمقابلة أنور وشكره على ما فعل . وبعد ذلك أهمل المشروع الذي كان يهم به الخديو .

بين الخديو ورجال الحزب الوطني :

عباس يقرب الشيخ جاويش : بعد وصولنا من السويس إلى الآستانة كان الشيخ عبد العزيز جاويش قد حضر لسراى بيك مسلماً ، ولكن الخديو لم

يهتم به ، نظرأما كان يعلبه عنه من العمل ضده والاتباء للصدر سعيد حليم ، ولكن



الشيخ عبد العزيز جاويش

توترت العلاقات أخيراً بين الخديو ومحمد بك فريد ، فرأى أن يقرب إليه الشيخ جاويش ، فأوعز إلى أحد رجال الحاشية بأن يفهم أحمد بك صادق ، انه إذا أقنع الشيخ جاويش بالحضور إلى بيك ، فإن الخديو يسر منه . وبناء على هذا بذل صادق لك جهده في اقتناع الشيخ بالحضور إلى السراى ، وفى ٢ فبراير حضرا معا وقابلا الخديو طويلا ، وتحادثوا فى موضوعات كثيرة .

وقد علمت أن الشيخ أنحى على الأتراك فى حنرة الخديو قائلاً : « ان كبارهم يأمرن ، ولكن صغارهم يعرفون التنفيذ وإنه خدم الدولة كثيراً ولم ينل أية فائدة لشخصه ،

ثم ذكر بعد ذلك أنه عقد فى برلين مؤتمرأ من المصريين ، ودعا إليه محمد بك فريد رئيس الحزب وتصالحا ، وعملا معاً ؛ وأنه من وقت رجوع الخديو يرى أنه آن أوان العمل فى المسألة المصرية بأشرافه . فأجابه سموه بأنه مستعد للعمل .

وفى يوم ٥ فبراير توجهت بناء على الأمر لمنزل الشيخ لزيارته ، ولما لم أجده تركت له خبراً بدعوته لتناول الطعام غداً معى فى فندق بيرابالاس .

وقد حضر فى الميعاد فأخبرته بارتياح الخديو لزيارته ، والمعلومات التى أعطاها لسموه ، وأن الوقت لم يسمح ببحث الموضوعات التى عرضها ، ولهذا يدعوه الخديو لمقابلته .

مؤتمر الحزب فى برلين : وقد علمت منه تفصيلات عن المؤتمر الذى عقده فى برلين . وذلك أنه أرسل برقية لفريد بك رئيس الحزب ، فلما التقيا سلم عليه فريد سلاماً غير ودى ، فاتهن هذه القرصة وقال له : « إنه يريد أن يعلم سبب هذه الجفوة » فرد فريد : بأن السبب هو أنك لم تتبع خطة الحزب الوطنى . فقال له الشيخ : « وإتاك

تتهمنى فى مسألتين : الأولى . أنتى معضد لارتقاء البرنس سعيد على الأريكة المصرية ولكنك لايمكنك أن تقوم بأثبات ذلك ، ثم أقسم الشيخ بأنه لم يفتح البرنس مطلقاً فى مسألة كهذه ، وأن زيارته له فى بعض الأحيان هى لصلة قدمه بينهما ، وعرفنى الشيخ أنه فى مدة صدارة البرنس كان يسعى فى تعيين بعض المصريين فى إدارة الحكومة العثمانية ، وأشار إلى مصطفى باشا ماهر ، وأن عماد الدين كان قد كتب ترتيباً بأسماء المرشحين للمناصب فى الدولة . وقال الشيخ لفريد بك : « والمسألة الثانية أنك تدعى بأننى من المحبذين لضم مصر لتركيا كأنها ولاية من ولاياتها مع أنتى توجهت معك إلى طلعت باشا ، وسمعنا منه أنه لم يبحث فى إدخال تغيير على حالة مصر ، وأن ادارتها أحسن من ادارة الدولة ، فلا معنى لأن تتدخل فى شئوننا وفضلاً عن ذلك فأنى أنا المصرى الوحيد الذى حصل على كتابة بأن الدولة لاتتوى أن تغير شيئاً فى حالة مصر بل تردها إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال ، فشكرته على مسعاه الحميد . وأردت أن يفصح لى عن هذه الكتابة ، فقال : « إنه كتب لأحد رجائى الحكومة ، يستعلم عن نيتها نحو مصر ، فأجابه بما سبق التنويه عنه ، وأضاف على كلامه مليفيد أنها ليست كتابة رسمية .

ومن كلام الشيخ : أنه عندما ذهب فى المرة الأخيرة إلى برلين رجاء اثنان من النظار العثمانيين ألا يحمل على فريد .

وقد تخلص من هذا الكلام بأنه دعا فريد بك إلى الأعراض عن الوشايات ، وأن يشتغل المصريون جميعاً على خطة واحدة ، ثم أظهر التذمر من بعض أفعاله ، وأن الشبان تركوه ، والتفوا حوله هو فقلت : « إننى ألوم فريد بك على مسألتين : الأولى الحقد ، والثانية الاهتمام بالشخصيات أكثر من العموميات ، وضربت له مثلاً بما جرى بينه وبين الخديو من التنافس والشقاق ، ثم قلت : « ولكن لما رجع سموه إلى الأستانة كان يجب عليه أن ينسى الحقد والشخصيات ، ولا يتكلم فيما فات ولكنه مع الأسف الشديد كتب فى مجموعة الحزب الوطنى التى يصدرها فى استكهولم ، أن دخول الخديو فى مسألة بولو باشا التى هى فى صالح الألمان ، يبعد الحزب الوطنى عن سموه . »

فقال : إنه لم يطلع على ما كتبه فريد فى هذا الشأن ، لأنه بالفرنسية وعابه قائلاً : « إن جميع الملوك لهم هفوات ، وهفوات الخديو أقل من أمثاله ، والحزب

الوطني لم ينتقد سموه في جريدته من أجل الشخصيات بل العموميات .

قلت : « إن جنابه العالی لم یخل من الغلط والمؤاخذة ، إنما أقدر أن أقول : إنه في مدة ولايته وهي ٢٢ سنة ، ما كان يوماً يعمل ضد صالح الوطن ، فاذا قيل : إنه كان في مدة غورسنت سائراً على وفاق مع الإنجليز ، أجيب على ذلك بأنه كان يسعى في هذا الوقت إلى توسيع امتيازات مجلس شوری القوانين ، وعلى كل حال إن اختياره الإقامة في الاستانة بجانب الخلافة رغم تهديد الإنجليز ، وإضاعته لعرشه ، كل هذا كاف لنسيان مافات ، فوافق وقال : « انه قد أزف الوقت ، فما عندنا إلا فترة من الآن إلى أكتوبر الآتی الذي أرى أن یتم فيه الصلح ، فيجب علينا أن نستعد أثناء هذه الفترة للعمل » قلت : « إن الخديو ، عند ما قرأ في جرائد الاستانة أن مؤتمر البلاد الإسلامية في شرق أفريقيا قرر استقلال مصر والجزائر وتونس ومراكش أرسلني سموه إلى الصدر لأقول : « إنه لا يعلم شيئاً عن هذا المؤتمر . »

فطلعت باشا أجباني بصراحته المعلومة أن الحكومة السنية هي التي أوفدت المندوبين من مصريين وهنود إلى استكهولم لهذه الغاية ، فقال الشيخ : « نعم هذا هو برنامج الصدر ، وأخبرني أنه وجد مرة في القطار بألمانيا مع الجنرال زكي باشا ، الذي كان قائداً على حملة مصر قبل جمال باشا والآن هو المندوب العسكري في مؤتمر الصلح واستطرد الكلام إلى مسألة مصر واستقلالها ، فقال الجنرال : « إن القطر المصري لما كان مستقلاً أفاد الدولة العثمانية في حروب عدة غفیر لنا نحن الأتراك أن نراه مستقلاً ، قلت : « ولكن بكل أسف لانرى حراً كالألمان نحو مسائلتنا مع أنهم ما كانوا لیستمروا في هذه الحرب لو اعتنوا بالحملة المصرية وضربوا الإنجليز في مصر فكانت إنجلترا تخضع للصلح من زمن مديد » قال : « قلت أنا ذلك في وقتها فبدلاً من إرسال الجيوش الجرارة إلى القفقاس وفي كل الجهات كان الأولى العناية بالحملة المصرية لكن المسؤولية في ذلك على قيصر ألمانيا وولى عهده فأنهما من المتسبين في تأخير الحملة لدواع حرية كان یقتضيها الدفاع عن النمسا وبروسيا الشمالية ،

قلت : « على كل حال ينبغي علينا نحن المصريين أن نهتم بشئوننا » . قال : « ولذلك سأسافر لألمانيا بعد أسبوعين أو ثلاثة » فقلت : « عليك أيها الأستاذ أن توحد كلمة المصريين » ثم أخبرته بعزمي على السفر أنا أيضاً إلى سويسرة . فقال : « يا حبذا لو سافرت معك لأنني أرغب أن أقضي بضعة أيام بها » قلت : « يكون هذا من حظي

وهناك نبذل جهدنا في اجتذاب المصريين إلى الوحدة حتى نكون كتلة واحدة خصوصاً وأن من بينهم بعض العقلاء الذين هم بكل أسف مشتتون في آرائهم السياسية فلو أرشدناهم إلى الطريق المستقيم فذلك خير ، لأن الألمان يزعمون أننا كمية مهمة أولاً : لأن المصريين في مصر لا يجركون سياكنا ولا يشورون على الحكومة المحلية مع أنهم معذورون حيث لا توجد أسلحة بين أيديهم وليس لهم سند يركنون إليه وثانياً : لأنهم ينظرون إلى انقسامنا فيضحكون منا ، فقال : « لو سافرنا نبذل جهدنا فيما هو لازم ، ثم أثنى على فؤاد بك سليم قائلاً : « إنه اشتغل جيداً في المدة الأخيرة » . ثم قال : « أما ما يدعيه الألمان من أن المصريين لم يصنعوا شيئاً في هذه الحروب فأثنى في خطبة ألقيتها في برلين باللغة الإنجليزية وترجمتها إلى العربية ستصدر في العالم الإسلامي ، أظهرت الخدمات الجليلة التي قام بها أبناء النيل حتى في وقت ضغط الانجليز عليهم فأنتهم أبوا الدخول في الحرب ، مع أنه كان يمكن تجنيد مليون عسكري منهم »

وفي أثناء تناول الطعام مر علينا جمال باشا فسلم على الشيخ : ولما خرج من غرفة المائدة وقف أمام مائدتنا ، وكلمه بالعربية بأنه إذا أراد مقابلته فيكون ذلك في النظارة بعد الظهر .

ولما عدت ورويت للخدوي حديثي مع الشيخ جاويش قال : « ربما يكون طلعت باشا الصدر هو الذي أوحى له بالتقرب منا » .

وفي صباح ١١ قابل الخديو الشيخ جاويش فدعاه لتناول الغداء معنا . وقد أخبرني الخديو عما يظنه من أسباب ميل الشيخ عبد العزيز لجانبه في الأيام الأخيرة . وأن غرضه من ذلك هو أن يجعل لنفسه شيئاً ، وأنه عرض على سموه فكرة جمع المصريين في برلين المنقسمين أحزاباً وشيعاً وتوحيدهم جميعاً ، وبهذا تكون له الكلمة العليا عليهم وعلى فريد بك أيضاً ، وطلب من سموه الموافقة على هذه الفكرة حتى يجمع المصريين المقيمين بالاستانة أولاً ويخبرهم بأنه متفق مع جنابه على هذا العمل ، وأن سموه قد وافق على طلبه ، وأخيراً طلب من الخديو ألا تكون بينه وبينه واسطة بل يتلقى الأوامر هو رأساً .

وكذلك حادثة الخديو في مخاوفه من إهمال الألمان للمسألة المصرية واعتبارهم إياها مسألة تركية بحجة ، فأجاب الشيخ بأن هذا هو الواقع ، فتحقق سموه ما كان يظنه من قبل ويتخوفه من هذا القليل .

الشقاق بين زعماء الحزب الوطني : وفي يوم ١٤ أخبرني الخديو أن الشيخ جاويش بعد أن اجتمع بسموه في المرة الأخيرة جمع المصريين المقيمين بالأسكندرية وكان واقفاً مع أحمد بك صادق لإيهامهم أنه يعمل بروضى الخديو ، لأن صادق بك رجل سموه ، وأخبرهم أنه اتفق معه على تشكيل هبات تمثل الأحزاب في مصر ، وأنه هو سيتكلم بالثيابة عن جميع هذه الأحزاب للدفاع عن صالح البلاد ، فأنبرى له أحد الحاضرين وواجهه بأنه إنما يقصد من ذلك مناوأة محمد بك فريد والظهور عليه ، وامتنعوا عن مرافقته قائلين : « إنهم لا يظنون أن الخديو يوافق على هذا البرنامج . . . »

قال بسموه : « والشيخ لم يحسن السياسة لأنه اشتبك مع الدكتور أحمد فؤاد فوقع بينهما جدال شديد » .

وقد كنت أعلم أن عباساً يسره وقوع هذا الشقاق بين رجال الحزب الوطني فعندما أخبرني بذلك قلت : « هاهي ذى نفحات سياستك ظهرت ، فأنت الآن أوقعت الشقاق بين جاويش وفريد وفؤاد ، فأظهر سروره ، وضحك كثيراً ، وربت على كتفي مرات . ثم أخبرني كذلك أن الشقاق قد وقع بين المصريين المقيمين هنا وبين أحمد بك صادق ، لأنه كان معضداً لسياسة الشيخ جاويش ، وأراد إفهامهم أن الخديو موافق على هذه السياسة ، لينفضوا من حول فريد فحنقوا عليه لذلك .

غضب الخديو على الشيخ جاويش : وقد ظلت العلاقات حسنة بين الخديو والشيخ جاويش ، حتى علم بسموه يوم أول إبريل أنه ذهب مع شكيب أرسلان إلى البرنس سعيد حليم ، وطلباً منه أن ينتهز أول فرصة ، ويستوضح الحكومة في مجلس الأعيان عن سياستها نحو احتلال الانجليز لمصر .

وقد أخبرنا الخديو بما علمه وهو متحد ، قائلاً : « كيف يطلب هؤلاء الناس من سعيد حليم ذلك ، مع إظهارهم لنا الإخلاص والولاء ؟ ولا يزال إذن حزب الصدر موجوداً يعمل لصالحه ضدنا » .

ومن هذا الوقت غضب الخديو على الشيخ جاويش وانقطعت العلاقات بينهما كما ذكره بولو وأعداده : في يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩١٧ تقرر أن يكلف ثريا بك من قبل الخديو بأحضار يوسف صديق إلى الاسكندرية ، خوفاً من أنه بعد سفر عباس إليها يستدعى إلى باريس ، ليشهد على بولو باشا في القضية التي أقيمت عليه

ويفشى الأسرار التي يعرفها في مسألة المبالغ التي صرفت من ألمانيا .
وعلى ذكر هذه المسألة أقول : إننا قرأنا بعض ما كتب في الجرائد الفرنسية فقال عباس : « إن يوسف أفشى ما كان يعلمه من إرسال المبالغ من بنك درزدن إلى بنك زوربخ » ، فاقترح شديد أن يطلب سموه من مدير البنك بأن يرجع الشيكات إلى برلين ، أو يضعها في ظرف ، ويختتم عليه بالشمع الأحمر ، حتى لا يتسنى لأحد أن يلتقط صورها برشوة تعطى لمستخدم البنك . قال سموه : « ولا يعرف أحد كيف تصرفنا أنا في هذه المبالغ لأنها سلمت من يدي لأيدي آخرين مباشرة فالمعلومات المنشورة في الجرائد مأخوذة من تقرير يوسف باشا الذي يحتوى ١٨ صحيفة ، وقرأه على الشمسى بك ، والخوف من أنه بعد سفرنا إلى الأستانة يأخذونه لفرنسا ، ويواجهونه بموسيو بولو ، ليصلوا إلى اعترافات منه تجرحنا لأنه إلى الآن لم يقل شيئاً ضدنا ، أما كافاليني فانه في أمان بأيطاليا ؛ وكانت السلطة العسكرية الفرنسية ستقبض عليه في الحدود ، ولكن الإيطاليين توسطوا له وهكذا تخلص ، وأظن أنه لا يمكن إكراهه على دخول فرنسا وأننى سبق أن أوصيته كثيراً ، وحذرتة من إفشاء السر فلا خوف علينا من جهته » .

قلت لسموه : « إنه من المحتمل أن المعلومات التي كتبتها الجرائد الفرنسية مأخوذة من الأوراق المضبوطة عند يكن باشا » ، فبنى ذلك لأن الأوراق ليس بها شيء مما نشر ..

فزع الخديو : وفي يوم ١٨ فبراير سنة ١٩١٨ قرأنا في الصحف أن بولو بعد محاكمته في فرنسا صدر الحكم عليه بالاعدام ، جزاء على المشروع الذي كان يهيم به ولما علم الخديو بالخبر اضطرب له ، وقال : « إنه ليس حكماً فرنسياً بل هو انجليزي » ، يعنى أن الانجليز هم الذين هبوا أسبابه . ثم قال : « وبعد ذلك سيحاسبوننى أنا أيضاً على هذا العمل » ، ثم أبدى أسفه على أن الألمان الذين جذبوا هذه الفكرة ، قد تركونا ولم يهتموا بنا ، والأتراك من جهة أخرى لا يعلقون أهمية على هذه المسألة وأخيراً أمرنى بأن أقابل الدكتور بروفر مدير قلم الاستخبارات الألمانية بالاستانة وأطلب منه أن ينوب عن سموه في مقابلة سفير ألمانيا ، ورجائه بأن يطلب من برلين إرسال كل مايكتب في الجرائد الفرنسية والانجليزية في مسألة بولو ، ولا سيما مايرد فيها عن الخديو . وكذلك أن يستقصى هل من الممكن الاستفهام بواسطة

برلين من مصر عما يدور في أفكار الانجليز من ناحية المسألة المذكورة ، لكي يكون على بصيرة بما سيقروونه في هذا الشأن ، لتدارك الخطر قبل وقوعه .
ولما قابلت بروفر وعد بعمل اللازم ، وأبدى لي رأيه في أن الانجليز لابد أن ينتقموا من الخديو في مصر .

ثم أمر عباس بجمع كل ما حصل من يوسف صديق من أول مخبراته مع الألمان بالاستانة ، للاتفاق بين سموه من جهة وبينهم وبين الأتراك من جهة أخرى ، واقتراحاته عن أعمال بولو وكافاليني في مسألة الدعاية ، ومخبراته مع ناظر خارجية ألمانيا . . . الخ .

وقد قال : « إن بولو مظلوم ، والذي كان يجب شنته هو يوسف صديق أصل كل المصائب » ، ثم قال : « وبما أن احمد بك صادق عدو يوسف ، ويعلم عنه أموراً فساداً حرضه على وضع تقرير بما يعلمه عنه ، وكذلك عبدالله البشري فإنه يحيط ببعضها ، ويكتب تقريراً آخر لاستخدامهما إذا لزم الحال » .

تشهير الفرنسيين بولو : وقد نشرت في باريس ثلاث رسائل تضمنت معلومات تفصيلية عن شخصية بولو وأعماله ومحاكمته ، وتنفيذ الحكم عليه ، وبما ورد فيها : أنه وصلت أخبار للحكومة الفرنسية عن مشروع بولو ففتح تحقيق في باريس ولكن لم يقبض عليه لعدم توفر الأدلة ضده . وفي أوائل سنة ١٩١٦ علمت بدخول عشرة ملايين فرنك باسم بولو إلى أمريكا ، فزادت شبهتها فيه ، ولما دخلت أمريكا الحرب سنة ١٩١٧ أرسلت إليها لجنة تحقيق ، وبعدها قبض على بولو . وتنقسم أعماله إلى قسمين :

١ — في سويسرا : في فبراير سنة ١٩١٥ حصلت مقابلة في جنيف بين بولو وصديق باشا ، عرض الأول في أثناءها على الثاني مشروعاً مهماً لفصل فرنسا عن إنجلترا في عقد صلح على انفراد مع المتحالفين ، وشراء بعض الجرائد الفرنسية للترويج لهذه السياسة :

واختار بولو من بين هذه الجرائد الطان والجورنال والرائيل . . .
وحدثت بعد ذلك مقابلة أهم من الأولى في زوريخ ، بين بولو والخديو ، ومدام لوزانج ، ويوسف وكفاليني . وقد استحسن الخديو مشروع بولو وعرضه على موسيو سميرين النائب المجري ، وكذلك على الكونت مونتس سفير ألمانيا

في روما سابقاً . وهذا الأخير وافق عليه ، ووعد بالكتابة إلى فون ياجو وزير الخارجية الألمانية . وقد سافر يوسف لمقابلة الوزير الذي قبل المشروع وخصص لتنفيذه عشرة ملايين من الفرنكات على أن يدفع مليونان ونصف مليون في كل من الشهرين الأول والثاني ، وبعد ذلك يدفع مليون كل شهر .

وأن الخديو ويوسف وكفاليني قبضوا المبلغ ، ولم يوفق بولو إلا لشراء بعض أسهم الراييل بمبلغ ١٧٠ ألف فرنك .

ولما جاء موعد دفع القسط الثاني أراد هؤلاء الثلاثة إبعاد بولو من توزيع هذا القسط كما سبق ، وأن يختصوا هم بالعمل دونه ؛ وعهد إلى كافاليني بشراء أسهم الجرائد ، فلم يفلح .

ولما أخفق الخديو في محاولة شراء الجرائد طالبته ألمانيا بدفع ما بقي عنده من القسط الثاني ، وهو ٨٣٥٠٠٠ مارك . وكان مترددا في دفعه بنصيحة لوزانج إلا أنه في آخر الأمر أعطى شيكا بهذا المبلغ لمسيو بادل مندوب وزارة الخارجية الألمانية .

٢ — في أمريكا : وقد أراد بولو أن ينفذ مشروعاً خاصاً به ، ولذلك تخابر مع مسيو هومبرت النائب ومدير جريدة « الجورنال » ، واتفق معه على مشتري ١٣٨٠ سهماً بمبلغ ٥٠٠ و ٥٠٠ و ٢ فرنك تدفع بعد الحرب ، فذهب إلى أمريكا ومعه العقد المبرم بينه وبين موسيو هومبرت ، وبواسطة موسيو بافينستيد الموظف في بنك « جيرمانو أميركانو » تمكن من عرض مشروعه على الكونت بيرنتورف سفير ألمانيا في واشنطن ، وطلب منه لتنفيذ مشروعه عشرة ملايين من الفرنكات فالتحق بيرنتورف ، وأرسل برقية إلى فون ياجو بذلك ، فجاء الرد بالقبول ، وأرسل المبلغ على جملة مصارف في نيويورك .

وقد اشتبهت السلطة الفرنسية في المبالغ التي وردت باسمه إلى أمريكا ؛ ولكنها لم تجد الأدلة كافية . وعند دخول أمريكا الحرب أسرعت بإرسال لجنة تحقيق إليها ؛ وعندئذ قبض على بولو الذي أنكر أن هذه المبالغ وردت في ألمانيا ؛ وادعى أنها من نقوده الخاصة وكانت مودعة في أنفيس

شهادة يوسف صديق تسبب إعدام بولو : ولكن ثبت من التحقيق غير ذلك وكان من الأدلة التي اتخذت ضده معلومات حصل عليها مراسل جريدة الماتان من يوسف صديق باشا . وقد كانت هذه المعلومات سبباً في إعدامه

مهمة للسويسرة كلها مناعب وآلوم : بعد ما عدت مع الخديو إلى الاستانة ،
وانتهيت من ترتيب ما يلزمه من المخصصات والرواتب للعاشية والمراى ، وانتهيت
كذلك من حفلة عيد جلوسه على ما يرام ، واستقرت معظم المسائل التى تشغل
باله ، استأذنت فى السفر إلى سويسرة للاستشفاء ، ولاستصعاب أسرتى والعودة
بها إلى الاستانة : وقد اجتهدت فى استخراج جواز سفر سياسى لأضمن عدم
تفتيش أمتعتى ، وقابلت الصدر لهذا الغرض فأمر بتسهيل طلبى

أوامر بخصوص عبد المنعم : وقد كان معى من التعليمات التى أخذتها من
الخديو عند سفرى فيما يخص بالبرنس عبد المنعم . ألا أهم بشئ عنه ، ولكن لما
وصلت إلى سويسرة أرسل دولته يطلب مقابلتى ، فأجبت رسوله رشيد بك بأن
الأصوب ارجاء المقابلة حتى لا يسمى الانجليز الظن به وى ، وربما فهموا أننى
قدمت لاستمالة إلى والده ، ولما بلغه ذلك اقتنع ، ولكنه تأثر وقال : « انه يحبنى
ويقدرنى وأنه كان يريد أن يسألنى عن أخوانه ، فأبلغت رسوله أخبارهن

بريد الخديو وطبيب خاص له : وكنت قبل سفرى وعدت الخديو أن أنفق
مع قنصل جنرال الدولة فى جنيف على إيصال البريد الخديوى للاستانة ، وقد تم
ذلك ، وصارت الرسائل تصل له وترد منه فى مدة قصيرة

وكذلك كان سموه قد اختار طبيب أسنان من السويسرة ، ولكن سفره تعطل
من ناحية الحكومة السويسرية ، فتوسطت لديها حتى صدر إذنهما للدكتور بالسفر
وقد جاءتنى رسالة من البشرى بشكر الخديو على إنهاء هاتين المسألتين

الاستعداد للعودة إلى الاستانة : أخذت فى إعداد معدائى للسفر من سويسرة
أنا وعائلتى ، فاستدعيت نجاراً يرتب الأثاث فى صناديق كبيرة ثم ذهبنا إلى بادن
للاستحمام علاجاً للروماتيزم الذى كان يتأبى

أمانة السويسريين : وهناك جاءتنى رسالة من النجار بأنه وجد فى أحد الصناديق
خاتم زواج من الذهب ، مكتوباً عليه اسم « عزيزة شفيق » سلبه له صبيه ، وهو
يرسله لنا : فأعجبت بأمانة الصبي والنجار وأرسلت له رسالة شكر ومعها مكافأة
وعلى ذكر هذه الأمانة أذكر أننى كنت يوماً مع حرمى تؤدى بعض الزيارات

في جنيف ، فافتقدت ساعتيها ، وبها جديلة ذهبية ودبوس ، فأعلمنا عن ذلك ولم تمض ثلاثة أيام حتى جاءت سيدة فقيرة ، وسلمت لنا الأمانة الضائعة بعد التأكد من أنها لنا وكذلك في مرة أخرى كنت ذاهباً إلى لوزان ، ومعنى حقيية ومظلة وأنا أسرخ لادراك القطار المتسلق لزيارة فؤاد علوى (ابن الدكتور علوى) المريض بالسل في مصحة فوق لوزان . ولشدة العجالة وضعت المظلة على شرفة فندق ونسيتها ، وبعد عودتي بأيام جاءتني المظلة ، وكان منصور القاضي قد أعلن عن ضياعها ، وعلمت أن أحد المارة رآها فسلمها لمكتب الشرطة الذي علم أنها لي فأرسلها مع جندى

السفر : في يوم ١٧ مايو سافرت من جنيف ومعى أسرتى وأسرة عبد الحميد شديد بك فأمضينا ليلة في بوكس ، ومنها إلى فلدكرش ، وعند قيامنا منها لم يستحضر الحمال كل أمتعتنا ونسى ثلاث حقائب ، ولم نعرف ذلك إلا بعد قيام القطار فاضطررنا إلى النزول في بلودنس ومنها عدت إلى فلدكرش ، واستحضرت الحقائب ، وفي يوم ١٨ منه قمنا إلى أنسبروك فوصلنا إليها قبل الساعة السابعة مساءً

وكنتم قد حجزت مقاعد لنا في القطار السريع الذى يقوم بعد وصولنا إلى أنسبروك بيبضع دقائق

ضياع حقيية بها حلى ونقود : وقد تعبنا لأن أمتعتنا كانت كثيرة يضاف إليها الأطفال . ولما قام بنا القطار لاحظنا أن الحقيية التى بها حلى حرمى والنقود الذهبية تركت في أنسبروك فأخطرنا الكمسارى الذى نبه بالتليفون عند أول محطة للبحث عنها ، وجاء الرد من المحطة التى نسيتم فيها بأنها سترسل عند وجودها بقطار الصباح إلى فينا ولكنها لم تحضر

انتظار عباس بالقطار في بودابست : ووصلنا الى فينا صباح ١٩ منه ، وأمضينا الليلة ، وفي ٢٠ وصلنا الى بودابست بناء على أمر الخديو — وكان في أثناء غيابه قد دعاه امبراطور ألمانيا لمقابله بقصد زيارة خطوط النار ؛ وقد أتم هذه الزيارة ، وفكر في العودة ، فأبرق لمقابلتى — وقد نزانا بفندق هونجاريا ، وعلمنا أن الغرف بحجوزة لسموه وحاشيته ، وتأخر حضوره جملة أيام ثم وردتني برقية أخرى لمقابله بمفردى في المحطة . ولما وصل القطار قابلته وكان في صالون ، وطلعت باشا في آخر ، وأحد أولاد السلطان عبد الحميد في ثالث ، فسألته عن الحالة السياسية ، فأجابنى :

« المسألة لأجلنا بطلاة ، وكان الكدر بادياً على وجهه . وقال : إنه طلب إضافة مركبة نوم لأخذ عائلتي وعائلة شديد ، ولكنهم قالوا في برلين أنه لا توجد مركبات خالية .

عودة الى الحقيقة الضائعة : وبعد ذلك رجعت الى انسبروك ، فعلبت أن الحقيقة الضائعة قد سلها الخمال لأحد مستخدمي المحطة ، وهذا ادعى أن أحد الأتراك حضر بعد قيام قطارنا ، وذكر أنه مرسل من قبلي لأخذ الحقيقة ؛ ولكن لم يعرف اسمه ، ولم ير جوازه ، ولم يكتب محضر جرد وتسلم لتوقيع المتسلم عليه ولم يثبت أنه سلها له أمام شخص ثالث ؛ فذهبت الى قاضي التحقيق ، الذي فتح « محضراً » دون فيه معلوماتي وملاحظاتى على تصرف الموظف ، وقد اتهمته باخفاء الحقيقة .

الرجوع الى بودابست وهذنة البلغار : ثم عدت الى بودابست بعد أن سلبت الأوراق لأحد المحامين فى فينا ؛ وتركت عبد الحميد شديد وعائلته انتظاراً لقطار آخر لعدم وجود أما كن كافية لنا جميعاً . ولكن علمنا فى نيش أن البلغار سلبت للحلفاء ، وأن الطريق قطعت ؛ وقد أثار هذا الخبر هياجاً عظيماً بين المسافرين ، وكان الزحام والحيرة فى هذه الليلة كأنها فى ليلة الحشر .

وقد نزلنا فى خان قدر ، ذقنا فيه الأمرين ولم يكن به غير سريرين ، مع أننا كنا خمسة .

وفى الصباح حاولنا السفر الى بلغراد ، ولكننا لم نجد أما كن فى القطار لشدة الازدحام ، لولا رافة جماعة من البحارة والجنود الألمان فى « جون » الوابور الحربى الألمانى بالآستانة ، فانهم قبلونا معهم فى غرفة بالدرجة الثالثة ، وقد كنا عشرة مع امتعتنا . وساعدونا كذلك فى بلغراد على نقل الأمتعة وإيجاد غرفة فى خان بها أربعة أسرة وأنظف قليلاً من التى فى نيش .

متاعب ومرض وآلام : وكان من جراء هذا الاجهاد أن أصابتنا جميعاً الحمى الوافدة ؛ واشتدت وطأتها على حرمى ، عدا ما أصابها من الضعف .

وبعد ذلك عدنا الى بودابست ، وكانت حالتنا الصحية سيئة ، ولا سيما حرمى ، فان المرض أثر فيها كثيراً ، بحيث لم تتمكن من النزول على سلم الخان إلا زحفاً .

وأقنا فى « بنسيون » أسبوعاً بكل رجاء ، لأن صاحبه كادت تخرجنا لما عاينته من مرضنا ، وحضور الأطباء لمعالجة حرمى ، وتوقعهم وفاتها .

وتوجهت بعدها الى فندق آخر وحجزنا غرفتين بهما أربعة أسرة . وهذا الفندق الجديد في غاية النظافة ، وبه حديقة غناء ، وحمامات من أحسن ما رأيت والابهاء جميلة الأثاث ، ومديره طيب .

وقدار تاحث حرمي وتعافى نوعاً بعد أسبوعين إلا أن كريمي أصيبت بالدفتريا فأمر طبيب الفندق بارسالها الى مستشفى الخيمات ، ورافقها والدتها ليلاً ، وكانت حالتها مزعجة .

وبعد أيام خرجت حرمي من المستشفى بعد أن اطمأنت على صحة كريمي ، ثم أصيبت في اليوم الذي خرجت فيه باضطراب معوى شديد

وقد تركنا هذا الفندق إلى فندق آخر في مرجريت من جزاء . وقوع انقلاب في حكومة بودابست الى النظام البلشفي ، واحتلال المهتمين للبلشفية لهذا الفندق . وكان رئيس الحكومة يسمى « بلا كون » ، وقد استولى البلاشفة على سوق الأغذية ؛ وخصصوا بعض المحال لهم ، وعليها شارات حمراء ، وبعضها لغيرهم . ونظراً لأن الطبيب أمر بأن تتناول حرمي أطعمة جيدة كنت أذهب الى السوق قبل الفجر للحصول عليها ؛ وكان المشترون يقفون بترتيب حضورهم صفّاً طويلاً أمام الدكاكين ومع أنني كنت أبكر إلا أنني لم أكن أجد ما أطلب في بعض الأحيان . وكان هذا الاجهاد مما يثير أعصابي ، ويجعلني كثير التهيج ، حتى أنني لم أكن أطيع ضحك أولادي ولعبهم ؛ وأثر هذا في أعصابي تأثيراً سيئاً

ولما اعتدلت صحة حرمي عزمنا على السفر ، وتمكنت من سحب أموال ، وتقييد اسمي للسفر في القطار الصحي

وفي يوم ٧ يوليو سافرنا فوصلنا الى فينا بعد يومين ولم نعر على فندق نستريح به إلا بعد المرور على عدة فنادق مزدحمة فحمدنا الله على ذلك

وفي يوم ١١ يوليو قدمت نفسي للدكتور فوكس الرمدي ذي الشهرة العالمية وذكرته بأنه أوصى في سنة ١٩١٢ بضرورة إجراء عملية الماء في عيني اليمنى بعد خمس أو ست سنوات ، ففحصها وقرر أنها صالحة الآن للعملية ، واتفق معي على إجرائها في الغد ، وحجزت لذلك غرفة في المصححة

وفي الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم المحدد حضر الدكتور ، ومعه مساعده

وطبيب المصحة ، وطعاً نتي بعد فحص عيني للمرة الثانية بأن العملية مضمونة النجاح ؛
ثم ابتداء في وضع المخدر الموضعي وأتم العملية في مسافة قصيرة ، ثم ربط العينين ،
وتركني . وقد قضيت الليلة متألماً . ثم عاد لزيارتي في الصباح وقال : « إن الحالة
جيدة ، فشكوت له من الامساك ، فنصح لي بأخذ ماء معدني ، وأمر بالغذاء المناسب
ولكن الامساك ظل يزداد ، وأحبست بالتهاب في عيني ، لخل الطبيب البول
وفي هذه الأثناء حضر الدكتور كاوتسكي ، وعلمت منه انه وجد في البول واحداً
في الألف من السكر . ولما جاء الدكتور فوكس سألته عن سبب الالتهاب وما ينشأ
عنه ، فأجابني : ينشأ عنه « اكسوداسيون » فسألته : وهل ي تلف العين ؟ قال :
« بكل أسف نعم » فكان هذا الجواب ضربة شديدة علي نفسي

ثم بقيت بعد ذلك من يوم ١٦ إلى ٢٤ للتغير ، وغادرت حجرة المصحة الى
الفندق حيث تقيم عائلي

وبعد عشرة أيام قابلت الدكتور فوكس ، ومعى الدكتور كاوتسكي وطلبت
منه أن يدلني على ما يقوى نظر عيني اليسرى ، ففحصها ثم كتب ورقة لكاوتسكي
بنوع من النظارات يساعدني على القراءة والكتابة .

العودة إلى السويس : وقد سافرنا في ٢٣ أغسطس فوصلنا إلى فلداكرش
ومنها إلى بوكس ، ثم زورخ ، ونزلنا في فندق ناسيونال

وكانت حرمي قد شكت للدكتور كاوتسكي من آلام تعترها في معدتها ، فكشف
عليها بأشعة رنتجن ، وأخذ صورتين لها ، ثم أوصاني أن أعرضها على طبيب نمساوي
في زورخ فلما بلغناها ذهبنا للطبيب فأشار بعملية ، ولكنها رفضت ، وبقى الألم
يعاودها بعد ذلك .

ثم سافرنا إلى لوزان فقدمتها للبروفسور « رو » فقرر وجود حصاة
في المعدة تستدعي عملية . ولكنها بقيت تتردد في إجرائها حتى يوم ٢٥ نوفمبر
فاستشرنا « رو » للمرة الأخيرة فأصر على ضرورة العملية . وعلى ذلك رضيت بها
وحجزت لها حجرة بالعيادة من أول ديسمبر ، وفي اليوم التالي أجريت العملية ،
وبقيت في المستشفى إلى يوم ٢٤ ، حيث تقرر خروجها في ذلك اليوم معافاة ؛ فسررنا
وأعدنا المعدات لأقامة حفلة في الفندق بحضور الاولاد ، ولكن الله لم يكن قد
أراد انتهاء هذا المرض إذ ظهر أخيراً أنه لا بد من عملية أخرى يوم ١٣ يناير

سنة ١٩١٩ ومع ذلك قد خرجت معنا. وأقمنا الحفلة وقضينا فيها وقتاً كنا خلاله في فرح وسرور.

شؤنه مختلف :

أسرار عن الثورة العراقية : في ١٤ يناير . حضر اسماعيل باشا فاضل من رجال الحرية القدماء ، وكان مرافقاً للسلطان عبد الحميد . وبعد أن زار الخديو جلس عندى وذكرنا شئون مصر والاحتلال ، فقال لى : « إنه لم يبعث أطراف المسألة المصرية » وروى لى أنه عندما ثار عرابى على توفيق باشا كانت الدولة عازمة على إرسال حملة لاختاد الثورة ، وصدرت الأوامر باستعداد عساكرها التي كانت في كريت للسفر إلى مصر ، وأمرت فرقة من الاستانة بالذهاب إلى كريت لتخلفها . إلا أن يوسف رضا باشا رئيس لجنة اسكان المهاجرين رفع تقريراً إلى السلطان . يحذره من إخلاء العاصمة من العساكر ، لئلا يخلعه الشعب كما خلع السلطان عبد العزيز : يخاف على نفسه ، واستعاض عن الحملة العسكرية بأرسال درويش باشا سعيّاً للوفاق بين الترابيين وتوفيق باشا .

أخبار العائلة الخديوية : في يوم ١٩ يناير جاءت برقية من شديد يطلب فيها ١٥ ألف فرنك لمصاريف سفر جلال الدين باشا وعائلته ، فأرسل الخديو عارف باشا ليحصل على إذن المالية بأرسال المبلغ المذكور .

وفي يوم ٢٨ منه كان الخديو معتدل المزاج ، وتكلم مع جلال الدين باشا (وكان قد حضر) بلطف إنما طلب منى ومن عارف باشا أن نجري حساباً عما صرفه وعما تسلمه من شديد بك قبل سفره وهو ٢٥ ألف فرنك سويسرى و ٩ آلاف كورون أرسلت له في فينا ، فتكلمنا مع الباشا وكتب عارف وثيقة بتسلم المبلغين مبنياً فيها أن الخديو كان يعطى لكريمته مدة إقامتها في سويسرة ٣٩٠٠ فرنك لمصروفها ، من الخمسة والعشرين ألف فرنك مرتبها مدة خمسة أشهر من أكتوبر إلى فبراير ، والباقي مع التسعة آلاف كورون هو مصروف السفر ، وهذا لتوقع عليه البرئيس وقد ركب مع سموه وبعض الحاشية من بيك لمرافقته إلى جبوقلى ، وفي الاثناء عرضت سيرة كريمة فقال لى : « إن اللازم عمل حساب آخر لمعرفة مقدار ما أخذته من المال بعد انقطاع مرتبها من مصر عقب إعلان الحرب ، حتى لا تدعى أنتى حرمتها مالها ، ثم ألع إلى المساعى التي قيل لسموه أنها قامت بها للحصول على تقود

من خزنة الخاصة بمصر؛ وعطف بعد ذلك على مايقوله البعض وسمعه هو من أن ولي عهده البرنس عبد المنعم له في ذمته أربعمائة ألف جنيه، وأجاب على هذا القول، بأننا إذا حسبنا ما كان مرتباً له من يوم ولادته إلى أوائل الحرب لم يزد على مائة وتسعين ألف جنيه، بفرض أني ماصرفت عليه قرشاً واحداً، فكيف يكون له عندى أربعمائة ألف جنيه؟.

وتذمر من كريمته وزوجها، وروى لى ان الوالدة لما سمعت بمطالبتها بما لها استغربت ذلك، وقالت لسموه: وانه لما خرج اسماعيل باشا من مصر ومعه صناديق ملاءى بالذهب مكتوب عليها (شبانيا) لم تشأ هي ولا المرحوم توفيق باشا أن يكشفوا السر ويفضحاه، وعلى الجملة لقد كان مملوفاً غيضاً من كريمته ومن جلال الدين باشا

وفي ٢٥ مارس أمرني أن أجرى حساباً لكريمته باعتبار ان لها راتباً قدره مائة وخمسون جنيهاً مصرياً في الشهر، وهي قيمة ما كانت تأخذه من الخزنة المصرية، وانقطع في ديسمبر ١٩١٤ فكان الحساب كما يأتي: أولاً: أنها كانت مقيمة في جبرقلى على مصاريف والدها. وكذلك مصاريف سفرها من الاستانة في ٧ يونيو ١٩١٥. ثانياً: لما كانت في فينا وسافرت بعدها لسويسرة مكثت في الفنادق مع الخديو هي وزوجها وولدهما والخدم على حساب سموه لغاية ديسمبر ١٩١٥. ثالثاً: انفصلوا بعد ذلك، وترتب لها ٣٩٠٠ فرنك سويسرى شهرياً، يقابل ١٥٠ جنيهاً مصرياً لمصاريفها، حتى رجعت أخيراً إلى الاستانة، كما ان والدها صرف ٥٥٠٠ فرنك في سويسرة، و٩ آلاف كورون في فينا لسفرها ومصاريفها. رابعاً: بعمل الحساب عن المدة من ديسمبر ٩١٥ تاريخ قطع مرتبها من مصر، لغاية انفصالها في سويسرة من المعيشة مع والدها أى ١٣ شهراً يكون لها ١٩٥٠ جنيهاً مصرياً، باعتبار ١٥٠ جنيهاً في الشهر وهذا المبلغ تسلم لها اليوم وأعطت وثيقة بذلك

وكلفني عباس أن أعرف جلال الدين باشا بصفة شخصية أن سموه في مقدرته الآن أن يوسع على أولاده، ويريد أن يعلم ولي عهده كيف يعامل شقيقته، وأعرفه أيضاً بأن البرنيس ستقبض مرتبها شهرياً فضلاً عن الأرزاق التي سيخاطب نظارة الحربية في صرفها لها.

المصريون في السويسرة : في يوم ٣١ يناير حضر شتوان بك إلى بيك ، وأخبرنا أن الحكومة العثمانية سترسل مندوباً إلى السويسرة للقيام بتحقيق عن حالة المصريين الذين يتناولون بها مرتبات من الدولة . لمعرفة ميولهم نحو أعدائها ، وطلب من سموه أن يرسل له معلوماته عن هؤلاء المصريين لتقديمها إلى المندوب . وقد كلفني أن أعاون مع عبد الله البشري على كتابة مذكرة بالمعلومات المطلوبة فأعدناها معاً يوم ٢ فبراير وهي تحتوى على ما يأتى :

أولاً : المصريون في السويسرة ينقسمون إلى طلبة وغيرهم : ومن الطلبة من يأخذ مرتباً من الدولة ، ومنهم من تأتى له نقود من مصر . أما غيرهم ففهم رجال ونساء وبعضهم يأخذ نقوداً من الدولة ومن مصر

ثانياً : من المصريين خليل بك وهذا استحضر معه خادمة انجليزية من الاستانة بجواز سفر عثماني ، وقد تزوجت بصف ضابط انجليزي موظف الآن في سفارة انجلترا في برن وله علاقات ومخابرات مع قنصل انجلترا في جنيف ، وقد تمكن من استخدام مبارك بك ابن الصدر الأسبق فريد باشا مخبراً سرياً براتب يتقاضاه من الدولة ، مع أن مبارك هذا سافر لسويسرة والآن يتجسس لحساب الانجليز وكذلك في الاستانة زوجة فريد باشا ، وهي تستحضر نقوداً من أحد بنوك ألمانيا وترسلها لابنها نور الدين بك

وقد أرسلنا المذكرة لشتوان بك مع رسول بعث به في طلبها

وفاة السلطان عبد الحميد : في يوم ١١ فبراير أعلنت الصحف وفاة السلطان عبد الحميد ، وعلم الخديو هذا الخبر فأبدى أسفه وحزنه ، ولما كان نجله عبد الرحيم افندي قد زار الخديو قريباً فقد سألت سموه : « ألم يخبركم عن مرض والده ؟ » فأجابني « لا يا شفيق لم يفاتحنى في هذا الصدد ولا بد أنه غير سائل عن والده » ثم تأوه وقال : « وهكذا يكون حال الأولاد الذين أمهاتهم من الجوارى ... ؟ » فقلت بتأثر « كل شيء قسمة ونصيب » وقد ذهب سموه للاشتراك في تشييع الجنازة بالملابس الرسمية ، ومعه رئيس التشريفات ، والسرياور ، ورئيس الديوان التركي ، ولم أذهب أنا لعدم تكامل الملابس الرسمية عندي .

وفي المساء توجهت مع الخديو أنا ورمزي باشا طاهر ، وعارف باشا ويكن باتشا الى ضووله باغجه وكتبنا أسماءنا في سجل التعزيات ، ثم قابل عباس

السلطان فعزاه في وفاة شقيقه . أما نحن فانتظرنا في غرفة رئيس الحجاب ، وهناك حضر توفيق باشا الصدر قبل الاسبق وكان سفير الدولة في إنجلترا قبل الحرب ، فقدمت نفسي وزملائي اليه وجلسنا نتحدث فسألني عن البرنس محمد علي باشا ، وعن حسين رشدي باشا حيث كانا في حفلة تتويج ملك إنجلترا ، عندما كان هو سفيراً بلندن .

مذكراتي في يد الخديو : كنت قد تركت المذكرة التي أقيدها فيها مذكراتي اليومية يوم ٢ مارس سهواً فوجدتها منصور افندي ، القاضي ، وسلمها لأحمد بك فريد لا يصلحها إلى ، ولكنه سلمها للخديو لافتاً نظره الى خطورة ما أكتبه فيها ، فأخذها سموه وقلب بعض الصفحات ، ثم قال : « ولماذا يكتب شقيق كل ما يسمعه ، أو يعلمه ؟ » وقد بلغني ذلك من البشري ، فأخبرته أنني تعودت تقييد مذكراتي منذ عهد بعيد ، وربما تنفعنا في المستقبل . وقد علمت بعد ذلك أن ما قلته نقل الى عباس فأبدى ارتياحه له . ولما قابلني بعدها نهني الى خطورة ترك مذكرات كهذه يطالع عليها الآخرون وكنت ألاحظ بعد ذلك أنه يكتف عني كثيراً من الأخبار ، فاستنتجت أنه لا يريد أن أطلع على الأسرار وأدونها ! . . . وكانت هذه هي المرة الثانية في سرقة مذكراتي فعندما كنا في زوربح أخذها نور الدين افندي خفية وأطلع الخديو عليها فبعد أن تصفحها أمره بردها في موضعها .

رأى الصدر في حل المسألة المصرية . في يوم ٢٤ مارس أوفد الخديو عارف باشا الى الصدر لتحديد ميعاد لزيارته ؛ وتقرر أن يكون الموعد ظهر يوم ٢٦ منه . وبعد عودة سموه كان يبدو عليه السرور من هذه المقابلة ، وأخبرنا أنه دار الحديث حول الصلح الذي عقده الدولة مع روسية ، وعلى بعض الشؤون الحربية في القفقاس وغيرها .

أما مصر فقال الصدر : « إن مسألتها ستحل على منضدة مؤتمر الصلح ، لأنه من الصعب على الدولة استرجاعها ، بعد توغل الانجليز في فلسطين » وأكد أن سموه في نظر الحكومة العثمانية هو الخديو المعبر شرعاً ، ولا خديو غيره . فقلت لسموه : « مادام الصدر يقول : « إن المسألة ستحل على منضدة المؤتمر ، فيجب علينا إذن أن نفكر فيما سنقوم به من الأعمال لخدمة القضية المصرية ، تحت ارشاده » فأجابني أن الشيخ جاويش يسعى ونحن نريد أن نترده أولاً حتى يظهر فشله نهائياً ، لأنه كما بلغني قد سقطت قيمته لدى الألمان والأتراك ، وعندما يفشل نقول له : « إذن تخلف أنت ودعنا نحن نعمل !!! »

بينى وبين البرنس محمد على — المحادثات بينى وبين سعد باشا — العلاقات
بينى وبين عبد الله البشري . أوامر بخصوص مرسمة لاستاذ و فيق المحامى —
محادثات متنوعة مع عباس وهاشية — حفلة تأييد للمرحوم محمد بك فريد —
أخبار عن مصر

بينى وبين البرنس محمد على :

البرنس والحركة الوطنية : أرسلت يوم ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٨ رسالة الى
البرنس محمد على ، أطلب منه أن يخبرنى عن بعث بالبرقيات الى ويلسون طالباً
استقلال مصر ، وهل هو على رأس المطالبين بهذا الحق ؟ وهل يستصوب ضم صوتى
وصوت من معى من المصريين فى بودابست (حيث كنت قبل العودة الى السويس)
الى أصوات المطالبين بهذا الاستقلال ؟

وقد جاءنى منه الرد بتاريخ ٢ يناير سنة ١٩١٩ ، يتلخص فى أنه لا يعلم شيئاً عن
القائمين بهذه الحركة ، وكل ما يعلمه أن المصريين بالسويسرة منقسمون الى حزبين :
حزب برياسة محمد بك فريد ، والآخر برياسة اسماعيل بك لبيب .

بين أفراد العائلة الخديوية : وفى يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ جاءتنى رسالة من
الدكتور سيد كامل ورد فيها .

« أعرف سعادتك أن المساعى المتعددة والمتنوعة الجهات . التى قام ويقوم بها
دولة البرنس الجليل محمد على باشا ، سواء لرجوعه الى مصر أولاً ، أو لذهابه الى
فرنسا ثانياً ، ليست مما انشرح له الجنب العالى الخديوى ، لا لاعتبارات ذاتية فيما
يتعلق بمركز سموه ، بل لأن أمثال هذه المساعى ، دون التفكير فى الحضور لرؤية
دولة والدته ، مما يجعل دولتها تتأثر وتحزن ، خصوصاً بعد غياب دولة البرنس عنها

خمسة أعوام ونصف عام ، وازدياد شوقها إلى مشاهدته يوماً بعد يوم . قرب الله أيام اللقاء في سرور وهناء .

وقد أرسلت للبرنس بعد ورود هذه الرسالة إلى كتاباً ، أشرت فيه إلى ما يراه شقيقه في مساعيه للسفر ، قبل رؤية دولة الوالدة .

فجاءني الرد منه بتاريخ ٢٩ نوفمبر وفيه يقول :

« قد وصل جوابك وتلوته . فأما رأي أخى العزيز في مساعى وأعمالى ، فجباً لهو أدباً لشخص كان كبيرى وكبير العائلة ، ورعاية للأخوة أحجم عن البوح بشىء . بما في نفسى . وأنكم لتعرفونا منذ الصغر نحن الاثنين وتعلمون أحوالنا وسلوكنا في الخمس السنوات التى نأينا فيها عن الأوطان . وأنا والحمد لله قد وصلت اليوم إلى سن الخامسة والأربعين ، ومستجمع لكامل الصحة والعافية ، ولا أجهل كل واجب ، وبالأخص واجبات صاحبة الدولة والدتى ؛ والله يعلم ضميرى ، وإنى متوكل عليه ، وطالب منه الرحمة والعفو ؛ وكفانا أعداؤنا المعلومون ؛ فلا يعمل أحد على الإيقاع بيننا لهلاك عائلتنا .

وبعد ذلك كتبت إلى سموه أعرض رأيي بأن يرسل إلى دولة الوالدة رسالة ، إذا كان لا يستطيع رؤيتها .

فجاءني الرد منه بتاريخ ٢٧ ديسمبر وهو في « نيس » يقول فيه :

« أما من جهة كتابتى إلى دولة والدتى المحترمة ، معرباً عن إحساساتى الشريفة البنوية ، فقد أديت هذا الواجب قبل مبارحتى بلدة منترو ؛ وأنا أقوم بهذا الواجب كل خمسة عشر يوماً . وأما سمو أخى المحترم فنسأله تعالى أن يرضيه ويرضينا . ثم ذكر أنه من يوم حضوره إلى « نيس » لم تصل إليه ردود على رسائله لوالدته ؛ وهو يخشى أن تكون رسائله لم تصل إليها . ولذلك أرسل لى خطاباً باسمها ؛ وكلفنى أن ألقيه في صندوق البريد ففعلت .

فجاءني مع سعد باشا : في يوم ٢٧ يوليو أرسلت برقية إلى سعد باشا رئيس الوفد المصرى بفندق « جران هوتيل » ، بباريس قلت فيها :

« بمجرد رجوعى إلى السويس أرسل لمعاليتكم وإخوانكم أعضاء الوفد الكرام تحياتى القلبية ؛ وأضم صوتى إلى أصواتكم في مطالب وطننا العزيز الحققة ؛ وإننى لأرجو الله أن يكلل مهمتكم السامية بالنجاح ، فإن الله والحق في جانبنا .

وقد ورد لي الرد في برقية منه بتاريخ ٣٠ منه قال فيها :
« أعضاء الوفد وأنا نشكركم على تحياتكم القلبية » .
وفي ١٩ سبتمبر وردت لي الرسالة الآتية من معاليه ، رداً على رسالة مني اليه .
« عزيزي صاحب السعادة احمد شفيق باشا .

أشكركم جزيل الشكر على ماتضمنه خطابكم الأخير من عبارات التهئة بحلول
عيد الأضحى المبارك أعاده الله عليكم وعلى عائلتكم الكريمة بالصحة والهناء ، وحقق
آمالنا جميعاً في استقلال مصرنا العزيزة .

تأثرنا لانحراف صحة السيدة حرمكم المصون ؛ ونرجو أن يكون قد زال ذلك
العارض ، وإن حرمي تبلغها أزكى تحياتها ، وترجو لها دوام العافية ، ولسعادتكم
منى في الختام أحسن التحية ، وأزكى السلام ،

وفي يوم ١٢ ديسمبر كتبت له رسالة جاء فيها :

« الآن وقد استراح فكري قليلا من ناحية صحة حرمي أردت أن أكتب
إليكم في شأن وطننا العزيز

على الرغم من شواغلي كنت أطلع جرائدنا ، وقد تأملت لما يلحق مواطنينا من الفتك
بأرواحهم دون شفقة ولا رحمة ؛ وخصوصا الشدة التي أعقبت وصول الجنرال للنبي لمصر ،
وأنا أسف على رفض اقتراح العضو الديمقراطي في مجلس الشيوخ الأمريكي بمنح البلاد
استقلالها ؛ فلم يبق أمامنا إلا الترقب حصول مشاكل جديدة في أوروبا ، تسمح لنا بالاستفادة
منها ، وعلى كل حال يجب علينا ألا نغفل عن كل احتمال ، وأن نتكل على الله وعلى نهضتنا
الوطنية التي بارك الله فيها ؛ لافرق بين صغير وكبير ، وغنى وفقير ، ورجل وامرأة
إنما أرى يا أخى القيام بأمرين ، أعرضهما على ثاقب فكمركم

الأمر الأول : انشاء جريدة في بلد محاييد بعنوان « الاستقلال المصرى » أو
« الأنباء المصرية » ، تعبر عن آمالنا الوطنية ؛ وتدافع عن حقوقنا المغتصبة ، وتنشر
اخبار بلادنا نقلا عن جرائدنا وجرائد أوروبا ، وتنتقد أعمال المحتلين . وبهذه
الطريقة تغذى الرأى العام الأوروبى بما يجرى في بلادنا على الدوام .

الأمر الثانى : السعى لاستمالة الباب العالى إلى أن يعلن في مذكرته التي سيقدمها
بطلباته إلى مؤتمر الصلح ، نزوله عن سيادته على مصر لمصر نفسها . وطبعى أن
هذا الاعلان لا يعمل به انجلترا ، ولكنه يفيدنا أدبياً ، ويساعدنا في طلباتنا . وإذا

راقكم هذا الاقتراح فأننى أخاطب من يقوم بهذا المسعى وعلى الله حسن التوفيق ،
وكنت في إحدى رسائل للدكتور سيد كامل أشرت بهذه الفكرة ، تمهيداً
للبحث عن يقوم بالمسعى لدى الباب العالى ، إذا وافق سعد باشا عليها .

وفي يوم ١٥ ديسمبر جاءنى منه رد على كتابى ، يقول فيه :

« إن إنشاء جريدة لمصر فى أوربا مسألة تستحق النظر ، وهى موضوع البحث
لدينا من زمن طويل . أما مسألة تركيا فلا نرى من فائدة للسعى فيها . أولاً : لأننا
أعلننا من بدء النهضة الحالية ، أن علاقتنا بتركيا انقطعت وأصبحنا مستقايين عنها .
ثانياً : لأن اللورد كرزون صرح فى مجلس اللوردات حديثاً بأن انجلترا لا ترى
لتركيا حقاً على مصر ؛ ولا تعلق مستقبل هذه على ما يحصل بينها وبين تركيا .

وبناء عليه فلا فائدة مطلقاً من السعى الذى أشرت إلىه ،

وفي ٢٣ منه جاءتنى رسالة منه ردا على رسالة منى إليه وما ورد بها :

« إن ما قرأته فى الجرائد ليس إلا صورة مصغرة من نهضة مصر المباركة ، التى
هبت من رقبتها ، مطالبة بحقوقها فى البقاء ، شاعرة بأن لابقاء لها بغير الحريات
والاستقلال ، باذلة فى سبيل ذلك أعز مالهيا من الأرواح والأموال . ولقد أنابتنا
فى المطالبة بحقوقها ؛ وكم صادفنا فى طريقنا من الصعوبات ، ولكنها لم تن عزامنا ،
فنحن ننابرون على المطالبة بحقوق بلادنا بكل الوسائل المشروعة الممكنة

« وإن المسائل المعضلة التى أشرت إلىها فى كتابكم لم يصعب علينا إيجاد الحل
المناسب لها ، مع مراعاة مصالح الجميع ، كما ترونه فى الأوراق الحاوية لبعض أعمالنا
المرسلة إليكم مع هذا . وفقنا الله إلى ما فيه الخير لبلادنا . وإن ثقتنا فى الله لكبيرة
لاستناد قضيتنا إلى الحق والعدل ،

المراسلات بينى وبين عمير الله البشرى : سافرت الحرم من الأستانة تقصد
السويسرة وبمعيها عبد الله البشرى ، ولكنه انفصل منها وأصلنى وبعائلتى ، فقابلناه
بكل مظاهر المودة والعطف ، وبقى معنا حتى سافرنا من فينا للسويسرة ، فأرسل
إلى عدة رسائل منها واحدة بتاريخ ٢٦ يوليو جاء فيها :

« أقدم لسعادتكم خالص تحياتى وشوقى ؛ وأقدم احترامى لحضرة السيدة المصونة ،
وبعد فقد وجدت فى صندوقى بالبنك مبلغ أربعة آلاف كرون ؛ وهأنذا أرسلها
لسعادتكم بيد الشكر والثناء . وتأكد ياسعادة الباشا أننى لا أنسى ما عشت فضلكم

على في أيام الغربة ؛ وسأحفظ في قلبي تذكراً جميلاً لمروءتك وانهطافكم ، وما احظتموني به من العناية ، أتم والسيدة المصونة المحترمة والانجال ، حتى أنسيتموني في بعض الأحيان أنني غريب ، وأنتى بعيد عن أهلى .

« كنت أعطيت للسيدة المصونة سنداً بالمبلغ المذكور فأرجوكم تمزيقه ،

وفى يوم ٢٢ نوفمبر أرسلت إليه كتاباً جاء فيه :

« إننى أنا وعائلتى لانسى مطلقاً عشرتك الطيبة ، ولا مجلسك الأنيس ، ولا ضحكك ولا كلامك العذب ، ولا تأثر أعصابك في بعض الاوقات ولا . . . ولا . . . ومراراً ماقلنا : « ينقصنا عبد الله بك » ، فلا عدمنالك أخاً وفيأ ؛ وإننا حقيقة نحس بفراغ بيننا لأنك كنت منا . »

أوامر بمصر من الاستاذ رفيع المحامى : وردت إلى رساله بتاريخ ٢٢ نوفمبر من عبد الله البشرى ، وكان قد سافر للسويسرة ومنها عاد للاستانة جاء فيها :

« تعلمون أنه وصل من مصر إلى السويسرة حضرة أحمد وفيق المحامى ؛ وهو يقيم على ماأظن بجنيف والمطلوب أن تقابلوه بشخصكم ، وتحادثوه شفها بما يأتى :

« أن القضية المصرية تستفيد كثيراً

من أن يكون لها محامون أحرار ، ليست

لهم صلة بأى سلطة من السلطات ، يدافعون

عنها في البلاد المتفرقة ، والممالك الأجنبية

وإن لها الآن والحمدلله كثيراً منهم بالسويسرة

وفرنسا وإيطاليا وغيرها من الممالك المتحالفة

والمتحاربة والمحايدة ؛ ولكن ليس لهم منهم

أحد بالاستانة ؛ فإذا أراد حضرة أحمد

وفيق أن يقوم بهذا الواجب المقدس

المفروض ، الذى نرى أنه من خيار الأكفاء

للقيام به ، فأنتا مستعدون للقيام بكل

الاستاذ احمد وفيق المحامى

مصاريف سفره من السويسرة إلى هنا في الدرجة الأولى ، كما ندفع له كل مصاريفه هنا طول المدة التى يرى ضرورة إقامته بها ، حيث يشتغل حراً بعيداً عن الانتساب لنا ، نراه من وقت لآخر ، فيتسع له ميدان العمل وحرية ، ثم ندفع له كل مصاريف



عودته إما إلى السويسرة أو إلى مصر أو غيرهما من الممالك ، حسبما يريد
« ولأننا نستحسن أن يكون حديث سعادتك معه دون وسيط ؛ حتى لا ينتشر
ذلك في الأندية والمجتمعات .

« وإذا أقبل كلفوه أن يطلب من قنصل إيطاليا الترخيص له بالسفر إلى الاستانة
بالتغراف ، بنفس الطريقة التي اتبعتها أنا ؛ وتعلمون سعادتك تفاصيلها . ويظهر أن
حضرتة محبوب من حكومة إيطاليا ، بدليل أنها سهلت له طريق سفره إلى السويسرة
وبهذه المناسبة أخبر سعادتك أنني خرجت من السويسرة ، ووصلت إلى الاستانة
بغاية الراحة ، دون أن تفتش حقائبي في الطريق ، وأوصلت كل رسائل مقلقة ، لم
يطلع عليها أحد . ولما وصلت السفينة إلى الاستانة حضر ضابط إيطالي أمضى على
جوازات السفر بالصالون ، دون أن يوجه إلينا أى سؤال ؛ ونزلنا إلى البر بعد
ذلك دون أية إجراءات أخرى .

« وفي الوقت ذاته تقدرتون مصروفات سفره وترسلونها إلينا ، كي نبعثها لكم
تغرافياً .

« وإني أذكر لسعادتك ماصرفته أنا بالطريق على وجه الاجمال والتقريب ، كي
تستنبهوا به في تقديركم لمصاريفه . (وذكر النفقات)
« وعليه فيمكن سعادتك تقدير اللازم من الفرنكات السويسرية واليطالية ،
فترسله إليكم .

« وإذا تم الأمر وقبل صاحبنا ما أخبرناكم به تطلبون النقود منا بالتغراف
على الوجه الآتي :

يرسل تغراف من الموسيو شوفلبرجر يقول فيه : « أرسلوا لي مبلغ كذا على
لوزان » ويكون معنوياً باسمي في جبوقي . عند ذلك نفهم نحن ، فترسل المبلغ باسم
سعادتك تغرافياً ؛ ومتى وصل إليكم تسلمونه للحضرة وفيق بك ، وتأخذون منه
إيضالاً بتسلمه ؛ وترسلون الايصال إلينا بالبوستة ؛ ويستحسن تسليمه المبلغ بعد
استخراج جواز السفر ،

وقد رددت عليه بتاريخ ٤ ديسمبر برسالة جاء فيها :

« إنني سأنفذ الأوامر . والفكرة صائبة ؛ وماهي إلا واحدة من مبتكرات
سمو الخديو ؛ والشئ من معدنه لا يستغرب ؛ وإني أشكرك يا صاحبي لهذه البيانات
التفصيلية المفيدة عن رحلتك ؛ وسأستفيد منها عند سفري »

وفي يوم ١٢ منه أرسلت له رسالة ثانية بأتني بحثت عن محل إقامة الأستاذ احمد وفيق فلم أوفق ، ووجوده مجهول في السويسرة : وقيل لي أنه لم يحضر مطلقاً إليها ؛ وأنه رجع من إيطاليا الى مصر . وعند سفرى الى برن استعلم من مكتب بوليس الأجانب بها ، فاذا كان اسمه ليس مدوناً فيه تحقق لي عدم وجوده ، وبالفعل لم أجده مخبرات متنوعة مع عباس وهماينة : قضيت نصف العام الماضى الأخير والنصف الأول من هذا العام ، فى متاعب وآلام شديدة شرحت جانباً منها فى مذكرات العام الفائت ، وكانت لها ذبول وبقايا : إذ أجريت لحرمنى عملية جراحية أخرى ، وظلت صحتها سيئة : وانقطع عنى مرتبى من الاستانة ، نظراً لانقطاع المواصلات بينها وبين النمسا بسقوط البلغار ؛ وبقينا فى النمسا ثم فى السويسرة نعانى كثيراً من هذه الحالة .

حالى الصحية : وقد أرسلت للخديو رسالة يوم ٢٨ يوليو شرحت له فيها ما أصابنا ثم قلت : « إننى أنتظر أوامره فى البقاء بالسويسرة أو العودة الى الاستانة » ، وعزيتة فى وفاة البرنس عب القادر .

وفى يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩١٩ وردت لى رسالة من موسيو كونستان شوفلبرجر سكرتير عباس السويسرى يقول فيها :

« إن خطابى وصل للخديو منذ ثلاثة أيام وأن سموه يشكرنى على التعزية ، ويهتئى بالخلاص من الصعوبات الجمة التى لقيناها ، ولكنه يأسف لعدم نجاح العملية التى عملت لى ، ويرجو أن يكون هذا آخر ما يصيبنى . وأنه كان ينتظر على الدوام رجوعى ، وكان يرسل عند وصول كل باخرة مندوباً للبحث عنى ؛ فكان فى بعض الأحيان يجد بعض المعارف فيطلعونه على أخبارى .

والخديو يلفت نظرى إلى أن الحكومة التركية منذ توقيع الهدنة قطعت نصف المرتبات حتى مخصصات سموه ، كما أنها قطعت نهائياً مرتبات الموظفين الذين تركوا الاستانة ماعداً ؛ ولكن النقود الخاصة بى لاتزال فى الخزانة التركية موقوفة لحين رجوعى ،

وفى يوم ٢٧ سبتمبر وردت لى رسالة من الدكتور سيد كامل جاء فيها :
« الحمد لله الذى كما ربط قلوبنا بروابط المحبة والرحمة وصل بيننا بنعمة المراسلة .
وقد وصل إلى كتابكم المحرر فى أوائل هذا الشهر فتأملت لما جاء فيه وسجدت لله شكراً أن أخرجكم من أشد المضايق التى كنتم فيها سالمين ، لولا ما أصابكم فى نعمة

النظر، وجمعكم ببقية أنجالكم المحروسين رغم ما أصاب من كان معكم في سفركم من دواعي التعب وأوصاب المرض، ورجوته سبحانه وتعالى أن يجعل ما عانيتموه من مشاق السفر وقلق الغربة وحيرة الحال نحو عام من الزمان آخر ماترونه من متاعب الأيام في حياتكم، وحياة أولادكم الطويلة، وأن ينعمكم بعد الذي قاسيتمو، براحة البال، وتحقيق الآمال جزاء وفاقاً لما صبرتم ولما نويتم

« وقد تشرفت بتقديم مكتوبكم الخاص بتهنئة عيد الاضحى المعنون باسم الجنب العالى الحديو إلى سدة السنية ، فحاز لديها تمام القبول والارتياح وصدر لى الامر ببلاغ سعادتك تشكراته ، ثم رضت بين أيدى سموه كتابكم إلى ففضل بالاطلاع عليه ، فظهرت لى من ملاحظ سموه أمارات التأثر على ما قدره الله لكم من حرمان بعض النظر ، وعلى ما لاقاه أولادكم ولاقيتموه من المصاعب والشدائد

« أما ما سألتونى عنه بخصوص ما حررتم من مكاتيب إلى جهتنا فالذى أعرفه هو أن الذى وصل الجنب العالى من طرفكم طول السنة الماضية لا يزيد عن كتابين أو ثلاثة كتب ، وصل أولها أو ثانیها عن يد مسافر قام من بودابست إلى الأستانة ووصل ثالثها أخيراً إلى سموه عن طريق البريد من سويسرا ، ثم كتاب وصل الماس أغا حديثاً ، ثم ما تفضلتم بكتابته فى أوائل الجارى . وهذا خلاف زيارة زارها مظهر لبيك حيث تشرف بالمقابلة فى وقت لم أكن فيه لمحادثة

« وأما ما أرسل من جهتنا إلى طرفكم فأتى أعرف يقيناً أن الجنب العالى حفظه الله أمر موسيو شوفلر جر السكرتير الخاص بكتابة الرد على جوابكم الواصل من سويسرا ، وأعرف يقيناً أن هذا الرد أرسل إليكم منذ شهر من الزمان بعنوان أو تيل ناسيونال فى زوريخ .

« هذا وإنى أعرفكم أننا والحمد لله فى خير وعافية ، فالجنب العالى حفظه الله مازال كما تعرفون قوى العزيمة ، ثابت العقيدة ، صابراً على ما يقدره الزمان .

واجب الحديو وواجب الوطن : ولقد ذكرتم أعزكم الله أن عليكم واجبين واجباً « شخصياً » وقد قمت به . وواجباً « عمومياً » أتم تشتغلون به الآن (يقصد بذلك اشتغالى بالمضية الوطنية ومخبرأتى مع سعد باشا) .

ولعل التفرقة بين الواجبين سابقة فلم ، فأنتم ونحن قدما اشتغلنا بواجب « عمومى » . كذلك لم نقصر فيه لحظة ما حسبنا أوحى إلينا ضمائرنا ، وإنما إذا تعلقنا فى تأدية الواجب العمومى بأهداب سموه فلا نأخذ مسألة سموه الخاصة فرع كبير فى المسألة

العامة ، ولأنه لا تناقض بين الفرع والأصل كما يجب أن يعتقد بهذا كل مصرى .
« ولقد سرى من كتاب سعادتك ما أشرت إليه من أن الأمل في تحقيق المقصد
يزداد يوما بعد يوم ، وهذا ما أعتقد أنه بعد ، وأرجو سعادتك أن تنيروا بصيرتى فيه
بما تفقون عليه حتى أؤكد اعتقادى بالخبر اليقين ،

المفاوضة في بيع شركة الأزبكية البلجيكية : كان يقيم في جنيف موسيو نيقول
وهو رجل اشتغل في شركة عقارية لمشترى العقارات وبيعها في مصر ولكنها
أفلست فعاد للسويسرة ، وقد عرض على أنه يريد الاتصال بالخدو ليقوم بعملية
الوساطة في بيع عقارات شركة الأزبكية البلجيكية فكتبت للخدو رسالة بما يعرضه
موسيو نيقول في يوم ١٣ أكتوبر .

وفي يوم أول نوفمبر وصلت إلى رسالة من الدكتور سيد كامل جاء فيها :
« إن خطابكم المحرر في ١٣ الماضى باسم الجنب العالى الخديوى المتعلق بما دار
بينكم وبين موسيو نيقول فى المفاوضة قد اطلع عليه سموه ، وأمرنى بخصوصه أن
أبلغكم ما يلى :

« الحديث الذى حصل بينكم وبين موسيو نيقول بخصوص الشركة غير مطابق
لل كلام الذى دار بين موسيو هكسيوس ومسيو شولبرجر أخيرا فى جنيف ، فإن
هذا الأخير يقرر فى رسالة منه بتاريخ ٢٢ الماضى أنه قرأ جوابا عند الأول يفيد
أن الشركة فى بلجيكا وضعت تحت الحراسة من ابتداء الهدنة . وبما أن المفاوضة
الجدية بخصوص احتمال بيع هذه الشركة لا يمكن أن تحصل إلا بعد الوقوف على
حالتها المالية الحاضرة ، وتقدير قيمتها على أساس قيم الأشياء بعد الحرب لاقبلها
فوجود الشركة تحت الحراسة يمنع من الوقوف على هذه الحقائق ، وبالتالي لا يمكن
المفاوضة فى هذا الموضوع ، ولا تكون هناك ضرورة لحضور موسيو نيقول
للاستانة . أما إذا كان يستطيع أن يحصل على المعلومات الكافية للوقوف على
حقيقة مركز الشركة المالى ودرجة زيادة قيمتها عما كانت عليه قبل الحرب ، وكان
فى وسعه أن يعرف ما بذى ذى بدء عن الثمن الذى يتوقع إمكان البيع بمقتضاه فإن الجنب
العالى فى هذه الحالة ينظر فى المسألة ويمكن أن يستدعى موسيو نيقول للاستانة ..
وقد أرسلت الرد بأن نيقول سيعمل اللازم للحصول على صورة من
حساب الشركة

وأخيرا لم يفلح فى بيعها وتولى المسألة رجل يسمى موسيو رولان

المتأخرات من مرتبي في الأستانة : وفي يوم ٣ نوفمبر وردت لى رسالة منه جاء فيها :

« أمرنى سمو الخديو أن أعرفكم بأن عبد الله البشرى بك أرسل إلينا تلغرافا يفيد قرب وصوله إلينا، وأن أسألكم عن الميعاد الذى تنتظرون فيه أن يصل اليكم الترخيص للحضور لدينا

» وفى لهذه المناسبة أرى من واجبي أن ألفت نظر سعاتكم إلى أن المساعى اللازمة عن حضوركم هنا للحصول على متأخراتكم من خزانه الدولة يستلزم وقتا من الزمن، وأنه من المفيد أن تتم وتنجح هذه المساعى قبل الميزانية الحالية وتنفيذ الميزانية الجديدة فى شهر مارس القادم ، لأن التجربة فى معاملة نظارة المالية العثمانية دلت على أن أمثال هذه الحقوق تسقط بمجرد الانتقال من ميزانية إلى ميزانية جديدة» احتلال الحلفاء للأستانة : فى يوم ١٨ ديسمبر وصلت إلى رسالة من الدكتور سيد كامل جاء فيها :

« يسرنى أن أبلغكم أن الاحتلال العسكرى الأجنبى الذى حل الأستانة بحلول الهدنة قد خفف كثيراً بداعى تسريح الجيوش طبعاً . واستعداداً على ماأظن لترك الأستانة كما كانت عاصمة للحكومة التركية فى حدودها الجديدة التى يرسمها الآن مؤتمر الصلح فى لندره وباريس

أما المعيشة فإزالت غالبية ، خصوصاً فى الحوائج الملبسية، ومع أن الوارد من المواد الغذائية كثير ، ولكن أيدى المضاربين تعمل على مص دماء الناس ، وسلطات الحلفاء عاجزة طبعاً عن وضع حد لهذه الحالة، بل ربما كان من رجالهم من لهم مصلحة فيها. الطاعون منتشر فى الأستانة والتطعيم يكاد يكون إجبارياً حيث أن الناس يوقفون فى الطرق فإن لم يكن معهم شهادة بالتطعيم يكرهون عليه . والحيات الحبيثة ظاهرة فى بعض جهات الأناضول . وبالأمس قرأت فى الجرائد أن الحمى الراجعة ظهرت فى «اسكى شهر» بالأناضول .

حفلة تأبين للمرحوم محمد بك فريد : أقام على الشمسى بك و اسماعيل ليب بك والأستاذ فهمى و ابرهيم بك راتب واحمد بك فريد حفلة تأبين للمرحوم محمد بك فريد حضرها نحو ٢٥ مصرياً وألقيت بعض الخطب من الشمسى و احمد فريد ومنصور القاضى وبعض طلبة لوزان .

وكان القائمون بها قد طلبوا منى أن رأس الحفلة ، ولكنى رأيت لا اكتفاء بحضورى .

وبعد انتهائها قرر المحتفلون إرسال برقيات لمندوبى الدول فى مؤتمر الصلح بالاحتجاج على قتل الأبرياء فى المظاهرات

اطلب الكثير تنزل القليل : وكنت قبل وفاة المرحوم فريد بك قد زرته وهو مريض ، وصادف أن وردت جريدة الأخبار ، وبها بيان للحزب الوطنى يقول فيه : « أن لامفاوضة إلا بعد جلاء آخر جندى انجليزى عن الأراضى المصرية » فسألته مستفهماً : « لماذا نطلب هذا الطلب ؟ . وهل هو معقول ؟ وهل نحن انتصرنا فى حرب مع انجلترا حتى نملى عليها شروطنا ؟ » فقال : « المقصود من هذا أن نطلب الكثير ، حتى ننال خير ما يمكن تحقيقه »

أخبار عن مصر : كنت فى السويس أقرأ الصحف وأطلع على مايرد فيها عن مصر ، وحالة الثورة بها ، وكنت فى بعض الأحيان أرسل لأصحابى بطاقات مفترحة ، أسأل فيها عن صحتهم ، وذلك خوفاً من أن تمنع المراقبة تسليم الخطابات المقفلة شجاعة أسرة تقلا باشا : ومن بين من كنت أخاطبهم وأجد منهم شجاعة محمودة فى كتابة بعض أخبار مصر أسرة تقلا صاحب الأهرام سواء فى ذلك جبرائيل تقلا أو والدته .

ومن بين هذه الرسائل رسالة من مدام تقلا بتاريخ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٩ جاء فيها .

« إننى ونجلى نبدى الشكر لكم على الاحساسات التى أظهرتموها نحونا ونحو الأهرام .

ولنا الحق فى القول بأننا سائرون على خطة فقيدنا مؤسس الأهرام التى ترمى إلى الدفاع عن الحق ضد القوة ، وأن نخلع عنا نير الأجنى ، وإذا كانت سوريا هى منبت رأسنا إلا أننا نسكن مصر منذ خمسين سنة ندافع عنها ، فى هذه البلد تأملنا وفيها نأمل



مدام تقلا باشا

أن ينالنا السعد . إذ نحن نعمل بأخلاص للصالح العام ، وإن ولدى لا يهمل أى توضحية مادية أو أدبية لهذا القصد ، وهو يعترف بالجميل للرأى العام المصرى الذى لا يزال يعضدنا . أما بخصوص حالة البلد فانا نشكر الله على أنها تتطور كل يوم من حسن إلى أحسن ، لأن الظروف تساعدها . أولاً : أن صعود ثمن القطن يسمح بأننا لانجبر على بيعه بالبخس وهذه نقطة مهمة . ثانياً : بالنسبة للحوادث فإن الجرائد تنشرها بحرية والمراقبة عليها ألغيت غير أن جريدتى الأفكار والمحروسة قد صار إقفالهما وقد اتخذت الوسائل للضغط على الحركة الوطنية ، ولكن طالما بقى المصريون متحدين بهذا الشكل فلا خوف علينا ، ومهما عمل الإنجليز فانهم لا يصلون إلى استرداد ما فقدوه من حالتهم الأولى ، والعداوة قد تأصلت فى قلوب المصريين ضدهم ، ولكن ليكن نصب أعيننا احتمال حصول عراقيل ، والله يعلم إلى أى مدى لأن الخصم له جملة طرق يستعملها ولا يتأخر عن استعمالها وقت اللزوم ، غير أن التنظيمات المصرية الشابة ليست على ما يرام ، ويلزم لها الزمن والصبر ،

وجاءتني منها رسالة بتاريخ ٧ ديسمبر ورد بها :

« المسألة تأخذ فى التطور والاتضاح ، والأفكار تتوجه نحو الاستقلال بصفة عملية . والإنجليز سيعلمون أخيراً أن الأمور ليست كما يعتقدون ، وندعو الله أن تنتهى المسألة بسلام » .

سنة ١٩٢٠

مهراد المصريين بالسويسرة واقتراع عقد مؤتمر - عودتي الى الاسكندرية - بيني
وبين عباس - استقالتي واسبابها - نصفية الحاشية - سعي عباس لاستقلال
الحركة الوطنية - شؤره مختلفة

مهراد المصريين بالسويسرة واقتراع عقد مؤتمر :

اختياري رائداً للجمعية المصرية بلوزان : في يوم أول يناير سنة ١٩٢٠ زارني
عبد الله شديد بك ، وعرفني أن المصريين في لوزان انتدبوه ليبلغني أن المصريين
في باريس شكلوا جمعية باسم « الجمعية المصرية بباريس » تعمل لتحرير مصر بأشراف
سعد باشا زغلول . وقد شكل مصريو لوزان جمعية مماثلة ، وتريد أن أكون رائداً
لها ، فتستشيرني في خطتها ومنشوراتها ، وأنهم يستعدون للحضور كلهم أو وفد منهم
لشكري إذا قبلت هذا الأشراف . فأجبتهم بأنني وأنا مصري لا أبخل بمجهودي في
خدمة وطني ، ولحت له بأن لا لزوم لاتتخابي رئيساً ، وقلت : « إننا جميعاً جنود في خدمة
الوطن ، وإنني مستعد لمقابلة كل من يريد من الساعة ٥ إلى ٧ مساء كل يوم » ،

وبعد خمسة أيام حضر إلى منصور افندي القاضي ومحمد توفيق افندي عبد الله
وشكراني على قبولي الاشتراك في العمل ، وأخرج الثاني من جيبه مقالة يريد إرسالها
لجريدة الأفكار بمصر وفيها فصل تحت عنوان « شفيق باشا في لوزان » ، تكلم فيه
عن مساعدتي للمصريين فيها ، وأنني كأب لهم ، ثم انتقد كبار المصريين في باقي مدن
سويسرة الذين لا يهتمون بشيء فطلبت منه حذف هذا الانتقاد ، وقلت : « إن واجبتنا
الآن لم شعنتا لا التفريق بيننا ، فوافق منصور على هذه الفكرة : ثم وعدتهم بالاجتماع
معهم كل يوم في الموعد الذي حددته .

إشاعة قبول سعد للنظارة وترك القضية الوطنية : وفي يوم ٦ يناير عرفني شديد
بأن هناك نبأ هاماً وطلب اجتماعنا فاجتمعنا عند منصور افندي وأخرج محمد توفيق

افندى عبد الله من جيبه جواباً قرأه علينا بأمضاء أحد الطلبة المصريين . في باريس ، يقول فيه : « إن سعد باشا انفصل هو وعبد العزيز بك فهمى وأحمد لطفى السيد من الوفد ، وامتنع عن مقابلة جماعة من الطلبة كانوا توجهوا ليسألوه عن إشاعة قبوله منصب الوزارة مع مظلوم باشا تحت رئاسة رشدى باشا ، ويظنون أن هذا الانفصال وهذا الامتناع هما من الأسباب التى تجعلهم يظنون سوءاً بسعد باشا ، وأنه انطوى مع الأنجليز ، واقترح إخواننا فى لوزان إرسال برقية له يهددونه ، ويستقبحون عمله ، فقلت لهم : « مهلا ، هذه الأشاعة تحتاج إلى استيقان فأنا أرسل خطاباً إلى سعد وأسأله عن الحقيقة » فأملت توفيق افندى ماملخصه :

« نشرت التيمس خبراً مفاده احتمال دخولك مع مظلوم باشا فى وزارة رئيسها رشدى باشا ، وأنت كسترجع لمصر قريباً ؛ وجاءت أيضاً أخبار من باريس إلى المصريين هنا تردد هذه الاشاعة ؛ أما أنا فلا أستطيع أن أصدقها لسببين : الأول كراهة المصريين لرشدى نظراً لإهماله الكبير فى واجباته نحو الوطن مدة الحرب ، وأنت أعلم منى بهذا الإهمال ، والثانى : ردك المشهور على التيمس لما اقترح مكاتبها تعيينك فى منصب الوزارة . اللهم إلا إذا كان قبولك لها الآن على أساس الاستقلال التام فاذا كان الأمر كذلك أرحوك أن تفيدنى حتى أهنى نفسى وأهنئك بهذا الفوز الباهر ، وأطمئن المصريين هنا ،

فجاء الرد بتاريخ ١٠ يناير يقول فيه : « لقد أصبتم فى عدم تصديقكم اشاعة دخولى الوزارة . إذ لا يدخلها من كان فى قلبه ذرة من حب الوطن ، ولو لم يكن له فى البلاد شأن يذكر ولا فى الاستقلال سعى مشهور ؛ فكيف بمن أجمعت الأمة على الثقة به كل الاجماع ، وعهدت اليه السعى فى الاستقلال التام ، وأنزلته من قلوب أبنائها منزلاً لم يبلغه أمير ولا سلطان ؟ كيف يرضى هذا أن يستبدل بهذا المقام السامى أحقر مركز وأخطره فى البلاد ؟ ولقد أحسنتم إذ ذكرتم ما نشرته التيمس عنى من عهد غير بعيد من انى أفضل أن أكون فرداً فى مصر المستقلة ، على أن أحتل فى مصر المحمية أعلى مقام ، وانا دائبون على السعى فى عملنا ، والأمة تؤيد باتحادها سعينا ، والله من فوقنا على كل شىء قدير ،

المخبرة لعقد مؤتمر مصرى فى السويسرة : تخبرت مع حسين شيرين بك فى ترتيبه ، ومع على بك الشمسى فى جنيف ، ومحمد بك راسم فى فريبورج ، وعزيز باشا عزت فى زوريخ ، وأرسل منصور القاضى لجماعة الحزب الوطنى فى برن ، لعقد مؤتمر يحضره

جميع المصريين في سويسرة ، لتقرير مصير بلادهم ، وكنت اقترحت ذلك أيضاً على



محمد بك راسم



حسين شيرين بك



عزيز عزت باشا

جماعة لوزان فوافق الجميع على فكرتي
ما عدا برن فانه لم يردني منها جواب
قاطع ، واقترح على بك الشمسي تأليف
لجنة لترتيب المؤتمر ، وأن يكون عقده
في جنيف لكثرة المصريين بها ، ولاعتيادهم
اقامة مجتمعاتهم فيها ، ولأنها المدينة التي
يختارها السياسيون لأعمالهم ، فأعلنت تربيته
وفريورج وزوريج بهذا الاقتراح ، كما أنني
أظهرت للمصريين في لوزان وغيرها موافقتي
على اقتراح جنيف ، وطلبت تعيين مندوب
من كل جهة لتأليف اللجنة التحضيرية ،
وكتبت إلى على بك الشمسي بقبول اقتراحه ،
وبالاستفهام عن المنتخبين للجنة من جنيف.

ظهور عقبات: وبعد ذلك جاء من اسماعيل بك ليب خطاب يقول فيه بأنهم في جنيف لا يرون موجبا لهذا الاجتماع ، وحضر عندي في ٢٠ يناير شديد وأحمد فريد ومنصور ومحمد توفيق عبد الله ففسر فريد هذا الرفض بعد القبول باحتمال ظنهم أن وراء هذا الاجتماع شيئا في صالح الخديو ، بعد أن نشر جرنال لاتريين دو جنيف « جريدة الغاياتي » قرب حضور عباس حلمي إلى سويسرة بناء على قول من يوثق بكلامه من حاشية سموه .

كما أن عوض البحراوى واسماعيل بك ليب وعبد الملك حمزه في برن يأبون الاجتماع بهؤلاء « الذوات » وكبار المصريين (وكان منصور كتب لهم ذلك بدون ذكر اسمي وإنما قال مثل عزيز عزت باشا ومحمد بك راسم وشيرين بك) لأنهم لم يجرؤوا ساكننا ولم يقدموا أى مساعدة مالية في الحركة الوطنية ، ولهذا يكون من العيب على أمثالهم أن يجتمعوا مع هؤلاء الذوات: وكان قد خطر على بال أحمد بك فريد أن الشمسى يظن أننى سأولى الرئاسة فقال توفيق: « إن شفيق باشا يرفض أن يكون رئيسا وكذلك شديد بك »

وقد أشار شيرين وعزيز عزت باشا بأنه ما دام يوجد انقسام ما بين المصريين في عمل الاجتماع فيسكتفي بكتابة ورقة يمضى عليها المصريون، مضمونها ضم أصواتهم إلى أصوات اخوانهم في مصر والغالب على ظن اخواننا في لوزان ، أن سبب هذا التردد اعتقادهم أن للخديو يد فى هذه الحركة .

وقد ساء المصريين في لوزان العدول عن فكرة الاجتماع ، فقالوا بعمل الجهد في رفع سوء التفاهم مع شيرين أولا ومع الشمسى ثانيا ، فوافقهم وأوفدنا محمد توفيق أفندى عبد الله إلى شيرين بك يوم ٢٤ يناير فقابلته وتذاكرا في موضوع الاجتماع وتنسيق صورة الدعوة . ثم جاءنى تليفون من الشمسى يقول فيه : إن شيرين أخبره بعدم وصول رده الذى أرسله إلى من منذ ٤ أيام ، ويستغرب كيف لم يصل ؟ وقد عرفنى فيه بأن بعض المصريين في جنيف قبلوا فكرة الاجتماع والبعض رفضوه وأنه يسعى في لم شمل الجميع ، وطلب منى أن أعرفه بمندوبى لوزان في اللجنة التحضيرية ، فقلت: « اننا لم نقرر شيئا ، وكنا ننظر معرفة المندوبين من جنيف ، وعلى كل حال فلوزان ستعين واحدا أو اثنين من ثلاثة هم توفيق ومنصور القاضى والدرديرى ، فقال: « حينئذ ها نحن ننتظر انتخاب لوزان لنبدأ في العمل »

وفي يوم ٣٠ يناير سافرت من محطة لوزان إلى تربيته فقابلت الشمسي بك ،
والاستاذ فهمي وشابا قبطيا متوجهين لتشييع جنازة عثمان غالب باشا فتكلمت معهما
في مسائل سياسية ولكنهما لم يفتحا باب المناقشة في مسألة عقد المؤتمر وتحاشيت
أنا الكلام وقها ، وعند ما كنا في مدفن تربيته انتحى شيرين بفهمي جانبا ثم لم أر
أحدا منهم بعد الدفن ، فتركتهم ورجعت إلى لوزان .

وفي ٣ فبراير ورد لي خطاب من على بك الشمسي يأسف لأنني لم أحضر إلى
منزل شيرين بعد دفن عثمان غالب ، ويخبرني بأن اجتماعا عقد هناك وشهده
القادمون من برن من المصريين ، وبعد المناقشة تقرر بأغلبية الآراء ارجاء اجتماع
المؤتمر إلى ما بعد معرفة رد لجنة ملنر على اقتراح سعد باشا :

وكنت قبل حصول هذا التردد كتبت إلى سعد باشا أعرفه بفكرة الاجتماع
لجاء منه الرد يوم ٤ فبراير يقول فيه :

« يسرنى أن يعمل كل من يستطيع العمل ، لصالح القضية المصرية فاذا اجتمعتم
أنتم ومن يرى رأيكم ويتحد معكم على القيام بعمل نافع لها كان ذلك من أفضل
ما تعملون ، ومن أحسن ما يستوجب الشكر وحسن الذكر »

فأرسلت إلى على بك الشمسي وشيرين بك وعزيز عزت باشا بهذا النص في
١٣ فبراير وقلت للأول : « إنني ما كنت أعلم بعزمه هو وفهمي وغيرهما على الاجتماع
عند شيرين بك ، وكتبت للثاني بهذا المضمون وأنه لم يخبرني هو ولم يدعني لهذا
الاجتماع ، فضلا عن ذلك فقد سمعت آنفاً من محمد توفيق افندي عبد الله نقلا
عنه (عن شيرين) أنه كان يستحسن أن يدخل هو في المحاربة مع جنيف وغيرها
لترتيب الاجتماع ، لهذا رأيت الرجوع من تربيته عقب حفلة الدفن إلى لوزان .
ثم كتبت إلى سعد باشا بتردد بعض المصريين في عقد الاجتماع وأنى أرجو
زوال هذا التردد قريباً .

البرنس محمد على والمؤتمر : وحررت خطاباً للبرنس محمد على باشا في نيس
أستعلم منه عما إذا كان سيضم صوته إلى أصوات البرنسات في مصر ؟ وهل البرنس
ابراهيم باشا حلي الموجود في نيس سيعمل ذلك ؟ إذ الأمة بأمرها قد أبدت رأيها
ونحن نرجو أن يجتمع المصريون في السويسة قريباً لهذا الغرض فرد على يقول :
« إنه مسرور من أن المصريين التفوا حولي ، ولم يصرح بجواب على سؤال ، وحررت

له خطاباً آخر في ١٥ فبراير أسأله عما اذا كان يريد أن يساعد مالياً في عقد المؤتمر ان حصل ، فجاء الرد وليس فيه تصريح عن المساعدة .

طلبي مساعدة من عباس للمصريين: حررت لعبدالله البشرى جملة رسائل عرفته فيها بالتفاف المصريين بلوزان حولي وباقتراحي عقد المؤتمر لجمع كلبة المصريين في مصر بلادهم ، ثم طلبت مساعدة مالية من الخديو تسمح لمن في لوزان باستمرار طبع الجريدة التي كان يصدرها محمد بك فريد ، وعرفته بمخبراتي مع سعد باشا في صدد الاشاعة التي شاعت عن قبوله منصباً في وزارة يرأسها رشدي باشا ، وبالرد الذي جاءني منه بنى هذه الاشاعة ؛ ثم استحسنت أن يقدم الخديو شيئاً من المساعدة المالية للوفد في باريس بصفة سرية؛ فلم يصل الى رد على ذلك.



الأستاذ محمد الدين حفني ناصف

أخبار المصريين في باريس: أرسل الى محمد الدين حفني ناصف نجل المرحوم الشاعر حفني بك ناصيف خطاباً بتاريخ ٢٩ يناير يقول فيه حرفياً : « علنا بمزيد السرور خبر اشتراككم مع الشبيبة كي تعقدوا المؤتمر ، وتعلنوا به أهل أوروبا وتشدوا به أرزمصر ، وسيحضر وفداً لجمعية عند أول إشارة فنرجو أن تتنازلوا بتكليف من يبادر باخبارنا قبل الموعد بثلاثة أيام ولسعادتكم الفضل في هذا العمل الوطني المجيد والسلام عليكم الخ »

فأرسلت له الرد الآتي بتاريخ أول فبراير : تلقيت بيد الممنونة والشكر كتاب حضرتكم المؤرخ في ٢٩ يناير الماضي . نعم اشتركت بكل سرور مع الشبيبة هنا وأردنا أن نعقد اجتماعاً للمصريين لاعلان رأيهم في مصر بلادهم ولضم أصواتهم الى أصوات مواطنينا واتصلنا باخواننا في المدن الشهيرة بسويسرة فخذ الجميع هذه الفكرة ، ثم تردد بعضهم أخيراً ؛ فاذا اتحدت الآراء وهذا رجائي لا أتأخر عن إخباركم بموعد الاجتماع ، ويسرني أن أرى الشبيبة المصرية في جميع الأقطار تجاهد

في سبيل إنقاذ الوطن من يد الغاصبين له — فبارك الله فيهم وتوج جهادهم بالنجاح
ومنى لكم وجميع إخوانكم أسمى التحية والسلام .

عودتي إلى الآستانة : عذمت على الرجوع إلى الآستانة من شهر سبتمبر سنة ١٩١٩
مدة وجود البشري معي في لوزان فأرسلت خطاباً إلى سفير الدولة في برن أطلب
منه أمرين : الأول اعطائي جواز سفر سياسياً . والثاني عمل المساعي لرجوعي ، فأتاني
الرد بأن الأمر الأول غير ممكن تنفيذه لأن هذا الجواز لا يعطى إلا لانتظار الحكومة
العثمانية ، وعن الأمر الثاني بعث إلى باستمارة لاملأها وأردها له وقد فعلت ،
وانتظرت الترخيص ثلاثة أشهر بغير جدوى ؛ ثم كتبت إلى البشري وطلبت منه
أن يرشدني إلى طريقة الرجوع في أقرب وقت لأن راتي سستصرف فيه الحكومة
العثمانية ، إن لم أرجع وأقبضه لغاية مارس ، ورجوته أن يرسل برقية بطلب
الترخيص ، وكان ذلك في فبراير سنة ١٩٢٠ ، فأتاني الرد بأنه أرسل برقية إلى نظارة
الخارجية بطلي ؛ ومن جهة أخرى طلبت من عباس اجراء مايلزم لتعجيل الترخيص
سواء كان تحريراً أو برقياً بواسطة البشري فوعده بذلك ؛ ولما لم يأت خبر فكرت
في مراجعة قنصلية جنرالية ايطاليا ، فأرشدني القنصل إلى طريقة وهي طلب السفر
إلى ايطاليا ومن هناك يسهل التصريح بالذهاب إلى الآستانة ، ولكن طلب مني ضامناً
يعرفني ، فأعطيته اسم موسيو دي مارتينو الذي كان عندنا معتمدا لايطاليا وهو الآن
معتمد أول في مؤتمر الصلح ، فقال لي أن أكتب اليه خطاباً ، فكتبته ، وعلمت بعد
أيام من القنصل أن دي مارتينو كلمه تليفونيا من لندن ليستعلم مني عن الجهة التي
أقصد الذهاب اليها ، فقلت له : « إني أريد الرجوع إلى الآستانة » فأبرق اليه بذلك وطلب
منه أن يبرق إلى القوميسير الطلياني في الآستانة كي يسمح للقنصل برقياً بالتأشير
ثم انتظرت أسبوعين وقابلت القنصل وتناقشنا فيما يلزم لاستعجال ارسال
الترخيص ، فاتتهنا إلى كتابة برقية باسمه قال فيها : « إن موسيو دو مارتينو يوصي علي ،
وفي العشرة الأخيرة من مارس جاء الرد بالترخيص إلى القنصلية ، فذهبت إلى
جنيف ، واستخرجت جواز سفر عثمانيا بتاريخ ٢٥ مارس .

وقد سافرت يوم ٦ ابريل من لوزان إلى ميلانو ومنها إلى البندقية ومن هناك
ركبت الباخرة فوصلت إلى الآستانة يوم ١٥ منه . وجاء مندوب من السلطة
الايطالية لمراجعة جوازات السفر . ووجدت عبد الله البشري والدكتور سيد كامل
في انتظاري .

مع عباس : وتوجهت إلى حصار عند عديلي مظهر بك ، وبعد الاستراحة ذهبت إلى بيك وقابلت عباسا ، فدار الحديث بيننا عن حالتي وحالة عائلتي الصحية قبض مرتباً المتأخرة : وفي يوم ٢٢ منه قبضت من المالية ١٥٠ جنيتها قيمة مخصصاتي عن مدة سنة لغاية آخر فبراير سنة ١٩٢٠ .

استقالاتي وإمبارها :

نقود البير حمصى : البير حمصى صاحب محل للتسليف في حلب ، وكان قد قابلني في أواخر سبتمبر سنة ١٩١٨ في بودابست ، وسلمني ألفي ليرة انجليزية بنك توت و ٢٨٧ ليرة ذهباً ، وسندات من البنك العقاري المصري ، لتوصيلها لعميله بالاستانة ولكنني لم أتمكن من ذلك بسبب انقطاع المواصلات بين النمسا وتركيا كما تقدم ، فبقيت الأمانة عندي .

وكان الخديو قد أرسل سيدة ذات نفوذ كبير على ابنه البرنس عبد المنعم بسويسرة لتقرب شقة الخلاف بينهما ، ولكنها بقيت في فينا عند ما انقطعت المواصلات مدة أشهر طويلة ، واحتاجت هي وبعض الحاشية الخديوية إلى نقود ، وكان القانون النمساوي يقضي بمصادرة نقود الأعداء . فصرفت الأمانة إلى كورونات ووزعناها علينا ، وكان الجانب الأكبر من نصيب هذه السيدة .

ثم كتبت للخديو بأن تدفع الخاصة (٢٢٨٧ جنياً) لعميل حمصى في الاستانة وصادف وجود البير حمصى في لوزان بعد عودتي إليها ، فسلمته سندات البنك العقاري وأخبرته بما حصل في النقود وبتحريرى للخديو ، وبناء على طلبه أعطيته خطاباً لعباس ملتصقاً دفع القيمة .

وفي أوائل يناير سنة ١٩٢٠ قابلني ، وأخبرني أنه لم يتمكن من السفر إلى الاستانة لتسليم خطابي وتسلم المبلغ ، وطلب أن أسدده له حاجته إليه .

وكان قد بلغني أن الخديو أرسل إلى السيدة بعد وصولها للسويسرة أن تسعى لسداد هذا المبلغ من مواردها الخاصة ، فأخبرت حمصى بذلك ، ولكن هذا الحل لم يرضه ، فاضطرت أن أمضى له تحويلاً على الخاصة بالاستانة وشفعته بخطاب . وفي ١٠ فبراير جاءني نجله وأخبرني أن التحويل لم يدفع ، و« عمل عليه بروستو » .

وقد بقيت المراسلات مستمرة بيني وبين عباس ، وبينه وبين السيدة في سويسرة دون جدوى حتى رجعت إلى الاستانة .

مذكرة عن الموضوع : ثم حدث بعد ذلك سوء تفاهم بيني وبين الخديو من جراء هذا المبلغ ، فكتبت مذكرة وافية أرسلتها له في يوم ٢٨ يونيو وضمنتها تفصيلات الموضوع كله ، وأنا أثبتنا هنا مكتفياً بها عن ذكر هذه التفصيلات :

- ١ - أعتقد أنني لست مخطئاً في إغاثة المنتمين للخديو في وقت حرج
- ٢ - جاءت الأوامر بقلم الدكتور سيد كامل بأنه كتب إلى السيدة الآنفة الذكر بالسويسرة أن تسعى لسداد المبلغ
- ٣ - اضطررت أن أمضي تحويلاً لخصي على الخاصة رفض دفعه بناء على أسباب مهيئة لشرف ناظر الديوان الخديوي .
- ٤ - وردتني أوامر بقلم أحمد بك صادق ، يقول فيها : انه بالنظر لكون القسم الأعظم من السلفة يرجع إلى السيدة فعلى أن أراجعها فيه ، أما القسم المختص بالحاشية فنه ما حصلت التسوية فيه ، والباقي المختص بما أخذته ، وبما أخذه شديد بك فطلب مني تقديم حساب عنه .
- ٥ - راجعت السيدة وبينت لها أنه لم إذا لم تحصل التسوية دخلت المسألة في منازعات قضائية
- ٦ - صعبت على نفسي إذ كنت كمتسول يمد يده يميناً ويساراً ولا منقذ له ، أنا الذي فعلت خيراً وأغثت محتاجاً .
- ٧ - اقترح حمصي أن أتنازل له عن حق على السيدة ليستطيع اتخاذ الإجراءات القانونية ، فقبلت على شرط أن لا يقيم الدعوى الآن ، وأن ينتظر وصولي إلى الأستانة وعرض المسألة برمتها على الجنب العالي ، فيأمر بحل موافق للطرفين
- ٨ - لما مثلت بين يدي سموه حصلت المذاكرة في الموضوع ثلاث مرات بحضور عارف باشا وأحمد بك صادق ، فشرحته شرحاً وافياً ، خصوصاً نقطة المساعي التي بذلتها لتنفيذ الأوامر الواردة ، ومنها نقطة تنازلي عن حق لخصي .
- ٩ - أظهر سموه استعداداً لفض المشكل ، وأصدر أمره إلى أحمد بك صادق بأن يتفق معي على طريقة لتسوية الحساب ، وبالفعل حرر مشروع خطاب للسيدة باستحضار النقود اللازمة من مصر ودفع الحساب المذكور ، ووافق سموه عليه وأمر بترجمته إلى التركية ، فشكرت الجنب العالي على قبوله دفع هذا الدين .

١٠ — بعد يومين جمعني مع عارف باشا وأحمد بك صادق وعرفنا بأن حمصى طلب السيدة أمام قاضى الصلح ، فتكدر وتكدرت أنا أيضاً ، لا لأن هذا الطلب يعد إقامة دعوى؛ ولكن لأنه يخالف اتفاقنا، وعليه أمر سموه أن اجتمع بدومرتينو (الذى كان موظفاً بقلم قضايا الخاصة بمصر) وأحمد بك صادق لتحريـر خطاب بطلب استعلامات من حمصى

١١ — فى ٨ مايو قدمت حسابى الذى كان قد طلبه منى أحمد بك صادق ، وقلت له : ليقبل منه الخديو ما يقبل ويرفض منه ما يرفض ، وكان ملخصه : ٧٧ ألف فرنك سويسرى ما فقدته فى سياحتى فى انسبروك ، ١٢ ألف كورون لنفقاتى مع عائلتى وعائلة شديد بك لغاية اكتوبر سنة ١٩١٨ و ٢١٠٠٠ فرنك فى بودابست وفينا ، وخرجت ٥١٨ جنيتها انجليزياً مأخذته من نقود حمصى فكان الباقي ٩ آلاف فرنك

١٢ — فى ١٠ منه جمعني دومرتينو بك مع أحمد بك صادق وأعلننى الأول بأن الجنب العالى أوقف تنفيذ تسوية حساب حمصى ، لأننى بتنازلى عن حقى له أعطيت فرصة للخصم بأقامة الدعوى ، وأعلننى الثانى أن سموه يرفض قطعياً النظر فى الحساب الذى قدمته ، فأجبت بأننى ما تنازلت عن حقى إلا لقصـد واحد وهو الوصول إلى تنفيذ الأوامر ؛ وقلت عن الحساب إننى كنت أود أن أعرف مالا يرضاه سموه فأتركه .

١٣ — وردت برقيات من ارنست حمصى ابن الدائن وعرضت على الجنب العالى تؤيد عدم إقامة الدعوى وان طلب السيدة أمام قاضى الصلح ، ماهو إلا لمجرد الأرهـاب ولا يعتبر فاتحة للدعوى .

١٤ — ورد خطاب من والده بحلب بواسطة مندوب من الكريدى ليونيه بالاستانة بأنه ينتظر الوصول إلى حل ودى كما وعدته ، ولكنى فهمت من المندوب أنه أرسل تعليمات للبنك بأقامة الدعوى فى حالة عدم الوفاق

١٥ — رفعت مذكرة بكل ذلك لجأى أحمد بك صادق ويده صورة الاتفاق الذى بموجبه تنازلت عن حقى لخص ، كأنه سلاح جديد ، ثم قال : إن حمصى لما علم بعدم امكان اقامة الدعوى فى سويسره يريد الآن اقامتها هنا ، فأجبتـه بأننى سبق أن افهمت أفندينا من بادى الأمر بهذا الاتفاق .

١٦ — اجتمع بنى السيد محمد العتابى الموجود بضيافة الخديو وعبد الله البشرى

وقال لى : إن ماهر أفندى أخبر الجنب العالى بأنى استشرته فى إقامة الدعوى ضد سموه ، فكيف يجوز لى أكل عيش سموه فى الوقت الذى أضمر له سوء ؟ فدهشت لهذه التهمة الجديدة ، وكذبتها قطعياً ، ثم طلبت مواجهتى بـ ماهر أفندى ، وقلت : إن الحقيقة أنه سألنى عن الخديو فأجبت أنه لى لم أتشرف بمقابلته من مدة لسبب تافه يرجع إلى مسألة نفوذ كانت عندى أمانة وتصرفت بتوزيعها عند انقطاع المواصلات عنا ، ولما حضرت وعرضت المسألة صدر الأمر بقبول الدين وبتسويته وأخشى من أن صاحب الدين يقيم الدعوى علينا ، وطلبت منها عرض جوابى على سموه فى ذلك (١)

١٧ — يستخلص من ذلك أن الأسباب الظاهرة لهذا الغضب تنحصر فى ثلاثة أمور : الأول طلب السيدة أمام قاضى الصلح ، والثانى تنازلى عن حقى للخصم ، والثالث استشارة ماهر أفندى ، فعن الأول أجيب بأن الدعوى لا تعد قائمة إلا إذا رفعها الخصم أمام المحكمة ، ودفع الرسوم عنها ؛ وعن الثانى أقول : إنه ما ورد على خاطرى أن أعطى سلاحاً ضد مولاي ، والدليل على ذلك أنه كان فى مقدرتى أن أترك الخصم يقيم الدعوى على وأدخل الخاصة ، ولكنى بالعكس تحاشيت ذلك وبذلت جهدى فى إرضائه بالانتظار ، وكان من السهل على كذلك أن أطلب من شديد بك وهو ناظر الخاصة أن يمضى التحويل ، ولكنى توقيت ذلك حتى لا أغضب سموه ؛ وأرد على الثالث بأنى أسف جداً لعدم احضارى أمام سموه حينما اتهمنى ماهر أفندى بما أنا براء منه ، ولهذا رجوت مواجهتى به سواء أكان فى الحاضرة العلية أو أمام من تأمرون به فظهر النتيجة

وبينما أنا أحرر هذه المذكرة إذ حضر عندى اليوم سعادة عارف باشا وأبلغنى نفس الأسباب الموجبة لتأثر سموه وقال : إنه كان الأولى ألا أستشير محاميه إلا بعد الاستئذان ، ولكنى أكرر غرضى الحقيقى من هذه الاستشارة وقال : انكم لا تقبلون منى عذراً ، وانكم تتركون لى البت فى أمرى ، فإذا كان غرض سموكم يرمى إلى تقديم استقالتى فأنا رهين أمركم الصريح الذى أتلقاه - إما رأساً أو بواسطة سعادة عارف باشا - وعندها لا أناخ عن رفع هذه الاستقالة لأننى لا أريد أن يقال : إننى تركت سموكم من تلقاء نفسى ،

شفيق

(١) الذى أخبر الخديو فى الحقيقة هو نور الدين بك اللوشاى

فرجع عارف باشا المذكورة وقال : « إن الخديو قرأها من أولها لآخرها ، ولم يصدر له أوامر ، ولم أذهب لسراى بيك بل اكتفيت بإرسال كلمة لعارف باشا أسأله عما تم فأجاب بأنه سيمر على ليبلغنى الجواب .

وفى يوم ٢ يوليو بناء على موعد أعطاه لى الدكتور سيد كامل ذهبت عنده فوجدت البشرى ، وتكلمنا فى الموضوع فكان رأينا بالإجماع أن الخديو لا يريد بقاءنا نحن الثلاثة عنده بسبب انقطاع مخصصاته من حكومة تركيا ، وأن الدكتور سيد كامل سيستمر أسبوعاً على الذهاب إلى بيك بعد الظهر فقط ثم ينقطع لأن الخديو لا يتقبله ولا يجادته ولم يعد ينظر إليه . وأما البشرى فقال : انه يرافق سموه ولكن لا يكلمه بل فى أثناء وجوده معه فى الزورق يحدث نور الدين - إن كان معهما - أو البحارة .

وانه حصل كلام بينه وبين عباس فقال : إن اللازم انهاء مسألة النقدية مع شفيق بأن يقبل سموه ما يخص السيدة على سعر الجنيه الانجليزى بالكورون وقت أخذها المبلغ ويقول لشفيق : أنت وشأنك فيما دفعته لشديد ولبشرى ، واننى لا أقبل منك حساباً ، ولا أعتبرك فى ضياقتى وينتهى الأشكال .

فرد الخديو بأن كرومر لم يمكنه أن يخضع سموه فكيف أنه يخضع لإرادة شفيق ؟ فلماذا كلف البشرى بأن يكلمنى ، ويأخذ منى استقالتى ، فالتمس أن يصحبه السيد محمد العتاي الذى كان حاضراً هذه المحادثة ليكون شاهداً على أنه سيبلغنى كل ما أمر به الجناب العالى .

قال البشرى : فلما لم آت له بالاستقالة احتد على وقال ضاحكاً مستهزئاً : « أنا أكلف أحمد بك صادق وهو يفعل ما لم تفعله أنت ، ولكن على كلام البشرى أن المذكور تنحى عن هذه المهمة ، ولهذا عهد بها الخديو إلى عارف باشا .

وتكلمنا بعد ذلك فى موضوع استقالتى ، فكان من رأى صاحبي أن لا أقدمها ، بل أترك السراى حتى لا أقفل باب المسألة ، واحتمال رجوعى إلى خدمة الخديو قلت : « غيرى يمكنه أن يعمل ذلك ولكن أنا لا أود أن يدعى على بأننى تركته بعد ٤٣ سنة قضيتها فى خدمة السراى » .

قال البشرى : « هو لا يريد أن يدفع نقوداً ، ويبحث عن أسباب لذلك » ، قلت : « وأنا ليس من شأنى أن أساعده على مطلوبه » ، وعلى هذا راجعنا صورة الاستقالة ، وبعد تعديل خفيف فى التحرير اتفقنا على الصيغة الآتية :

نص الاستقالة : « مولاي الجناب العالي الحديوي

« في يوم الاثنين ٢٨ يونيو الماضي رفعت إلى أعتاب سموكم مذكرة في موضوع النقود التي قدمتها في فبراير ١٩١٩ للسيدة المحترمة ولبعض رجال الحاشية في وقت ضاقت بهم سبل المواصلات حيث كانوا في فينا وبودابست ، وما استطاعوا الوصول إلى سويسرة ولا العودة إلى الآستانة ، وكانوا لا يجدون باباً للاستدانة من أي بنك من البنوك، وحيث كان حقاً على أن أعمل ما في جهدي لاغايتهم في هذا الموقف الحرج وكان حقاً لي أن أشكر على ما قمت به لا أن أجازي بالمعاملة التي عوملت بها حتى الآن .

« ومع أنني كنت ولازلت على تمام الاستعداد لارضاء الجناب العالي لا تمسكاً بأهداب وظيفة بعد أن قضيت فيها حيناً من الدهر يستوجب راحتي ، وإنما إبقاء على الرابطة التي تربطني بهذا البيت العلوي العظيم ، فأنتي لاقية ، من سموكم في الأيام الأخيرة الأغضاء والأعراض اللذين انتهيا برغبة جنابكم العالي في تقديم استقالتى وهى رغبة ظهرت من رفضكم النظر فيما التمسته في ختام مذكري المتقدمة الذكر .

« هذه الرغبة ليست مبنية يا مولاي على أسباب أرى نفسي فيها مخطئاً بوجه من الوجوه وما اعتذارى لسموكم من محادثتي مع ماهر أفندي أخيراً إلا من باب التأدب نحو سموكم ، ومع هذا لا يسعني إلا أن أطيع إشارة جنابكم العالي فأقدم إلى أعتابكم ملتمساً قبول استقالتى من وظيفة ناظر الديوان الحديوي .

« مولاي : لى اثنان وأربعون عاماً قضيت ثلثها في خدمة المغفور له والدكم وثلثها في شرف خدمتكم ، فكانت تصادفني أحياناً ظروف أتحمّل فيها من شدائد الحال في العهد الأخير بين مصر والعربة ما لا يتحمله غيرى ، وكم هممت بالاستقالة فتمثلت أمام عيني صورة المرحوم والدكم فتذكرت ما لأيديه البيضاء على من الاحسان حيث رباني صغيراً وشمّلني بعطفه كبيراً ، فأرجع عن عزمي رغبة مني في وفاء هذا الدين بدوام البقاء في خدمة سموكم .

« وانتي لا أكون مبالغاً اذا اعتبرت نفسي قدوفيته بما قمت من خدمات في أصعب الاوقات جمعت فيها بين واجب الاخلاص لبيتكم الكريم في شخص سموكم العزيز وبين داعي الوطن المقدى، حتى كان لى الحق في مقاسمة جنابكم العالي شطراً متواضعاً في نثار الجهاد السياسى المقدس الذى جاهدتموه .

والآن أترك خدمتكم ذا كراً بالجمل ما أوليتموني فيها ، ناسياً ما أصابني في أثنائها راجياً من سموكم العفو عن هفواتي التي لا تخلو الحال من وقوعها من غير قصد في غضون مثل هذه المدة الطويلة، داعياً لسموكم أن يفيض المولى سبحانه وتعالى عليكم نعماءه ، وأن يحسن لكم العاقبة ، ويرد لكم حقوقكم . واني ما زلت يامولاي عبد سموكم الطائع .

« شفيعه »

وحررت للوالدة رسالة بالاسباب التي بنيت عليها استقالتى فأرسلتها للخديو

وفي ٢٨ يوليو توجهت بعد الظهر إلى سراى بيك ، ودفعت باستقالتى لعارف باشا راجياً منه أن يقدمها للخديو ، وبعد أن قدمها قال : « إنه تسلبها ، ولكنه لم يقرأها وأبقاها إلى ما بعد ، كما أنه لم يقرأ المذكرة وسيقرؤها معاً ويعطينى خبراً ، (مع أنه سبق أن قال لى يوم أن عرض على سموه مذكرتى : انه قرأها من أولها لآخرها) . وبذلك انقطعت صلاتى بعباس

تسديدى دين حمصى : وبواسطة عبد الحميد شديد سددت هذا الدين ، بسحب

حوالة لحمصى يسدها ابنى عز الدين بمصر

نصفية الحاشية :

عبد الحميد شديد بك: زرت شديد بك يوم ٢ مارس قبل سفرى من السويسة فعرفنى بأن عباس أرسل له فى جواب حرره احمد بك صادق يأمره بالرجوع الى الأستانة بدلاً من محرراته التى هى عبارة عن طلبات نقود وتألّمات وتوجعات فيما أصابه من الخسارات المادية ، فأجاب شديد على ذلك بأنه خدم سموه متطوعاً مدة سنتين فكان ينفق من ماله أجر السكك الحديدية ومصاريف الفنادق وغيرها ، وأنه كان قرر له بعد ذلك ألف فرنك شهرياً ، ولما علم بوصول نقود له فى مصر أنزلها الى خمسمائة ، وأخيراً لما عينه ناظراً للخاصة قرر له ١٣٠٠ فرنك وبناء على طلب شفيق زاده الى ١٥٠٠ ، مع أن الذى كان سموه وعده به هو مبلغ ١٢٥ جنياً مصرياً . ثم قال : إنه فى مدة وجوده فى خدمة الجناح العالى قام بخدمات جليلة ، منها أنه لما احتاج سموه الى نقود عقد له سلفة بمبلغ ثلاثمائة ألف فرنك يأخذها على أقساط شهرية كل قسط عشرون ألف فرنك (وكان يصرف منها للحاشية ألفين ويرسل الى لوزانج ٦ آلاف فرنك لفرنسا) ومنها أنه توسط بينه وبين الانكليز لعمل اتفاق فى صالح سموه نظير تنازله عن حقوقه فى الخديوية المصرية .

وأخيراً قال شديد : إنه متمسك بالشروط التي أرسلها منذ شهر لقبوله القيام بأعمال الخاصة ومنها تخصيص سيارة لركوبه وترك الحرية له في انتخاب المستخدمين ، وعدم قبول أوامر إلا من سموه ؛ وله أن يفعل ما يشاء وأن يخصص مسكناً له ولأولاده ولا يأخذ مرتباً ؛ فقط عند الاستغناء عنه يعطى ألف جنيه إنجليزي لمصاريف رجوعه الى الأستانة ، وأنه ينتظر الرد لغاية مارس فان لم تقبل هذه الشروط فانه يقدم استقالته ، ويطلب بحقوقه لغاية يوم الاستقالة .

وفي يوم ٨ مايو (وكنت قد حضرت الى الأستانة) اجتمعت مع عباس وكان في حضرته عارف باشا وأحمد بك صادق فدار الحديث عن شديد بك فقال : إن المذكور كتب له وادعى أنه هو الذي أغاثه من الضيق الذي كان وقع فيه أثناء وجوده في سويسرة ، فقال : إنه يفخر بأن الضيق قد بلغ به الى هذه الدرجة ، وهذا ليس بالشيء الذي يشينه ، لأنه يدل على عزة نفسه (وخرج سموه بهذا الكلام عن الموضوع لأن شديداً لا يريد بما فعله لسموه أن يقول : إن هذا العمل إهانة بل يقول : إنني ساعدته على إيجاد النقود في وقت احتياجه لها) .



رمزي طاهر باشا

ثم أنحى على شديد باللوم مدعياً بأنه أفسد عليه عبد المنعم وعبد القادر أيضاً ثم قال : إنه أرسل للمحامى بيكار في السويسرة أن يطلب منه تقديم حسابه . ولم أعلم ماذا تم بعد ذلك لانفصالاً عن الخديو .

رمزي طاهر باشا : في يوم ٢٠ أبريل تقابلت مع رمزي طاهر باشا السرياور الخديوى الذى استقال بعد رجوع عباس من ألمانيا ؛ فعلبت منه أن السبب هو أنه كان قد أعطى شهادة ممضاة منه ومن ابراهيم بك أدهم وتوفيق بك الياوران ،

لحسين وصفي افندى الذى كان معاون القبول كتخدائية وفصله الخديو ، بأنه كان ضابطاً في الجيش المصرى ، حتى يمكنه أن يستخدم في الدولة ويعيش . فعلم الخديو

بذلك وغضب على سر ياوره مدة ؛ وبعدها جاءه احمد بك صادق وكلفه برفع استقالته فلم يقبل ، ولكنه انقطع عن العمل في بيته .

قال رمزي باشا : « ولكن جاءني ذات يوم احمد بك صادق في منزلي ، وكان معه يكن باشا و ابراهيم ادهم وتوفيق بك فهمي (أى الذين انفصلوا عن الخديو) وطلب احمد صادق منى أن أتوجه معه للسراى لمقابلة سموه ، وكان سبب هذا الطلب أنه كان نوى أن يترك الآستانة بعد الهدنة التركية ، ويهرب الى أوروبا ، وكان يرغب في تسليمى السرايات فرفضت التوجه مع احمد بك صادق رغم إلحاحه . »

وسبب فصل وصفى افندى أن الخديو أخرجه من سراى جبوقلى التى كان يسكنها ويأكل فيها لأن راتبه كان ١٤ جنيتها فقط ، والخديو على الرغم من إلحاحى مدة تقرير المرتبات لم يرض أن يعطيه علاوة ، ألا هو ولا ابراهيم بك أو توفيق بك ، حتى غضب من إلحاحى ، فلما أخرجه من جبوقلى صار مبلغ ١٤ جنيتها لا يكفى لمسكنه ومعيشته . وصادف في هذا الوقت أن احمد بك فريد التشريقات استعفى ، فطلب وصفى بواسطة رمزي باشا أن يعين محله حتى يقبض ٦٠ جنيتها تركياً شهرياً فتكفيه لمعيشته ، فقال الخديو : « أنا لا أخاف من تهديده » كأنه يقول : إن وصفى يهدده بالقتل إذا لم يرض بزيادة راتبه !! .

وعلمت من رمزي باشا أن الخديو كان يأمر بتعطيل إرسال الاذن بسفر عائلة شديد بك لأنه ما كان يريد أن يرجع إلى الآستانة قبل سفره إلى المانيا ورجوعه منها ، كما أنه عطل رجوعنا معه من بودابست .

وقال رمزي : « إنه لما وردت برقية منى بتعذر مواصلة السفر لانقطاع الطريق ، وأن عفشى ضاع ، كان يضحك كأنه حصل له السرور من ذلك ، ثم قال : « وان الخديو كان ينوى إذا حضر شديد بك إلى الآستانة أن يسلمه إلى الحكومة انتقاماً منه ، ويظهر عنه أسراراً تدور حول مسأله طرابلس الغرب ، تكون سبباً للقبض عليه »

الدكتور سيد كامل وعبد الله البشرى : في يوم ١٩ يونيه كان الشيخ محمود المصرى (الذى كان فى المدينة وحضر الى الآستانة وساعده الخديو والآن فى

خدمته) في غرفة احمد بك صادق مع الدكتور فريد طيب السراى، فجرى الكلام في مسأله مصر واحتمال رجوع الخديو، فقال احمد صادق: ولو أن البعض هنا ينكر هذا الاحتمال! فقال الدكتور: أظن أنك تعنى بذلك السيد كامل؟ قال: نعم. فأسرع الشيخ وأخبر الخديو بذلك، فغضب من الدكتور سيد كامل. ولم يكف الشيخ بذلك بل دس لعبد الله البشرى. فقال: وان البشرى يحامى عن الخونة (أى شفيق وسيد كامل). فلما بلغ ذلك البشرى سفه الشيخ وشمه وكان ينوى ضربه، وأما سيد كامل فأراد أن يتواجه مع الدكتور فريد، ولكن هذا كان يأتى السراى ولا يدخل غرفتى، التى يأوى اليها سيد افندى، والتى كان يدخلها الدكتور كلما حضر للسراى من قبل؛ وتقرر عمل تحقيق، ولكن فريداً تهيب منه الى يوم ٢٤ يونيو. ولما اجتمعنا بحضور عارف باشا قال الدكتور: انه لم يكذب وألقى كل المسؤولية على احمد بك صادق وعلى الشيخ محمود المصرى.

نور الدين: حدث فى أوائل أغسطس أن الخديو عهد إلى نور الدين بك فى مهمة فاعتذر لأن له قضية منظورة فى اليوم المذكور، ويجب عليه أن يكون حاضراً فى المحكمة، فلم يرق ذلك فى عين الخديو، فأنبه وكدره، وقال له: «كيف لاتقضى مصالحى، وأنت مأجور منى مع أنك تمضى نصف الشهر فى مباشرة أشغالك الخصوصية؟» فكتب نور الدين خطاباً لسموه يقول فيه: «ان الذى يتقاضاه منه لا يقوم بمعيشته، ولولا اجتهاده ومباشرة أشغاله الخصوصية التى تساعد على العيش لمات جوعاً، فاذا كان هذا لا يرضى الجنب العالى فانه يقدم استقالته». وبعد أربعة أيام أرسل له عارف باشا يقول: «ان استقالته قبلت، وانتهى الامر»

سمى عباس لاستفمول المركز الوطنى: بلغنى فى أوائل ابريل سنة ١٩٢٠ أن عباس كلف البرنيس شويكار بالسعى عند سعد باشا زغول فى باريس لاجتذابه إلى جانبه، وأن أمله كبير فى الرجوع إلى مصر سلطاناً عليها. ولكن سعداً قابل البرنيس بتحفظ، وعادت بلا نتيجة.

وفى يوم ٢٤ منه علمت من عباس أن البرنيس أخبرته أن صفية زغول أثنت على حرمه ولم تن عليه، وأنه يعتقد باتصال المخاطبة بين حرمه وصفية هانم

ثم علمت من البشرى ، أن سموه يريد أن تكتب حرمى إلى صفيه ، «انتم لتدافع عن الخديو عندها .

ومع وجود هذه الرغبة أراد أن يفهمنى أنه لا يهتم بأى شىء فقال : « أنا الآن صرت فيلسوفاً فلا يفهمنى من هذه الدنيا شىء »

وفى يوم ٧ أكتوبر قال الدكتور سيد كامل لى : « يحسن أن تقدم نفسك يا باشا للانتخابات القادمة لتشكيل الجمعية الوطنية التى ستنظر فى الاتفاق بين مصر وانجلترا » ثم سألتنى عن رأى فيما إذا كنت أعطى صوتى للخديو عباس ؟ فأجبتة نفيّاً قائلاً : « اننى عرفت أنه لا يصلح للحكم ، وأن وطنى فى حاجة الى الرجل الصادق المحب للمصريين ؛ وليس من يبغضهم . وهل نسيت يا سيد أفندى ما كان يقوله عن المصريين ؟ اننى سجلت عليه كل أقواله كما فاه بها ، وإن حى لوطنى أكثر من كل شىء » ، قال : « ولمن حينئذ تعطى صوتك ؟ قلت : وقتها أفكر فيمن أصوت له ! » واسترسلنا فى أحاديث الحكومة والحكام فقال : « نحن وجدنا مع الخديو عباس - وخصوصاً أنت - من زمن بعيد ، فكيف تتركه الآن ؟ أفلا يقول الناس أن شقيقاً ترك عباساً مدعيّاً بأن سموه لا يصلح للحكم ، مع أنه خدمه المدة الطويلة ؟ قالت : « إن هذا الانتقاد ظاهره منطقي ، ولكن عندى من الأسلحة ما يمكننى من المدافعة عن خطتى » ، قال : « أنت يا باشا تقول ذلك باللسان وليس بالقلب ، وأنا أرجو أن يزول ما بينكما وترجع المياه إلى مجاريها »

وأضاف : « وأنا أقول هذا من عندياى وليس بايعاز » فأجبتة : « أنا أريد وأنت تريد والله يفعل ما يريد » وقد فهمت أن عباساً هو الموعز له بهذا الحديث وفى يوم ١٩ أكتوبر حضر محمود أفندى زكى ، وأخبرنى بأنه بناء على الحاج عباس توجه هو وصفا بك صاحب جريدة العدل بالآستانة سابقاً إلى بيلك . والاول قابل سموه فلامه على ما كتبه فى جريدة مصر ضده ، وطلب منه أن يصلح المسألة ويكتب ما هو فى مصلحته على شرط أن يرسله إليه وهو - أى الخديو - يبعث به لمصر ، وقد وعده أحد صادق أن يصرف له مرتبه الذى كان قد قطعه عنه سموه منذ ستة أشهر ، ولامه على ما كتبه من أن وفداً من المصريين ذهب لبيلك ليسترحم عطف الخديو عليهم ، ولكن وسيط السوء أحمد صادق رفض قبول الوفد وإدخاله فى حضرة سموه ، وقال : « والله اننى لمظلوم » وفهمت من محمود أفندى زكى أن سموه يجتهد

في جمع المصريين حوله ، فقلت : « نعم ما يفعل ، وكنت نصحته قبل الآن ولكنه لم يسمع النصيحة إنما أدرك الآن غلظه فرجع عنه والحمد لله » فقال : « ولكن نحن جميعاً نرغب في أن تكون يا باشا في مقدمتنا » فقلت : « أنا الآن لا أريد أن أخطو خطوة إلى الأمام ولا أتناول في شيء ، وغاية ما أرجوه أن أراجع إلى مصر ، وهناك أشتغل لصالح بلدي ، فعاد يلح علي بأن أغض الطرف عما حدث ، فلم أجبه بشيء . وفي يوم ٢٤ نوفمبر قابلت الكابتن دافيلد في قلم المخابرات الانجليزية بالآستانة . فعرفت منه أن محمد سعيد باشا وأحمد شوقي بك يقومان بالدعاية للخديو عباس . وسألني عن رأيي في ذلك فقلت : إن سموه له - زب ، فإذا كان محمد سعيد باشا على رأسه فإنه قد خاب في مسعاه ، لأن الأخبار التي وردت لي من مصر تدل على أن المصريين ناقمون على سعيد ، وعرفته أيضاً بالحزبات التي بين محمد سعيد وسعد باشا .

سورة مختلفة

عباس وصاحبه علمت من شديد أن لوزانج لم تقبل الذهاب إلى الآستانة إلا بعد أن أخذت خمسمائة ألف فرنك ، خلاف عقد أو لؤوا اشتراه الخديو لها في مونتروه بعشرة آلاف جنيه ، ومصوغات جاء بها أحد باعة المجوهرات من باريس بمبلغ مائة ألف فرنك ، قال : « وإن جملة ما أخذته منه يقدر بخمسين ألف جنيه ، وأظن أن في ذلك أيضاً الستة الآلاف فرنك التي كان يدفعها لها شهرياً ، وترسلها لباريس . قال : وإن سموه أعطاهها أيضاً أسهماً من البنك العقاري وربما يكون ذلك في نظير المائة والخمسين ألف ليرة تليانية ، التي كانت لها في بنك رومه بمصر وسحبها منه عندما رجعت من فينا إلى سويسرة مع الخديو ، وسموه كان يقول بهذه المناسبة : « إن أقرب الناس لم يسعفني كما أسعفتني امرأة » .

من أسرار الحرب العظمى :

بلغني من راقب نجل مظهر بك يوم ٢٩ يناير أن الانكليز كانوا عرضوا على الدولة بواسطة سفير إحدى الدول انسحاب العساكر العثمانية من الحرب نظير تأمينها على سيادتها على مصر وعلى أملاكها جميعها واسترداد الجزر بما فيها كريد ، وكفالتها في الخمسمائة مليون جنيه (قيمة ديونها) وأمريكا تضمن للدولة تنفيذ هذه الشروط ، ولكن فؤاد بك سليم في تقريره الذي أرسله مع اقتراح انكثرت هذا قال

برفضه ، لأن إنجلترا لم تعرضه إلا لأنها تحققت من عدم نجاحها في هذه الحرب ، وأنها ستخسر ليس فقط مصر التي سيؤول أمرها إلى الدولة بل الهند أيضاً ، وأن إنجلترا متحققة من انتصار ألمانيا .

وبلغنى منه أيضاً أنه لما حصلت الهدنة مع الدولة تخابرت إنجلترا مع الملحق العسكرى في سفارة الدولة ببرن ، لامع فؤاد سليم بك ، ولما تبرم للحكومة العثمانية من ذلك ، اجابته أن إنجلترا لم ترد المخابرة معه لأنه مصرى .

رأى ضابط انجليزى فى الادارة المصرية المستقلة : تحدثت مع الكابتن دافيلد السابق الذكر عن مشروع الاتفاق بين مصر وإنجلترا ، فأظهر لى أنه يخشى إذا انسحب الانجليز من الادارة أن يفشو ظلم الحكام ، وتقع البلاد في حالة أسوأ من حالة تركيا ، فأجبت به بأن عقيدتى خلاف ذلك . أى أن المصريين يحسون بالمسئولية ليس فقط أمام إنجلترا بل أمام الدول جميعا ، وانهم يحسنون الادارة خصوصا وقد اكتسبوا فى مدة الأربعين السنة الماضية تحت اشراف إنجلترا دراية وخبرة فى الأعمال . فقال : « اننى متشائم » فقلت : « هذا جائز ولكن هو اعتقادى ، ويكفى أن تكون الروس طيبة أى النظار » وأفهمته أنى أدركت الأوقاف بالذمة والصدقة وفى مصر - ولا شك - من هو خير منى ادارة ، فأظهر أنه ليس من رأى وأنه عاشر الفلاحين ، ويخشى أنهم بعد خروج الانجليز يأسفون عليهم ، قلت : « ربما كانوا يأسفون لولا أن حادثة دنشواى أبعدهم عنهم ، فانه حتى وقوع تلك الكارثة كان النفوذ الانكليزى كبيرا جدا ، وكان الأهليون يلجأون إلى الوكالة الانكليزية للأخذ بناصرهم ، ولكن انعكس الأمر عقب الحادثة ، ودللى على هذا أننا إذا جمعنا احصاء عن عدد العرائض التى كانت تقدم إلى الوكالة قبل حادثة دنشواى وبعدها وجدنا الفرق عظيما » فقال : « صحيح ! كانت حادثة أليمه إلا أنها لو نظرنا إلى المسألة من وجوها مختلفة لوجدنا أنه كان يجب تأديب المعتدين »

الآن حصحص الحق : وفى اجتماع آخر بالكابتن دافيلد يوم ٢١ سبتمبر استطرد بنا الكلام عن خدمتى لعباس فقلت له :

« ها هي ذى مسألة من المسائل التى كانت غامضة أظهرها التحقيق الذى يجرى الآن في مصر أمام المحكمة العسكرية الانجليزية عن جمعية الانتقام ، فان عبدالرحمن بك فهمى قال : « ان سبب انفصاله من وكالة الأوقاف هو أن الخديو عند وجود

المدير العام شفيق باشا بالأجازة في أوروبا طلب مني اتخاذ اللازم لمشتري تفتيش المطاعنة الذي يملك ثلثيه شفيق المدير العام للأوقاف ، فرد عبد الرحمن بك بأن الثمن المطلوب ليس موافقا ، وليس من الصالح المشتري به ، فألح الخديو مرارا ، ولما لم يطع الأمر فصل ، وقال أيضا : « إن شفيق باشا لم يقبل المشتري فنقل من الأوقاف العمومية ، وجاء بعده ابراهيم نجيب باشا فاشترى التفتيش ، وأعان عبد الرحمن بك أن الخديو كان له مصلحة شخصية في بيع المطاعنة للأوقاف .

قلت للكاتبين : « هذه هي حقيقة خروجي من الأوقاف فالحمد لله انها ظهرت على لسان غيري ،

اشترأكي في جمعية خيرية عربية : في يوم من أوائل نوفمبر دعاني عبد الرحمن بك العابد للغداء . وكان معنا الدكتور سيد كامل ومعهم من اللاذقية تالقي العلوم في الأزهر ، فأخبرني الأول بأنه قد تشكلت جمعية عربية من السوريين لتفسير أبناء العرب المحتاجين إلى بلادهم ، وانه تقرر أخيرا انتخاب أعضاء آخرين من المصريين والبغداديين والطرابلسيين والحجازيين ، وأن الجمعية انتخبته وقبل العضوية ، وانها تريد أن أشترك فيها :

وبعد أن اطلعت على قانونها وما يعلمه الدكتور سيد كامل عنها قبلت الاشتراك فأرسلت لى الجمعية رسالة جاء فيها .

« بناء على ما هو معروف في سعادتك من نباهة الذكر والرغبة الصادقة في عمل الخير وما هو متأكد لدى (الجمعية الخيرية العربية) بالاستئانة من أنكم لا ترفضون تعضيدها ان هي دعتمكم إلى الاخذ بناصرها ، أتشرف بابلاغ سعادتك جماع أعضاء مجلس ادارتها في جلستهم المنعقدة يوم الخميس الموافق ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٠ على انتخاب سعادتك ، مع مزيد سرورنا الشخصي في التطلع إلى التشرف بطلعتكم يوم الخميس القادم ١٨ نوفمبر ، لحضور اجتماع مجلس الادارة الذي ينعقد عادة كل أسبوع في مكثنا الخاص ، ولسعادتك منا مزيد السلام ووافر الاحترام ، رئيس مجلس ادارة الجمعية الخيرية العربية

أحمد عبود

وقد توجهت في الميعاد وتعرفت بالأعضاء ، وعرضت علينا جملة مسائل منها أنه تقدم لنا أحد الجرا كسة ويحسن العربية وكان مفتيا في القوقاز وهاجر منها هاربا من البلشفيكيين ، والتمس مساعدته ماديا هو وعائلته ، ولما كانت الجمعية لا تنظر إلا في تسفير أولاد العرب رفضنا طلبه ، وإنما تبرعت له بخمسة وعشرين جنيها ، فدعا وخرج .

واستمررت على الذهاب إلى جلسات الجمعية وتبرعت لها بخمسين جنيها واشتركت بخمسة عشر جنيها شهريا ، ولما أردت السفر من الآستانة إلى فينا وسويسرة تركت لها ثلاثين جنيها اشترك شهرين .

التحقيق في ضياع المجوهرات - عودتى الى مصر - المساعى لعودة عبر الخليج
بك شديدا وعملاقه عباس - رأتى فى الاتفاق بين مصر وانجلترا - برنامجى
للمصالحات الداخلية - الخلاف بين مصر وعملى ومساعى التوفيق - حوادث
الاسكندرية ودفاعى مع شكور باشا عن سمعة مصر - نوادر عن شيخ عباس .

التحقيق في ضياع المجوهرات : علم القارىء من مذكرات سنة ١٩١٨ بالمتاعب
والآلام التى لقيتها فى سفرى الى السويس لاستحضار عائلتى، وعائلة شديدا بك بناء على
الأمر الحديوى، ومن بينها ضياع حقيقة بها نقود ومجوهرات، وادعاء أحد موظفى محطة
انسبروك أن واحدا من طرفى حضر لتسليمها، وشكواى ضده وضد مصلحة السكة الحديدية
وقد حدد لنظر الدعوى أخيرا جلسة يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٢١ فى الاستئناف
بعد أن حكم لى فى المحكمة الابتدائية بوجوب التعويض، فسافرت من الآستانة يوم
١٠ فبراير الى فينا، وقابلت المحامى شونبرج الذى يترافع عنى فى الدعوى، فعملت منه
أن الاستئناف أيد الحكم الابتدائى بحق فى التعويض، ولكنه يطلب ايضا حات
عن الحقيقة، وأن المدعى العمومى أراد انهاء المسألة بدفع مليون كورون، فأبى المحامى
لأن المبلغ قليل نظرا لانخفاض سعر العملة، وأن شونبرج سأل بعض الخبراء فى المجوهرات
عن أثمانها الآن ووقت ضياع الحقيقة، فعلم منه أن ثمنها فى ذلك الحين يساوى خمسة
أضعاف الثمن الحالى، وطلب من المحكمة أن تفصل فى هذه النقطة عند صدور حكمها حتى
لا تستغرق الدعوى مدة طويلة . وهو يعتقد أنه إذا صدر حكم الاستئناف لمصلحتنا،
فان المدعى العمومى سيطلب ارسال القضية إلى محكمة النقض فى فينا، وعلى فرض تأييد
الحكم فان الصعوبة فى أن تدفع الحكومة التماوية التعويض المطلوب، بينما المسموع
أنها تريد أن تعلن التوقف عن دفع ديونها وهى تفكر فى اصدار قانون بذلك .
ثم أخبرنى أن هناك مبدأ قانونيا يقضى بتممين الأشياء الضائعة وقت ضياعها بسعر عملة
البلد الذى ضاعت فيه، وأنه إذا حصل ذلك نخسر خسارة كبيرة لهبوط سعر الكورون .

وفي يوم الجلسة كنت مع المحامي في المحكمة ، ثم حضر المدعى العمومي فتعارفنا وبعدها حضر القاضي والترجمان فتبادلنا التحية ، ولم تر المحكمة حاجة لحلف اليمين على المصحف الذي كنت استحضرتة معي ، وإنما دعاني القاضي أمامه وأجلسني على كرسى بجانب الترجمان ، وحلفت أنني أقول الحق ؛ ثم ابتدأ الأسئلة وكلها ترمى الى غاية واحدة ، وهي : هل عندما كنا في هوتيل بلودانس حتى ركبنا القطار ووصلنا الى أنسبروك كانت الحقيقة في حرزمتين ، ولم تمسها يد خلاف يدى ويد حرمي ؟ فكانت أجوبتي أن الحقيقة كانت في حراستنا ولم تمسها يد أجنبية ؛ ثم سئلت عن إقفالها بالمفتاح لأنني قلت في محكمة لوزان : إنني أقفلتها وأخذت المفتاح في جيبي . قلت : نعم أنني متعود ذلك ، وعلى ظني أنني لم أخلف هذه العادة ، لكن من الجائز أنني لم أقفلها كما يجب في بلودانس ، لأنني لم أمسها بعد ذلك حتى أعلم هل كانت حقيقة مقفلة أم مفتوحة وتمت الأسئلة على ذلك ؛ ثم ابتدأت المرافعة من جانب المدعى العمومي ، ثم من المحامي ثلاث مرات ، فالأول كان يدفع مسؤولية السكة الحديدية ، والثاني يثبتها ؛ ثم كان يقول بأنه إن كانت مسؤولية فتكون على أساس قيمة الكورون وقت ضياع المحفظة ، لكن المحامي قرر أن مقدار التعويض عن المجوهرات المفقودة هو ٢ مليون كورون بالقيمة الحالية على الأقل ، وطلب من المحكمة أن تقرر انتداب أحد الخبراء في فينا لسؤاله عما يعلمه عن قيمة المجوهرات في ١٨ سبتمبر ١٩١٨ وقيمتها الآن حتى إذا قال بزيادة عن ٢ مليون يكون لنا الحق في هذا ، الزيادة ، وطلب فوائد المبلغ الذي ستحكم المحكمة به لغاية يوم الدفع ، ثم حصلت مناقشة حول أثمان بعض الأشياء التي كانت داخل المحفظة منها النقود الذهبية فطلب دفع قيمتها وانتهت الجلسة . وقد حكم لنا . ولكن الحكومة لم تدفع لأن الامبراطورية تجزأت وتعددت حكوماتها فلم تعد هناك حكومة معينة نطالبها (١)

(١) وقد علمت بعد ذلك أنه توجد في لندن لجنة للنظر في توزيع ديون الامبراطورية النمساوية على المالكات التي تحولت اليها الامبراطورية أخيراً . وقد قيل لي بصدد ذلك أنه من الممكن تحويل القضية على هذه اللجنة بوساطة أحد المحامين هناك . ولهذا أرسلت جميع أوراق القضية الى حضرة صاحب السعادة عبد العزيز عزت باشا — وكان وزيراً مفوضاً في لندن وقتذاك — راجياً منه انتداب أحد المحامين ليقوم بما يلزم للوصول الى تنفيذ هذا الحكم .

وقد أودع الباشا ملف القضية لدى سكرتيره الخاص وكان سويسرياً . ومن سوء الحظ أن ذلك السكرتير انفصل من وظيفته عقب ذلك ، فضاعت أوراق القضية ، وانهى أمرها عند هذا الحد .

عودتى الى مصر :

المساعى للعودة : سعت فى العام الماضى كثيراً للعودة الى مصر ، فلم يأتنى الترخيص ، فظننت أن ذلك ربما كان من معارضة السلطات الانجليزية لتوهمها أننى لا أزال على اتصال بعباس ، وأن استقالتي ليست إلا مناورة يقصدها تسهيل عودتى الى مصر لخدمته فيها .

وقد جاء الترخيص لحرى وحدها بالسفر فسافرت من السويسرة فى ديسمبر سنة ١٩٢٠

وبقيت أنا بالآستانة أجدد المساعى ، بينما كانت حرى تبذل مساعى أخرى فى مصر .

وفى يوم ٦ يناير وردت لى من حرى رسالة جاء فيها : أن بعض السيدات من صديقاتها يشرن عليها بالكتابة الى السلطان ، رجاء الترخيص برجوعى الى مصر ، ولكنها لا تريد أن تعمل بهذه الاشارة ، وأنها ستطرق باباً آخر .

مساعى مظلوم باشا وتسويف السراى : وقد كتبت لى مدام تقلا باشا بأنها تقابلت مع عبد الفتاح يحيى باشا وكيل الداخلية ، وحادثته فى الترخيص لى بالعودة ، فأجابها بأن المستشار الانجليزى لا يرى مانعاً من عودتى بعد موافقة السراى كما هو المتبع مع المصريين ؛ فأرسلت الى مظلوم باشا (١) — لاتصاله بالسراى — ليقوم بالسعى اللازم .

وقد تكلم مع السلطان فؤاد بخصوص ذلك ثلاث مرات ، فقال له فى الأولى : « لماذا يا باشا تهتم برجوع شفيق ؟ » فأجابه : « لأنى رأيته فى سويسرة ، وحالته الصحية تستدعى الشفقة . وعند ما كلمه فى المرة الثانية ، أجاب بأنه سينظر فى المسألة بعد ، وفى الثالثة ، قال : « إنه سينظر فيها بعد رجوعه من سياحة الصعيد »

وبعد ذلك سافرت أنا الى أنسبروك لحضور جلسة المحكمة كما سبق ثم واصلت السفر الى السويسرة اعتقاداً منى بأن وجودى فى الآستانة ربما كان معرقلاً لهذه المساعى .

الترخيص بالعودة : ولما كنت في فريبورج وردت لي برقية من حرمي بأن السلطة المصرية قد رخصت لي في العودة ، وأنها أرسلت برقية بذلك الى السفارة الانجليزية في برن .

وفي ٨ مارس كتبت إلى رسالة جاء فيها : أنها بعد التفكير وبدون أخذ رأى أحد لأن صاحباتها مختلفات في اختيار المسعى الضروري لرجوعي قررت الذهاب الى المارشال اللتي القومسير العالي الانجليزي ، فحررت له خطاباً جاء لها رده بأنه يمكنها الحضور في أي يوم أرادته ، وعليه توجهت ، ولكن المارشال كان غائباً فقابلها سكرتيره بلطف ؛ ولما وصلت إلى دار الحماية كانت أعصابها متهيجة حتى انهمرت الدموع من عينيها ، وما كانت تقدر أن تفوه بكلمة ، وإنما هدأت حين جاءها السكرتير ، فأخبرته بتفصيلات القضية المرفوعة ضدي من الأوقاف (وقد عرفها القارئ فيما مضى) وعرفته بأنه تقرر اصدار الحكم دون النظر في أوراق القضية ، وهي أوراق قديمة كانت استحضرت من المحاكم الاهلية حينما نظرت في القضايا المرفوعة وقفها ضد احمد بك صادق وخيري باشا وحسين باشا محرم ، وأن المحامي يريد تأخير القضية حتى تستحضر هذه الأوراق ، ويطلع عليها ؛ وأنتى لو كنت موجوداً في مصر لاثبت براءتي ، فطلب منها أن تستحضر من المحامي خلاصة للقضية بالفرنسية ، فاستحضرتها ثم علمت بعد أيام بالتريخيص لي في العودة ، فأرسلت لي البرقية السالفة الذكر .

وفي يوم ٢٦ مارس كنت في جنيف وقابلت موسيو جانيو مدير البعثة المصرية في السويسرة ، وتحادثنا في موضوع عودتي الى مصر ، فقال لي : « إن مفتش الجوازات الانجليزي في سويسرة استعلم منه عنى ، وعرفه ببعض مسائل ليس لي دخل فيها ، وعلم جانيو أن هناك خطأ ، وأن الانجليز يظنون أنتى يوسف صديق حتى أدى الحال الى أن أرسل له كراسات قضية بولو قائلاً : إن جميع ما فعلته وارد في هذه الكراسة ففحصها المفتش ولم يجد اسمي فيها ، فتأكد من خطأ الانجليز ، وأقع المفتش الذى طلب منه بناء على أمر ورد له من مصر أن يعطيه معلومات عنى ، فحرر له مذكرة بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٢١ ، قال فيها : إنه لا يدخل في وظيفته إعطاء معلومات عن أشخاص لأنه موظف تابع للمعارف ، ولهذا لا يعد ملزماً باجابة كل طلب من هذا القبيل ، ولا يجب أن يتجسس على الأشخاص ، وإنما لا يتأخر عن إعطاء معلومات عن يعرفهم بصفة خصوصية . بعد ذلك قال : إنه يعرفني من منذ سنة ، وأنه اختلط بي

وتحدث معى في مواضع شتى ، ولم يجد فى كلامى أو فى أفكارى ما يدل على بغضى
 وحقدى على أشخاص الانجليز ، ولكنه وجد عندى احساسات وطنية شريفة تثبت
 حى لوطنى . ولا يعرف أتنى فى زمن الحرب تداخلت فى مسائل Loucnles ولا
 كان لى يد فى مسألة علاقة الخديو مع الألمان ، بل كانت همى مبذوله فى تعليم
 أولادى ، وأتنى لأدخر وسعاً فى مراقبة دروسهم وسيرهم ، ولا أتاخر فى بذل المال
 واتنى أدقق فى مصروفاتهم ، ولم يكن لى من ذنب إلا الاستمرار فى خدمة الخديو إن
 كان هذا الولاء يعد ذنباً ، وعلى الجملة قال: إننى Gentelman وإننى على معلومات
 واسعة ، بعد ذلك مضى أكثر من شهر فأرسل له المفتش الانجليزى يقول إن السلطة
 فى مصر ترغب فى الاطلاع على المذكورة السرية التى أرسلها له فى ١٧ يناير ، وأنه
 يستأذنه فى إرسالها ، وأجاب جانيو فى ٢٣ فبراير بأنه لا يرى مانعاً من أن يبعث بها
 الى مصر . فالانجليز كانوا حينئذ يسيئون الظن لى ، وهذا سبب امتناعهم عن إجابة
 ملتسمى الذى قدمته للقومسيير العالى بالآستانة فى شهر اكتوبر الماضى . وقد بلغت
 من ثرىا بك متولى أعمال سفارة الدولة فى برن أنه لما كان فى قوميسيون الهدنة
 بنظارة الخارجية ، وجاء الطلب له برغبى فى السفر من سويسرة للآستانة فى أوائل
 سنة ١٩٢٠ لاحظ بعض الصعوبة من المندوب الانجليزى ؛ ولكنه انتهى بعدم المعارضة
 السفر: كنت عازما بعد الترخيص لى بالعودة أن أبقى فى السويسرة الى الصيف
 حتى تحضر حرمى إليها كما كان مقررا ، ثم نعود فى نهاية العام ، ولكنها أرسلت
 تستعجل عودتى لأمر عائلية

فذهبت يوم ٤ ابريل إلى قنصلية انجلترا بجنيف لاستخراج جواز السفر ، وقد
 دهشت حينما وجدت من القنصل تساهلاً كبيراً ، إذا كنتى بوجود جوازى العثمانى
 وقال بأنه سيؤشر عليه فقط ، وما على إلا احضار صورتين شمستين
 وفى يوم ٧ منه تسلمت الجواز وأشرت عليه من قنصلية فرنسا بصعوبة ، حيث
 قيل لى: كيف يكون جوازك عثمانياً وأنت مصرى؟ وكان يجب أن يكون انجليزياً ،
 فأقنعهم بأن القنصل الانجليزى هو الذى أتاح ذلك ، ولو كان هناك مانع لجاءت
 المعارضة من جانبه

الوصول إلى أرض الوطن : وقد سافرت يوم ٨ ابريل بالقطار إلى مرسيليا ،
 وفى صباح يوم ٩ منه ركبت الباخرة ، فوصلت إلى الاسكندرية يوم ١٤ منه ، ثم

استأنفت السفر بالقطار إلى القاهرة . فوجدت في استقبالي بعض أفراد عائلتي وتوفيق بك فهمي، والدكتور سيد كامل، وحافظ بك عوض

مقابلاتي وزياراتي بعد العودة : في صباح اليوم التالي لوصولي إلى القاهرة زرت مدام تقلا باشا ، ولما رأيتهما سألت الدموع من عيني ، فلم أتمالك نفسي من التأثر ، وشكرتهما على حسن مودتهما لنا في أثناء غيابتنا ، ثم زرت مدام علوى باشا لتعزيتهما في وفاة زوجها ، وبعد ذلك ذهبت لزيارة البرنس محمد على فلم أجده

بين عابدين ودار الحماية : وقد استشرت مدام تقلا باشا فيما يجب عمله نحو عابدين ودار الحماية ، فكان من رأيها ألا أذهب لاحدهما ، ولكن تكلمت مع أمين باشا بي فكان رأيها ، أن اكتب اسمي في سجل التشريفات بالسراي ، فتوجهت وقيدت اسمي ، وبعدها زرت سعيد ذا الفقار باشا فسلم علي سلاماً عادياً ، وكان معه محمود شكرى باشا (الذى كان رئيساً للديوان التركى الخديوى) ، فاحتضنى وسلم علي بحرارة ، وأشار علي بأن أ قيد اسمي في دفتر التشريفات ، فأجبتته بأننى نشأت في السراي وأعلم تقاليدها ، وقد قمت بالواجب . وبعد ذلك توجهت إلى دار الحماية ، وقيدت اسمي هناك .

في الازهر : ثم ذهبت إلى الازهر لصلاة الجمعة ، فاستقبلني الموظفون باشتياق . وكذلك من كان هناك في انتظار البرنس محمد على ، ولما وصلت إلى القبلة أجلسوني في الصنف الاول ، وحياني كل من عرفني من العلماء أحسن تحية ، ولما حضر البرنس تقدم نحوى وصافحنى ، وقال : « هأنت ذا يا شفيق باشا قد حضرت »

وهتف الازهريون لسموه ، وبعد الصلاة خطب أحد العلماء في عناية محمد على الكبير بالازهر ، ودعا للأئمة الحاضر والأمير الغائب ، وعند خروج سموه ، هتف بعض الطلبة (يعيش عباس باشا) .

ما لقيته من حفاوة رجال مصر : وفي صباح يوم ١٧ مارس زرت عدلى باشا رئيس الوزراء فاستقبلني بكل لطف ، وتحدثت معه في الترخيص للمصريين في أوربا بالعودة ؛ وقابلت رشدى باشا عند خروجي من غرفة عدلى باشا ، فلما رآنى صاح بصوت عال : « كيف حالك يا شفيق باشا ؟ » ثم قابلت ثروت باشا أيضاً فلم يعرفني أولاً ، ولكن لما تكلمت معه قال : « ما هذا ؟ أنا ما عرفتك يا شفيق باشا »

وبعد ذلك قابلت جعفر ولي باشا وزير المعارف ، وكان عنده بعض الرؤساء فسألوني عن عباس . ثم زرت وزير الأشغال محمد شفيق باشا ، وكان معه المستشار ماكدونالد فعانقني الأول وقبلني ، فظهرت علي وجه مكدونالد الدهشة من هذه المقابلة ، فعرفه بي ، فسأله المستشار : لماذا لم يحضر في مدة السبع السنوات ؟ فأجاب : لأنه كان مع الخديو . فسألني مكدونالد عن سموه



نجيب بطرس غالي باشا

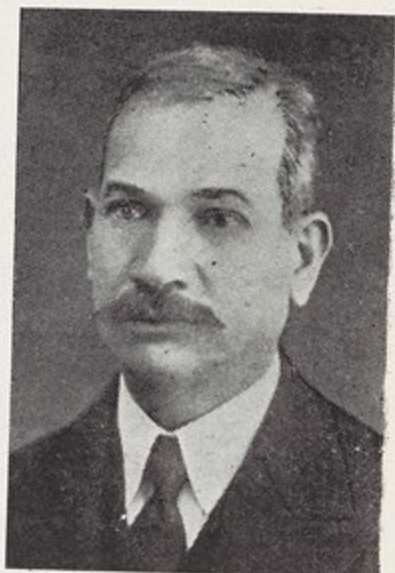
وقابلت مدحت يكن باشا وزير الأوقاف فقال لي : « إنك كنت مظلوما وإن عزت باشا زوج فائقه خانم أخبرني بكل ما حصل » وقابلني نجيب بطرس غالي وزير الزراعة مقابلة لطيفة ، ولكن علمت منه أنه يخالف سعد باشا ، وقال عنه : إنه متلون ثم عاودت زيارة عدلي باشا ، فأظهر لي عطفاً ، فكلمته ثانية عن المصريين الذين في الخارج ، وأنهم ينتظرون من وزارته صدور الأمر بارجاعهم إلى أوطانهم ؛ وقلت إن الحالة الآن تساعد على ذلك ؛ ثم حادثته في رجوع عبد الحميد بك شديد فعلت منه أنه طلب كشفاً بأسماء المصريين الذين

في الخارج فكان الجواب بأن السلطة تجهلهم ، فطلب كشفاً بأسماء الذين لا ترى السلطة دخولهم ، فكان الجواب كذلك نفياً ، وأخيراً وعدته بأرسال كشف بأسماء من طلبوا الرجوع لمصر . قال : وسأنظر في طلباتهم . وقال عن شديد : إنه متهم بعلاقات خفية مع الطليان ، ووعد بالنظر في مسألته ؛ وقال ثروت باشا : إنه سينظر في طلب رجوعه . وزرت مظلوم باشا وشكرته على مساعيه وأعلمته بمساعي حرمي في دار الحماية فقال : وهأنت يا باشا قد حصلت غرضك بدون تدخل السراي ، وأظن السلطان سيتأثر من حضورك بعد هذا لتقييد اسمك في سجل التشريفات ثم زرت عزت باشا وشكرته هو وحرمه على ما أذاعاه عني من حقيقة ما حصلني وبين عباس

أما الذين حضروا لتهنئتي برجوعي فهم سعد زغلول باشا ومحمد باشا سعيد ومظلوم باشا وسابا باشا وحسن حسيب باشا ومحمد شفيق باشا وأمين باشا يحيى



علي فهمي باشا



محمد شفيق باشا



أحمد عزت باشا العابد

ومحمد عرفى باشا وعبدالله باشا وهبى وعلى باشا فهمى (ضابط متقاعد) وحسن باشا رفقى وحسين باشا محرم وأحمد عزت باشا العابد ونجيب شكور باشا واسماعيل صبرى باشا واسماعيل باشا أباطه وخالد باشا لطفى ومحمود باشا أبو حسين وحمدى بك سيف النصر (مدير فى المعاش) وبشرى بك حنا وبسيونى بك الخطيب وجلال بك فهمى ومحمد بك المويلحى وحافظ بك عوض وتوفيق بك فهمى وعزت باشا زوج فائقة هانم وأحمد باشا فائق (مدير فى المعاش) والشيخ أبو الفضل شيخ الأزهر

والشيخ البنا رئيس المحكمة العليا الشرعية والشيخ حسونه النواوى والسيد محمد الببلاوى والشيخ محمد زنائى سكرتير مجلس الازهر الأعلى وغيرهم كثير من كبار الموظفين بالآوقاف .

المساعى لعودة عبر الحمير شريف وعملاقه بعباس : فى أول إبريل حضر إلى جنيف من ميلانو عبد الحميد شديد ، وكنت أخبرته بحضورى إليها ، وقابل موسيو جانيو حيث كان رجاء أن يتوسط لدى السلطة الانجليزية فى سويسرة لتسهيل الحصول على إذن بالرجوع الى مصر ؛ وبعد مناقشة بين السلطة وجانيو اقتنعت بأن تسمع من شديد ما فعله فى مدة الحرب وبعد الهدنة ، وأن يكون جانيو هو الوسيلة بدلا من أن يكون هذا التحقيق فى قنصلية إنجلترا ؛ وقد ألقى عليه موسيو جانيو عدة أسئلة فرد عليها وهى :

أولا: عن خروجه من مصر إلى ايطاليا بعد أن التجأ إلى قنصليتها بمصر وسعيه المتواصل فى رومة لرجوعه . ثانيا : انتقاله إلى لوسرن ومقابلته للخديو الذى كلفه بأن يمنع حسين زكى بك من مقاضاته فى سويسرة بخصوص مسائل مالية ادعاها على سموه ، وقد نجح شديد فى التوفيق بين الطرفين . ثالثا : قال شديد انه لما ضاق الحال لنفاد ماعنده ، وفشلت مساعيه فى لوسرن عند قنصل إنجلترا أملا فى العودة إلى مصر هو وعائلته التى كانت لحقت به فى ايطاليا قرر فتح دكان فى برن ، وكان يورد للخديو ما يلزم له عند ما كان سموه ساكنا فى قصر كلاران ، فقلت النقود عنده ، فراجع الخديو ، ولكن سموه أجابه بأن حالته الاقتصادية هو أيضا سيئة فاتفقا على مراجعة سفارة إنجلترا لعمل اتفاق بين الخديو وبينها ، وبذلك تنفرج الأزمة ، وبناء على الأمر توجه شديد لمقابلة الكبتن بنز وهو فى مكتب المخابرات بسفارة إنجلترا وأفهمه برغبة الخديو ، فأظهر عدم ثقة بمقاصد عباس ؛ ولكنه فى يوم من الأيام توجه توا بدون إخبار أحد إلى كلاران وقابل الخديو ، وتكلم معه فى الموضوع ، وبذلك ابتدأت المخابرات بعد مراجعة لوندرة ، وقد أحالتها نظارة الخارجية على اللورد اكترون ، فقابل الخديو مرتين ، وتقررت فقط الاتفاق ، وعلى هذا كلف سموه أحد المحامين السويسريين بكتابة خطابين فى موضوع الاتفاق ، وبعد امضائهما من سموه أراد أن يرسل المحامى مواجهة السفير وتسليمه الخطابين ، ولكن السفارة أبت قبوله لأنها ما كانت تريد ادخال محام بين الطرفين طبعا ، وأرسلت تليفونا لشديد بهذا الرفض وبذلك انقطعت المخابرات .

قال وبعد ذلك قرر سموه الرجوع إلى الاستانة وترك شديداً لمباشرة أشغال
نجليه في سويسرة . وعينه مديراً للخاصة الخديوية بمرتب ١٢٠٠ فرنك شهرياً
وبوساطة شفيق باشا صارت ١٥٠٠ فرنك ، وقد راجع الكاتبين بنز لقله المبلغ
وعدم كفايته لنفقاته مع أسرته ، فوعده بأن يرخص له في استحضر ١٥٠٠ فرنك
شهرياً من نقوده بمصر إن ترك خدمة الخديو ، وقد أراد شديد الانفصال ، ولكن
سموه وعده بأشياء حملته على سحب استقالته ، وأمره بأن يحضر لمقابلته مع ابنه
البرنس عبد القادر في برلين ، وأن يرسل عائلته مع شفيق إلى الآستانة ، وقد حصل .
ولما قام الخديو من برلين راجعاً إلى الآستانة أنزل شديداً في بودابست حتى يستقبل
قطار « البلقان زوج » ، ولكن انقطع الطريق ، فبقي في بودابست حتى تمكن من
الرجوع إلى سويسرة وعندها استقال .

ومن ضمن ما قاله أيضاً : إنه كتب إلى اللورد هاردينج في أمر عودته كما كتب
إلى اللورد كتشنر ، وأن عنده رسالة من الأخير يعده بالرجوع ، وأخرى من جرای
بأنه تقرر ارسال نقود له ، ولكن بموت كتشنر انقطع أمله في العودة
بعد ذلك وعده جانيو أن يقابل من يلزم في سفارة إنجلترا ببرن مجتهداً في
الوصول إلى نتيجة طيبة .

وبعد عودتي إلى مصر خاطبت عدلي باشا وثروت باشا في شأنه كما ذكرت
ثم عاودت السعي مرات في الداخلية ، وسمعت من الوزير في المرة الأخيرة أنه
لا يمانع في الترخيص له ، ولكن المسألة بين أيدي الإنجليز . فيجب اتخاذ المساعي
لدى الوكالة البريطانية أو عند مستر ريدير وكان ذلك يوم ٦ مايو سنة ١٩٢١ .
وقد ظلت أسعى حتى حصلت على وعد بعودته ، وأبلغت ذلك لحرمة ، فتقبلت
هذا النبأ بالسرور والشكر . وقد عاد بعد ذلك .

رأى في الاتفاق بين مصر وإنجلترا : بعد عودتي درست المقترحات التي
عرضتها لجنة ملنر على مصر للاتفاق مع إنجلترا وكونتلى رأياً عنها يتخلص فيما يلي :
١ - كنت أود أن يحصل الاتفاق بين الطرفين على الضمانات التي تقدمها مصر
لمصالح إنجلترا ، كما أن هذه تعلن رفع الحماية وإعافها باستقلال مصر بحيث لا ينص
في هذا الاعلان عن شيء من هذه الضمانات وأن يسجل هذا الاستقلال في عصبة
الأمم ، وتدخل مصر تنصواً فيها .

٢ — أن تعقد معاهدة بين الطرفين تعترف مصر فيها بهذه الضمانات، وبمساعدة إنجلترا عند نشوب حرب بينها وبين إحدى الدول الأخرى، على شرط أن تقضى بذلك مصلحة مصر؛ وإلا فالتنازح كثير لأن أعداء إنجلترا اليوم كثيرون، ونحن لا نود أن نخلق العداوة بيننا وبين دولة من الدول، إذ من الضروري لنا أن نشغل في السنوات الآتية لثريقتنا واثمنا ثروتنا وقوتنا، وينبغي أن ينص على مدة معلومة للمعاهدة

٣ — أن تسعى مصر المستقلة في إلغاء الامتيازات الأجنبية رأساً مع الدول ولو بمساعدة إنجلترا بحيث نطلب تشكيل لجنة دولية في مصر لهذا الغرض لأن ذلك اجدي لنا وللدول، أما أن تجرى المفاوضة في ذلك مع إنجلترا بعد قبول الدول أن تحل محلها، فإن ذلك يضعفنا أمامها، وإذا كان من المحتم أن تكون إنجلترا هي الواسطة بيننا وبين الدول في هذه المسألة فعلى الأقل تشترك مصر معها في المخبرات.

٤ — الضمانات تشمل أولاً: إبقاء قوة عسكرية إنجليزية في القنطرة فيلزم تحديد هذه القوة ودائرة الاحتلال ومدته، وعدم جواز إرسالها في جهة أخرى من القطر ولإرسال الطيارات الخ. ثانياً: لامانع من تعيين المستشار المالي لمراقبة صندوق الدين بدلاً من أعضاء الدول ذوات المصالح فيه مع عدم تدخله في المسائل المالية المصرية الأخرى، ولا معنى لاستشارة الحكومة له. وتلغى هذه الوظيفة أما عند دفع مصر لجميع ديونها بأى طريقة كانت وفي أى مدة، أو عندما تتحقق الدول من حسن إدارة مصر ماليتها. أو إذا رغبت إنجلترا في ذلك. ثالثاً: تعيين المستشار القضائي ينشأ منه تدخله في مصالح كثيرة مصرية وأهمها البوليس، فيلزم تحديد اختصاصاته بحيث لا يتعرض للإدارة المصرية على قدر الامكان؛ وكذلك تحدد مدته بانقضاء القوانين التي ستطبق على الأجانب عند إلغاء الامتيازات، أو عند ما تنق الدول بحسن الإدارة والأحكام المصرية.

٥ — يلزم أن تنص إنجلترا في إعلانها على إلغاء حمايتها وإعلان استقلال مصر دولة ملكية دستورية ذات هيئة نيابية وسيادة داخلية وخارجية، وتعهدتها في طلب الدخول في عصبة الأمم وتسجيل استقلالها فيها.

٦ — اعتراف مصر بمرکز إنجلترا الممتاز فيه شيء من خدش استقلالها خصوصاً وأن مثل إنجلترا سينقدم على جميع ممثلي الدول الأخرى وسيكون له حق المعارضة عند

اللزوم للقوانين التي ستطبق على الأجانب . فإذا يكون لو عارض هذا الممثل وأصرت مصر على تنفيذ القانون ، وهل هناك محكمة عليا ؟

٧ — يكون الأفضل أن تذكر مصر في المعاهدة بين الطرفين أنها تمنح بريطانيا العظمى الضمانات التي تلزم لصيانة مصالحها الخاصة ، وتقدم الضمانات للدول الأجنبية تحقيقاً لتخلي تلك الدول عن الحقوق المخولة لها بمقتضى الامتيازات ، فهذه الوسيلة يكون الاستقلال أظهر ، ويكون من حق مصر المستقلة المخبرة رأساً في شئونها مع الدول الأجنبية .

٨ — في نفس اليوم الذي تعلن فيه إنجلترا استقلال مصر تمنح من الطرفين معاهدة مخالفة تتعهد فيها إنجلترا أن تساعد مصر في الدفاع عن سلامة أراضيها بدون عوض ، لأن ذلك من مصلحة إنجلترا ، وتتعهد مصر في حالة دخول إنجلترا في حرب لها مساس بسلامة مصر — وهذا لا بد منه لأن نقطة ضعف إنجلترا هي مصالحها في مصر — أن تقدم داخل حدود أرضها كل المساعدة التي في وسعها تقديمها لإنجلترا يعني مالا ومؤونة وذخيرة ورجالاً للدفاع عن حدودها . ولكن كل هذا بعوض . لأن ذلك ضروري لإنجلترا أولاً . وبما تسمح به مصر في هذه الحالة استعمال مالها من الموانئ وميادين الطيران ووسائل المواصلات والنيل والترع وإيجاد طرق مواصلات أخرى — تستدعيها الحال — وأرى أن فائدة إنجلترا كبيرة جداً من هذه النقطة لأن نفوذها بعد الحرب قد اتسع جداً بحيث أصبحت الدول حتى المخالفة لها تتخوف من هذا الاتساع ، وربما انتهزت أول فرصة للايقاع بإنجلترا لتحصل الموازنة في أوروبا .

٩ — حق مصر في التمثيل الخارجي محدود بأن لاتعقد معاهدة مع دولة أجنبية تمس بإنجلترا ومصالحها ؛ ولكن يلزم أن يستثنى من ذلك المعاهدات التجارية بحيث تكون مصر حرة في عقدتها ؛ مع ملاحظة عدم تفضيلها على إنجلترا . ثم هل لإنجلترا امتيازات تجارية ؟ لا بد من النص على ذلك ، بحيث لا يكون لمركزها الممتاز أى علاقة تجارية .

١٠ — بمجرد التوقيع على المعاهدة وإعلان استقلال مصر يلزم سحب العساكر الإنجليزية والموظفين من مصر ، ولا ينبغي ابقاؤهما حتى تتم المخبرات مع الدول في مسألة الامتيازات

١١ — إذا لم تتمكن من الحصول على استقلال السودان باعتباره جزءاً متمماً لوادى النيل فاللازم أن تشتري مصر فعلاً مع إنجلترا في إدارته بحيث تحدد الإدارة

المصرية والإدارة الانكليزية تحديداً لا ينشأ من جرائه نزاع فيما بعد بين الطرفين ويمكن إيجاد هيئة دولية تحت رئاسة المستشار القضائي لوضع القوانين التي ستسرى على الأجانب والأهالي معاً ويكون في هذه اللجنة عضو مصري .

١٢ — ماهي الهيئة التي ستضع القانون الاساسي للحكومة المستقلة المستقبلية ؟
١٣ — في المشروع أن الحكومة حرة في تحديد قوتها البرية والبحرية فهل جرى البحث في هذه النقطة بين لجنة ملنر والوفد المصري ؟ وهل نحن أحرار في تعيين الضباط ؟ من رأي الاجتهاد في الوصول إلى حل مرض وعدم قطع المخابرات برناحي المصروفات المالية : ثم قررت لنفس برناجاً للسير عليه يتلخص فيما يلي :
١ — لا تعطى مخصصات لأعضاء العائلة السلطانية من الآن فصاعداً إلا لمن حاز شروط الفضيلة والعلم وكان محتاجاً للاعانة .

٢ — تشكل لجنة من ثلاثة أعضاء من العائلة ومن رئيس الحكومة ورئيس مجلس النواب ومفتي الديار ورأسها السلطان للنظر في مسائل العائلة وليس لحكمها استئناف .

٣ — يجب أن تكون القوانين واللوائح مبنية على أساس ديمقراطي .
٤ — تعميم التعليم الأولي الإجباري والمجانى وترقية التعليم في جميع درجاته بما في ذلك التعليم في المعاهد الدينية ، وأن تنشأ فيها أقسام للتخصص بحيث يكون الأزهر جامعة دينية عصرية .

٥ — انشاء مصانع لاستعمال المواد الخامات التي توجد في القطر .
٦ — تنشيط الزراعة وجعلها حرة وإيجاد مواد زراعية جديدة .
٧ — تأسيس مصارف في المديریات . تكون لها شعب في المراكز لمساعدة الفلاح بفوائد قليلة .

٨ — السعى في دفع ديون الحكومة بكل الوسائل الممكنة .
٩ — إيجاد طريقة لمبيع محصولاتنا بدون وسطاء أجانب وإيجاد غرف تجارية مصرية في الخارج .

١٠ — اصلاح الأوقاف والاعتناء بتنظيم المخصص منها للفقراء وانشاء مصارف بنقود الوقف .

١١ — ابطال العادات المخالفة للشريعة .

١٢ — تنظيم البعثات العلمية في البلاد الأجنبية ، وتشكيل مكتب مخصوص في القاهرة . للنظر في حاجات القطر من الاختصاصيين في جميع الحرف والصنائع واستجلاب برامج المدارس في الأقطار الأجنبية لدراستها وتوجيه الطلبة إلى الأحسن منها

الخطوف بين سعد وعدي ومسامي النوفير : انتظرت أكثر من شهر أراقب حوادث البلاد ، فألفت الاتحاد شاملا كل طبقات الأمة ، وشهدت الاحتفال بسعد باشا فإذا هو فوق ما يتصوره الانسان ولاحظت أن الخطب كلها كانت ترمى إلى توثيق عرى هذا الاتحاد لأن الأمة وعلى رأسها سعد باشا ، والوزارة وعلى رأسها عدي يكن باشا كانتا تسيران جنبا لجنب ، ويد الأمة وزعيمها في يد الوزارة ورئيسها .

خلاف بعد وفاق : ولكن انفجر البركان منذ أعلن سعد خلافه مع الوزارة بشبرا يوم ١٩ ابريل لأنها لم تف بكل شروطه التي اشترطها عليها ، وذلك أنه كان يطلب رئاسة المفوضين ؛ ثم بعد ذلك استرد ثقته من الوزارة ، وقال عنها شيئا كثيرا وقابلته بردود كثيرة ؛ ولهجة الطرفين مع الأسف الشديد خارجة عن حدود المباحثات السياسية . وفي هذا الوقت خرج على سعد أمين بك الرافعي مدير جريدة الاخبار ، لأنه خالف الزعيم في قبول دخوله في المفاوضات قبل تعديل أسس

المفاوضة ، بإلغاء الحماية ورفع الأحكام العرفية ومراقبة الصحافة ، وإعلان انجلترا قبولها تحفظات الأمة . الأمر الذي كان يقول به سعد ولكنه غير خطته ، وقبل الدخول في المفاوضات لأن انجلترا أعلنت بلسان معتمدها أن مشروع ملتر لا يكون أساسا للمخابرات . وكل من الطرفين حرقى طلباته . وخرج أيضا على سعد أكثر أعضاء الوفد المصري مثل علي شعراوي باشا وعبد العزيز فهمي بك ، ومحمد محمود باشا



محمد محمود باشا



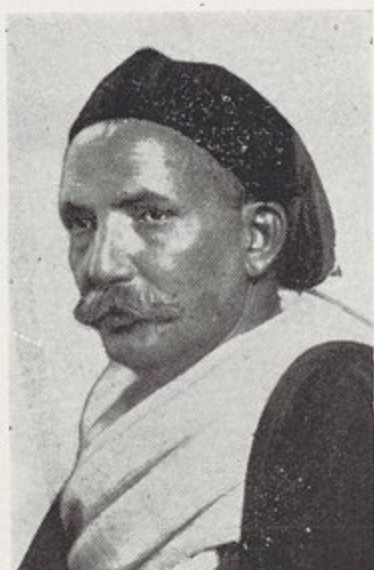
محمد علي غلوبة بك



عبد العزيز فهمي بك



الدكتور حافظ عفيفي



حمد باشا الباسل

ولطفي السيد بك (١) وعبد اللطيف المكباتي بك ، ومحمد علي بك علوية ، ومحمد الباسل باشا ، والدكتور حافظ عفيفي بسبب صلاته ؛ وأعلنوا أنهم لا يرغبون دخول الوفد في المفاوضات ، ويتركون للوزارة حرية العمل لأن برنامجها يطابق آمال المصريين .

والخلاف على الرئاسة سببه أن سعدا يعلن أنه لا يرتاح لمفاوضات عدلي فضلا عن أن الأمة الانجليزية تريد المفاوضة مع المصريين أي الأمة المصرية ، وهو الموكل بالنيابة عنها . أما عدلي فجوابه على ذلك ان التقاليد السياسية تقضى بأن رئيس الحكومة هو الذى يرأس المفاوضات . واشتد الجدل بين الطرفين وسارت جموع المتظاهرين ضد الوزارة ، فتدخل البوليس بالعصى أولا ، ثم اضطر إلى استعمال السلاح عند ما نادت المظاهرات بسقوط يكن الخائن ؛ ثم كان الموظفون أرادوا اقامة حفلة تكريم لسعد ، ولكن الحكومة أعلنت ضرورة الغائها ، لأن سعدا ينادى بالعداء للحكومة التى يرأسها يكن . إلا أن الموظفين أقاموها ، فقررت الحكومة محاكمة رؤساء الحفلة ومن بينهم أحد القضاة ، ولكن الجمعية العمومية للحاكم برأته ، بينما مجلس تأديب نظارة الحفانية حكم على أحد أساتذة مدرسة الحقوق السلطانية بقطع شهر من مرتبه

عمل اسماعيل أباطه للتوفيق : ثم أن اسماعيل أباطه باشا جمع بعض أكابر القوم برئاسة البرنس محمد علي باشا للتوفيق بين الطرفين فلم يفلح ، وكان قد عرض على سعد أن ينتخب بعض من يثق بهم ليضموا إلى السبعة المفوضين الرسميين الذين صدر المرسوم السلطاني بتعيينهم ، أو أن توجد صفتان : صفة رئيس فعلى وصفة رئيس شرف ؛ ويقال انه كان اختار الصفة الأولى وترك الثانية ليكن ، ولكن لم يتم الاتفاق .

مساعي البرنس عمر طوسن : ولما حدثت المظاهرات التى هتفت بسقوط عدلي يكن الخائن ، وأطلق الرصاص على المتجمهرين ، وقتل واحد بالرمح في مصر ، وثلاثة في طنطا غشيت الأمة غاشية من الكدر ، واستقبلت قتل المصرى للمصرى ، وخشيت سوء العاقبة . وقد رأى البرنس عمر طوسن ، ثم الشيخ محمد بنحيت ، والسيد عبد الحميد البكرى أن تجتمع لجنة وطنية لفض الخلاف بين سعد وعدلي ؛ وكان رأى البرنس

يختلف عن رأيهما ، فيقول الأول بأن الانتخاب يكون رسمياً كما هو مقرر في مشروع ملتر ، وبدلاً من أن تعقد الجمعية بعد المفاوضات يكون انعقادها قبل ذلك . أما رأى الآخرين فانه يرمى إلى انتخابات غير رسمية ، وعلى كلتا الحالتين لم تحصل نتيجة ..

مساعى البرنس عزيز حسن : ولما اشتدت المظاهرات التأم اجتماع كبير في سراى الخرنفش (بيت البكرى) وقرر الجميع برئاسة البرنس عزيز حسن رفع عريضة إلى السلطان باستنكار ماوقع من قتل بعض المتظاهرين ، والتماس إصدار الأوامر لمنع تكرار ذلك في المستقبل ، وكنت ذهبت إلى هذا الاجتماع وسمعت بعض الحاضرين يملون اسمى بين أسماء أعضاء الوفد الذى سيذهب إلى سراى عابدين لرفع العريضة إلى السلطان ، وكان عدد الوفد أكثر من ٢٠ شخصاً من بينهم السيد البكرى والشيخ بخيت ، ولكن البرنس لم يكن معنا ، ولما وصلنا إلى السراى كتبنا أسماءنا في الدفتر ، وسلمنا العريضة لسعيد ذى الفقار باشا كبير الأمراء في ٢٢ مايو .

عريضة مع بعض الكبراء للسلطان : ثم إن شكور باشا فاتحنى في أحد الأيام بحضور واصف بك غالى أحد أعضاء الوفد الباقين مع سعد باشا ، في البحث عن حل فتناقشنا ، وقررنا كتابة عريضة إلى السلطان ، ملتجئين انتخاب جمعية مؤقتة برئاسة عظمته ، أو من ينوب عنه ، لأبداء رأيها في ثقتها بسعد أو بعدلى ، وتعيين المفوضين والتقى شكور بموسيو بويل السكرتير الشرقى للوكالة البريطانية مدة كرومر ، وقد حضر أخيراً إلى مصر للاطلاع على مايجرى فيها ، فأطلعه على مشروعنا فوافق عليه وقال : إنه الحل الوحيد ، وعلى هذا تكلمنا مع واصف بك غالى ، وقال هو أيضاً : إن سعداً يقبل هذا الاقتراح ، فأرسلت إلى محمد بك المويلحى وأخبرته بالامر ، فنكتب المشروع الآتى :

« يا عظمة السلطان : إن سوء الحال السياسية الآن في مصر وصل إلى درجة لاتدع لأحد عذراً في الوقوف أمامها وقفة المتفرج ، بل هى تعين على كل فرد من أهل التفكير في الأمة المصرية أن يبذل جهده لاستنباط رأى صائب في حل عقدتها ، وقد تعددت الآراء في وجوه الحل الذى يفصل الخلاف القائم ما بين الوزارة وبين رئيس الوفد ، ونشر منها على الملأ ما يمكن الاعتماد عليه للوصول إلى النتيجة المطلوبة ، إلا أن

الوسائل فيها مختلفة ، والطريق إلى تنفيذها متشعب ؛ ولذلك رأى المشرعون برفع هذه العريضة أن يلتزموا لهذا الغرض طريقاً فعالاً ، وسبيلاً مستقيماً ، ينزل الجميع على حكمه ، وتطمئن النفوس إلى استقامة وضعه وشكله ، وذلك بأن تتولى عظمتكم الإشراف بنفسكم الكريمة عليه ، فيصدر الأمر الكريم بتشكيل جمعية وطنية مؤقتة ، بطريقة انتخابية ، تتألف من أعضاء الجمعية التشريعية بعد انتخاب جديد لهم ، ومن أعضاء مجالس المديرية ، ومجالس البلديات ، ومن مندوبين من أهل الصناعات الحرة مثل التجار والمحامين والأطباء والمهندسين وما أشبههم ، تحت رئاسة عظمتكم أو من تديبونه عنكم ، فيطرح عليها وحدها هذا الخلاف القائم ، ليقر قرارها على حكم فاصل فيه ، يجرى العمل به للسير في القضية المصرية ، ومسألة التفويض للمخابرة فيها على نمط مقبول ، تتكاتف حوله الهمم وتتحد العزائم للوصول إلى النتيجة المطلوبة من تحقيق أمانى الأمة المصرية ، وصيانة المصالح الإنكليزية خاصة ، ومصالح الأجانب عامة ؛ وبهذه الكيفية يمكن تلافي أضرار الحالة الحاضرة من غائلة الشقاق ، وإهراق الدماء ، وتعطيل المرافق والمنافع ، وما ينتج للبلاد عنها من الخراب والدمار ؛ ونحن على ثقة من أن عظمتكم تقابلون ملتزمين هذا بحسن العناية ، وجيل الاهتمام ، فتتحل العقدة ويرتفع البؤس في وقت قريب ، كما تقضى شدة الحاجة وهول الموتف ؛ ونسأل الله أن يجعل التوفيق رائدكم في مصلحة الأمة على ماتحونه لها من الخير والأسعاد ،

ولما أطلع شكور باشا موسيو بويل على هذا المشروع وافق عليه ، ورفع إلى دار الحماية لفحصه ، وكان يرى أنها ستوافق عليه ، ثم سأل عن الذين فكروا فيه وسيوقعون عليه ؛ فقال له : أحمد شفيق باشا الذى كان رئيساً للديوان الخديوى وبعض العظماء . فقال : « إن شفيق باشا رجل عاقل ومخلص لبلده ولو كان الخديو عمل بنصائحه لما حل بسموه ماحل ، ولكنه كان يسمع نصائح الرجال الآخرين » .

ولما قابله شكور في ثانى يوم ، وكان يوم أحد أخبره بما وقع من المذايح في الاسكندرية يومى السبت والأحد ضد الأجانب ، وأنه سينظر في هذه الحالة الآن ويهمل المشروع ، فتأسفنا كثيراً .

دعوة البرنس عزيز حسن لاجتماع بمنزل البكرى : ثم قرأت في الجرائد أن البرنس عزيز حسن نشر دعوة عامة للاجتماع في منزل البكرى بالخرنفس الاحتجاج على تشرشل وزير المستعمرات الذى أعلن في اجتماع بانجلترا أنه نظراً لما حدث

في الاسكندرية ، فانه يرى تأخير سحب الجنود الانكليزية من مصر؛ فتوجهت للاجتماع ولكن لم أجد إلا النفر القليل من الرجال المجريين ، ولم يكن هناك أحد من النظائر السابقين ، ولا من الوكلاء ، ولا من العلماء المعلومين ، واقتصر الاجتماع على شباب من جميع الطبقات ؛ وعلت أن سعد باشا سيخطب؛ ثم حضر ابراهيم باشا سعيد وفتح الله بركات باشا ، وأخيرا سعد باشا ؛ وألقى كلمته ، ولم يكن في خطابه من الانحاء الشديد على الوزارة مثل ماسبق في خطبه ؛ وقرر الجميع الاجماع عن دخول المفاوضات الرسمية إلا اذا كانت الحكومة البريطانية تعلن بأن تشرشل يعبر عن رأيه الخصوصى .

المرفوع بين سعد وزملائه : ذكرت أنه كان قد انفصل عن الوفد حمد الباسل باشا وعبد اللطيف المسكباتى بك ومحمد محمود باشا وأحمد لطفي السيد بك ومحمد على بك وحافظ عفيف بك فأصدر سعد باشا بيانا ساهم فيه بالمنشقين ، وقال فيه : إنه يد يده لكل من يريد العمل لمصلحة مصر .

وفي مساء صدور هذا البيان ذهبت لسعد باشا في منزله ، ودار الحديث بيننا فقلت : إننى جئت لسبيين :

الأول : لأشكرك على زيارتى بعد حضورى من أوروبا .

والثانى : لأهنتك على بيانك وترحيبك بكل من يريد العمل للمصلحة المصرية . وبما أنك أعلنت هذا فهلا ترى أن أعضاء الوفد المنفصلين هم من رجالات الأمة والواجب أن تفتح صدرك لهم ؟ فأجابنى بأنه يرحب بكل مصرى عدا هؤلاء . ولما ناقشته في هذا مبينا أن الوقت وقت ونام لا وقت انقسام ، وانه يحسن تأجيل الحساب إلى فرصة أخرى . قال عنهم : انهم مجرمون ، وانه لا يضع يده في أيديهم . فأسفت لهذا الاصرار

وفي ٢٢ يونيو انفصل عن الوفد جورج بك خياط ثم عبد الخالق مدكور باشا في ٢٨ منه .

سفر الوفد الرسمى : وقد تألف وفد برئاسة عدلى باشا للمفاوضة فاشتد نشاط الوفد المصرى في الدعاية ضده ، حتى سافر فوصل لندن يوم ١٢ يولية . وفي يوم ١٥ منه ابتدأت المفاوضات ، وبقيت تتخللها فترات تشدد فيها الازمة بين المتفاوضين ثم تنحل حتى أواخر اكتوبر .

وفي هذه الأثناء كان رسولان من رسل الوفد المصرى بلندن يثبان الدعاية ضد الوفد الرسمى ، ويعلمان أنه لا يعبر عن رأى الأمة المصرية .

زيارة بعض النواب الانجليز لمصر : وقد دعا سعد زغلول باشا بعض أعضاء البرلمان الانجليزى من العمال والأحرار لزيارة مصر ودراسة الحالة بها ، فسافر هؤلاء الأعضاء يوم ١٣ سبتمبر فوصلوا يوم ١٩ منه ، وقبولوا بحفاوة شديدة فى الاسكندرية والقاهرة ، بينما أصدرت الحكومة أوامرها المشددة بمنع المظاهرات وأقيمت لهم عدة مآدب . ثم قفلوا إلى بلادهم يوم ٧ اكتوبر ونشروا تقريراً عن رحلتهم أشاروا فى نهايته إلى أن الاستقلال التام حق للمصريين ، بشرط عقد معاهدة تصون مصالح انجلترا والأجانب ، ونصحوا بالغاء الأحكام العرفية . واجراء الانتخابات فى الحال .

رحلة سعد باشا فى الصعيد : وفى يوم ١١ اكتوبر قام سعد برحلة نيلية إلى الصعيد . ولما وصلت الباخرة التى تقله إلى أسيوط ، وقعت مشادة بين المستقبلين له والمتشيعين لعدلى باشا ، انتهت إلى معركة بلغ عدد الجرحى فيها خمسا وعشرين نفساً مات بعضهم ، وغرق ثلاثة فى النيل ، فنفعت الحكومة بالقوة نزوله إلى أسيوط وتابعت الباخرة سيرها حتى جرجا ، وهناك كان من المتوقع حدوث فتنة كالتى وقعت فى أسيوط ، فنفعت الحكومة من النزول ، ولكنه أتم الرحلة إلى أسوان .

قطع المفاوضات الرسمية : وفى يوم ١٩ نوفمبر قطعت المفاوضات بين عدلى باشا واللورد كرزون ، لأن عدلى لم يستطع قبول المشروع الذى عرضه عليه اللورد ثم عاد إلى مصر وقدم استقالته يوم ٨ ديسمبر .

نفى سعد ورفاقه إلى سيشل : بعد استقالة عدلى باشا كان الوفد المصرى ينشر دعاية قوية لاقامة العراقيلى فى وجه كل وزارة ، بينما كان اللورد اللبى يفاوض ثروت باشا فى قبول الوزارة على نظام جديد وهو نظام تصريح ٢٨ فبراير الذى أعلن فيما بعد . وكانت دعاية الوفد معطلة لتنفيذ هذه الخطة ، فنهت السلطة العسكرية سعدا ورفاقه إلى الامتناع عن القاء الخطب وحضور المجتمعات العامة ، وأمرتهم بمغادرة القاهرة ، وأن يقيم كل منهم فى بلده تحت مراقبة المدير .

وقد رد سعد رداً قوياً على هذا الأمر جاء فيه :

« إني موكل من قبل الأمة للسعى فى استقلالها ، فليس لغيرها سلطة تخلينى من

القيام بهذا الواجب المقدس . لهذا ساقى في مركزى مخلصا لواجبى ، وللقوة أن تفعل بنا ما تشاء أفرادا وجماعات ،

وكذلك كان رد بقية أعضاء الوفد تأمينا على رد رئيسهم .

وكان لهذا الحادث أثر كبير في ضم الصفوف ، فعاد بعض المنشقين إلى الوفد وحضرت الوفود الكثيرة من غير الوفدين إلى بيت سعد تعلن تضامنها معه وعجابها برده .

وفي يوم ٢٣ منه قبضت السلطة على سعد باشا وزملائه إلى سيشل .

وكانت البلاد في غليان عظيم ، والمظاهرات مستمرة ليل نهار ، وأضربت غالبية الموظفين والمدارس جميعا ، واحتجبت جميع الهيئات على اعتقال أعضاء الوفد المصرى وعاد جميع الذين انفصلوا عن الوفد إلى حظيرته .

حوادث الاسكندرية والدفاع عن سمعة مصر :

صدى حوادث أزميز : لما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية واليونان وانتهت باحتراق مدينة أزميز وخروج الأروام منها ، واستقرار سلطة الأتراك فيها ، هاجت هذه الحوادث خواطر اليونان في الشرق الأدنى ، وكان لها صدى خاص في الاسكندرية حيث يكثّر عددهم ؛ وتجلّى استياؤهم في مظاهر شتى لفتت الأنظار ، وشغلت الخواطر وكان من نتائجها أن استفزت العناصر المهيجة في الاسكندرية إلى مقابلة روح العداء الذى أبدته الطبقة السفلى من هؤلاء بمثلها ، ف وقعت حوادث باعثة على الأسف في المدينة ، ولا سيما في يومى ٢٢ و ٢٣ مايو سنة ١٩٢١ ، وهاج الرأى العام ، وذهب المتشائمون في تأويل هذه الحوادث وتعليلها مذاهب شتى ، حتى خاف الأجانب على أرواحهم ؛ وبلغ من تأثير الوهم في نفوس بعضهم أنهم ضربوا صفحا عن الاعتبار التى أدت إلى هذه الحوادث ؛ وصاروا يحسبون أنها نشأت عن التعصب الدينى وكرهية الأجانب ، وطيرت الانباء البرقية إلى أوروبا بحسمة الحوادث ، ومعلقة لها على وجه يثير الخواطر .

بيان بالدفاع عن سمعة مصر : وقد تحادثت مع شكور باشا في هذا الخصوص

وفي ضرورة كتابة مذكرة في الصحف الافرنجية بمصر وأروبا ، ويوقع عليها أشخاص معروفون لأدحاض هذه التهمة ، فكتبت مذكرة بما عن لى في الموضوع ، كما أن شكورا أملى مارآه ، وأعطيناها لأحد المحامين المشهورين لصياغتها ثم أخذت منها نسخة واجتمعنا : شكور باشا وواصف غالى ويوسف باشا قطاوى وأنا وقرأناها

وإقـاح الأـخير ان بعض تعديلات لآتمس الجوهر، وبعدها ييـضـناها ، وأرسل شكور



نجيب شكور باشا

باشا نسخة منها إلى جعفر بك غفرى فى الإسكندرية للتوقيع عليها من مصريين وأجانب، ثم توجهنا إلى البرنس محمد على وعرضنا الأمر عليه، فقال: إنه كان قد خطر له عمل شيء لأدحاض تهمة التعصب الدينى، وتكلم مع حسين باشا رشدى، ولكن تراب الأمر لأنهما لا يريدان القاء مسئولية حادث الإسكندرية على المصريين خاصة، ولا على الأجانب أو الأروام: فقدمت

إليه نسخة من البيان الذى عملناه، فقرأه واستحسنه، وأشار بأن نعرضه أيضاً على حسين باشا رشدى، ففعلنا، فأشار بتعديل خفيف، وبعدها ييـضـنا المشروع وتوجهت فعرضته ثانية على البرنس، فوافق على التعديل، وأمضاه حسن باشا عبدالرازق وعبد الله باشا وهبى وغيرهم، وأبقى المشروع عنده.



يوسف اعلان قطاوى باشا

وبعد ذلك اجتمعت لجنة للتوفيق بين سعد وعدلى عند البرنس محمد على باشا، فعرض البيان عليها فأشار بعضهم بحذف كل ما يتعلق بالحرب التركية اليونانية وهى السبب المباشر للحوادث، وهم سابا باشا

وعبدالله وهبى باشا وموسى قطاوى باشا^(١) ورابع؛ أما الآخرون فوافقوا على الأصل ولما علم شكور باشا الذى كان غائباً عن مصر وحضر رأى أن ما حصل من التعديل ضد مصالحنا، إذ ورد فيه أن فى الاسكندرية كما فى باقى الثغور طائفة من أو باش الأجانب والمصريين ليس لهم مبدأ



يوسف سابا باشا

ولاهم متعلون، وتوجد بين القسمين حزازات منبعثة من مزاحمة الأجني للمصرى تؤدى إلى انفجارات. وقال: إذن يمكن الاجابة علينا بأنه إذا كان الامر كذلك، وأن الانفجار الذى حصل أخيراً هو نتيجة لهذا ولم تتمكن السلطة المصرية من قمع الانفجار، فيتمنئ يلزم وجود قوة أجنبية دائمة كالقوة الانجليزية لقمعه.

وكننت أنا وشكور بين الحاضرين وكذلك موسى باشا قطاوى، فتباحثنا فى الخلاف، وبعد أخذ ورد اتفق الجميع على اضافة جملة فخواها أنه فضلاً عن هذه

المزاحمة المستمرة، فقد طرأ ظرف استثنائى بمثابة الشرارة التى تلهب النيران، ومن ذلك نجمت حوادث الاسكندرية. وعليه اتفقنا جميعاً، وأمضينا البيان بعد هذا التعديل وها هو ذا نصه.

« ان ما وقع من حوادث الاسكندرية فى شهر مايو الماضى قد ملأ نفوس الموقعين على هذا حزناً؛ فرأوا من واجهم أن يعربوا علناً عن استيائهم من هذه الحوادث الشائنة، وعن الدهشة التى استولت عليهم عند ما شاهدوا فى بعض الأوساط الأوروبية بادرة شعور يميل إلى اسناد السبب فى وقوع هذه الحوادث إلى التعصب وكراهية الأجانب.

« ثم ردد لسوء الحظ عدد من الجرائد صدى هذا الشعور، حتى بالغت فأكدت بوجوده عند جميع المصريين على السواء.

« اما وقد هدأت النفوس قليلا بعد الشعور الذى بدر اليها بكل أسف لأول وهلة فان الموقعين على هذا يعتبرون أن فى مقدورهم اليوم أن يوضحوا الأمور على حقيقتها بدون أى تحيز .

« صحيح ان التحقيق الذى يجرى الآن سيكشف الغطاء عن هم المسئولون ، فيجازى المجرمون والحارقون والناهبون . إلا أن القضاء على الأشاعات الباطلة التى أذيعت بدون أن يفكر مذيعوها فى ما تحدثه من ضرر للجانب والمصريين على السواء يستوجب من الموقعين على هذا عرض الاعتبارات التى تسمح فى نظرهم بتقدير الوقائع على وجه الصحة .

« ليس من يجهل أن أهالى الثغور الواقعة على البحار مثل ثغرا الاسكندرية هم على العموم خليط من أجناس مختلفة للغاية ، وأن من بينهم نسبة لا نصيب لها من التعلم ولا قسط من المبادئ ، تخلق بين أفرادها ضرورات المعيشة مناسبات ومطامع تهدد فى كل وقت باثارة اعتداءات من جانب ، ورد اعتداءات من جانب آخر ، لاسيما إذا أضيف إلى سبب هذا التباغض وجود ظروف خاصة تلهب النار من مستصغر الشرر . إلا أنه مع بلوغ سكان الاسكندرية ٤٠٠.٠٠٠ نفس فاننا نتمسك بتقرير هذه الحقيقة : وهى أنه ليس بينهم إلا أقلية ضعيفة جدا من هذه الطبقة التى نشير اليها . وبالتالي لا يمكن أن يسند إلى جميع المصريين ما شوهد فى بلدة واحدة من بلدانهم .

« وما ثبت أن القلاقل كانت محصورة الدائرة ان معظم الجرحى من أوروبيين ووطنيين كانوا من أفراد هذه الطبقة المشار اليها ، بحيث أنه إذا كان قد أصيب أحد من غيرها فأصابته استثنائية ، ويمكن تعليلها بأنه فى مثل هذه الاضطرابات يسعى دائما الأشقياء الذين لا خلاق لهم فى انتهاز الفرصة السانحة .

« إن هناك آلافا من العائلات الأوروبية موزعة فوق متسع البلاد المصرية بحيث لا قرية إلا وفيها تاجرها الأوروبى يعيش مع عائلته عيشة هادئة وسط سكان كلهم من الأهالى ، ولا مدينة فى الأرياف إلا وفيها عدد من التجار الأوروبيين وسامسة القطن ورجال الأشغال الذين يرون مدارسهم وكنائسهم وديورهم الخ... تعيش وتنمو فى جوها الطلق . ومع هذا فانه بالرغم من حوادث الاسكندرية الدموية ، ومن المناقشات الجدلية الصحفية لم يحدث أى حادث اعتداء ، أو سوء رعاية ضد هذه الآلاف من العائلات المنشورة فوق أطراف القطر المتباعدة ؛ بل

على العكس استمرت علاقات الوداد على أوثق ما تكون . فهل يعقل إذا أن
يسند إلى ١٣ مليوناً من سكان مصر روح هذا التعصب وكرهه الأجانب التي
تحدث بها المتحدثون ؟

• في قلاقل سنة ١٩١٩ حيث انتزعت قضبان السكك الحديدية من مواضعها
وقطعت خطوط التلغراف والتليفون بقيت عدة مدن في الداخل معزولة تمام العزلة
ومع هذا لم يبد من الأهالي وقتئذ أى شاهد على كراهة الأجانب عموماً أو
التعصب الممقوت .

وفي جميع المظاهرات السياسية الكبرى التي حصلت منذ ثلاثة أعوام لم يصب
أى أوروبى بأى إيذاء ، بل كثيراً ما رأينا الأوروبيين يعطفون على المتظاهرين
وشاهدنا ما هو فريد في بابه ولا مثال له في تواريخ الشعوب الأخرى ، وهو تأليف
الهلل مع الصليب فوق راية واحدة ؛ فهل التعصب هو الذي أحدث هذه المعجزات ؟
• ان جعل أمة بأكملها مسئولة عن قلاقل وقعت فوق نقطة من أرضها لحو ظلم
يتحتم على كل واحد منا واجب العمل على دفعه . وانما أذاع كثير من الأوروبيين
ونشروه من مشاهدات الأحوال التي رأوها وقرروا فيها كيف لزم المصريون
العديدون في تلك الأيام المحزنة خطة المحبة والتآخي لكاف لاقتناع من لا يصدقون
بأن احساسات الأمة المصرية لم يطرأ عليها أى تغيير .

• ان الموقعين على هذا يرجون من وقع في نصابهم قيادة الرأي ، وارشاد الجمهور
أن يعملوا باخلاص على تهدئة الخواطر تحقيقاً لمصلحة العناصر المختلفة التي عاشت
جنباً لجنب وفي كل زمان عيشة طيبة هادئة .

في يوم السبت ٢٥ يونيه سنة ١٩٢١ .

الامضاءات

سمو الأمير محمد على ، سمو الأمير عزيز حسن ، سمو الأمير محمد على حلیم ،
الشيخ محمد نجيت ، السيد عبد الحميد البكري ، القمص يوسف غبريال ، أحمد مظلوم
باشا ، يوسف سباباشا ، أحمد حشمت باشا ، يحيى ابراهيم باشا ، حسن حسيب باشا ،
موسى قطاوى باشا ، محمد شكري باشا ، عبدالله وهبى باشا ، اسماعيل صبرى باشا ، اسماعيل
أبازله باشا ، أحمد فايق باشا ، اللواء على فهمى باشا ، اسكندر فهمى باشا ، أحمد خيرى
باشا ، حسن عبدالرازق باشا ، أفلاطون باشا ، عثمان مرتضى باشا ، أمين يحيى باشا ،
خيرى بك ، عمر شريف بك ، عبدالحليم جندى ، نجيب شكور باشا ، أحمد شفيق باشا .



حسن حميد باشا



يحيى ابراهيم باشا



اسكندر فهمى باشا



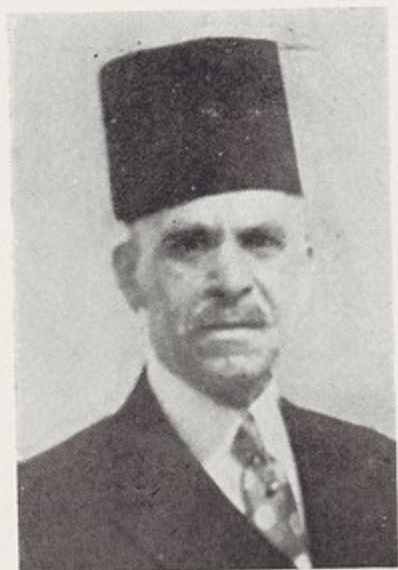
أحمد فايق باشا



عزّان مرتضى باشا



محمد أفلاطون باشا



أمين يحيى باشا

ثم است حضر الأمير محمد على باشا عنده
بعض الأوروبيين فكتب المحامى الشهير
التليانى مانوزاردى الجملة الآتية :

« نحن الموقعين على هذا قد اطلعنا على
البيان المتقدم الذكر ونقر ما فيه ، لأننا
معتقدون تمام الاعتقاد بأن حوادث
الأسكندرية التى يؤسف لوقوعها لم تكن
قط نتيجة أى إحساس تعصب أو كراهة
للأجانب . »

١. مانوزاردى محام أمام محكمة الاستئناف
المختلطة - ج . ن . موصيرى بك بنكير -
ج . يوجن مدير بنك الاسكونت دو باريس -
دكتور كومانوس باشا - البير مزراحى
أحد مديرى بنك كوكس - الأستاذ الدكتور بول فالنتين مدرس بالجامعة المصرية .

ثم قام الدكتور سيد كامل بترجمة البيان إلى اللغة العربية ، وأرسلت النسخ الفرنسية إلى الجرائد الأفرنجية في مصر والاسكندرية وبورسعيد ، وأرسلت نسخ عربية إلى الجرائد العربية في مصر والاسكندرية ، وبعثنا للجمعيات المصرية وللبصريين في الخارج نسخاً من الفرنسية لنشرها في جرائد أمريكا و إنكلترا وفرنسا وإيطاليا والنمسا وألمانيا وسويسرة والآستانة ، وفي المنتديات وغيرها ، ثم وزعنا من النسخ العربية على الأحزاب في مصر والغرف التجارية المصرية والنقابات والعلماء للتوقيع عليها ، ثم وزعنا بالفرنسية نسخاً للمنتديات الأفرنجية والغرف التجارية الأوروبية والجمعيات وغيرها .

وكنّا فكرنا في عرض البيان على مدير البنك الأهلي لتوقيعه فذهبنا : موسى قطاوى وشكور وأنا إليه ، وتكلمنا معه فقال : إنه يظن أن هذا البيان يضر ولا ينفع ولمح إلى حوادث ١٩١٩ واعتبرها مثبتة للتعصب الدينى مضافاً إليها ما حدث أخيراً في الاسكندرية وأنه يعتبر فوق ذلك حوادث الثغر من جرائر سياسة سعد باشا وأخيراً قال : إنه سيعرض الأمر على مجلس الإدارة ويستطلع رأيه في التوقيع (يعنى رفض) .

ثم إن الأمير محمد علي دعا إليه المسيو هنرى نوس البلجيكي وحادثه في الموضوع فقبل مبدئياً وطلب أن ترسل إليه نسخة من البيان ، ولكنه عدل وقال : إن اخوانه يستحسنون أن يكتبوا بياناً آخر لا يخرج في معناه عن البيان الحالى ، ولكن يكتب بأسلوب غير هذا الأسلوب الذى يعبر عن موقف المصريين . وقد اجتمعنا بشكور وقطاوى وأنا به ، وتناقشنا معه في الأمر ، فقال في أثناء الحديث : إن البعض يظن أن وجود البرنس وشفيق في هذه المسألة دليل على أنها مسألة خديوية ؛ وقد كان سموه أنبأني أنه فهم من كلام نوس بك أن امتناعه راجع إلى ائتمانه للسلطان فؤاد الذى لا يرتاح إلى قيام البرنس على رأس أى حركة ، أما أنا فلما سمعت ما قاله نوس بك اعترضت على هذا الكلام ، وقلت : « إننى وطنى قبل كل شيء وإننى لأفعل إلا ما فيه صالح بلدى ولا علاقة لى بأى شخص » ، وقام نوس بك من عندنا على نية الذهاب إلى الاسكندرية لمناقشة بعض أصحابه في الموضوع ثم كتابة البيان ؛ ولكن لما رجع منها أخبر قطاوى باشا أنه عدل عن كتابة أى شيء لما وجده من استياء الأفرنج وتهيجهم ، كما أن مزارحى المحامى كان قد ذهب قبله إلى الاسكندرية ومعه نسخة فرنسية للسعى عند الأوروبيين للتوقيع عليها فلم يفلح .

وجاءت لنا بعض الردود من الغرف التجارية بوصول البيان وبأنها لا تشغل بالسياسة، وكتب لنا بعض الممثلين السياسيين بوصول البيان وبالشكر، ولكن قنصل فرنسا في الاسكندرية خطب لمناسبة عيد ١٤ يوليو فقال في خطابه: إنه كان يتسائل عن أسباب سكوت المصريين عن حادث الاسكندرية، ولكن في هذه الايام قام بعض الأمراء وكبار القوم وأعلنوا استيائهم لما وقع، وفندوا تهمة التعصب الديني وكرهه الأجانب، وامتدح القنصل هذا القول وأتى ببعض الجمل من البيان فسررنا من ذلك.

هذا وقد وصل إلى جريدة الأخبار من أحد المصريين بفيينا برقية بنشر البيان في جرائدها وبأنه وقع لديها موقع الاستحسان.

شؤره مختلفه

نور الدين يشكو من معاملة عباس : في يوم ٢٢ فبراير قابلت نور الدين بك فأظهر استيائه من عباس، وقال أنه لما أرسله إلى سويسرة سنة ١٩١٨ سلمه تحويلاً بمائة وثلاثين ألف مارك وأخذ منه سنداً بتسليمه هذا المبلغ، ولما وصل إلى سويسرة دفعه إلى أحد البنوك باسم مدام لوزانج صاحبة سمومه بناء على التعليمات التي تلقاها، والآن أرسل عباس هذا السند إلى ألمانيا مدعياً أنه دفع هذا المبلغ لنور الدين من المبالغ التي تسلمها من ألمانيا لتخضم من حسابه الباقي طرف سمومه، مع أنه لم يأخذ بارة واحدة باسمه. قال وهكذا لحقتي وصمة في سويسرة وفي الآستانة وفي ألمانيا من جراء أفعال الخديو. وعلمت منه أن لوزانج لما سافرت من الآستانة وحضرت إلى سويسرة. أخذت من بنوك زوريخ كل ما كان الخديو أودع فيها من الأوراق، والمجوهرات خوفاً من أن يحجز عليها كما سبق تهديده بذلك في برقية أرسلتها له في سنة ١٩١٩ بأن حمصي يريد الحجز على هذه الأشياء.

تم قال إنه طلب الرجوع إلى مصر ولكن السلطة مشتبهة في أنه قدم إلى أوروبا للنشر الدعاية في مصلحة الخديو وقد رخص لعائلته بالرجوع إلى مصر وهو يؤمل أن يحصل على التصريح أيضاً بعد أن ينفي عن نفسه ما ألصقه به عباس.

نوارده عن شح عباس : قابلت في زوريخ عزيز باشا عزت يوم ١٧ مارس ودعاني إلى الغداء مع البروفسور هيس وجاءت سيرة الخديو، فقدح هيس في أخلاقه : ومن ضمن ما قاله : إنه أرسل له بأن يحضر إليه في يوم

سبت لبذل المساعي في إخراج المرحوم يكن من الحبس ، فجاء مساء الجمعة بدلا من السبت ، فلما لاحظ الخديو على ذلك ، أجاب البروفسور أنه عجل بالحضور ليتمكن من التكلم في المسألة صباح السبت ، ولوحضر في اليوم المذكور ما أمكنه ذلك. لأن الإدارات والمصالح تغلق أبوابها بعد ظهر السبت، قال هيس: « وكل هذه الملاحظة لعدم دفع مصاريقي في الليلة التي أمضيته ». وقال أيضاً: إنه كان يستدعيه مراراً إلى زرويج؛ وبقية حتى الساعة ١٢ والنصف، ثم ينظر سموه في ساعته ويقول له: « هيا يا بروفسور الحق الغداء »، يعني أنه يصرفه بهذه الطريقة .

ثم قال متهكماً: « وإنما الحق يقال أنه دعاني وزوجتي مرة لتناول الشاي » ثم قال: إنه كان قد ناط به تفسير القرآن لجاويدان خانم أو الكونتس توروک لما كانت في مصر، فكان يقضي الساعات في ذلك . ثم سأل جاويدان عما يلزم أن يصنعه لتذكير الخديو بأنعابه ، فأشارت عليه بأن يقدم كشفاًيين فيه حسابيه ، فقدم الكشف وطلب ٣٠ جنياً، فغضب الخديو من ذلك، وخاطبه بعد أيام منتقداً تفسيره فرد عليه بأنه اقتبس ما ألقاه من التفسير من كتاب التفسير الكبير للطبري . قال البروفسور: « وهذا الانتقاد إنما كان تخلصاً من استمرار إعطائي الأجر على أتعابي »

سنة ١٩٢٢

الاموال السياسية وتصريح ٢٨ فبراير — الجرائم السياسية ضد الانجليز — قانونه
وراية العرسه — قانونه تصفية أملاك عباس — استغالي بالصحافة في الليبرالية —
مساعدة المنكوبين بالحرب في الامانة — رحلتى في سوريا وفلسطين — مطلوبانى
من عباس

الاموال السياسية وتصريح ٢٨ فبراير : من أول هذا العام كان الناس
ينتظرون حضور اللورد اللبى المعتمد الانجليزى في مصر ، بعد أن برح إلى
بلاده للتفاهم مع حكومته على اتباع سياسة جديدة ، وهى سياسة تصريح
٢٨ فبراير الذى أعلن بعد إيايه بالاتفاق مع عبد الخالق ثروت باشا : وقد
كان الاحتفال بقدمه كبيراً ، وازدحم الكثيرون في فناء المحطة ، وعلى جانبي الطرق
التي مرت مركبته بها ، وحيوه بالتصفيق .



عبد الخالق ثروت باشا

الأغلبية والتصريح : وبعد إعلان
التصريح قابلته قلة من الشعب بالترحيب
أما السكثرة الساحقة ، فكانت في حالة
عصية توحى إليها الحذر الشديد من
السياسة الانجليزية ، ولا سيما وقد مهد
لهذا التصريح بنفى سعد باشا وزملائه ،
فلم يكن من المستطاع إقناع هذه السكثرة
بأن سياسة يمهدها بنفى زعيم البلاد ،
يكون فيها خير للأمة .

موقف الصحف : وقد التزمت
معظم الصحف المصرية جانب التحفظ
في التعليق عليه ، ولكنها اتفقت على

أمر واحد، وهو أن السياسة الجديدة، لم تحقق لمصر كل آمالها، وإنما هي خيوة
في سبيل تحقيق تلك الآمال.

الجاليات الأجنبية وسياسة التصريح: أما الجاليات الأجنبية في مصر فقد



اللورد اللتي

تخوف بعضها من النص على أن انجلترا تحفظ لنفسها بحق حماية الأجانب . وكان أشد هذه الجاليات تخوفاً هي الجالية الفرنسية ، التي قررت أن ترسل احتجاجاً إلى الموسيو جايار الوزير المفوض والوكيل السامي لفرنسا في مصر جاء فيه :

« إننا لو افترضنا أضيّق ماتحتمله الصيغة الواردة بالتصريح من المعاني ، لما استطعنا أن نتصور أن المصالح الفرنسية — عامة كانت أو خاصة — يمكن الدفاع عنها أو (حمايتها) بواسطة حكومات أخرى غير الحكومة الفرنسية »
« على أن مجرد قبول مثل هذا النظام نزول غير مقبول ، لاسيما وأن انتصارنا قريب العهد منا .

« وفوق هذا ومن جهة عملية محضنة ، يسوغ لنا أن نتساءل عما تتول إليه مصالحنا إذا كانت متنافضة مع مصالح رعايا الدولة الحامية »

الأمراء والتصريح : وقد اهتم أصحاب السمو الأمراء يبحث الحالة الجديدة ، وموقف مصر السياسي بعدها ، وكانت آراؤهم متجهة إلى اعتبار هذا التصريح كسباً نظرياً فقط ، لم يغير شيئاً من الناحية العملية .
وقد كتبوا إلى عظمة السلطان فؤاد الأول كتاباً يشرحون فيه نظريتهم جاء فيه :

« إن بقاء الحالة الحاضرة مع وجود الجيوش البريطانية في مصر مما يؤدي الاستقلال ، لأن هذه الأحوال لا تستوى هي ومبادئ الحرية الشخصية » .
وطلبوا إعلان استقلال مصر مع سودانها ، وسيادتها التامة في الداخل والخارج وتأليف جمعية وطنية لمناقشة التصريح ، وتحضير مشروع الدستور ، وأن تجرى الانتخابات بكامل الحرية بعد إلغاء الأحكام العرفية ، وإعلان حرية الصحافة . والعفو عن المعتقلين السياسيين ، ودعوة المنفيين .

بدء تنفيذ التصريح : كان المنتظر أن يعرض التصريح على البرلمان البريطاني يوم ٩ مارس ، ثم أجل إلى يوم ١٤ منه ، أما الحكومة المصرية فقد أخذت تنفذه فعلاً من يوم إعلانه ، فعينت وكلاء مصريين للوزارات بدلا من الإنجليز ، ثم امتنع المستشار المالي من حضور جلسات مجلس الوزراء ، كما كان المتبع منذ بدء الاحتلال وفي يوم ١٤ مارس وافق البرلمان الإنجليزي عليه واحتفلت الحكومة يوم ١٥ مارس بالاستقلال . أما الشعب فكان بعيداً عن الاشتراك مع الهيئات الرسمية ، بل

كان بعض الشباب يجتمعون ويهتفون للاستقلال التام ، فكان هتافهم هذا دليلاً على عدم اقتناعهم بأن ما حصل هو الاستقلال الذى يطلبون .

رأى عباس فيه : قرأت حديثاً لعباس مع مراسل جريدة « بروجريه دى يون » الفرنسية عن الحالة الجديدة ، ومما جاء فيه :

« إننى لأعير اللعب الذى لعبته وزارة لندن أدنى أهمية . يكفى أن يقرأ الإنسان بأى شروط اعترفت تلك الوزارة باستقلال مصر ، ليفهم أنه لم يتغير شيء من عهد الضغط الذى تعيش فيه بلادى منذ إعلان الحماية » .

وزارة ثروت باشا والرأى العام : لم تكن الوزارة على العموم موضع ثقة الرأى العام ، وكانت لذلك لا تسمح للشعب بابداء آرائه ، حتى أن الأمير يوسف كمال ، دعا إلى اجتماع يعقد فى بيت السيد أنى بكر راتب باشا يوم ٢٤ مارس فتصدت الحكومة لهذا الاجتماع ومنعته ، فزاد ذلك فى السخط عليها ، وعرضها لنقد كثير من العقلاء الذين كانوا على الحياد بينها وبين خصومها .

وقد زادت الحالة تعقداً حينما ألفت الحكومة لجنة لوضع الدستور ، دون أن تكون منتخبة من الشعب .

نعم إنها دعت جميع الهيئات إلى الاشتراك فيها ، ولكن لم يتقدم لها أحد من الوفدين وهم الكثرة الساحقة ، ولا من الحزب الوطنى . وزاد ذلك هوة الخلاف بين الشعب والحكومة .

تأليف حزب الأحرار الدستوريين : لهذا فكر المنتهون إلى ثروت باشا وعدلى باشا ، فى تأليف حزب بناصر سياسة الوزارة ، وسمى « حزب الأحرار الدستوريين » وكان ذلك يوم ٣٠ أكتوبر ، وانضم إلى هذا الحزب كثير من مفكرى الأمة ، وأصحاب البيوت الكبيرة فيها .

وقد قوبل الحزب الجديد بالسخط الشديد ، وأذاع الوفديان أن يهتم به بالتخاذل وبشق وحدة الأمة ، وكانت أحاديث الانتقاد له تتداول فى مكان .

وفى مساء ١٦ نوفمبر وقع اعتداء بالرصاص على عضوين من رجال الحزب هما المرحومان حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدى بك ، وكان المعتدون يظنون أن سيارتهما تحمل عدلى باشا رئيس الحزب . وقد توفى العضوان متأثرين بجراحهما .

استقالة ثروت باشا وأسبابها : وفى يوم ٢٩ نوفمبر قدم ثروت باشا استقالته .
وأحاطت بهذه الاستقالة عدة إشاعات عن أسبابها الحقيقية ، غير أنه من المؤكد
أنه كان من بين هذه الأسباب ، دسائس خصومه فى السراى ، ومرماها أن له



محمد توفيق نسيم باشا

اتصالا بالخديو السابق ، لأن اسماعيل الرزنجى باشا والده كان متزوجاً بأحدى جوارى عباس باشا الأول والد إلهامى باشا جد الخديو السابق من والدته ، وأنه ساعد وفد الحزب الوطنى على السفر إلى مؤتمر لوزان ليعمل فى مصلحة عباس .

وقد ألقت بعد ذلك وزارة نسيم باشا فقوبلت بالترحيب من الرأى العام وأصدر الوفد بياناً يحدد فيه مساوىء الوزارة السابقة ، ويفهم منه الرضاء عن الوزارة الجديدة، وإن لم يصرح بذلك .

الجرائم السياسية ضد الانجليز : وقعت فى هذا العام عدة جرائم سياسية ضد الانجليز نتيجة لتهييج الأعصاب الذى كانت الامة معرضة له بين التقلبات السياسية ونفى الزعماء ، ومحاكمة بعضهم ، واعتقال فريق منهم .

وقد وقعت أولى هذه الجرائم يوم ٣٠ ابريل على اثنين من فرقة الطيران ، فجرحا جراحا بليغة ، وفر المعتدون قبل أن يتمكن البوليس من القبض عليهم . وفى يوم ٢٤ ما يو وقع اعتداء آخر على البكباشى كيف مساعد الحكمدار بالقاهرة .

وفى يوم ٢٩ يوليو اعتدى مجهولون على المستر توماس براون مدير قسم البساتين بوزارة الزراعة ونجله ومريثه الانجليزية وسائق المركبة التى كانت تقلهم .

وفى يوم ٢ ديسمبر أطلقت خمس رصاصات على مستر روبسون المدرس بمدرسة الحقوق .

والذى كان يلفت النظر فى كل هذه الجرائم انها وقعت فى شوارع مزدخمة بالسابلة ، وفى أوقات يكثر فيها المرور دون أن يقبض على الفاعلين .

قانونه ورأته العرسه : لما تولى السلطان فؤاد عرش مصر لم يكن له أولاد من الذكور ، وفى فبراير سنة ١٩٢٠ رزق عظمتة بنجله سمو الأمير فاروق (جلالة الملك) وقد أخبر اللورد اللبى عظمتة يوم ١٥ ابريل من السنة نفسها بأن الحكومة البريطانية تعترف بالأمير فاروق وباعقابه من الذكور ، ورثة لعظمتة .

وفى ١٣ ابريل سنة ١٩٢٢ صدر مرسوم بوراثه العرش . ينص على ولاية العهد للأمير فاروق ، وعلى حرمان عباس باشا الخديو السابق من ولاية الملك ، دون أبنائه وذريتهم .

قانونه تصفية أملاك عباس : وفي منتصف شهر يوليو راجت أشاعات تتلخص في أن الخديو السابق قد فر من الاستانة إلى سويسرا ، وأنه يدس الدسائس هناك ضد مصر ، فصدر بتاريخ ٢٧ يوليو قانون باقرار ما قامت به السلطة العسكرية ، في ظل الأحكام العرفية من تصفية أملاك عباس ، وبحرمانه دخول الأراضي المصرية أو سماع أى دعوى قضائية منه بأى وسيلة ، أو مباشرته لأى عمل داخل الحدود المصرية شخصيا أو بالواسطة ، وإذا لم يتسلم ثمن ما يباع من أملاكه بواسطة لجنة التصفية بعد مضي عام من بيعها فإن الثمن يصادر لخزانة الحكومة .

وقد أرسل عباس داخل ظروف لكثير من عطاء المصريين منشورا سريا يظهر فيه عدم اعترافه بقانون الوراثة ؛ ولا قانون التصفية ، وعزمه على العمل للاحتفاظ بحقوقه ، ويدعوهم فيه لنصرته .

اشتغالى بالصوماء :

مقالات تثير اهتمام الدوائر العليا : منذ أواخر العام الماضى دخلت في زمرة الصحفيين ، فبدأت أكتب مقالات في جريدة الليبرتيه عن عهد الأسرة العلوية المحمدية ، وكانت تظهر كل يوم أربعاء في صدر الجريدة ، وقد أخذت تلفت الأنظار في الأوساط الانجليزية وفي السراى .

وفي يوم ١٨ يناير سنة ١٩٢٢ قابلت موسيو ليون كاسترو صاحبها فأخبرني أن قلم المطبوعات في الداخلية أرسل إليه إشارة تليفونية ليستدعيه ، وكان يظن أنهم سيخاطبونه في الكف عن معارضة تشكيل الوزاة الجديدة بعد وزارة ثروت باشا .

السراى تخشى الدعاية لعباس : وفي يوم ٢٠ منه قابلته ، ففهمت منه أن سبب استدعائه هو مقالاتى التى أنشرها بجريدته ، وذلك أن السراى تخشى أن يكون الغرض عمل دعاية لعباس حينما أصل إلى الكلام عنه ، وقد طلبوا منه أن يخبرهم عما إذا كان في مقالاتى الآتية شىء من هذا القبيل ، فقال لهم : « إنه يكتب مقالاته واحدة واحدة ، وأنا لا أعلم ماذا سيكتب بعد ذلك ، ولكنى لا أظن أنه يقصد القيام بالدعاية لعباس »

عندئذ قلت لكاسترو : « إننى لأقصص الكلام عن عباس في مقالاتى هذه إلا

عرضاً ، لأننى أنوى نشر كتاب خاص عن تاريخ آخر الخديويين ، ثم أضفت : وإن عباساً له صفات طيبة وأخرى معيبة ، وعلى كل حال أنا على الحيدة من جهته ، وإذا كنت قد خدمته هذه المدة الطويلة بنية صادقة ، فذلك دين على لوالده توفيق رأيت أن أفيه .

النهضة النسوية : وقد حدث أثناء اشتراكى في تحرير هذه الجريدة أن دعا صاحبها المحررين بها لحفلة عشاء برياسته ، ثم كانت حفلة ثانية برياستى . وكانت المجلة قد خصصت قسماً لشئون المرأة ، ومن بين ما كان ينشر فيه مقالات لكاتبات من بينهن سيدة باسم (حياة) تؤيد فيها حرية المرأة ونهضتها بأسلوب رشيق . ففى هذه الحفلة تحدثت عن النهضة النسوية الجديدة ، وأثنت على هذه الكاتبة المجيدة ، وعلى زميلاتها ، وانتصرت لحرية المرأة ، وقد ردت على هذه الكاتبة رداً لطيفاً وذكرت فيه أن والدها يعرفنى ، ويعرف عنى أشياء كثيرة ..

انقطاعى عن التحرير : وأخيراً رأيت أن أنقطع عن التحرير فى هذه الجريدة بعد كتابة خمس وثلاثين مقالة ، تجنباً للاحتكاك بالدوائر العليا التى كانت لا تتراح لنشر مقالاتى .

معاودة المنكوبين بالحرب فى الأستانة : فى يوم ٢١ يونيو سافرت إلى الأستانة لقضاء فصل الصيف بها . وفى يوم ١١ أغسطس قابلنى الحاج حسين مانع زاده أحد التجار المشهورين وأخبرنى أنه حدث حريق كبير فى بعض أحياء الأستانة ، وقد تشكلت لجنة برعاية السلطان ، ورياسة توفيق باشا الصدر الأعظم لمساعدة المنكوبين ، وستقوم ببناء منازل للفقراء الذين أصابهم الحريق فدمر بيوتهم ، وأن السلطان قال بوجوب وجود عضوين فى اللجنة من غير الأتراك وأنه (أى مانع زاده) قال فى الاجتماع انه يعرفنى عندما حضر لمصر ، وكنت أنا مديراً للاوقاف ، وأثنى على : فقررت اللجنة سؤلى عما إذا كنت أقبل الدخول حتى أروج اكتتاب المصريين لاعانة فقراء المنكوبين بالحريق ، فقلت : « يلزم سؤال الانجليز عن رأيهم فى الموضوع ، فإذا لم يجدوا مانعاً يسألون عن رأيهم فى دخولى عضواً فى اللجنة ، حتى لا يظنوا أننى أتناول فى مسائل سياسية » .

وبعد بضعة أيام قال : إنه تقرر استدعائى عند الصدر لمباحثتى فى المسألة وفى يوم ١٦ منه وردت إلى دعوة لمقابله يوم ١٩ ، ولما قابلته بالصدارة .

قال لى: « ان لجنة الحريق أمكنها باعانات مالية من الجمهور أن تبني بيتين كبيرين يحتويان على مساكن متعددة، وانها شرعت في بناء بيت ثالث، والايجارات التي تأت من هذه البيوت تنفق في بناء بيوت للفقراء المنكوبين بالحريق؛ وستشرع في طبع تذاكر بفئات مختلفة لعرضها على المحسنين من المسلمين أتراكا وعربا، ومن شتى الاجناس للمساعدة على بناء البيوت المذكورة، فهل يتيسر تنظيم هيئة في مصر لهذا الغرض ؟ »

قلت: « إن الذي يتولى الآن جمع الأموال لمساعدة الأناضول هو الأمير عمر طوسون ». قال : « وهل يمكنك أن تكاتبه في هذا الصدد لمعرفة عدد التذاكر التي يمكن توزيعها ومقدار قيمتها ؟ ». قلت : « اننى على وشك السفر إلى مصر والأحسن أن أكله شفويا في الموضوع . ولكنى يادولة الصدر أجعل تفاصيل غرض اللجنة؟ فهل لها لائحة لأطلع عليها، وهل توجد خريطة تبين الأماكن المحترقة واحصاء عن عدد البيوت ومساحاتها، والتي منها للفقراء ، وما هي المعلومات عن طريقة بنائها ؟ ».

فقال: «إنه سيطلب من اللجنة هذه الايضاحات؛ والفكرة السائدة هي أن تقسم الأرض إلى جملة أقسام ، وتستدعى شركات البناء وتعطى كل شركة قسما ، قلت : «وهل الشركات ، تقبل مشتري الاراضى وبناءها وتأجيرها وهي محكورة؟» ولفت نظره إلى هذه النقطة وأن اللازم استبدال أحكارها أولا . ثم استأذنت منه على أن أكون تحت أمره في أى وقت؛ فأجاب بأنه لا يستطيع أن يقدم لى كل المعلومات التي طلبتها، وأخير اجاء في منه مندوب. وترك لى في المنزل خريطة استامبول ، والأراضى المحترقة ملونة بالأحمر، وعليها معلومات عن عدد المباني المحترقة، وهي ١٠ آلاف منزل وفي يوم ٢ سبتمبر زرت الصدر مودعا، وتحادثنا في موضوع إعانة المنكوبين ثم قدمت له الاقتراح الآتى :

قلت : «علبت من سلمان أفندى البستانى أن جلالة الملك فؤاد أرسل لكم بواسطته تحياته ، وانكم كلفتموه أن يبلغه شكركم ، وبما أن العلاقات ودية بينكم وبين جلالته فربما يكون من الموافق كتابة خطاب ودى غير رسمى بهذه المناسبة ومن ضمنه استعطاف جلالته لمساعدة هذا المشروع ، فوافق على الفكرة . ولكن قال : «حيث اننا لم نعقد الصلح مع الحلفاء، فالأصوب تبليغ جلالته شفويا من قبل ،

قلت : « و انتى لا أخفى عليكم ان الازمة المالية لم تزل موجودة فى مصر خصوصا لانخفاض ثمن القطن ، فالمصريون معذورون الآن ، ومع كل فائى سأقوم بالمأمورية فى السراى وعند الأمير عمر طوسون »

وفى يوم ٥ سبتمبر غادرت الاستانة عائدا ، فوصلت الاسكندرية يوم ١٠ منه . وتوجهت مباشرة إلى سراى رأس التين ومعى الخريطة السابقة الذكر . فكتبت اسمى فى سجل التشرىفات ، ثم قابلت حسن نشأت بك (باشا) أحد كبار رجال الديوان وسلمته الخريطة ، وبلغته ما كلفنى الصدر ، فتسلمها وأخذ عنوانى .

ثم قابلت الأمير عمر طوسن وأخبرته بالمهمة فقال : « إنه تقرر عدم ارسال نقود الاستانة لأن حكومتها ضد الكمالين ، وأن كل ما يجمع من النقود يرسل إلى الأناضول » وبذلك انتهت المسألة .

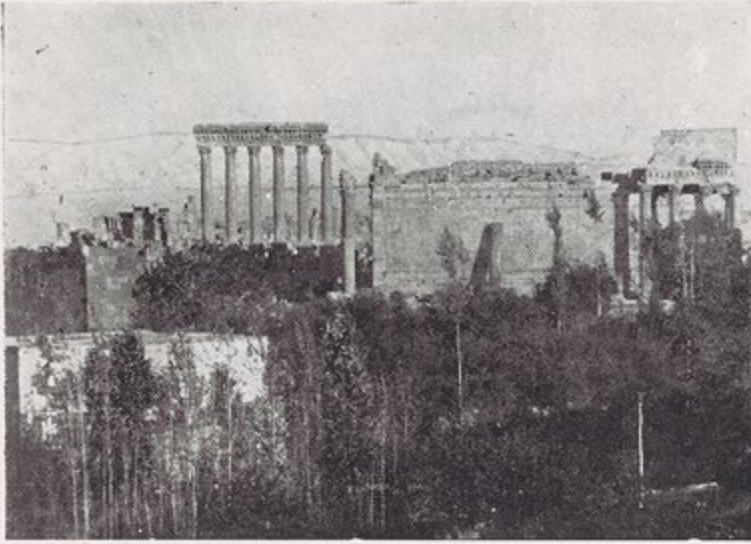
رحلتى فى سوريا وفلسطين :

إعجابى بالتعليم فى الجامعة الأمريكية ببيروت : سألت كثيرا ممن لهم وقوف على الجامعة الأمريكية فى بيروت ، فوجدت أنهم مجمعون على القول بأنها تفضل مدارس مصر فى التعليم والتربية ، وعلمت من أحد أصحاب المقطم أن المسلمين لهم معلم للديانة السمحة ، واليهود والنصارى لهم معلمون فى دياناتهم ، وأنه سيحضر عن قريب مندوب من الجامعة ، لمرافقة التلاميذ الذين سيذهبون إليها للدراسة ، لهذا صممت على انتظاره ، وأخذ المعلومات منه ، ثم السفر بولدى احمد وراشد إليها .

وفى يوم ١٣ أكتوبر — وكنت قد حصلت على المعلومات المطلوبة — سافرت معهما ، فوصلنا إلى الحدود المصرية يوم ١٤ منه ، وفى اليوم التالى وصلنا إلى بيروت فذهبنا للكلية ، وهناك قابلنا الأستاذ حامد ثابت مدير قسم الأولاد الصغار ، فسلمته الولدين ، ودفعت نصف المصروفات السنوية لهما ، وهى مائتان وثمانية جنيهات سورية وقد علمت أن من أخص الصفات التى تعنى الكلية بغرسها فى نفوس طلابها ، الاعتماد على النفس ، فالطالب هو الذى ينظم غرفته بنفسه ، كما أن الطلبة الفقراء يشتغلون بالخدمة فى الكلية نفسها مقابل إعفائهم من المصروفات .

رحلتى فى بعض البلاد : وفى يوم ١٧ أكتوبر اتفقت مع شركة مصايف لبنان على القيام برحلة لبلبك ودمشق ، فركبت السيارة وصعدت الجبل ، ومررت على عاليه وبحمدون وصوفر؛ ثم نزلنا إلى شتوره ، وتغديت عند صاحبي القديم سليم افندى

بولاد، وله هناك أراض واسعة، ومعمل نبيذ وسط كروم كثيرة .
ومن هناك ذهبنا إلى بعلبك فزرت والدّة الشاعر الكبير خليل بك مطران ،
فأعجبت بثقافتها وحسن إدارتها لشئون العائلة .



معبد بعلبك

ثم شاهدت معبد بعلبك ، وهو معبد روماني قديم مبني بأحجار ضخمة يبلغ طولها ١٩ مترا وعرضها أربعة أمتار وارتفاعها ثلاثة . ومنها أعمدة قطرها ثمانية أمتار .

وبعد ذلك قفنا إلى دمشق ، والطريق يشبه في بعض جهاته بلاد السويسة صخوراً وودياناً وأشجاراً .. وقد قابلني على المحطة وكيل محمد على العابد بك لغيابه في حلب فركبنا مركبة ونزلت بفندق فيكتوريا في ضيافة حرمه ، وقد حضرت لزيارتي؛ ثم أرسلت مركبتها فذهبت بها لزيارة حتى بك العظم الحاكم العام الذي أرسل معي مدير الأوقاف لمشاهدة المعاهد الدينية والمساجد ، وقد زرنا الجامع الأموي وبيت أسعد باشا العظم الأثرى الذي اشتراه الفرنسيون بستين ألف جنيه سوري ، وفيه قاعات عربية جميلة ، وشاهدنا دار الأيتام وفيها ١٥٠ بنتاً وهي متسعة ونظيفة ، والحكومة هي التي تنفق عليها مع دار أخرى للأولاد؛ وأخيراً زرت معمل تلسان لشغل الخشب المنزل بالسن والصدف ، وبين الصناع كثيرون من اليهود والآرامن

أما المسلمون فقد لاحظت أن ليس لهم نصيب كبير في الصناعات على العموم .
وقد رددت الزيارة لحرم العابد بك ؛ ثم غادرت المدينة إلى المعلقة وزحلة



ظهور الشوير

فظهر الشوير على ارتفاع ١٦٠٠ متر تقريباً ، ثم نزلت إلى بورمانه حيث المنظر
جميل بين أشجار الصنوبر ورائحته ، وعدنا إلى بيروت .

وفي صباح ٢٥ سافرت بالسيارة إلى حيفا ومنها إلى القدس ، فزرت حاكها
موسيو « ستورس » ، وكان من قبل في مصر سكرتيراً شرفياً لكرومر ، ثم زرت
منزل المفتي الحاج أمين الحسيني .

وفي اليوم التالي حضر شيخ الحرم بناء على أمر المفتي لمرافقتي في الزيارات ،
فزرنا الحرم وقبته مزينة بالفسيفساء الفاخرة الدقيقة ، وهي قائمة على اثني عشر
عموداً ، وأربع اسطوانات ، والصخرة المقدسة في الأسفل ؛ ثم تفرجنا على قبة تسمى
محكمة داود ، وهي صغيرة ومصنوعة من القيشاني . ومحمولة على ثمانية عشر عموداً
على نظام القبة الكبيرة

ثم توجهنا الى المسجد الأقصى ورأينا المحراب العظيم الذي بناه صلاح الدين
الايوبي ، وبجانبه منبر على طراز عربي متقن ، وصانعه « حميد بن ظافر الحلبي » ثم صلينا
في جامع سيدنا عمر ، ثم خرجنا ونزلنا الى المسجد الأقصى القديم ، ومنه الى محل

سرير عيسى . فاصطبل سليمان ذى الحجارة الضخمة ، ثم خرجنا فرأينا باب التوبة وباب الرحمة ، وهما عظيمان معلقان منذ القدم ، وعلى جانبيهما كرسي سليمان (للحكم) وخرجنا من الحرم الشريف ودخلنا الصلاحية (المدرسة) وفيها كنيسة، ويقال: إن فيها قبر حنا والدة مريم، وهى صغيرة ، ويشاع أن سيدنا عيسى كان يبرىء الأبرص بأدخاله فى مياهها، وهذه المدرسة كانت فى مدة الحرب كلية لتخريج المبشرين المسلمين من كل أطراف العالم الاسلامى ، وكان يديرها الشيخ عبد العزيز جاويز ، وكان فيها أساتذة أفاضل ، ولكن بعد الحرب أقفلت وسلمت الى جماعة من الفرنسيين . ثم توجهنا الى مدرسة روض المعارف . ويديرها شيخ يظهر على وجهه الذكاء والنشاط، وشاهدنا التدريس فى الفصول والمطبخ؛ وأعطينا أجزاء من مجلة يصدرونها باسمها . وأخيراً توجهنا الى كنيسة القيامة ووزرنا قبر المسيح والاماكن الدينية التى داخل الكنيسة التابعة لأقوام مختلفة ، وهى على جانب عظيم من الفخامة، وبعد الغداء رجعنا الى هذه الكنيسة ، وتفرجنا على الآثار القديمة والهدايا النفيسة والمجوهرات الثمينة وكتب الانجيل التسعة المزخرفة ومن بين ما رأينا صورة لمريم فى إطار زجاجى مطرزة بالجواهر الكريمة، ومنها أوواة على الجبهة ثمينة ، ويقال: إن قيمة المجوهرات فى هذه الكنيسة تبلغ ٨ ملايين من الجنيهات وكثير منها لطائفة الروم الارثوذكس التى لها نفوذ عظيم وعقارات كثيرة فى القدس، أما مفتاح كنيسة القيامة فهو فى يد عائلة اسلامية من قديم الزمان ، لمنع الاختلافات بين الطوائف المسيحية المختلفة .

وبعد ذلك ركبنا سيارة ، وتوجهنا الى مدينة الخليل، ورأيت فى الحرم الابراهيمى من الخارج قطعاً كبيرة من الحجارة ، وقيل لى : إن سيدنا سليمان هو الذى بنى هذا لمسجد . ولكنى لاحظت أن حجارتها صلبة جداً ، ولا أظن أنه من بناء زمان سليمان — وفى هذا الحرم قبر سيدنا ابراهيم الخليل وقبر زوجته سارة . ثم قبور اسحق وزوجته رقية ، ويعقوب وزوجته لائقة، ويوسف، وبه الغار الشريف ويتدلى فيه قنديل لأنارته، وله فوهة، يجلس عليها شيخ، فيكشف هذا الغطاء عن الفوهة ليرى الزائر عمق الغار .

ومن مدينة الخليل توجهنا بالسيارة الى بيت لحم، وتفرجنا على كنيسة المهد، ووزرنا موضع مولد المسيح ، وموضع النخلة التى أمر الله سيدتنا مريم أن تهزها فيتساقط منها الرطب ، وهو لا يبعد عن محل الولادة الا بخمسة أمتار تقريباً ، ومسقوف

الآن ببناء؛ ومدينة بيت لحم بيوتها صغيرة مبنية بالحجر ونظيفة؛ وحاراتها ضيقة إلا أن أمام الكنيسة ميداناً متسعاً . وبعد هذه الزيارة رجعنا الى القدس وشكرت المفتي على حفاظته ثم عدت لمصر .

مطرباني من عباس : في يوم ٥ نوفمبر علمت من محمد شفيق باشا أن عباساً وكل حسن بك صبرى المحامى (باشا) في تصفية أملاكه مع الحكومة المصرية . وكان سموه قد جمع لجنة من المحامين المختلني الجنسية وشاورهم بالسويسرة في قضاياهم ضد السلطة في مصر ، فكان قرارهم أن له الحق في مقاضاة السلطة ، ولكن حسن بك صبرى رأى أن هذه القضايا لا يمكن البت فيها قبل مضي سنة من وقت صدور الدكرتو الذى يقضى بمصادرة ماله من المال بعد التصفية ان لم يتسلمه في هذه المدة ، وعليه رأى أن الأصوب قبول تصرفات السلطة وقبض ما يكون من المال وهو بين نصف مليون وستمائة ألف جنيه ، فيشتري به أراضى في



حسن بك صبرى (باشا)

الاناضول فيعوض، ماخسره في مصر . فقبل هذا رأى، وولته في تنفيذه . فلما علمت بذلك عازمت على أن أقابله ، وأتكلم في موضوع مطرباني من الخديو . وفي يوم ٧ قابلته، وعلمت منه أنه سبق أن دار كلام بينه وبين الخديو في أوربا في موضوع مطرباني، وأن سموه يظن بأننى رفعت دعوى ضده ، وأنه قال : « أما مطلوب شفيق من النقود فسيرد لكن ما معنى هذه الدعوى ؟ » ، ولما علم صبرى بك بأن هذه الدعوى لا توجد الا في مخيلته ، قال : الحمد لله . وأخبرته بملخص حكاية هذه المطالبات ، فقال : « ان المبلغ لا يستحق التردد في دفعه، وطلب منى أن أسلمه مذكرة به، ووعد أن يتوصل الى الخديو لدفعه، فشكرته ووعدته بعمل المذكرة . وفي يوم ١٠ اجتمعت بالدكتور سيد كامل وتكلمت معه في المسألة ، فرأى معى أن لا بأس من تحرير مذكرة فخرناها كما يأتى :

« حقائق القبة في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣٢ »

« حضرة صاحب العزة الأستاذ الفاضل حسن بك صبرى »

« بعد التحية والاحترام، فاتحتكم منذ ثلاثة الأيام في موضوع مطلوباتى من الجنب العالى، وقد دهشت عندما علمت أن سموه لا يزال ظاناً بأنى مخاصمه أمام المحاكم وهذا بخلاف الواقع كما أخبركم، وقد سبق لى أن استعطفتم سموه لصرف هذه المطلوبات، ولكن مظنة وجود دعوى هى وحدها كانت دائماً السبب فى تأخير صرفها. والآن أشهدكم أنه ليس لى فى أى جهة من جهات القضاء هنا أو فى الاستانة أو فى أوروبا أثر لأية دعوى خاصة بهذه المطلوبات، وعليه أرجوكم أن تعرضوا على أعتاب سموه رجائى فى أن يتفضل فى أمر بصرف حقوقى التى أنا فى أشد الحاجة إليها. وانى أتخذ بحوار وساطتكم القيمة، السنين الطويلة من عملى التى قضيتها فى خدمة سموه بكل صدق وإخلاص، شافعياً فى قبول الطلب الذى أرجو أن تكون الاجابة عليه فى القريب العاجل.

« أما مطلوباتى فهى : أولاً ٢٦٣٣ جنيه مصرى قيمة ما أخذ من نقود المسيحوصى مع الفوائد لغاية السنة الجارية. ثانياً ٩٤٣ جنيه مصرى الباقى من سلفة الشيخ على يوسف وقدرها ٢٠٠٠ جنيه التى عقدها فى الخاصة مع الفوائد، فتكون الجملة ٣٥٧٦ جنيه مصرى^(١) وقد سبق أن سلبت مذكرة لحضرة الأستاذ أحمد بك لطفى فعرضها على الجنب العالى الذى أمره أن يبلغنى رد سموه بأنه سيأمر بدفع مطلوباتى بعد زمن قليل. هذا وتفضلوا بقبول شكرى على وساطتكم، وأنتى متوسم حل هذه المسألة على يديكم،

شفيق

وقد توجهت لمكتب حسن بك صبرى يوم ١١ فبراير وتركت له هذا الخطاب. وفى يوم ١٣ زرت عبد الحميد باشا سليمان وكيل وزارة الأشغال، فوجدت عنده حسن بك صبرى الذى أخبرنى بأنه تسلم خطائى، وأنه وجدته فى تحريره ومحتوياته جيداً جداً، وأنه سيرسله مشفوعاً بتعضيد منه. قال : « وربما سافرت اليه بعد أسبوعين أو ثلاثة لأنهى المسألة » فشكرته. وقد سافر بعد ذلك. وبعد عودته أخبرنى أن عباساً تسلم مذكرتى وقرأها ثم لم يعطه جواباً.

أما ما تم فى المسألة بعد هذا فسيجده القارىء فى ملحق بمذكرات العام الآتى

(١) ولم أرغب فى ضم المطلوبات الأخرى حتى أصل إلى تسوية هذين المبلغين أولاً

سنة ١٩٢٣

عمارة المسجد الأقصى — السماح للوامة بالعودة الى مصر
الحكم ضررى في قضية الارواق — بيع مؤلفات وعضوية البرلمان — شؤره مختلفة

عمارة المسجد الأقصى : في يوم ٩ فبراير علمت بحضور مفتي القدس السيد
محمد أمين الحسيني ، رئيس المجلس الاسلامي الأعلى ؛ وكنت تعرفت به في القدس



السيد محمد أمين الحسيني
رئيس المجلس الأعلى الاسلامي ومفتي القدس

عند زيارتي لها في العام الماضي ؛ وهو
شاب يبلغ الثلاثين من العمر تقريباً ،
ذكي يتحدث بعقل وورزانة ويعرف الترية
وقد توجهت الى فندق الكونتنتال
لزيارته فلم أجده ، وتركت له بطاقتي

وفي يوم ١٣ دعيت عند السيد عبد الحميد
البكري لتناول الشاي في حفلة أقامها
تكريماً للمفتي ، وكان معه كمال بك المعماري
التركي الشهير . المكلف هو ومن معه من
المهندسين الأتراك بترميم قبتي المسجد
الأقصى والصخرة ، والحاج سعيد بك
الشواء عضو المجلس الاسلامي الأعلى
ومدير بلدية غزة سابقاً ، و خليل افندي
سكا كيني ، وعادل افندي جبره مدير

المكتب الأقصى ، والشيخ محمد بن خيت ، والقمص بولس غبريال ، وغيرهم .
وعلمنا أن الغرض من حضور الوفد الفلسطيني جمع إعانات للقيام بالتعمير
المطلوب ، الذي تبلغ نفقته مائة وخمسين ألفاً من الجنيهات .

وفي ١٥ منه حضرت حفلة غداء أقامها أحمد زكي باشا للوفد ، وكان معنا شيخ الأزهر ، والمفتي والشيخ محمد نجيت ، والسيد عبد الحميد البكري ، والسيد رشيد رضا وسليمان شفيق باشا وزير الحربية السابق في تركيا ، وتناقشنا فيما يحجب عمله لجمع التبرعات المطلوبة ؛ وتقرر أن أعرض الأمر على الأمير محمد علي ، وأتسبب رياسته للهيئة التي ستشكل لجمع الإعانات ، وأن يقدم الوفد لسموه غداً بواسطة السيد عبد الحميد البكري والشيخ نجيت .

وفي يوم ١٦ قابلت الأمير ، وعرضت عليه المسألة فقبل مبدئياً ، على أن يستطلع رأى اللورد اللبني . ثم حضر الوفد الفلسطيني وقدمه السيد البكري والشيخ نجيت لسموه ، ودار الكلام في الموضوع ، فأظهر ارتياحه وقبل بتحفظ ، وقال : إنه عند ابتداء العمل يسافر مع اللجنة التي ستشكل إلى الوجهة القبلية لجمع التبرعات . ويطلب من سمو الأمير عمر طوسن أن يقوم بهذا العمل في الإسكندرية والوجه البحري ؛ فخرج الوفد شاكرًا لسموه ، مستريحاً لما بذلته من المساعي .

وفي يوم ١٩ دعوت الوفد لتناول الشاي ، ومعه السيد البكري والشيخ نجيت والسيد رشيد رضا وزكي باشا ، والقمص بولس غبريال . رئيس الكنيسة القبطية بحارة الروم ومندوب البطريركية والأستاذ نسيم صبيغة ، وابراهيم بك نجار صاحب « لسان العرب » .



القمص بولس غبريال

وفي يوم ٢٠ انعقد مجلس إدارة الرابطة الشرقية ودارت المناقشة حول المساعي التي قمت بها لدى الأمير محمد علي ، فتقرر اعتماد هذه المساعي من الجمعية .

وفي يوم ٢٥ قابلت الأمير بناء على طلبه في نادى محمد علي ، فأخبرني أنه حظى بمقابلة جلالة الملك فؤاد ، وعلم منه ما دار بينه وبين مفتى القدس من الحديث حول جمع التبرعات ، فلاحظ جلالته أن الوقت غير مناسب للبدء بهذا العمل نظراً للازمة الاقتصادية ؛ ثم قال للأمير : إنه لم يكن

يعلم أن الوفد الفلسطيني طلب من سموه أن يرأس لجنة الاكتتابات ، بل علم أنه لجأ إلى الشيخ محمد بخت . فسألت الأمير عما إذا كان الملك يكره الشيخ بخت ؛ فقال بالفرنسية مامعناه : « نعم له ثأر عنده » .

وبعد أن تركته قابلت الوفد ، وأخبرته بما كان بين الملك والأمير ، فتقرر أن يزور المفق اللورد اللني ، ويخبره بما حصل .

ولما قابله قال له : « الحقيقة أن الملك مشغول الفكر الآن بالحالة السياسية ، والأفضل الانتظار حتى تشكل الوزارة (١) . أما الأزمة المالية فلا عبء بها ؛ ثم أوصى المفتي أنه عندما يعلم بتشكيل الوزارة يكتب إلى اللورد ، وهو يقابل الملك وينهى المسألة .

وفي يوم ٢٧ سافر الوفد الفلسطيني ، فودعه على المحطة كثير من أعضاء مجلس الرابطة الشرقية ، وغيرهم .

وفي يوم ١٠ يونيو عاد مفتي القدس لإعادة الكرة فيما يختص بجمع الاكتتاب فنصحت له بأن يسير حسب رغبات جلالة الملك ؛ فيبدأ بالكلام مع الوزارة ملتسماً أن يكون العمل تحت رعاية جلالته ، على أن يعين هو اللجنة التي تقوم بالعمل في الوقت الذي يختاره . بحيث لا تكون هناك صلة بين المشروع ، وبين البكري ، أو الشيخ بخت أو صاحب المذكرات ، وذلك أدعى إلى رضا جلالته .

وقد رافقته فقدمته لرئيس الوزراء ، فتكلم معه حسبما اتفقنا ، ووجد منه عطفاً على المشروع ، وقال : « إن اللورد اللني حادثه في هذا الصدد ، وأنه سيعرض الأمر على جلالة الملك ويحبذه » .

وفي يوم ١٢ منه اجتمع مجلس إدارة الرابطة الشرقية ، وقرر المساعدة في جمع الاكتتابات ، سواء باشتراك بعض أعضاء الرابطة في اللجنة التي سيأمر الملك بتشكيلها ، أو بتخصيص هيئة من الأعضاء لتعمل على انفراد .

وفي يوم ١٤ منه قابل المفتي سعيد ذوالفقار باشا كبير الأمراء ، فوعد بالمساعدة لدى جلالة الملك ، وقد قبل جلالته رعاية المشروع ، وتقرر ابتداء العمل في الحريف القادم .

وبلغت التبرعات ٣٠٦ جنيهات و ٨٦٠ ملياً . وبعد ذلك تبرع جلالة الملك فؤاد بمبلغ خمسة آلاف جنيهه وتبرعت وزارة الأوقاف بخمسة آلاف أخرى .

(١) بعد سقوط وزارة ثروت باشا

السماح للوالدة بالعودة الى مصر : في يوم ٩ ابريل حضر إلى منزلنا الأمير محمد علي ، وتكلم مع حرمي في ارسال خطاب من السيدات المصريات إلى اللورد اللبني ، بشأن عودة دولة الوالدة ، يتلخص في أن الأحكام العرفية هي التي تمنع عودتها ؛ ولذلك يطلبن وساطة جنابه لرفع هذا القيد ، وتذليل الصعوبات ، التي ربما تعوق رجوعها

فخررت هذا الخطاب بالفرنسية ، وأطلعت عليه شكور باشا ، وطلبت منه كتابته على الالة الكاتبة . ولكن السيدات عدلن عنه ، وقررن إرسال رسالة باللغة العربية يطلبن فيها تحديد ميعاد لمقابلة اللورد للتكلم معه في الموضوع ، ووقعته السيدة شريفة هانم رياض

وحتى يوم ١٨ منه لم يرد الرد . وقد اتفق أن كان شكور باشا في هذا اليوم عند مستر كار سكرتير اللبني ، فسأله عما إذا كان اطلاق سراح أعضاء الوفد المعتقلين في قصر النيل قد أحدث أثراً طيباً عند المصريين ؟ فأجابه الباشا بالاجاب . ثم أظهر المستر كار امتعاضه من تمسك السراى بمسائل غير هامة .

ففهم شكور أنه يعني بذلك توقفها عن الاذن لوالدة الخديو بالرجوع ، فقال كار : « نعم إنتى أعنى ذلك ، لأن اللورد قابل الملك موفداً من قبل حكومته التي لا ترى مانعا في عودة دولتها ، وطلب منه أن يوضح أسباب عدم السماح لها بالعودة فأجاب الملك ، بأنه يرى الأفضل الانتظار حتى يعلن الدستور وينعقد البرلمان . تحضر في شهر ديسمبر ، وكان الأصوب أن يقابل طلب حكومة انجلترا بالقبول ، فقال شكور باشا : إنه على استعداد للكلام مع السراى في هذا الشأن ، فسمح له كار بذلك ، وتوجه في يومه إلى السراى ، فأقنع سعيد ذا الفقار باشا بأن الأصوب السماح لدولتها بالعودة الان ، لأنه حين يعلن الدستور لا يكون هناك مانع من رجوعها ؛ فلا يكون للسراى رأى في ذلك . فوعد بالتكلم مع الملك في هذا الشأن . وقد أعلمنى شكور باشا بمسعاها فشكرت له

وفي يوم ١٩ ابريل تمكن سعيد ذو الفقار من اقناع الملك بهذا الرأى ، فأرسلت السراى برقية للوالدة بذلك . وأرسلت باسمى واسم حرمى برقية لدولتها بالتهنئة ، وأعلمت الأمير بمساعى شكور باشا

الحكم ضررى فى قضية الأوقاف : ذكرت فى سنة ١٩١٦ ما نى إلى من الأخبار وأنا فى تركيا عن رفع قضية ضدى من الأوقاف السلطانية .

وأذكر هنا تفصيلا لهذه القضية من مبدئها إلى نهايتها . ذلك أنه فى أواخر سنة ١٩١٤ عينت الأوقاف اثنين من موظفى المالية ، وهما جورج بك طلاماس والمسترجون هلبرت لفحص أوراقها ، فأتضح لهما أن هناك أموالا سحبت لانفاقها فى وجوه خيرية ، ولكنها صرفت فى وجوه أخرى . فتولت النيابة التحقيق ، وكان

المحقق هو محمد زكى الابرأشى أفندى (باشا)

فأتم تحقيقه ولم يجد شيئا فى مكتبى بعايدى ولكنه وجد فى منزل أحمد بك صادق وكيل الأوقاف الخديوية سندات بالمقادير التى صرفت باسم الفقراء ، بينما ذهبت فى وجوه أخرى . فقدم القضية إلى محكمة مصر الابتدائية فى يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٥ .

ونظرا لوجود صالح أجنبى فى القضية ، وهو الحارس القضائى على أموال الخديو فى الخاصة الخديوية معينا من البنك العقارى الذى يداين دائرة عباس ، فقد حولت القضية إلى محكمة مصر المختلطة ؛ وكان ذلك عقب صدور أحكام بالبراءة من المحاكم الأهلية



زكى الابرأشى باشا

فى قضية أقيمت على خيرى باشا بمائلة لقضيتى ؛ وكانت الأوقاف تطالبنى بالتضامن مع الخديو بمبلغ ٧٨٠٦ جنيهات و ٩٦١ مليا وقد حجزت على أموالى المودعة فى بنك دى رومه وقدرها عشرة آلاف جنيه تقريبا دون الحجز على أموال الخاصة الخديوية وكانت وقائع الدعوى كما يأتى : « أننى كنت أودع باسمى المبالغ الخاصة بالدبوان ليتسنى لى صرفها كما أشاء » ، « وأننى صرفت المبالغ التى رفعت بها الدعوى دون إذن من الخديو لعدم وجود أوامر كتابية منه بذلك » ، « وأن تحقيقات النيابة تثبت أن البيانات التى فى أذن الصرف غير حقيقية » ،

وقد رد وكيلى عن النقطة الاولى بأن المبالغ المودعة فى المصارف على قسمين :

الاول . وهو رموس الاموال ، وهذه مودعة باسم الاوقاف ، والثاني وهو فوائد رموس الاموال ؛ وقد اودعت بأسمى كرئيس للاوقاف ؛ وذلك كراهة لان يظهر أن الاوقاف تتعامل بالفوائد المحرمة شرعاً ؛ وقد جرى هذا العرف من قبلى . وعن النقطة الثانية ، بأنه لم يكن يتصور أن أتأخر عن صرف المبالغ حتى يصدر لى أمر كتابى من الخديو ، لأن العادة جرت بأن تكون هذه الاوامر شفوية ، وحسى أنى كنت أنا كد من الخديو نفسه أنه أمر بصرف المبالغ . وعن النقطة الثالثة بأنه لم يكن من المتيسر أن أتجسس وأستقصى عن المبالغ التى تصرف لأعرف مواضع صرفها ، وأنا كد من أنها صرفت فى وجوها ، ووظيفتى لا تسمح لى بذلك ، وما أنا إلا وكيل عن الخديو (الناظر) وله كل الحرية فى صرفها .

وكان هذا الدفاع أمام المحكمة الابتدائية يوم ٨ مارس سنة ١٩٢١ ، ولكنها حكمت ضدى بأن أدفع مبلغ ٤٥٥٦ جنياً ، وعلى الخاصة وحدها بدفع مبلغ ١٣٥٠ جنياً مع دفع فوائدها باعتبار ٥ فى المائة من وقت رفع الدعوى . وبرفض طلبى الرجوع منى على الخاصة الخديوية ، وبدفع مصاريف الدعوى و ٨٠٠ جنية لحامى الاوقاف .

وقد استأنفت هذا الحكم أمام محكمة الاستئناف المختلطة .

وفى يوم ٢٦ ابريل سنة ١٩٢٣ كان موعد المرافعة أمامها ، فترافع أولاً لحامى الاوقاف ، ثم أعقبه مستر بادوا محامى الخديو ، ثم ترافع عنى البستانى بك ، وأخيراً وقفت فقلت : إن محكمة الاستئناف قررت أنه لا يمكننى أن أعصى أوامر الناظر (الخديو) على شرط ألا أقوم شخصياً بعمل لا يجوز القانون ، وهذه النقطة على ما أظن هى أساس القضية ، والأستاذ البستانى فند أقوال الاوقاف فى هذه النقطة ، وقال إن الدليل على أن الاوقاف لم تكن مقتنعة بأننى تدخلت فى أمور لا يجوزها القانون ، أنها طالبتنى مدنياً فقط ، وطالبت خيرى باشا المدير الذى سبقنى فى الاوقاف جنائياً مع أن القضيتين متشابهتان تماماً ؛ ولا شك أن المحكمة تحب أن تعرف ماهو سبب هذا الاعتقاد ، فلو كان عفيفى باشا خلنى فى هذا المنصب على قيد الحياة لأعلمكم . ولكن لعدم وجوده اسمحو لى أن أعرفكم به .

فى مايو سنة ١٩١٤ عندما كنت أرافق عائلتى المسافرة من الاسكندرية إلى الاساتنة قابلت السلطان حسين كامل فى القطار ، ودار الحديث عن أعمال الاوقاف الخديوية ، فقال لى : « يا شفيق أظن أنه تجرى أعمال تنذك بدون علمك » ، فدهشت

لهذا الكلام ، لأنه حينما كان يصدر لى أمر من عباس وفى الغالب عن طريق أحمد بك صادق بصرف مبلغ لتوزيعه بمعرفته وهو وكيلى . كنت أرجع لسموه لأننا كد من صحة الامر ، وعندها فقط كنت أصرفه بحسن نية . فكلام السلطان حسين لى يثبت أننى كنت بعيداً عن الالاعيب التى لا يجيزها القانون . وهو السلطان حسين ولا شك الذى أمر عفيفى باشا بالآلا يطالبنى إلا مدينياً

« وإننى ابن موطف شغل مناصب هامة ، فكان فى عهد الخديو اسماعيل باشا رئيساً لقلم العرضحالات فى السراى ، ثم انتقل إلى إدارة المالية المصرية ، ولكن لما عين على رأس هذه النظارة اسماعيل صديق باشا لم يلبث أن استقال ، لأنه لم يشأ أن يوافق على أعمال رئيسه ، فلو أطلع ولده على أى شك فى إدارة المصلحة التى كان يديرها ما تأخر لحظة عن اتباع خطة أبيه

« إن لى فى خدمة الحكومة ما يزيد على الأربعين عاماً ، أدت فيها الديوان الخديوى ثم الاوقاف قبل أن أنتقل إلى الاوقاف الخصوصية ، وإننى مرتاح الضمير من ناحية أعمالى ، لأننى أحس بأننى قتت بواجباتى بكل صدق وأمانة ، ولذا أرفع صوتى قائلاً : إنه فى هذه المدة الطويلة لم يجسر أحد أن يدعى على فى نزاهتى أو إدارتى اللهم إلا الاوقاف الملكية ، والآن وقد اتضح لها كل شىء فأرجو أن تحنى رأسها أمام الحقيقة وتوافقنى على طلباتى .

« وعلى كل حال فأننى أنتظر من محكمة الاستئناف آخر ملجأ للعدالة ، لا رفض دعوى الاوقاف فقط ، بل أيضاً الحكم عليها بتعويض لى نظير الضرر العظيم الذى نالنى من جراء حجزها على مالى بدون حق فوق الثمانية الأعوام ، وقد أجلت الجلسة بعد ذلك للنطق بالحكم

وفى يوم ١٢ يونيو أخبرنى البستانى بك تليفونياً أن النائب العام للمحاكم المختلطة تشرف بمقابلة جلالة الملك ، وأنه يظن أن لهذه المقابلة علاقة بموضوع قضيتى وفى يوم ١٦ قابلت شكور باشا ، وأعلته بهذا الحديث ، فأشار على بالذهاب إلى مقر المندوب السامى ، والتكلم مع أحد السكرتيرين فى الموضوع . وقد حدث فعلاً أننى قابلت السكرتير الشرقى ، وأخبرته بما يحول فى خاطرى ، وبتخوفى من هذه المقابلة ، ورجوته - إن لم يكن هناك مانع - أن يستفهم عن سبب تأخر النطق بالحكم فوعدنى بذلك

وبعد هذا قابلت مرزباخ المحامي، فقال لي: إن هذه القضية من القضايا الهامة ومعلوم أمرها للمستشارين، وإنه ظهر من كلام المستشار فامباس معه، ان تيار الافكار في صالحى، فاطمأنت قليلا

وفي يوم ٢١ يونيو أصدرت المحكمة حكمها وهو مبنى على الحثيات الآتية :
« حيث ان شفيق باشا كان مديراً للأوقاف الخصوصية الخديوية فكان يلزمه أن يتحقق من أن المبالغ المنصرفة دفعت في أعمال الخير
» وحيث ان مسؤولية الخاصة واقعة عليها بناء على الحكم الصادر في ٨ يناير سنة ١٩٢١

حكمت المحكمة بمسئولية الخاصة وشفيق باشا بدفع مبلغ ٢٠٢٥ جنياً بالتضامن، مع دفع الفوائد ابتداء من رفع الدعوى أى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٥، وقد كان لهذا الحكم وقع سيء شديد الأثر في نفسى

بين مؤلفائى وعضوية البرلمان: في يوم ١٣ مايو دعوت للافتطار بعض معارفى من أهل منشية الصدر والقبه من العمدة والمدربين وغيرهم حسب عادتى كل عام .

وبعد تناول الطعام وقف احمد بسيونى عمدة حدائق القبة، وطلب من الحاضرين أن يضموا أصواتهم الى صوته فى أن أرشح نفسى للبرلمان ، لأننى لم أقبل الترشيح حتى الآن على الرغم من أن بعض كبراء الحى أمثال شكور باشا دعونى الى ترشيح نفسى . فوافقه جميع الحاضرين وألحوا على فى القبول . فشكرت لهم هذه الثقة وقلت: إننى ازاء هذا الاحاح سأفكر فى الأمر: ثم تكلموا فى تنظيم لجنة للقيام بعمل الدعاية اللازمة، وقرروا الفاتحة على ذلك ثم انصرفوا .

وفي يوم ١٩ منه زرت الشيخ حسونة النواوى شيخ الازهر الاسبق مهنتاً بالعيد، وأطلعت على ماقاله بعض أهل الحى فحبذا اقتراحهم ، وألح على بقبوله، وذكر أنه موافق عليه، وقد فكر فيه من قبل، وأشار على بعض من حضر عليه للمعايدة بذلك . وفي يوم ٢٠ منه عيدت على مصطفى بك الديب فى مصر الجديدة ورويت له ما حصل من أهل الحى ومن الشيخ حسونة، فعرفنى أنه عضو فى لجنة الوفد الانتخابية فى مصر الجديدة، وأنه سيجس نبض من معه فى ترشيحى .

وفي يوم ٢٣ منه حضر إلى وقال : إن اللجنة اجتمعت ودار الكلام فيمن

يرشعونه ، فقال : إنه يرى فى قسم الوائلى ثلاثة أشخاص جديرين بالانتخاب ، وهم حسن حسيب باشا ، ومحمد شفيق باشا ، واحمد شفيق باشا ، فوافقوا بالاجماع ؛ ثم انبرى منهم اثنان فأثنيا على ، وقالوا : إننى مجرب وسوابق حسنة ولى دراية بالتاريخ وأجيد اللغة الفرنسية .

وفى يوم ٣ يونيو زرت الوفد فى بيت المصرى بك السعدى ، وتكلمت مع على بك الشمسى فى موضوع ترشيحى عن قسم الوائلى ، فقال : إنه سيسجل اسمى فى سجل المرشحين من قبل الوفد لعضوية مجلس الشيوخ ، لأن الترشيحات لمجلس النواب قد انتهت .

وأخيراً راجعت نفسى ، فوجدت أمامى عملاً تاريخياً أهم بالقيام به ، وهو إصدار حوليات مصر السياسية ، واخراج مذكراتى فى نصف قرن ، وأن هذا العمل التاريخى يتطلب منى أن أقف على الحياض بين الأحزاب المختلفة لا نفرغ للحقيقة وحدها ، بينما ترشيح نفسى لعضوية البرلمان ، سيعرضنى للانغماس فى الحزبية .

فكان أمامى أن أوازن بين مؤلفاتى وعضوية البرلمان ، فاخترت الأولى وعدلت عن الترشيح .

سؤره مختلفة :

تعرفنى بالمستر كراين الأمريكى : فى أواخر سنة ١٩٢٢ دعيت لتناول الشاى عند السيد عبد الحميد البكرى ، وكان من بين المدعوين المستر كرين سفير أمريكا فى الصين سابقاً ، وقد تعرفت به فى السنة الماضية عند السيد نفسه ، وكنت وعدته بأن أحصل له على توصية للامام الأدريسى ليتمكن من زيارة العسير فى طريقه الى زيارة بن السعود والامام يحيى ، ثم دعوت



السيد مصطفى الأدريسى

الحاضرين لأخذ الشاى عندى فى أول يناير الحالى ، وكان من بين المدعوين السيد

مصطفى الأدريسى، فتعرف بالمستر كرين ووعدته بالتوصية ، كما أنه تعرف بسليمان شفيق باشا ناظر الحرية العثمانية سابقاً والذي هو ضيفي الآن بمصر ، وله معرفة تامة بالبلاد العربية السابق ذكرها ، فضلاً عن البصرة والعراق ودمشق وسوريا ، وقد تم الاتفاق على أن يرافق المستر كرين ، وتقرر أن تكون الرحلة في سبتمبر القادم لأنه وقت ملائم .

وقد دعاني المستر كرين مع سليمان شفيق باشا والبكري والتفتازاني والدكتور رضا توفيق الفيلسوف التركي لتناول الغداء في فندق مينا هاوس ، وقد أهديت له مجموعة مقالاتي في جريدة الليبرتيه .



الدكتور رضا توفيق الفيلسوف التركي

وفي يوم ١٠ يناير سافر لزيارة الحجاز وفي يوم ٢٤ رجع من رحلته بعد أن قابل ملك الحجاز ، فحضر لزيارتي مودعاً قبل سفره الى الاسطانة :

مشروع اقتصادي : عرفت من السيد مصطفى عبد العال الأدريسى وهو ممثل صاحب العسير في مصر أنه يهتم منذ السنة الماضية بمسألة معدن البترول في جزيرة

فرسان أمام الحديدية التابعة لعسير ، وقد تقدمت له جملة عطاءات من ثلاث شركات انجليزية ، فاختار أحسنها ، وهو مقدم من أحد الانجليز بمصر وآخر بانجلترا ، وقد قرأنا شروط العطاء معاً ؛ ولاحظت على بعض المواد ، وهي تلخص في أن المستر باركر الانجليزى بالأصالة عنه وبالنيابة عن آخر في لندن طرف أول ، والسيد مصطفى والسيد الامام الأدريسى طرفاً آخر ، يطلبون أخذ امتياز معدن البترول وما يوجد من المعادن الأخرى في جزيرة فرسان لمدة خمسين سنة ، ولهم الحق في مد هذه المدة خمسين سنة أخرى عند اتفاق الطرفين ، وقبل مضي المدة الأولى بسنة واحدة . وأن كل الأدوات اللازمة للعمل لا يؤخذ عنها جمر ك ، وأن الأرض تبقى في ملكية الامام ، وعليه أن يحمي العمال بحراس في نظير ثلاثة آلاف جنيه سنوياً

تدفع مقدماً ، وله أن يعين مأموراً ليقيد في دفتر خاص الصادر من المعادن ، وأن يخصص مندوباً لحضور الجمعية العمومية ، وبحث ميزانية الشركة أو الشركات التي يؤسسها طالبا الامتياز ، وذلك على مصاريف الشركة ، وللامام الحق في ربع الأسهم مجاناً ، وللالهالى أن يكتبوا بعشرة في المائة توضع تحت تصرف السيد مصطفى .

وكانت ملاحظاتي ، خاصة بأن الشروط لاتبين الجهة التي تحسم الخلاف إذا وقع بين المتعاقدين ، ولم تجدد المدة التي في خلالها يتبدى العمل ، ووعدته أن أتكلم مع بعض المالىين الامريكين الذين سيفدون إلى مصر قريباً ، بواسطة سفير أمريكا وكان الأمير محمد علي قد وعدنى أن يقدمنى له مع توصية منه . ولما قابلته وحادثته في الموضوع قال لى : إن مدير شركة البترول الأمريكية قدم إلى مصر ثم سافر إلى فلسطين وسيعود لمصر في ١٤ مارس فأقابلك معه .

ولكن هذه المقابلة لم تتم ، وأهمل المشروع كله بعد ذلك بسبب بسط نفوذ ابن السعود على بلاد الادارة .

أسرار عن مسألة طابه : ورد ذكر هذه المسألة في القسم الاول من حكم عباس وفى يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ أخبرنى عزت باشا العابد أنه كان قد بلغ الانجليز أن الدولة ستحدث تعديلا في الحدود بين مصر وفلسطين نظراً لما كانت تنويه من إعطاء امتياز للألمان بأنشاء سكة حديدية في فلسطين ، فأوعزت لندن إلى كرومر أن يستعلم من الغازى مختار باشا عن ذلك فأجابه بخشونة قائلاً : « وهل الدولة العلية غير مستقلة ؟ - أو ليس لها الحق في عمل ماتريد »

وعندئذ انتقلت المخابرات إلى الأستانة . وقد وافق عزت باشا العابد ، وزكى باشا مشير الطوبخانة ورضا باشا السر عسكر على جعل رأس محمد الحد الفاصل بين البلدين .

ولكن أبا الهدى الصيادى ويوسف رضا باشا رئيس قومسيون أسكان المهاجرين وكان ميالا للروسيا ، أرسلوا تقارير سرية للسلطان عبد الحميد ، بأن رأس « محمد » رمز معناه أن محمد رشاد الخامس سيقسم الحكم مناصفة مع جلالته ! فذعر عبد الحميد لهذا ! وحق على عزت باشا ومن معه ،

الملك فؤاد لا يأذن لى بالمقابلة : فى يوم ٢٩ سبتمبر عدت من الأستانة إلى

الاسكندرية فذهبت إلى سراى رأس التين ، وطلبت من التشرىفاتى النوباتجى أن يحدد لى ميعاداً لمقابلة جلالة الملك

وفى يوم ٣ اكتوبر تكلمت تليفونياً مع سعيد ذى الفقار باشا فى هذا الموضوع ، فقال: إن جلالة الملك مشغول كثيراً ، وسألنى عما اذا كنت قد سافرت الى القاهرة بعد عودتى من الأستانة، فقلت لا . فأجاب : حينئذ يمكنك السفر وعند رجوع جلالته لمصر سينظر فى طلب المقابلة وبعد ذلك لم يأتنى خبر !

وقد علمت من مصدر أثق به نقلاً عن الملك انه قد وصل الى عليه اننى أقوم بدعاية لعباس فى جمعية الرابطة الشرقية (سياتى فصل خاص بها فى ملحق)

ملحقات

جمعية الرابطة الشرقية — مطرباني من عباس
صلاحت عباس الشخصية — نجل شخصي عباس

جمعية الرابطة الشرقية: تألفت هذه الجمعية سنة ١٩٢٢ وبقيت حتى سنة ١٩٣١ وقد آثرت جمع أخبارها في فصل واحد حتى أعطى القارىء صورة كاملة عن أعمالها مهد الجمعية: دعا ميرزا مهدي رفيع مشكي بك سرتجار ايران جماعة من أصدقائه الأفاضل بمنزله، وكان منهم المصري والسوري والعجمي والتركي. وبعد العشاء أخذوا بأطراف الحديث، فقال احمد زكي باشا أحد المدعويين: ها نحن أولاء اجتمعنا ونحن من أمم شرقية مختلفة، فهل يستطيع القيام بعمل نافع من هذا الاجتماع؟ ثم هداهم التفكير الى انشاء جمعية تربط أفراد الشرقيين وتقوى ما بينهم من العلاقات أسموها «جمعية الرابطة الشرقية»، واختاروا للرئاسة السيد عبد الحميد البكري أحد الحاضرين وللسكرتيرية احمد زكي باشا

انضمامي لها: ولما سمعت بهذه الفكرة، ما نشر عنها الصحف كتبت لكاتم السر أجبتها، وأعلن رغبتى في الانضمام فجاءني الرد باعتباري عضواً بها مع الترحيب والسرور

الاجتماع الأول: وفي يوم ١٩ فبراير اجتمع الأعضاء في دار الرئيس بسراي الخرنفش، وحضر الاجتماع أكثر من خمسين بينهم الامير يوسف كمال، والنيل اسماعيل داود؛ وألقى السيد البكري خطبة قيمة. وقد اقترحت اسناد رئاسة الشرف الى الامير يوسف كمال، ولكن



النيل اسماعيل داود



أعضاء جمعية الرابطة العربية

سره اعتذر، وطلب أن تظل الرياسة للسيد البكرى، ثم جرى الانتخاب لمجلس الإدارة، فانتخب السيد عبد الحميد البكرى رئيساً، والشيخ محمد بنحيت والسيد رشيد رضا نائبين، واحمد زكى باشا كاتم سر، ومعه ثلاثة مساعدين أحدهم عربى، والثانى تركى، والثالث فارس، وميرزا مهدي رفيع مشكى بك أميناً للصندوق والسيد محمد الغنيمى التفتازانى. وصالح جودت بك القاضى، وحبيب لطف الله بك والاستاذ أميل زيدان، والشيخ عبد المحسن الكاظمى، والدكتور محجوب ثابت والشيخ مصطفى عبد الرازق، وصاحب المذكرات أعضاء.

أغراضها : أما أغراض الجمعية، فقد حددها قانونها بأنها توثيق الروابط بين الأمم الشرقية بالتعاون الفكرى بينها، ودرس حضارة الشرق، وما يناسب اقتباسه لنهضته من الحضارة الغربية؛ وأن تتوصل الى ذلك بالوسائل العلمية والاقتصادية وبث دعوتها بالقلم واللسان، وإيفاد بعض رجالها الى البلاد الشرقية للتعارف والتآلف وإنشاء شعب فيها، وعقد مؤتمرات دورية فى جهات متعددة لتبادل الأفكار وللبحث فى شؤون الجمعية ومراحلها العملية وتكوين نادى لاجتماعات والقاء الخطب والمحاضرات واستقبال الوافدين على مصر من كبراء الشرقيين وفضلائهم، وإصدار مجلة تنشر المباحث العلمية والاقتصادية والأدبية، وتحجى بواسطتها آثار السلف ولتقوم مقام السفير بين أمم الشرق.

اعتقال عضو فى الجمعية والأفراج عنه : وفى يوم ٢٣ ابريل قرر مجلس الإدارة السعى للأفراج عن الدكتور محجوب ثابت^(١) الذى اعتقل بالوحدات الداخلية. وقد أنتج هذا السعى وأفرج عنه.

مهمتى لدى عطاء الأستاذة : وفى يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٢٣ قرر المجلس انتدابی من الجمعية لدى عطاء الأستاذة بمناسبة سفري إليها للسعى فى سبيل نشر اسم الجمعية لخدمة الشرق والشرقيين مع تفويضى فى التصرف بما يناسب أغراض الجمعية وبعد عودتى عرضت على المجلس فى جلسة ٦ نوفمبر نتيجة مهمتى وهى :

مقابلتى للخليفة وحديثى معه عن الرابطة : قابلت جلالة الخليفة فعرضت عليه قانون الرابطة ولائحتها الداخلية، فقابلنى ببشاشة وقال : إنه يتذكرنى من أيام وجودى بالأستانة عند ما كنت أقابله مندوباً من الحديو لأبلاغه تحياته، وإنه

(١) صورته مع أعضاء مجلس الإدارة وستأتى

مسرور برؤيتي . وأستعلم مني عن الرابطة فقدمت له قانونها مجلداً تجليداً فآخرأ فاطلع عليه جلالاته ، وقرأ مقدمة قانونها وشكرني على تعريفه بها ، وكان يحفلها ، وتمني نجاحها ، وكلفني تبليغ أعضاء مجلس إدارتها شكر جلالاته على تقديم القانون ثم قلت لجلالاته : « إن غرض الجمعية غير سياسي ولا ديني ، فهي جامعة لعموم الشرقيين من جميع الأديان ، وبقانونها مادة تحرم الاشتغال بالسياسة وإنما غرضها التعارف والتآلف بين أمم الشرق بتقوية الصلات الودية والاقتصادية » : فسر جلالاته بذلك .

ثم قلت : « إن مما يحقق هذا الغرض إنشاء فرع لبنك مصر بالاستانة » فقال : « إنني أفكر في دعوة أمم الشرق التي لها مصارف إلى إنشاء فروع لها بالاستانة ، وفي اقتراحك بتقوية العلاقات الاقتصادية بين تركيا ومصر » . قلت : « إن الصلات الاجتماعية قديمة وباقية وأن التجارة يحسن تقوية روابطها بين مصر وتركيا فان بعض البلاد التركية كأزمير المشهورة بمتاجرها تأتي منها المتاجر على مراكب غير تركية ، وبعضها قد لا يمر بأزمير ، ولهذا يفكر المصريون في إنشاء وابورات بحرية لسفر الركاب والمتاجرة ببحار الشرق ، وكل يكون من المستحسن إيجاد روابط بين مصلحة السفائن التركية والشركة المزمع إنشاؤها . فتمني جلالاته أن يتم ذلك .

مقابلة مثل أنقرة : وبعد هذا قابلت عدنان بك ممثل أنقرة الرسمي بالاستانة وحادثته بخصوص الرابطة ، وقدمت له قانونها ونسخة أخرى لرفعها إلى الغازي مصطفى كال فوعد بتقديمها إليه . وقد كنت عازماً على السفر لأنقره لولا ماعلته من أن الغازي مشغول ، فاكثفت بأن أترك له مع عدنان بك رسالة لفخامته كانت معي من الأمير عمر طوسن يعرفه في فيها .

وعند خروجي من الباب العالي قابلت أحمد جودت بك الصحفي التركي المشهور فدعاني إلى إدارة جريدته إقدام . وقد عرضت عليه فكرة الرابطة فاستحسنها .

مقابلة الحاكم العسكري للاستانة : ثم زرت رأفت باشا الحاكم العسكري

وتحدثنا في شأن الرابطة فقال : « إن تركيا مشغولة الآن بشئونها الداخلية ، وقد استحسن فكرة إنشاء فرع لبنك مصر بالاستانة .

دعائتي لها في الاستانة : ثم حضر عندي عمر رضا بك مراسل الاخبار ، وهو

معلم اللغة الانجليزية للخليفة ، وحادثني في جملة موضوعات تتعلق بمصر والدولة وسألني عن الرابطة الشرقية ، وعما فعلته للان ، فأجبت بأن أغراض الجمعية عظيمة أما ماصنعتة فشئ قليل نظراً لحداثتها ، فهي تستقبل عطاء الرجال الشرقيين عند مرورهم بمصر ، وتؤلف بينهم وبين المصريين ، والمخابرات متبادلة بينها وبين عطاء الشرق ؛ ويهم الرابطة أن تنشئ لها شعباً بالدول الشرقية لتقوية الصلات بينهما . وأن الرابطة ستقوم قريباً بعمل تظهر به وهو السعى في جمع الاعانات للمسجد الأقصى . ووزعت عدة نسخ من قانون الرابطة على الصحف المهمة وكبار رجال الدولة . وقد استنتجت أن مسألة إيجاد شعبة للرابطة متعذرة بسبب اضطرابات الأحوال ، وكان سليمان البستاني الوزير السابق وعد بالمساعدة في إنشائها . ولكنه أشار بتأجيلها .

رسالة شكر إلى الخليفة : وبعد أن عرضت هذه التفصيلات على مجلس الإدارة قرر إرسال الخطاب الآتي للخليفة :

« حضرة صاحب العظوفة كبير أمناء جلالة الخليفة الأعظم . .
 « السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فقد عاد إلى مصر حضرة صاحب السعادة احمد شفيق باشا أحد أعضاء مجلس إدارة جمعية الرابطة الشرقية ، فأبلغ ذلك المجلس أنه طبقاً لما عهد إليه قد تشرف بأن رفع إلى سدة مولانا الخليفة - أيده الله - خبر إنشاء جمعية الرابطة الشرقية بمصر ، وأبان لجلالته أغراضها السلبية العمرانية ، التي ترمي إلى تأييد روابط التعارف والتآلف بين أمم الشرق وشعبه بلاميز بين الأجناس والأديان ، وأن جلالته تفضل بأظهار عطفه العالي على تلك المقاصد ، وتكرم حفظه الله فكلف سعادته تبليغ ارتياحه مع سلامه السامي إلى أعضاء مجلس الإدارة ، فتقبل أعضاء المجلس المجتمعون اليوم لذلك تحيات جلالته وعطفه الكريم برفع أكف الدعاء بطول حياة جلالته مؤيداً للبادئ الكريمة معضداً للجهودات القويمة ؛ وقرر بالإجماع تحرير هذا الخطاب . راجين من عطفكم رفع فروض شكرهم بالنيابة عن جميع أعضاء الرابطة الشرقية مختلفي الأجناس والمذاهب إلى سدة العلياء .

« أدامه الله مظهرأ للعناية الربانية ، مؤيداً بالرعاية الصمدانية ،
 إحياء ذكرى جمال الدين بالرابطة : وفي يوم ٩ مارس سنة ١٩٣٤ أحييت الرابطة بسرأى البكري ذكرى وفاة المرحوم السيد جمال الدين الأفغاني ، فنكلم

ميرزا مهدي بك عن تاريخه والاستاذ مصطفى عبد الرازق عن نظريته في ربط الشعوب الشرقية .

تدخل الجمعية في الحرب الحجازية العمومية : وفي يوم ٥ أكتوبر وردت للرابطة برقية من السيد أمين الحسيني جاء فيها :

« أبرقنا لنجد لحقن الدماء ، وصون الأماكن المقدسة فنرجو ابراقكم بمثل ذلك ، ونقترح إرسال وفد منكم لجدة ليشارك مع سائر الوفود الإسلامية بالسعي لحقن الدماء ، وصون حرية البلاد المقدسة ، وللتوسط في حل المشكل بما يضمن المصالح الإسلامية والعربية ،

فعقدت جلسة مجلس الإدارة فوق العادة وتقرر إرسال برقية لجلالة ملك الحجاز ، وعظمة سلطان نجد على يد جناب الحاج ميرزا محمد علي قنصل إيران بجدة ، وعضو الرابطة الشرقية هذا نصها :

« قنصل إيران بجدة . أبلغوا باسم الرابطة الشرقية النص الآتي للجلالة الهاشمية والعظمة السعودية : إن الخلاف القائم بينكما يسوء الرابطة الشرقية التي لها شرف العمل على توثيق الروابط السلمية بين أمم الشرق جميعاً ، فنناشدكم باسم الإنسانية ، العمل بروح الوئام لفض الخلاف ، وتقرير السلم حقاً للدماء الزكية ، وصوناً للبقاء المقدسة ، كما هي أمنية الشرق والشرقيين ،

فرد جلالة ملك الحجاز بأنه يشايح الرابطة الرأي في العمل على حقن الدماء والوصول إلى السلم

ولم يرد عظمة السلطان ابن السعود .

افتتاح نادى الرابطة : وفي يوم ٩ يناير افتتحت دار الرابطة بشارع سامى بالقرب من المالية ، فدعا مجلس الإدارة عدداً من العظام والعلماء ومحررى الصحف وبعد ما أديرأت أقذاح الشاى وأطباق الحلوى أخذت صورة للدعويين مع أعضاء الرابطة ، ثم ألقى السيد عبد الحميد البكرى كلمة الافتتاح فبين فيها ضرورة اتصال البلاد الشرقية وترابطها ، وأعلن افتتاح دار الرابطة .

ثم تكلم السيد الغنيمى التفتازانى عن جهود الجمعية الثقافية والعلمية وقرأ نص برقية أرسلتها الجمعية إلى سراى عابدين بمناسبة افتتاح دارها

وتحدث ميرزا مهدي بك عما رآه في الجمعية من غيرة على الشرق والشرقيين وتمنى لها مستقبلا سعيدا في جمع شمل الشرق

وأخيرا التقيت كلمتي ، وفيها شبهت مصر بقلب الشرق النابض ، وأنه ليس عجيب أن تتألف الرابطة الشرقية فيها ، فتربط جميع الاطراف وتجمعها
عطف الرئيس ولسن : وفي أول ابريل أصدرت الرابطة مجموعة من خطب الرئيس ولسون ورسائله في السنوات من ١٩١٣ إلى ١٩١٩

وهذه المجموعة أرسلها الدكتور ولسن للرابطة بواسطة صديقه الحميم مستر تشارلس كراين سفير الولايات المتحدة في الصين سابقاً ، ورئيس اللجنة الأمريكية التي طافت الشرق الأدنى لسؤال أهله عن رغائبهم قبل أن يبت مؤتمر الصلح في تقرير مصيرهم .

وكان قد مر بمصر سنة ١٩٢٣ كما ذكرت ، فسمع بالرابطة الشرقية فزارها في سراى الخرنفش ، ثم سافر إلى الولايات المتحدة ، وكان مما حدث به صديقه الحميم الدكتور ولسون خبر الرابطة ، فأعجب بها وأحب أن يشجعها في أعمالها ، فانتخب هذه المجموعة وكلف مستر كراين أن يوصلها للجمعية لترجمتها إلى بعض اللغات الشرقية ونشرها في الشرق ، ووعد بأن يكتب لها مقدمة بقلبه .
وقد عاد مستر كراين سنة ١٩٢٣ وسلم هذه المختارات للرابطة ، وبلغها عطف الرئيس ولسن وإعجابه .

ولكن الموت حال دون كتابة المقدمة التي وعد بها إذ توفي قبل طبعها .
مساعدة الجمعية لجرحى الريف بمراكش : في يوم ٩ يونيو عرضت على مجلس إدارة الرابطة رسالة وردت إلى من الأمير عمرطوسون ، بخصوص مساعدة جرحى الريفين بمراكش ، فقرر أن تقوم الجمعية بعمل نداء لاستنداء الأكف لمساعدة هذا المشروع ، وتبرع الأعضاء الحاضرون بمبلغ ١٣٨ جنيهاً وقد كتب الأمير شاكرًا للجمعية عملها .

تدخلها في حوادث دمشق : وفي جلسة ٢٧ أكتوبر عرضت بركة من موسى كاظم باشا رئيس اللجنة التنفيذية بفلسطين ، تصف الفظائع التي ارتكبت في دمشق وغيرها من مدن سوريا ؛ فقرر المجلس الاحتجاج لدى عصبة الأمم ورئيس وزراء فرنسا ورئيسي مجلس الشيوخ ومجلس النواب بها وبعض صحفها .
وهذا هو نص الاحتجاج :

« إن جمعية الرابطة الشرقية تحتج بكل قواها باسم الانسانية لدى عصبة الأمم على الفظائع الواقعة في سورية وهي فظائع تستوجب أشد الاستنكار من الشعب الفرنسى نفسه .

« إن أكثر المدن عمرانا من مدن سورية قد أصلح معظمها في هذا اليوم ركاما من الخرائب والاطلال ؛ أما مدينة دمشق المقدسة فقد كان نصيبها أكثر هولا وأشد مصاباً ولا سيما في أحيائها التاريخية والآلهة بالسكان والتجارات ، فقد أصبح الألوف من النساء والشيوخ والأطفال - عدا القتلى - بلا مأوى يعانون نهاية الآلام من الفاقة البالغة ؛ وفوق هذه النكبة فغير مسموح للنساء بأن يخلصن بأنفسهن من هذا الجحيم » إن العالم المتمدن لا يمكنه أن يبقى ساكناً ، أو أن يغمض الطرف بأزاء هذه الفظائع التي يعجز عنها الوصف ، وأن جمعية الرابطة الشرقية أمام هذه الأحوال تنشد العصبة عواطفها الخيرية ، وتضامنها الانساني، لتضع نهاية سريعة لهذه الاعمال التي تثير الغضب في سريرة كل انسان ،

مساعدتها للمسكوبين في سوريا : وكذلك وجهت الرابطة نداء لجمع التبرعات للمسكوبين في سوريا وتبرع المجلس بمبلغ ٨٢ جنيها ، وببلغ مجموع التبرعات التي جمعتها الرابطة ١٢٠٠ جنيه تقريباً وأرسلت الجمعية برقية لحكيم أجمل خان الزعيم الهندي الكبير في دلهي وهذه هي صورتها :

« ضرب مدينة دمشق آثار عطف العالم الشرقي والآثار الاسلامية التاريخية تهدمت . كذلك كان حظ حماه . تدهر المدن والقرى . وتفرض الغرامات الباهظة . والأهالي غير قادرين على الدفع ، الشتاء يقترب بقره مهدداً بالجوع عشرات الألوف من النساء والأولاد والشيوخ .. والأرض لم تزرع . الرابطة الشرقية ترجو مساعدتكم لدى الشعب الهندي الكريم ، وصحافته الشريفة ، لاعانة السوريين وللاحتجاج على المظالم . قد افترضنا الا كتاب هنا ، وقد جاء الرد بالبرق بالصورة الآتية :

« نشكركم على برقيتكم . كل الجهود مبذولة في الهند وفي الخارج . لنا الثقة أن كل الأحزاب المصريه تتعاون لتخفيف مصاب إخواننا المسكوبين . نرجو اهداء تحياتنا إلى أحمد شفيق باشا ،

بحث في الأزياء والتقاليد الشرقية : في يوم ١٢ ابريل سنة ١٩٢٦ دعوت أعضاء الرابطة لتناول الشاي بدارها ، وبعد ذلك عرضت أن يكون موضع سمر الليلة مناقشة الأزياء والتقاليد الشرقية ، وطرح عليهم الأسئلة الآتية :

١ — هل يجب أن نستمر نحن الشرقيين على تقاليدنا ومظاهرنا كما هي . أو أننا نندمج في العوائد والأخلاق الغربية . أو أننا نحفظ بتقاليدنا وعوائدنا الحسنة ونستبدل بعض الظواهر والتقاليد القديمة بأخرى غربية مما يفيدنا ولا يتنافى مع العادات القومية الصحيحة ؟

٢ — وإذا قررنا التجديد فما هي المظاهر القديمة التي يلزم تغييرها بمظاهر جديدة تنطبق على قواعد الصحة والاقتصاد ؟

٣ — وهل ينبغي إذا تقرر تجديد الزي أن تتميز كل فئة في الشعب بزي مخصوص يناسب حالتها وطقوسها الذاتية ؟ .

دارت المناقشة في هذه الأسئلة وتناولها سماحة الرئيس وسعادة الوكيل وعبد الرؤوف بك زكي والشيخ محمود أبو العيون وصالح بك جودت والدكتور منصور فهمي والأستاذ نسيم صبيعه ، وظلت المناقشات إلى ما يقرب من منتصف الليل . وقد ألفت بعد ذلك جمعية للنظر في الموضوع من جميع جهاته الاجتماعية والاقتصادية والصحية ، وعقدت عدة جلسات لهذا الغرض ، وعرضت عليها زياً مبتكراً قليل النفقات ومناسباً للطقس في مصر ، نال استحسان الكثيرين ، ولكن لم تنته المسألة إلى شيء عملي

صلة الرابطة بالجمعيات في الشرق : وفي ١٧ نوفمبر اقترحت إيجاد صلات بين الرابطة والجمعيات بالشرق ، فقرر بعد تلاوة المذكرة المقدمة منى للمجلس في هذا الشأن ، أن ترسل جمعيتنا للجمعيات العلية والأدبية في الشرق بطلب قانونها ومطبوعاتها تمهيداً لعقد الصلات معها

وفي ١٠ ابريل سنة ١٩٢٧ اقترحت تأليف لجان داخلية للرابطة لدرس شئونها ولجان لمعرفة أحوال البلاد الشرقية .

وقد تقرر تأليف لجنة تنفيذية ولجنة مالية . ثم لجنة عربية للبحث في شئون بلاد العرب والعراق وسوريا ، ولجنة تركية للبحث في شئون تركيا ، ولجنة فارسية للبحث في شئون فارس وأفغانستان وبلوخرستان وشمال الهند ، ولجنة هندية لدراسة

شئون الهند ، ولجنة الشرق الأقصى لدراسة حال الهند الصينية وبلاد الملايو والصين واليابان ، ولجنة المغرب لدراسة شمال افريقية واللجنة الافريقية لدراسة الحبشة والسودان ، على أن يعجل بتأليف اللجان الثلاث الأول ، ويترك الباقي للظروف .

وفي ١٥ ديسمبر قدمت اقتراحا بطريقة استقبال الرابطة لجلالة ملك أفغانستان وتقرر نشر تحية من الرابطة لجلالته يوم قدومه بالصحف ، وارسال تلغراف تهنئة له مع الجنرال غلام جيلاني خان سفير جلالة الملك بأنقرة .

إصدار مجلة الرابطة ومقالاتيها : وفي جلسة ٥ ابريل سنة ١٩٢٨ تقرر فتح اكتاب لاصدار مجلة تعبر عن أغراض الرابطة ، وتنشر مبادئها ، فتبرع سمو الأمير يوسف كمال بمبلغ خمسين جنيها ، وسمو الأمير عمر طوسن بمبلغ عشرين جنيها ، والسيد علي بك الرفاعي بعشرين جنيها ، والسيد البكري بعشرة جنيهات ؛ وتبرعت بمبلغ ستة جنيهات ورابع الجنيه شهريا . وقد أسندت إلى ادارة المجلة .

وقد صدر العدد الأول منها يوم ١٥ أكتوبر ، وكتبت به مقالة بعنوان : « جمعية الرابطة الشرقية . ماضيها . حاضرها . مستقبلها » ، ومما جاء فيها :

« منذأكثر من جيل استيقظ الأمل في قلوب الشرقيين ، ودب النشاط في نفوسهم ، فظهرت في الشرق نهضات مثورة ، لم تزل تعالج العوائق المحلية ، وتكافح المناهضات الخارجية ، وأخذت تبدو لها آثار تقوى الأمل .

« لفت ذلك أنظار بعض المفكرين من أفذاذ الشرقيين الى تنظيم هذه الجهود ، وتوجيهها وجهة صالحة متكاتف متضامنة .

« ترددت هذه الفكرة في الأذهان ، وألحت على الرؤوس ، حتى اختمرت في مصر قبل باقي الاقطار الشرقية . ولاغرو فصر بالنسبة للشرق منارة ، ولأهله قبله ، إذ ليس بين بلدان الشرق اليوم من لها مميزات مصر ، وذلك لتوسطها بين القارات ، ولما لأهلها من دماثة تجعلهم يعتبرون كل شرقي بالنسبة لوادى النيل وطنياً . ومعاهدها العلمية — الأزهر والجامعة ومختلف المدارس — مازالت ترحب أكرم الترحيب بجميع رواد العرفان من شباب الشرقيين . حتى نبغ منهم عدد ليس بالقليل ، ومنهم من انتظم في سلك خدمتها الحكومية ، فأدى لها خدمات عظيمة .

« ومصر ، فوق ذلك ، قطرة الشرق الى الغرب ، وواسطة عقد الثقافتين ، ونقطة اتصال الحضارتين .

« ثم عرضت برنامج الجمعية وما قامت به من الأعمال الهامة منذ نشأتها ، وختمت الكلمة بما يأتي :

« الى هذه الوسائل الادبية ينبغي أن تشجع الجمعية المشروعات الاقتصادية التي يقوم بها أبناء الشرق مجتمعين ، كتأسيس شركات برأسمال شرقي ، لاستثمار الاراضي بريها ، واستخراج ماتحتوى من كنوز ثمينة ، ومعادن نفيسة ، وإنشاء الطرق ، وتحسين المواصلات ، لاستخدامها في نشر التجارة وتعميمها ، متبعة في ذلك الاساليب الفنية الحديثة . وليس لدينا شك في أن « بنك مضر » لا يتباطأ في تقديم العون الممكن لجميع الشرقيين في هذا السبيل .

« اذا حققنا ذلك البرنامج ، ووصلنا الى هذه الغايات المحددة ، انتظم حالنا ، واستطعنا أن نرفع رءوسنا ، شاعرين بمجدنا الشرقي ، وكبريائنا القومي ، وسائرنا الغرب في مدينة تضارع مدينته ، وحضارة تناسب حضارته .

« عندئذ يكون الشرق حقاً للشرقيين . والله ولى التوفيق »
وفي العدد الثانى كتبت مقالة بعنوان : « الشرق غنى في أرضه . فقير في أهله ، وما جاء بها :

« تكافقت دول الغرب على أمم الشرق فوضعت فيما بينها نظاماً حددت فيه مناطق النفوذ لكل واحدة منها حتى لا يطغى بعضها على بعض .

أحست الأمم الشرقية بالضغط والارهاق المادى الذى كاد يذهب بثروتها ، فأخذت في الذود عما بقى بيدها ، واسترداد مآذبه منها .

« وهى في نهوضها هذا فقيرة في بعض نواحيها يعوزها المال مقفرة في النواحي الأخرى ينقصها العلم والتبوغ . لهذا فواحدة منها لا تستطيع النهوض وحدها بكل ما يوصل الى تحقيق الأغراض المرجوة ، والآمال المرموقة .

« من أجل ذلك نرى التضامن بين هذه الأمم الشرقية ، وعقد حلف معنوى اقتصادى مقرباً لهذه الغايات البعيدة

« قد لا يكون يسيراً عقد حلف رسمى بين أمة وأمة ، والحال كماهى الآن في الشرق فلا دخال المسألة في حيز الامكان والعمل ، نقترح بادى الرأى إنشاء شركة مساهمة ذات رأس مال لا تشترط ضخامته أولاً ، بل يزداد عند الاقتضاء ، توزع أسهمها بين الشرقيين في مختلف البلدان . وتكون أسمية ، كي لا تنسرب الى الأيذى الأجنبية ويكون مركزها في مصر — لتوسطها بين القارات الثلاث ولأنها البلد الذى يعيش

فيه أكثر عدد من مختلف الاخوان الشرقيين — ويكون من أغراض هذه الشركة (أولاً) درس وتحضير البحوث الوافية في المشروعات المالية والاقتصادية في كل قطر من أقطار الشرق، سواء أكان لحسابها الخاص أم لحساب غيرها من أبناء الشرق أم بالاشتراك معه؛ ويحسن أن تقوم بهذا العمل هيئة مصرية فنية تجوب الاقطار الشرقية تدريجياً وتتفق مع حكوماتها وأهلها على الأعمال الضرورية لها. (ثانياً) السعى في إيجاد رموس الأموال لتنفيذ ما يتقرر من هذه المشروعات. والابحاث المشار اليها هي التي يقضد بها إلى احياء موات أرض البلاد وتنمية ما فيها من بركة من نواحي الزراعة والصناعة مثل مشروعات الري لشق الترع وإيجاد الاحواض والسدود والخزانات والآبار الارتوازية وتوليد الكهرباء؛ ثم مشروعات استقلال الصناعات بتأسيس المصانع واستثمار المناجم والمعادن من فحم حجرى ومنابع زيت البترول واستخراج الزمرد والياقوت والفيروز والمرجان واللؤلؤ والزبرجد الثمين القيمة. وكل ذلك موجود في جزيرة العرب. نضيف إلى ذلك وإنشاء السكك الحديدية، وتسيير الترام والبواخر وغيرها من وسائل النقل.

«وأشد البلاد حاجة لهذه الشركات هي الواقعة على شواطئ البحر الأحمر، وأهم المشروعات في الوقت الحاضر التي تفتقر اليها هذه البلاد هو إنشاء شركة بواخر مشتركة بينها وبين مصر تديرها أيد شرقية، يعلم أصحابها حاجات المسافرين من اخوانهم حجاجاً وتجاراً، فيجد هؤلاء الراحة متوفرة على الصورة التي ألفوها وتجارهم مصنونة من كل عبث.

«ولعلنا نجد قريباً (لشركة مصر للنقل والملاحة) أسطولا تجاريا يقوم بهذا الغرض الضروري العظيم بزيادة رأس مالها تحفظ للبلاد الواقعة على شواطئ البحر الأحمر حصصاً في أسبهمها؛ وبذلك يتحقق التضامن، وتتقوى ناحية من نواحي الرابطة الشرقية.

«تلك فكرة عرضت اطرحها على القراء الكرام رجاء بحثها وتمحيصها ونقدتها بكل صراحة واخلاص حتى إذا ما وضح الرأي وجدنا الآخذين به من الدائبين على خدمة الشرق والشرقيين، ويد الله مع الجماعة»

تمثلي للرابطة في افتتاح المسجد الاقصى: انتدبتى الجمعية لتمثيلها في حفلة افتتاح المسجد الاقصى. وقد أقيمت كلمة شكرت فيها اللجنة التي قامت بتعمير هذه المقدسات حفظتها من التداعي والزوال.

ثم شرحت للحاضرين أغراض الرابطة التي اتدبتني عنها ، وما قامت به من جلائل الأعمال . ودعوت الى عقد مؤتمرات دورية في بلاد الشرق تضم مندوبين عنها للتعارف والدراسة والتقريب بين الجميع وفي ١٤ أكتوبر تقرر أن تصدر الرابطة بياناً للحكومات والشعوب بمناسبة اعتداء اليهود على البراق تبين فيه حق المسلمين التقليدي في هذا المكان ، وأن اعتداء اليهود عليه يسبب كثيراً من المشاكل وسفك الدماء ، وتدعو هذه الحكومات لمنع حدوث هذه المشاكل .

تدخل الجمعية للاصلاح بين الأحزاب في جاوه : وفي ١٨ ديسمبر تقرر إنشاء شعبة للجمعية في جاوه ، وأن تتدخل الجمعية لحسم النزاع القائم بين بعض الأحزاب فيها ، وقد نجحت في تدخلها .

تقدير الملك فيصل لمجلة الرابطة : وفي ٢٣ فبراير سنة ١٩٣٠ ورد خطاب من ديوان الملك فيصل يبلغني فيه تقدير جلالة لمجلة الرابطة وأنه تفضل بالاشتراك فيها وأرسل ١٠ جنهات مقابل ذلك ، فتقرر كتابة رسالة بالشكر وهذا نصها :
« حضرة صاحب السعادة رستم بك حيدر — البلاط الملكي . بغداد .
« تشرفت لجنة مجلة الرابطة الشرقية بكتابكم المؤرخ ١٦ فبراير سنة ١٩٣٠ المتضمن أمر جلالة الملك بالاشتراك في مجلة الرابطة الشرقية .

« ولقد قدرت اللجنة أحسن تقدير ذلك العطف الملكي السامي على المجلة ، ورأت تفضل صاحب الجلالة بالاشتراك فيها اشارة سامية إلى رضا جلالة عنها ، وذلك مما تغبط المجلة به أكبر اغتباط ، ويحفز من همم الباعضين بها والقائمين في خدمتها .

« وقد أنهت اللجنة إلى مجلس ادارة الجمعية تلك المبرة الملكية ، فاستقبلها بما هي أهله من جزيل الحمد والثناء وكلفني أن أنوب عنه في رفع آيات الشكر الوافر إلى عرش صاحب الجلالة مع عظيم الاجلال والاحترام .
« فأرجو أن تتفضلوا برفع ذلك إلى السدة الملكية العالية والسلام عليكم ورحمة الله . .

معوة الجمعية لعرب فلسطين المتهمين في حوادثها : وفي ٣٠ أكتوبر ورد للجمعية كتاب من سكرتير اللجنة التنفيذية للوتمر السورى الفلسطينى ، يستنهض فيه بواسطة

مجلس إدارة الرابطة الشرقية سنة ١٩٣٩



من اليمين: أحمد طوق باشا، الشيخ محمد النسي، التتاراني المساعد المرفق، السيد محمد رشيد رحمان باشا، السيد محمد الخديج البكري (رئيس الجمعية)، الشيخ محمد نجيب تاشين، الشيخ عبد الرحمن الشكالي، أحمد زكي باشا، كاتب السرايا - وفوف، من اليمين: زود الدين، مصطفى بك، المساعد اللوكي، محمد رضا توريقي، المساعد الفارسي، الدكتور محمد تاش باشا، صالح جوزيت بك، ميرزا مهدي تافيج مشي بك، أمين الصديق.

همة المحامين المصريين للدفاع عن عرب فلسطين المتهمين أمام المحاكم الفلسطينية في المحاكمات الخاصة بحوادث فلسطين الأخيرة مع اليهود .
وقد أبلغ المجلس هذا الخطاب إلى نقابة المحامين الأهليين لانتداب من يتبرع منهم لهذه المهمة .

وقد تبرع للدفاع كثيرون من بينهم محمد علي باشا وتوفيق باشا دوس والاستاذ مكرم عبيد (باشا) .

الرابعة تقدم لى تذكارا : فى جلسة ٧ مايو سنة ١٩٣٠ اقترح السيد التفتازانى أن يقوم مجلس ادارة الرابطة بتقديم تذكار لى بمناسبة بلوغى سن السبعين وتقرر أن يكون هذا التذكار اطارا ثمينا على الطراز العربى ، كتب به اسم الرابطة وتوقعات أعضاء مجلس الادارة .

استقالتي من لجنة المجلة : وفى يوم ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٠ عرضت استقالتي من لجنة المجلة ، بعد ان كف بصرى ، لعجزى عن القيام بهذه المهمة ، فقرر استبقائى لعدم الاستغناء عن جهودى ومشورتي ، وحرصاً على راحتي تقرر اختيار محمد بك عبد الرسول كشميرى للقيام بادارة المجلة مالياً

فتور الرابطة ثم انقطاعها عن العمل : وبكل أسف بعد هذه المجهودات وبعد اتساع أعمال الرابطة ، وانتشار سمعتها فى الشرق والغرب حتى أمريكا . انتهت إلى فتور عن العمل ، أعقبه انقطاعه ، وانفراط عقدھا

بعض عظام الزائرين للرابطة : وبهذه المناسبة أذكر هنا بعض عظام الزائرين الذين زاووا الرابطة فى حياتھا وهم :

من الهند حضرات السيد سليمان الندوى من أعظم كره — الشيخ عبد القادر القصورى من لاهور — الشيخ عبد الماجد القادري بدوان — ابو المختار أمين احمد — الزعيمان الدكتور أجمل خان — «رحمة الله عليه» ، والدكتور انصارى من دلهى — السيد عبد الكريم الحسيني والدكتور عبد الحى وظهر الدين احمد من حيدرآباد الدكن وسمو الأمير لوهار والفيلسوف الكبير طاغور والسيد أبو المظفر احمد وبنت مونيلا نهر الزعيم الهندوسى وظفر على خان صاحب جريدة زمندار فى لاهور والحاج اسماعيل من لاهور والكاتب أبو سعيد العربى الصحفى والسيد أمير على



السيد أمير علي

ومن كابتاون بنحوب افريقيا الامام عبد الرحمن قاسم جمال الدين رئيس مدرسة مسجد
الازهر والشيخ احمد بن محمد بهاء الدين . مدير العلوم الشرعية بمدرسة البرهامية الشافعية
ومن حضر موت سمو الامير صالح بن عوض القعيطي والسيد احمد العطاس خليفة
السادات والسيد محمد بن عقل والسيد محمد بن هاشم وآل السيد احمد بن عمر بن يحيى
ومن نجد والحجاز الامير سعود بن عبد العزيز والامير عبد العزيز بن عبد الله
والشيخ فوزان السابق ، معتمد جلالة ملك الحجاز ونجد والشيخ حافظ وهبه
المستشار والشيخ يوسف يسمن ، مدير مطبوعات الحجاز والشيخ يحيى عدنان
والشيخ عبد الله سراج والشيخ صالح شفا والسيد محمد سعيد الدردير .
ومن الافغانين غلام حسين السفير فوق العادة وعلى احمد خان والى مدينة
كابول وسلطان احمد خان والجنرال غلام جيلاني وشير رضا وغيرهم .

ومن العراقيين جلالة الملك فيصل والشيخ عطا الله الخطيب ، مدير الاوقاف
وفهمى بك المدرس ، أمين جامعة آل البيت .

ومن القدس الحاج أمين الحسيني ، مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي
الاعلى والاساندة اسعاف النشاشيبي وجبر عادل وبندلى الجوزى و خليل بك الخالدي .

ومن سومطرا الحاج عبد الكريم امر الله
رئيس معلى الدين الاسلامى بالمدرسة العليا .
ودرويش زكريا بمجلس سومطرا .

ومن مرا كش سعادة قدور بن غبريط وزير
السلطان .

ومن تونس الزعيم الكبير السيد عبد الحميد
الثعالبي بجامعة آل البيت ببغداد وقد اختير عضواً
بمجلس الادارة .

ومن جاوه السيد أبو بكر العطاس والسيد
حسن بك أحمد العطاس ومختار لطفي رشيد .
ومن بولونيا يعقوب شنكر مفتيها .



السيد عمر بن أبي بكر

مطهر باي من عباس : سبق أن ذكرت شيئاً عن هذه المخلوبات متفرقاً في سنة ١٩٢٠
عند تقديم المذكرة لعباس التي أعقبها استقالاتي ، وفي سنة ١٩٢٢ عند مطالبي له
ببعض مالى عنده على يد حسن بك صبرى (باشا)

بيان وواف بمطلوباتي: ولم يكن ماذكرته هو كل المطلوبات ، فالآن أجملها هنا وهي ٦٣٠ جنيتها ببقية سلفة الشيخ علي يوسف وقد سبق ذكرها و ٢٢٨٧ جنيتها نقود حصي المعروفة للقاري. و ٧٧ ألف فرنك سويسري (٣٠٠٠ جنيه تقريباً) مافقدته في سياحتي في انسبروك و ٢٢٠٥ جنيتها ماحكم به ضدي في قضية الاوقاف (غير فوائدها من ١٩١٤ - ١٩٢٣) و ٥٠٠ جنيه كنت قد سلفتها لقصر جبوقلي ورصدت في دفاتره . فيكون المجموع حوالى ٨٥٠٠ جنيه غير الفوائد ، وبعضها من سنة ١٩١٤ وبعضها من سنة ١٩١٨ وقد عرف القاري. أن عباساً أبى سداد شيء منها وفي ١٨ فبراير سنة ١٩٢٤ حررت لدولة الوالدة خطاباً قلت فيه :

« تعلمين يادولة الوالدة كيف أتني خدمت سمو الخديو بصدق وإخلاص ، ففي صباه كنت أستاذة ، وفي مدة حكمه ٢٣ سنة كنت الخادم الصادق ، وفي مدة الحرب ضحيت كل غال في خدمته ، مع أنه كان في إمكانى أن أنتهز الظروف مثل الكثيرين ولكنني وأنا رجل مبدأ . لم أرد أن أغير خطتي ، لأن عباساً هو ابن ولى نعمتي ، وقد أردت أن أدفع ديني فسدده .

« ولكنه لم يكافأني على خدمتي الصادقة ، بل أنه يرفض الاعتراف بما لى عنده من الدين بحجة أنني سأقاضيه أمام المحاكم مرة ، أو أنني لا أحبه مرة أخرى ، وهذا غير صحيح ، والدليل على ذلك أنني بعد مضي عدة سنوات بعيداً عنه ، لم أحرك ساكناً بالمطالبة ، ورغم المساعي التي لم تنتج فأنني لازلت صابراً ، أرجو الوصول الى تسوية . وكيف أقدم للمحاكم بينما أنت يامولاني أمرتني ألا أعمل شيئاً بأمل الوصول الى حل مرض ؟

« لذلك جئت راجياً دولتك ، حتى لا يقال : إنني قدمت نقوداً للسيدة التي وسطها الخديو بينه وبين البرنس عبد المنعم في سويسرة ولموظفيه بقصد تخليصهم من البؤس الذي كانوا فيه في زمن الحرب . وسموه مع اعترافه بهذا الدين يأبى دفعه ، فضلاً عن رفضه سداد خمسمائة جنيه ذهباً دفعتها لدائرته في جبوقلي في وقت كانت في حاجة شديدة للنقود وكذلك بقية دين الشيخ علي يوسف الذي خصم من نقودي ، بينما سموه هو الذي أمرني بضمانته .

« وكل هذه الأشياء لا تقدر بجانب ما فعله معي من صدور أمره لي بصرف مبالغ من الاوقاف لانفاقها في الأعمال الخيرية بصفتي مديراً لها . مع أنها دفعت بدون على في نفقات الفنادق لصاحبه في أوروبا ، وفي شراء عجلات لسيارته الخصوصية

التي أرسلها الى أراضي في الضلعا ، وفي نفقات الاشراف بضيافة سموه . وغير هذه من الحقائق التي ثبتت في التحقيق وفي المحكمة .

ومما ساءنى أن مبلغا مقداره ثمانية آلاف جنيه وكسور حجز من مالى الخاص في المحكمة بناء على طلب الاوقاف الخصوصية ، مدة عشر سنوات ، مع أن هذا الحجز كان خليقا أن يوقع على الخاصة الخديوية ، لأن سموه هو المتسبب في ذلك . وقد دافعت عن نفسى أمام محكمة الاستئناف المختلطة بدون جدوى ، فحكم على وعلى سموه بالتضامن ، ودفعت للمحامى ما يقرب من الف جنيه .

« فمن الحق أن تدفع لى هذه المبالغ ، وإلا فلا يسعنى إلا مقاضاة سموه أمام المحاكم ، دون أن ألام على ذلك .

« غير أننى أتريث في هذا لأنه سيكون سببا في فرج أعداء سموه ، واعتادا على عدالة دولتكم ومكارمكم المشهورة ، فأرجو أن يصدر أمركم بسداد هذه المبالغ التي تعود على خدامكم أولادى .

« واننى مستعد لتقديم كل المستندات التي تثبت حقوقى لم تنتد بينه دولتكم ، وقد انتظرت بعد وصول هذا الخطاب لدولة . لوالدة حتى يوم ٢٤ مارس دون أن يصلنى ردعليه ، فعزمت على اتخاذ الاجراءات القانونية .

مقابلتى لوزير المالية ورد لجنة التصفية : وفى يوم ٢٨ يوليو قابلت توفيق نسيم باشا وزير المالية ، وقدمت له عريضة أرجوه فيها أن يطلب من ملفات الخاصة ، الملف الخاص بمبلغ الخمسة الجنيه التي سلفتها لجبوقى ، ومبلغ الستائة والثلاثين جنيها التي دفعت من نقودى في ضمانه الشيخ على يوسف . وإذا تبين للوزارة أحقيتى لهذين المبلغين أمر بصرفهما . فوعدنى باحاله طلبى إلى اللجنة المشكلة في المالية لتصفية الاملاك الخديوية .

وقد امتد بيننا الحديث إلى ما نقيته من الاضرار بسبب الخديو السابق ماديه وأدبيه ، وقلت : « أما الآن فأترك الأمر للقضاء والقدر ،

وفى يوم ٢٨ أغسطس ورد لى من هذه اللجنة الرد الآتى :

« حضرة صاحب السعادة احمد شفيق باشا

« بالاشارة الى كتاب سعادتكم بشأن مطالبة لجنة تصفية أملاك سمو الخديو السابق بسداد مبلغ ٥٠٠ (خمسمائة جنيه انجليزى) التي سبق أن اقترضتها الخاصة

من سعادتك لحساب سمو الخديو السابق عند ما كان بالأستانة في نوفمبر سنة ١٩١٤ مع حفظ حتمك في المطالبة بمبلغ ٦٣١ جنيه و ٩٢٥ ملياً الذي دفع من مال سعادتك الخاص للبنك الشرقى الالماني نيابة عن الخاصة في ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٤ قيمة باقى سلفة المرحوم الشيخ على يوسف بضمانة الخاصة، أشرف بالافادة بأن اللجنة قررت بأن المبالغ المذكورة دخلت ضمن أعمال التصفية التي قام بها الحارس لأملاك الأعداء والتي أقرها القانون نمرة ٢٨ سنة ١٩٢٢ واعتمدها، وحرم المطالبة بها أمام جهات القضاء ؛ وعلى ذلك لا يكون للجنة الحكومية المنصوص عليها في هذا القانون شأن في هذه الطلبات ،

وكيل المالية

ورئيس لجنة تصفية أملاك سمو الخديو السابق

مقابلتي لوزير الحقانية . وفي يوم ٥ سبتمبر قابلت محمد سعيد باشا وزير الحقانية وقدمت له طلباً بأن يصدر أمره إلى النائب العام لدى المحاكم الأهلية بأعطائى صوراً رسمية من محاضر تحقيق النيابة ضد احمد بك صادق ، وفيها مستندات المبالغ المحكوم بها على وعلى الخديو حتى أقدمها للحارس القضائى على أملاك الأعداء ، وذلك لاثبت له ان المبالغ المذكورة صرفت في شئون سموه أو لرجاله ، وبذلك أتمكن من استرداد ما خسرت في قضية الأوقاف ، وقد وعدنى بأجابة طلبى

رسالتى لمصنفى أملاك الاعداء ورده عليها : وبعد حصولى على هذه المستندات

قدمت إلى المصنفى طلباً جاء فيه :

« صدر حكم محكمة الاستئناف المختلطة ضدى وضد سمو عباس حلى بالتضامن في القضية المقامة علينا من الأوقاف الملكية الخصوصية بدفع مبلغ ٢٠٢٥ جنيه مع الفوائد ٥٪ اعتباراً من ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ مع الرسوم . وبما أنه كان حجز على بمبلغ ٨٧٠٦ ج ٩٦١ م ونفذ على بمبالغ هذا الحكم والباقي من المحجوز بقى في صندوق المحكمة طول هذه المدة ، وضاع على ما كنت طلبته من الانتفاع بهذا المبلغ فيما يعود على بالمنفعة تحت حجزه في خزانة المحكمة . هذه المبالغ التي دفعت منى خلاف ألعاب المحامى ورسوم أخرى مما يبلغ مقداره الف جنيه . ومن العدل أن المبالغ التي تحملتها كان يجب أن يدفعها سمو عباس لأن المبالغ عرفت من الأوقاف بأوامر سموه ، وكان يقال عنها إنها للخيرات ، وأنا نفذت أوامره بصفته خديوياً وناظراً لهذه الأوقاف ؛ فاذا ظهر انها صرفت في خلاف ذلك بغير على

فلست في الحقيقة مسؤولاً ؛ فالحجز الذي حصل على ما كان لي في بشكودي روما جعله عديم الانتفاع وحرمني من دفع المبالغ المطلوبة مني من بعض البنوك ، وكانت النتيجة مبيع الأسهم التي كانت مودعة عندها باسمي بأثمان منخفضة ، وفي وقت حرج فالحجز الذي حصل على المبالغ التي كانت باسمي كانت نتيجته إفلاسي ، وهذا من أعمال سمو الخديو وهو المسؤول مادياً وأدبياً ، وعليه أن يدفع لي كل الخسائر . وبما أن جنابكم يامصفي أملاك الأعداء حاجزون على أمواله ، وبما أنكم مكلفون بدفع ديونه أرجوكم دفع المبلغ المحكوم به من محكمة الاستئناف ،

وكان رده أن على أن أتوجه للجنة المالية

وبذلك كنت كمتسول يمد يده ذات اليمين وذات الشمال ، بدل أن أشكر وأكافأ على عواطفى وبذل المساعدات وقت الشدة

تدخل دار المندوب السامى : وفي يوم أول يونيو سنة ١٩٢٥ جاءتنى دعوة من دار المندوب السامى إلى ليلة ساهرة ، وكان ذلك لأول مرة ، فخطر على بالي أن اللورد ربما تلقى معلومات عنى وعن الظروف التي أحاطت بى ، ففكرت فى أن أطلب مساعدته عند الحارس القضائى لتصفية أملاك الأعداء ، ليدفع لى ما خسرتة فى قضية الأوقاف

وفى يوم ٥ منه قابلت مع السكرتير الشرقى لدار المندوب ، وشرحت له الموضوع فأبدى لى عطفه ، وأوصانى أن أكتب للمندوب السامى ، وأطلب منه التوسط لدى الحارس القضائى ، وقال : إنه نظراً لقرب سفره سيترك مذكرة بخصوصى . فشكرته وفى يوم ١٣ منه قابلته وسلمته خطاباً منى إلى اللورد اللبى أوضحت فيه مسألة قضية الأوقاف ، ورجوت مساعدته عند الحارس

وفى يوم أول يوليو قابلت الحارس القضائى ، وتحادثنا فى سيرة عباس فشرحت له مقدار ما أصابنى من الضرر فى سبيله ، فظهر عليه التأثر ثم قال : « إن عريضتك وصلت من دار المندوب السامى ، وقد رددت عليها رسمياً بأنتى موافق على ما سبق أن أبداه زميلى السابق من أن الحكم لا يخليك من المسئولية . ولكننى بعد أن سمعت حديثك هذا أرى من العدل أن ينظر إلى طلبك من جهة العدل والانصاف ، لا من الجهة القانونية ، ووعدى بأنه سيكتب مذكرة فى هذا الموضوع بصفة غير رسمية فشكرته كثيراً

وفي يوم ٩ منه قابلته مرة أخرى ، فسألني عما إذا كان قد وصل إلى شيء من دار المندوب خاصاً بطلي ، فأجبتة نفيًا . فقال : « إن الأولى أن تذهب إلى هناك وتشرح لهم الموضوع شفهيًا ، وإنني قد أرسلت منذ أيام رسالة إلى مستر هندرسون السكرتير الذي يقوم بأعمال الدار ، قلت فيها : إنني بصفة خصوصية أرى ألا يتحمل شفيق باشا مسئولية تصرفات الخديو ، وإن كان الحكم لم يخله من المسئولية القانونية فهو مظلوم ، وما كان يستطيع أن يرد طلب الخديو » .

وفي يوم ٢٣ منه توجهت اليه بناء على دعوة منه ، فقال لي : « إن دار المندوب السامي أشارت بأنه إذا أمكنك أن تثبت أن المبالغ المحكوم بها عليك وعلى الخديو صرفت بناء على أوامر رسمية منه ، فإن هذه المبالغ ترد لك » ، ونصحتني بأن أذهب إلى محامي الحراسة لاتحاد معي في هذا الموضوع .

وفي يوم ٢٧ منه قابلت المحامي ، وعلمت منه أن مهمته محصورة في أن يطلع على الأوراق التي ربما تكون تحت يدي ، تثبت أمر الخديو السابق لي بدفع المبالغ المحكوم بها علي ، فأجبتة بأن هذه الأوراق لو كانت لدى لقدمتها إلى المحكمة ، وأن الخديو السابق أو الملك الحالي ، لا يعطى أمراً كتابياً عند ما يأمر بصرف نقود .

وفي يوم ٢٩ قابلت الحارس فأخبرني أن المحامي حضر عنده بعد مقابلتي له ، وأنه كلفه بكتابة تقرير عن مسألتى ، وسيرفعه إلى دار المندوب ، وينتظر الأوامر العودة إلى لجنة التصفية : وفي سنة ١٩٣٥ عاودت المطالبة عند لجنة التصفية فجاءني الرد منها ، بأنها مصرة على الرد الذي بعثت به إلى في المرة الأولى سنة ١٩٢٤ نهاية المطاف : وهكذا كان الفشل والخسارة هما نهاية المطاف بعد هذه المحاولات .

صوت عباس التصفية : اطلع القارىء في خلال هذا الجزء الأخير على علاقات عباس بصاحبه « مدام لوزانج » ، في تواريخها ومناسباتها وقد سبق إن كانت له علاقات بصاحبة أخرى قبلها ، وكان موضع ذكر هذه العلاقات ، هو القسم الثانى من حكم عباس ، ولكن لأسباب خاصة حذفت منه .
وهأنذا أذكرها في نهاية الجزء الأخير ، حتى أرسم للحقيقة والتاريخ صورة كاملة لعباس .

الكونتيس توريك : في عام ١٩١٢ حضرت « الكونتيس » صاحبة الخديو — وكان قد تعرف بها في باريس عقب عودته من أوروبا عن طريق الأستانة — وعلمت منها أنها لما وصلت يصحبها كلها إلى الأستانة لقيت في الجمر ك بعض الصعوبات ، وأن مستشاره محمد علي بك قدم لرؤيتها هي وكلها ؛ وربما كان ذلك بناء على أخبار وردت إليه من منير باشا سفير الدولة بباريس ليتمكن من التقاط صورتها ، وعرضها على السلطان .

وكانت تدعى أنها « الكونتيس توريك دوسيزندرو » ولكن اسمها الحقيقي هو « مدام بوسكاش » .

نعم إن الكونت توريك تزوج بوالدتها ، ولكنه تركها لما رابه منها ، ثم سافرت مع خدين لها إلى أمريكا . وبعد أن وضعت هذه « الكونتيس » وأختاً لها ، عادت إلى زوجها ، ورغبت في أن يعترف بهما ، فرفض وطلقها ، وتزوجت والدتها برجل من عامة الناس .

وقد حضرت الاثنان إلى مصر في الشتاء ، ومكثتا مع « الكونتيس » مدة ، ثم عادتا إلى باريس ، وأعادتا الكرة مرارا

ولما حضرت إلى العاصمة سكنت خلال فصل الشتاء في منزل بجبة التوفيقية . ونظراً لبعده هذه الجهة عن سراى القبة ، استأجر لها منزلاً آخر عند محطتها . وقد كان ذهابه إلى هذا المنزل يلفت الأنظار ، فنقلها فيما بعد إلى سرايه بموسطر بين المزارع وكان الخديو يقوم بجميع نفقاتها .

وقد بلغني من دومرتينو باشا وبروستر بك أن نفقاتها الشهرية كانت تتراوح بين الثمانمائة والالف من الجنيهات ، تنفق منها ما شاءت ، وترسل لأوروبا ما تشاء .

وقد أخبرني بروستر بك في ١٢ مارس سنة ١٩٠٣ أنها اشترت من « لانس » بائع الجواهر الشهير ، مجوهرات بأكثر من ١٩٨٠٠ جنيه على حساب الخاصة ، من ذلك عقد لؤلؤي بمبلغ ٥٠٠ جنيه ، و « دياديم » بمبلغ ٣٠٠ جنيه ، وكانت فوق ذلك تشتري ما يلزمها على الحساب ، حتى أنه عند قيامها من مصر إلى الاسكندرية ، في أوائل مايو تبعها بائع الازهار مطالباً إياها على ملاء من الناس بسداد باقي حسابه . وربما كان ذلك بناء على اتفاق بينهما ، حتى يعلم الخديو أنه يطالبها

فيدفع له ما يطلب . وكان هذا رأى بروستر بك الذى تدخل فى الأمر ، وبعث بالرجل إلى العاصمة ، وصرف له ما يطلبه ، كما صرفت مطالب غيره من الدائنين ! ولقد ذاع أنها صاحبة سموه ، وعرف ذلك معظم الناس ، وكانت هى نفسها لا تدع فرصة حتى تعلن هذه الصفة لكل من يخاطبها أو يقابلها .

وكانت قبل السفر إلى الاسكندرية ، تختلف إلى سراى عابدين ، كلما جاء إليها الخديو ، فتتغدى معه ، وتسامره بضع ساعات . وعند انصرافه تذهب إلى منزلها فتنظره بعد العشاء .

ولما سافرت إلى الاسكندرية نزلت فى « المنتزه » وكان قد أعد لها مكاناً خاصاً فوق السلامك ، واستمر على تناول الغداء والعشاء معها ، فى ردهة الأكل الكبيرة ، والحاشية تتغدى وتتغشى فى حجرة المائدة الصغيرة بالسلامك . وكان يقضى معها كل أوقات فراغه

ومن أغرب ما علمت أنها رافقت عباساً فى حفله افتتاح خزان اسوان ، وطلبت أن تحضر الحفلة ، فرغب فى أن ترافق موسيو « دوريش » المصور ، ولكنه أنى ، وكان الوسيلة الدكتور كاوتسكى بك ، فغضب سموه من كليهما ، لأن صاحبه لم تستطع مشاهدة الاحتفال .

ومما يذكر أن السراى كانت تقيم حفلة راقصة فى شتاء كل عام فلما أرسلت تذاكر الدعوة لرجال السلك السياسى الأجنبى مع عقيلاتهم وإلى كبار رجال الجاليات الأجنبية . الأمراء والنظار وعظماء المصريين ، طلبت الكونتيس أن تحضر هذه الحفلة مع الخديو تشبهاً ببعض ملوك فرنسا الذين كانت صاحباتهم تحضر الحفلات فامتنع عباس أولاً ، ولكنه خضع لارادتها بعد الإلحاح .

وفى اليوم المحدد أمر سموه طورنيزن باشا بأن يرافقها ، وينتظر معها فى إحدى غرف الاستقبال البعيدة عن الجناح المخصص للحفلات ، حتى تصدرلها أوامر أخرى . وفى الوقت نفسه كلف دومرتينو باشا أن يحس نبض قناصل الدول الجنرالية ، وأن من بينهم معتمد إيطاليا مسيو دومرتينو وهو قريب له . فكان جواب القناصل بالاجماع الانسحاب مع عقيلاتهم إذا وقع هنا الأمر

وعلى ذلك فإن الكونتيس احتجبت حتى آخر السهرة وانصرفت إلى محل إقامتها

ولسكنها حنقت حنقاً شديداً لعدم حضورهما، وطلبت عدم إقامة هذه الحفلة مرة أخرى. وقد تم ذلك.

وعلمت من الدكتور كاوتسكى أنها حانقة عليه، وعلى بروستر، وطورنيزن، ودومرتينو، وأنها تسعى بهم عند الخديو، مع أن الدكتور نصح لها مرات بالألا تتدخل فى مالا يعينها، وأن تحافظ على حسن العلاقة بين سموه وموظفيه، وتجتهد فى أن يكون راضياً عنهم

وفى ذات مرة ذهبت إلى المنتزه، وبعد الغداء وتلقى أوامر سموه، خرجت. وقد حان وقت رجوعى إلى الاسكندرية، فذهبت لأخذ عصاى من السلامك، فلما دخلت وجدت «الكونتيس» فى الممر، فتجاهلت وجودها، ولسكنها حيتنى عن بعد، فكانها أثبت إلا أن تعرفنى بأنها تسكن المنتزه !

وقد سافر الخديو إلى ديفون صيف هذا العام للعلاج بحماماتها، فرافقه «الكونتيس». وكانت ترد لها من باريس «طرود» مختلفة، فيها ثياب وأمتعة وما شاكل ذلك، فيقوم بسداد ثمنها.

وفى أثناء جلوسى مع سموه بالحديقة ذات يوم لقراءة البريد، وتلقى الأوامر للرد عليه. قدمت هى من خلفى، فقال عباس: «ها هى ذى (غزية الصعيد) حضرت... وأمرنى بالأحول وجهى نحوها؛ وأضاف على ذلك: إنها قادمة علينا الآن.... وقد رأيتها حين حضرت أمامنا لابسة ثوبا من «التلى» موشى بورق شجر عريض أصفر من «الترتر» فكان تشبيهها بغزية الصعيد فى موضعه. وقد ذهبت معه فى المساء بهذه الثياب إلى المسرح، وكانت هذه أول مرة يستصحبها معه أمام الأنظار.

ويمكننى القول بأن هذه «الكونتيس» صورة مجسمة من المبالغة. فإذا كتبت خطابا كتبته بحروف كبيرة. وإذا تكلمت بالغت فى نطق الفرنسية خلافا للمعتاد، وإذا ارتدت زيا اختارته خارجا على المسألوف. وهكذا هى فى كل شئ من أعمالها !

وفما يلى صورتان لها :



الكونتيس ثوريك

وفي صيف سنة ١٩٠٤ كانت تصحبه أثناء إقامته بفينا ، وقد أخبرني طوريزن باشا بأن سموه اشترى لها خاتماً يساوي عشرة آلاف كورون ، وفراء بسبعة آلاف . وأنه أنفق عليها في هذه الرحلة مائة وثمانين ألف فرنك ، وأن أدوات الزينة وحدها بلغ ثمنها ألفي جنيه . وأنه اشترى لها جواهر في خلال هذا العام بثانية آلاف جنيه . هذا فضلاً عما أغدقه عليها من النفقات الباهظة في « فرانسز باد » من أجور الأطباء لعلاجها رجاء أن تحمل ، دون جدوى .

وقال لي مرة : « إن جملة ما تسكبه الخديو من النفقات في هذه الفترة يبلغ نحو أربعة عشر ألف جنيه ، وأنه أفضى إلى بأن الكونتس تنوى خرابه ! »

وفي سنة ١٩٠٦ وقعت مشادة بين الخديو واللورد كرومر من جراء موقف سموه في مسألة طابة . وقد أخبرني دومرتينو باشا أنه علم من بروستر بك أن الذي يشجع سموه على مناوأة الانجليز هي « الكونتس » ، وأنها كانت كلما جاء اللورد لمقابلته ، تجلس وراء الباب الفاصل بين قاعة الاستقبال وغرفة المكتب في عابدين وتستمع لما يدور بينهما من الحديث

وبينا كانت الكونتس تتردد على سراى القبة ، وتحتل بعباس في مكتبه لتضية

الوقت معه ، والاطلاع على أسرارها من مكاتبات وغيرها ، كانت تتقابل مع الأسرّة سواء في حديقة السراى أو خارجها . مما كان يسبب تكدير الأسرّة أشدّ تكدير ولما علمت الوالدة بخطورة ما قد يحدث من جراء هذه الحالة حضرت إلى عابدين يوم ١١ ابريل ، وكان الخديو مشغولا ، فأرسلنى إليها للاعتذار ، ورجائها فى الانتظار قليلا ، فلما رأتنى أجلستنى إلى جانبها وقالت : « يا شفيق كيف يكون حالنا ؟ » فأجبتها أن الخديو لم يخبرنى بشئ ما .

وعلمت بعد مقابلتها لسموه أنها أزالّت سوء التفاهم الذى كدر صفو العائلة وكان الخديو خلال هذه الفترة يبدو متهيج الأعصاب ، مشتت الأفكار ، يسخط ويثور لآتفه الأسباب

وفى ٢٤ مايو حدثت بين الخديو وأحمد زكى باشا مشادة عاصفة ، اقتضت أن يقدم استقالته ، ولكن دومرتينو باشا أخبره أن الخديو معذور فى ثورته وتسيجه وأوضح له السبب ، فاقترح وسحب استقالته

قال دومرتينو باشا : « بعد العشاء طلب سموه طورنيزن باشا ، الذى قدم له حساب الكونتس عند الجوهري « لانس » والكتبى « ديمر » وغيرهما . والأول يطالب بثمانية آلاف جنيه ، والآخرون بنحو ألفى جنيه ، فدخل سموه مع طورنيزن إلى أعلى السلامك عند الكونتيس ، وجلس على مقعد ، وأخذ يقرأ مفردات هذا الحساب بعناية ، ويقول . « من أين آتى بهذا المبلغ ؟ وكيف أطلبه من دومرتينو باشا ناظر الخاصة ، مع أن الدائرة فى أزمة ؟ فلم ترد عليه بكلمة ، وعندئذ احمر وجهه ، والتهبت أعصابه ، حتى كاد يخشى عليه من حدوث مالا تحمد عقباه »

ومن ذلك تأكدنا أن ثورته علينا بدون سبب ، أو لأسباب تافهة ، مبعثها أمور من هذا الطراز .

ثم قال لى دومرتينو باشا : « إن الخادم الخاص « فردريك » قص على أنه كثيرا ما شاهد « الكونتيس » وهى غاضبة مع الخديو ، وتقذف فى وجهه بكل ما عندها من الأوراق الخاصة من رسائل وغيرها ، ولكن سموه يلاطفها ويردها إليها قلت : إن الأوراق التى تقذفها وقت غضبها ليست هى الأوراق المهمة ؛ على الأرجح . فقد بلغنى أنها حفظت الوثائق الخطيرة لدى مسجل فى باريس لوقت الحاجة . وسموه يخشى الفضيحة ، فهو مرغم على الاحتفاظ بها وتحمل نفقاتها .

فقال دومرتينو : « إنه يعرف أن الكونتس صارت كاتمة أسرار الخديو فهي تكتب له الخطابات السياسية ، ولا يبعد أنها حفظت « مسوداتها » عندها ، فهي تحيط بكل أسرار وأفكاره » .

وفي ٨ يناير سنة ١٩٠٨ علمت أن طورنيزن باشا دفع أربعة آلاف جنيه لمحل الرهونات بباريس ، إذ كانت الكونتيس رهنت حزاما مرصعا بالجواهر . وهذا المبلغ من المبالغ المحصلة من بيع الرتب والنياشين .

وفي يوم ٢٦ يناير سنة ١٩١٠ كان عباس قد عاد من الأرض المقدسة بعد حجّه ، وبهذه المناسبة عقد عقده على صاحبه بعد اسلامها ، وقد سميت « جاويدان هانم أفندي » .

ولكنها ما لبثت أن تركته ، وسافرت خلسة إلى أوروبا ، فبعث في أثرها يوسف صديق باشا لاسترضائها ، ولاسترداد أوراقه منها ، فلم ينجح في ارجاعها ، ولكنه نجح في اقناعها برد الأوراق مستخدما كل الوسائل اللازمة . وهكذا انتهت علاقته معها

تحليل شخصية عباس : مما تقدم في المذكرات يستطيع القارئ أن يتصور شخصية عباس ، بمحاسنها وعيوبها ، فهي واضحة في تصرفاته وأعماله ، داخل الحكم وخارجه . ومع هذا قد آثرت أن أفرد لذلك فصلا خاصا ملخصا ، أرسم فيه الصورة التي تركتها في نفسي صحبتي الطويلة لعباس ، مبينا فيها ما له وما عليه .

جاذبية عباس : كل الذين اتصلوا بعباس ، لفت نظرهم فيه قوة جاذبيته ولطف حديثه ، واستطاعته أن يستميل محادثه إلى صفه ، وكان لهذا أثر كبير في التفاف المصورين حوله عند توليه العرش مضافا إلى ما كان معروفا به من الوطنية ومعارضة السلطة الانجليزية ، وكثيرا ما شهد له بهذا ، الصفة مراسلو الصحف الأوربية الذين حادثوه ورجال السياسة الذين حضروا مجلسه .

فضله على الحركة الوطنية : ليس من ينكر أن تبوأ عباس العرش ، كان من المنهات القوية للروح القومية في مصر ، إذ وجد الشعب فيه رمزا لثورته على تغلغل السياسة الانجليزية في عهد والده الخديو توفيق .

ومن الأعمال التي انتفعت بها البلاد في عهده معونته للزعيم الشاب مصطفى كامل فانهما والحق يقال أوقدا نار الحماسة في نفوس المصريين ، ولم يبخل الخديو

بالمساعدات المادية للزعيم في جهاده ، كما عاونه بانشاء هيئة سرية من بعض الشبان الذين درسوا في أوروبا ومن موسيو روليه سكرتيره ، وبعض الفرنسيين وعلى رأسهم موسيو جافيو عميد الجالية الفرنسية بمصر للاتصال به وتغذيته بجميع المعلومات مع تغيير وكيل شركة هافاس بمصر ، ليساعد الوكيل الجديد على نشر أخبار الحركة المصرية .

عمله على حفظ حقوقه الشرعية : ولم يأل عباس جهدا في محاربة النفوذ الانجليزي في أول عهده ، والوقوف للمستعمرين بالمصراد ، والمحافظة على كرامته معهم ومن ذلك أنه لما لاحظ ان الضباط الانجليز في الجيش المصري لا يؤدون له التحية العسكرية عند مروره بهم أصدر أمره باجراء تحقيق في ذلك ، وكانت النتيجة أن أرسلت الأوامر من السردارية بالانتباه إلى أداء هذا الواجب . كما أنه سمع بأن موظفا انجليزيا أهان مرءوسه المصري ، فأمر باجراء تحقيق دقيق حفظا لكرامة الموظفين المصريين . وأوضح من هذا موقفه في حادثتي إقالة النظارة الفهمية والحدود ، ومحاولة استعمال كامل سلطته الشرعية فيهما ، ولو أنه وجد في كلتا الحادثتين نظارا حوله يؤيدونه بحكمة ، ولا يبالغون له في تصوير الأخطار التي تحيط بمركزه ، أو لو أنه وجد من السلطان بعض المساعدة ، لتغير تاريخ الاستعمار البريطاني في مصر . ولكنه مع الأسف وقف وحيدا أمام قوة انجلترا فاضطر للاستسلام .

على انه رغم فشله في الاحتفاظ بسلطته الشرعية ، ظل يناضل كرومر ، ولكن في حذر ، وقد اشتد النزاع مرتين بينهما حتى هدد سموه العميد بالتنازل عن العرش فترجع كرومر خشية أن تتدخل الدول في هذا الأمر الخطير .

مهارته السياسية : كانت لعباس مهارة سياسية ظهرت في بعض المشروعات التي فكر فيها ، مثال ذلك : انه لما علم بعزم امبراطور ألمانيا على زيارة مصر في طريقه لفلسطين فكر في انتهاز هذه الفرصة ، لإنشاء علاقات ودية بين فرنسا وألمانيا ، باستدعاء مجلس شركة قناة السويس لاستقبال الامبراطور . وقد خابر الفرنسيين في هذا ، فوعده بالموافقة ، ولو تم هذا المشروع لكسب من هذه السياسة أعظم نصيب ، غير أن السلطان وانجلترا حالا دون إتمامه :

ومثل هذا يقال عن المشروع الذي قام به في إبان الحرب العظمى ، لفصل فرنسا عن انجلترا بأموال ألمانية ، وبمشاركة موسيو بولو ، ولكن حال دون نجاحه المطامع المالية من كليهما .

وتبدو هذه المهارة السياسية، في مناوراته سنة ١٩١٧ مع الانجليز والأتراك قبل عودته إلى الأستانة، ففي الوقت الذي كان يرسلني فيه بمهمة إلى برن مع فتواد بك سليم سفير الدولة، كان يتصل بالسفير الانجليزي وملك البلجيك لتسوية موقفه، موهما كل فريق انه معه، وأن الفريق الآخر راغب في استمالته اليه . وتبدو كذلك في إشاعة عزمه على زيارة منشآت نهر الطونة التي أنشأها حلفاؤه، عند ما رأى منهم فتوراً من ناحيته وهو بالسويسرة، وبذلك استعاد هتمامهم به .

وكان يستخدم مهارته هذه في بعض الشؤون الداخلية، فثلاً حينما أراد تغيير محمد سعيد باشا، نفمة عليه لأنه لم يساعد سموه في بيع سكك حديد مربوط بالثمن الذي يريده، لوج كتشنر بأنه يفضل مصطفى فهمى باشا عليه، فكان هذا داعة قبول كتشنر تغيير النظارة .

عباس لا يكتم السر ولا ينتصح : من أظهر صفات عباس إنه لم يكن يكتم السر

وكذلك كان سكرتيره الذي اختاره معه من النمسا وهو أستاذه موسيو روليه . وقد جنت عليه هذه الخلة كثيراً في حياته السياسية ، ذلك أنهما اتفقا في طريقهما لمصر على اتباع عدم استسلام الخديو للانجليز والمحافظة على حقوقه الشرعية في حكم البلاد ولما وصلا ، لم يستطيعا كتمان هذه الخطة ، ولا المحافظة على ما يدور في السراى من الاسرار ، فكنا إذا جلسنا نحن رجال الحاشية على المائدة الخديوية لتناول طعام الغداء مع سموه ، باح لنا بما دار بينه وبين كرومر من الحديث ، أو بما دار في مجلس النظار .

وقد حدث في مسألة الحدود ، إن الخديو كان قد أعرب ونحن على المائدة إن عزمه على إبداء ملاحظاته على الجيش باعتباره قائداً أعلى له ، ووصل الخبر الى السردار كتشنر . من أحد ياوران عباس ، وكان لذلك أثره السيء فيما وقع بعد ذلك .

وعند ما تولى أراد أن يتعرف بكبار الموظفين والأعيان ، فخصص لهم أياماً معينة لمقابلته في السراى، والتحدث اليهم في شتى الامور ؛ وكان بعضهم يطلعه على أسرار المصالح ؛ ولكنه لم يحافظ عليها فكان يرددها في أحاديثه، فتنتقل إلى الانجليز فيحاسبونهم عليها . ولذلك امتنعوا عن إمداده بالمعلومات

وكذلك كان روليه قد اصطفى قنصل الروسي في مصر ، فكان يجتمع به ، ظناً منه أنه يناوئ سياسة إنجلترا في مصر ، ويبوح له ببعض أسرار السراى وبمعاذته هو لسياسة عباس ، فتصل هذه الأخبار إلى كرومر . وفي إحدى زيارات روليه . للعميد حادثه في عدائه للإنجليز ، ونصح له ألا يتدخل في السياسة ؛ وانتهى الأمر إلى أن يطلب كرومر عزل روليه ، ثم يكتفى بمنحه أجازة طويلة بناء على تدخل الخديو على أن يتبعد عن الشؤون السياسية .

وكثيراً ما كان عبد العزيز بك عزت يلاحظ على أحاديث عباس ، وإفشاءه الأسرار ، بكل إخلاص ، فيتضايق الخديو من ملاحظاته ، وقد انتهى الأمر بتقديم استقالته من خدمة سموه .

وكذلك أبعد عنه الرجل المخلص له محمود شكرى باشا لمجرد أنه كان يقول عند الضرورة « أنصح لكم يا أفندينا ، فكان يثقل عليه ذلك ، وكأنه يقول في نفسه : « وهل أنا لا أدرك الخطأ والصواب ، حتى يكرر لى هذه النصائح ؟ ! »

ومن أغرب ما يروى عن خلة إفشاء السر عند عباس أنه وهو يشتغل بمشروع فصل فرنسا عن إنجلترا سنة ١٩١٥ كلف يوسف صديق باشا ألا يذكر اسم (بولو) أمام البارون أوبنهايم الألماني ، بل يكتفى بأن يقول عنه « الرجل الواسطة » بينما هو نفسه قد راح يذكر الاسم صريحاً للبارون !

هل عباس دستورى ؟ : تمكن الإجابة على هذا السؤال بالإيجاب والنفي في آن واحد ؛ وإن كان جانب النفي هو الذى يغلب عند التطبيق العملى .

ففي ظروف كثيرة ، كان يصرح بأنه راغب في سن دستور لبلاده ؛ ولكن في بعض الظروف كان يرى منه النفور من أعمال قانونية متنافية لرغائبه الشخصية ، فسخط على الامام الشيخ محمد عبده عندما أراد سموه أن تعطى كسوة الشريف العلية لامام المعية ، فرد عليه الشيخ بأن مجلس الادارة أعطاها لمن هو أحق منه مستخدماً في ذلك السلطة التى يخولها إياه القانون

وكذلك عندما عارض الشيخ وحسن عاصم باشا في استبدال أرض مشتهر بالقيمة التى كان يطلبها ، فانه غضب عليهما ، وأسرها في نفسه لها ، فعاكس الشيخ عبده كثيراً ، وأقال عاصم باشا من خدمة الديوان

ومثل ذلك موقفه من بعث قانون مطبوعات سنة ١٨٨١ لمجرد أن الصحف انتقدت سموه بشدة

مطامع عباس المالية وملاذه الخاصة : بعد أن رأى عباس أنه لا فائدة من الاصطدام مع الانجليز وأن السلطان عبد الحميد لم يعاونه أية معاونه في نضاله معهم حتى ساءت العلاقات بينهما ، قرر زيارة لندن سنة ١٩٠٠ ، وتعد هذه الزيارة بدء الهدنة بين عباس والانجليز .

وعند ذلك جنح إلى ملاذه الخاصة . التي كلفته نفقات باهظة ، ولم يستطع أن يكبح ميوله ويقف عند حد فيها فاندفع في إيجاد موارد مالية جديدة ، يستطيع بها تأدية هذه النفقات الشاذة ، واضطره هذا الاندفاع إلى الدخول في أعمال تجارية كانشاء سكة حديد مربوط ، التي سمح الانجليز ببيع بعض أدواتها له بأثمان بخسة ، حتى يلهو بها عن مناوأتهم .

ومثل اشتراك الخاصة الخديوية مع السيد بك يس في استغلال بعض المحاجر . ثم انحطت هذه الأعمال التجارية فلجأت الخاصة إلى الدخول في المزايدة على « معدية » الوابلي ، وحرمان الرجل الفقير الذي كان يعيش منها ، مما لا يتفق مع كرامه الخاصة .

ولما لم تكف هذه الموارد الظاهرة لسد حاجات عباس . أخذ في تجارة أخطر وهي الرتب والنياشين؛ ثم التجارة في استبدالات الأوقاف ، وفي المناصب الكبيرة ويرى القراء ذلك تحت عنوانات : « صفقة طيبة . مدير الأوقاف يباع ويشترى . عباس يصيب عصفورين بحجر ، في القسم الثاني من حكم عباس ؛ وكذلك اهتم باستخراج معادن طاشيوز وسواها وتحمل في ذلك ما تحمل من السلطان عبد الحميد وتتضح مطامعه المالية ، في تصرفاته بنقود ألمانيا وبما طلبته في ردها ، مجازفاً بفقد الثقة من حلفائه به ، وانفضاض رجال حاشيته عنه ، حتى لقد قرروا عدم الاعتراف بخديويته ، والالتفاف حول ولي عهده لولا أن عاد فرد هذه النقود

كما يتضح ذلك من إضرابه عن دفع نقود حمصى التي صرفت لسد نفقات بعض المتصلين به . وفي عدم دفعه لبقية مطلوباته منه . وكلها قد أنفقت من مالى الخاص في ظروف حرجة بأمره أو بسببه .

نوادير عن بخل عباس : ولقد بلغ من بخل عباس أن يكون بعضه من النوادر الطريفة التي لا يتمالك الإنسان نفسه أمامها من الدهش والابتسام !

من هذه الطرائف أنه كان بعد تلاوة الرسائل الواردة إليه ، يقطع منها الصفحات البيضاء فيها ، لتستعمل لكتابة مذكرات صغيرة

ومنها ما رواه البروفسور هيس عند ما استدعاه عباس ليحدثه في إخراج يكن من السجن وحدد له يوم السبت للحضور ، فحضر مساء الجمعة ليكون تحت أمره ، فاستكثر عباس أن يتحمل نفقاته ليلة .

وكذلك نقده لتفسير القرآن لمدام جاويدان (الكونتس توريك) بعد ما كلفه إياه ، حتى يتخلص من دفع أتعابه وهي ثلاثون جنياً !

آداب عباس وأخلاقه : بما لاشك فيه أن آداب عباس في أول عهده كانت آداباً راقية .

وقد كنت أجد عندما يطلب مني أمراً فيقول « أتمس منك كيت وكيت » . وقد أخرج من موظفي المعية من كان يعلم عنهم تعاطي الخمر والجلوس في المشارب والاستخفاف بالدين والأخلاق ، حرصاً على كرامة حاشيته ، وأمر بمراقبتهم لمعاقبة من يخالف هذه الأوامر .

ولكن هذه الآداب العالية لم تستمر حتى نهاية حكمه ، نظراً لوجود بعض أصاغر الموظفين الذين لاخلاق لهم ، فاقبض منهم عادة السب والشتم ، والكلام الذي لا يصح صدوره من مثله .

وكذلك تغيرت أخلاقه فكان لا يتورع عن طرد موظفين في سن الشيخوخة ، وعقاب بعضهم عقاباً بدنياً بيده ، أو عقاباً مادياً لآتفه الأشياء .

وقد برزت من خلاله خلة الأنانية ، فكان الذين يخدمونه أشبه شيء بالليمونة يعصرها حتى آخر نقطة؛ ثم يقذف بها بعيداً عنه ، من ذلك تصفيته لرجال الحاشية في سنة ١٩٢٠ ، ومعاملته قبل ذلك ليوسف صديق بالحجز على أمواله في بنك زيورخ ، ومعاملته ليكن بعد القبض عليه ، ولمحمد بك فريد بعد ما قبل أن يعمل معه وينسى معا كساته ومضايقاته . وأخيراً بموقفه معي مما اضطرني للاستقالة بعد ماقت له به من الخدمات في محنته بكل إخلاص .

ثم إنه كان يهتم بأشياء صغيرة لا يصح أن يشتغل بها حاكم مثله ، فكان يسره أن يوقع الشقاق بين أفراد حاشيته ، كما أوقع الخلف بين فريد بك والشيخ جاويز ، ففرب الأخير منه لهذا الغرض ، حتى إذا تم غضب عليه بحجة أنه من رجال سعيد

حليم . ويبدو حبه للدسائس الصغيرة ، في محاولة إيقاعه بين يكن باشا وزوجته إذ يتهمه أمامها بأن له عشيقة أخرى سنة ١٩١٧ .

ولا يعدم الباحث تصرفات كثيرة لعباس تنقصها الشهامة ، وفي أول ذلك مواقفه مع رجال تركيا الفتاة أيام السلطان عبد الحميد ، فانه كان يستميلهم إليه ، ويوهمهم بالحماية ، ثم يضحى بهم في سبيل التقرب للسلطان قضاء لمآربه الخاصة .

ولا يقل عن هذا امتناعه عن معاونة محمد بك فريد بالمال في أثناء غربته بأوربا مع أنه قبل العمل معه في مسائل خطيرة .

ويمكن ملاحظة ذلك في كل ما يختص بمطامعه المالية وبخله الشديد .

تردد عباس : وما يلاحظ على عباس ، أنه كان كثير التردد بين الاقدام والاجحام ، ولم يكن هذا لأنه كثير الأناة والروية ، بل لأنه يتوهم مخاوف كثيرة في كل خطوة يخطوها ، وكثيراً ما كانت هذه المخاوف مبعثها الحرص المادى . وأشد ما يظهر ذلك في تردده بين الانجليز والأتراك سنة ١٩١٧ ، حتى تغلب الرأى القائل بعودته لتركيا بعد فترة طويلة ومناقشات مملة .

وبعد فهذه هي الخطوط البارزة في صورة عباس ، وتتلخص في كلمتين قلتهما لـ « البورص اجبسيان » ادجار جلاد عند ما سألتى عن رأيى فى شخصية عباس بعد عودتى من أوربا وهما : « ماذى منتهز للفرص »

وقد رسمتها دون تفريط أو افراط ، للحقيقة والتاريخ؛ ويجد القارىء مصداقها فيما مر به فى الحوادث فى الجزء الأخير والله على ما أقول وكيل .

كلمة ختامية : الآن وقد انتهت من طبع « مذكراتي في نصف قرن » أستشعر راحة في نفسي ، واطمئناناً في بالي ، لأنني تمسكنت من تحقيق أعظم أمانى في الحياة وهو إخراج هذه المذكرات .

وكثيراً ما كانت تهجس في نفسي الهواجس ، فأتساءل : ترى يمد الله في أجلي ، ويمنحني الصحة الكافية ، لاتمام هذا العمل الذي وقفت عليه جانباً من حياتي ؟ ثم أدعو الله أن يحقق هذه الرغبة ، حتى تحققت أخيراً والحمد لله .

لقد عشت حياتي كلها معترساً بهذه المذكرات أعظم اعتزاز ، وكنت أستصحبها في أسفاري خوفاً عليها ، ثم أودعها في إحدى خزائن بنك من البنوك مدة إقامتي في أوروبا ، خوفاً أن تمتد إليها يد النسيان أو السرقة ، حتى أنه عند ما قطعت المواصلات بين تركيا والسويسرة وأنا عائد مع عائلتي ، وكنا في نيس كما مر ذلك سنة ١٩١٨ ، كنت حائراً بهذه المذكرات وأنا أحملها كحيرتي بعائلتي وأبنائي .

وعند ما ظهر الجزء الأول ، وفيه تحليل لشخصية الخديو اسماعيل وبعض الأخبار التي عرفتها عنه ، وكان ذلك في عهد ضيق فيه على الحريات العامة ، وأولها حرية النشر ، وسن قانون استثنائي للصحافة ، خفت أن يقع لهذا الجزء حادث ، ولكنه مر بسلام ، فحمدت الله .

وكذلك عند ما ظهر الجزء الثاني الخاص بعباس بقسميه ، وفيه ما فيه عن أخباره وحوادثه ، عاودني الخوف والقلق ، رغم أنه صدر في عهد أكثر حرية ، ولكن الله سلم .

وهأنذا أخرج الجزء الثالث والآخر في عهد مليكنا المعظم فاروق الأول : عهد الحرية والاستقلال ، وقد ضمنته بعض ما حذف من القسم الثاني لظروف خاصة ، ورأيتني في ذكر ما ذكرت الحق والتاريخ .

والئن كنت قد رحبت بالنقد عند صدور الجزء الأول ، فأنا اليوم أشد ترحيباً به ، بعد تمام المذكرات ، وإنني أتقدم لحضرات القراء راجياً أن يبدو آراءهم بصراحة في هذه المذكرات كلها ، حتى تتمحص الحقائق للأجيال القادمة ، ولا تتهمنا بالمحابة أو التقصير .

والحمد لله أولاً وآخراً على حسن توفيقه .

دار "مجلتي" للطبع والنشر
القاهرة — شارع الداخلية
تليفون : ٥١٤٥١ و ٥٥٤٥٥



